

سلسلة الرسائل الجامعية (٩)

الصوفية في حضرة

نشأتها. أصولها. آثارها

(عرض ونقد)

تأليف

أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي

دار التوجيه للنشر
الرياض

ح أمين أحمد عبد الله السعدي، ١٤٢٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعدي، أمين أحمد
الصوفية في حضرة نشأتها وأصولها وآثارها. / أمين أحمد
السعدي. - الرياض، ١٤٢٩ هـ
١١٣٥ ص؛ ٢٤×١٧ سم.

ردمك: ٨ - ١٩٨ - ٥٩ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١ - الطرق الصوفية - اليمن ٢ - التصوف الإسلامي أ - العنوان
ديوي ٢٦٩,٥٣٢ ١٤٢٩/٢٦٦

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٦٦
ردمك: ٨ - ١٩٨ - ٥٩ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٩ هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو
أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام
ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة
أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الناشر

دار التوجيه للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣
هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ و فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

البريد الإلكتروني: E-mail: dar.attawheed.pub.sa@gmail.com

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢].
[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١].
[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: ٧٥ - ٧٦].
أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلامُ الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشرُّ
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإن الناظر إلى واقع الأمة الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة
يجدها قد انقسمت إلى طوائف وفرق متعددة، وكل طائفة تدعي أنها أحسنُ
الطوائف وأنها صاحبةُ الحق دون سواها، وأن الحقَّ لا يخرج عنها، ومن
المعلوم أن الحق واحد لا يتعدد، وصاحبه - حقاً - هو من كان على مثل ما
كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا ينطبق هذا الوصف إلا على أهل السنة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والجماعة الذين أخلصوا دينهم لله وجردوا متابعتهم للرسول ﷺ، وكان من تلك الطوائف الكثيرة والمدعية للحق طائفة الصوفية، تلك الطائفة التي يعرفها أكثر الناس؛ لما لها من انتشار واسع في أصقاع المعمورة.

ولما التحقت بالدراسات العليا مرحلة الماجستير وكان على كل طالب أن يقدم موضوعاً ليكون بحثاً لئيل هذه الدرجة، فقد استعنت الله تعالى في البحث عن موضوع يعالج وضعاً يسود بلدي، فرأيت أن التصوف الذي ضرب أطنابه في مناطق كثيرة من اليمن، وبث الشرك والبدع بين الناس بحاجة إلى دراسة لا سيما بلاد حضرموت التي كان لها أثر كبير على بلدان شتى، وجعلت الرسالة بعنوان (الصوفية في حضرموت: نشأتها وأصولها وآثارها).

وتتضح أهمية هذه الدراسة لما تحتوي عليه من بيان لعقائد ومبادئ هذه الفرقة التي كان لها الأثر الواضح في انحراف كثير من الناس عن العقيدة الصحيحة، ومن ثم عرض تلك العقائد على ميزان الكتاب والسنة لبيان مدى انحرافها عن جادة الحق.

كما إن في هذه الدراسة تذكيراً ودعوة لهذه الطائفة للعودة إلى الحق وتحذيراً لعموم المسلمين من الوقوع في شيء من مخالفتها، أسوة بسلفنا الصالح وعلمائنا الأجلاء حيث كتبوا وألفوا في الفرق والطوائف المخالفة التي تنتسب إلى الإسلام مبينين عقائدها التي تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة لتجنبها والتحذير من الوقوع فيها.

ولما للصوفية - كما هو الواقع - من انتشار واسع في كثير من بلدان العالم الإسلامي ونشاط في بعض الأماكن أكثر من البعض الآخر؛ فإن الدراسة في هذه الطائفة تعطي تصوراً واضحاً عن حقيقتها، وبالتالي نقدها نقداً علمياً، وذلك بعرض باطلها على الشرع لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ولقد كانت بلاد حضرموت - كبرى محافظات اليمن - من البلدان التي لها مكانة وشهرة كبيرة في العالم الإسلامي، ولأهلها نشاط واضح داخل اليمن

وخارجها عبر التاريخ الإسلامي، وقد كانت عامرة بالسنة حقبة من الزمن إلى أن دخلت الصوفية بعد ذلك مما أدى إلى انتشار الشرك والبدع والمخالفات فيها، وانطماس نور التوحيد والهدي النبوي في بعض الأماكن وفي فترات مختلفة، مما يدفع كل غيور على دينه إلى أن بيان حال هذه الطائفة وحقيقتها وما تحمله من مخالفات لدين الله وشرعه، وإيجاد السبل والحلول لمعالجة هذه المخالفات التي وقع فيها كثير من الناس، وذلك بتوضيح عقيدة السلف الصالح التي يجب التمسك بها، وهذا من باب النصح للإسلام والمسلمين كما قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

أسباب اختيار الموضوع:

وكان من أسباب اختياري للموضوع ما يلي:

- ١ - كثرة الصوفية وانتشارها في حضرموت مع كثرة الشراكيات والبدع التي نشرتها في صفوف المسلمين، وتلبسها على الناس وتزيين باطلها بطرق متعددة ووسائل شتى، مما أدى لوقوع كثير من الناس في حبالها بدعوى الزهد والعبادة ومحبة الأولياء والصالحين وغير ذلك.
- ٢ - في الكتابة في هذا الموضوع إسهام في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة ومحاربة ما يضادها من البدع والخرافات التي نشرتها هذه الطائفة، ولا تتأتى الكتابة في ذلك إلا بالاطلاع على كتبها وأعمالها المخالفة للشرع، وكشف حقيقتها للناس بشيء من العمق، لتجنبها والحذر منها.
- ٣ - محاربتهم لدعوة أهل السنة والتحذير من دعائها ونبزههم بالألقاب المنفرة والتهم المفتراة، مما بغض دعوة أهل الحق إلى بعض أهل تلك البلاد، وبالتالي اتباع الباطل وأهله.
- ٤ - كوني من أهل تلك البلاد فلعلي أدري بطبيعة البلد من غيري من أهل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ص ٥٤) برقم (٥٥)، طبعة بيت الأفكار الدولية.

البلاد الأخرى، مما مكّني من معرفة أشياء كثيرة عنهم، قد تخفى على بعض من هو بعيد عن تلك البلد.

٥ - لم أجد - بعد البحث والاستقصاء - رسالة علمية في هذا الموضوع خصصت الدراسة عن صوفية حضرموت إلا بعض الكتابات الخاصة التي تُعنى ببعض المخالفات بعينها.

٦ - جهل كثير من أهل اليمن بحقيقة الصوفية في حضرموت، وظن بعضهم أن الخلاف مع الصوفية هو في بعض المحدثات العملية من الأذكار والاحتفالات البدعية فقط ولم يعلموا أن الخلاف مع الصوفية أكبر من ذلك، كما سيتبين من خلال البحث والدراسة عن هذه الطائفة إن شاء الله تعالى.

٧ - أثر صوفية حضرموت البالغ على بعض بلدان العالم الإسلامي، وذلك بنشر أفكارهم واعتقاداتهم فيها، لا سيما حيث انتشار الجهل وقلة دعاة الحق، ولا يزال أثرهم باقياً إلى اليوم.

٨ - إبراز جهود العلماء وبعض الولاة في محاربة التصوف الدخيل على بلاد حضرموت.

٩ - تشجيع بعض المشايخ الفضلاء في القسم عند استشارتهم وإبداء الموافقة على هذا الموضوع.

وأسأل الله أن يوفقني في بحثي هذا، وهو المستعان وعليه التكلان. وقد استعنت الله في ذلك وجعلت خطة بحثي فيه على النحو التالي:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة.

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث، والمنهج الذي سرت عليه في كتابة الرسالة.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حضرموت ودخول الإسلام فيها بإيجاز، وتحتة ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بحضرموت.

المطلب الثاني: الأديان الموجودة في حضرموت قبل دخول الإسلام إليها.

المطلب الثالث: دخول الإسلام فيها وأثرها في العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: التعريف بالتصوف ونشأته وتطوره، وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالتصوف.

المطلب الثاني: نشأة التصوف وتطوره.

الباب الأول: تاريخ التصوف في حضرموت، وتحتة فصلان:

الفصل الأول: نشأة الصوفية في حضرموت، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: أسباب نشأة التصوف في حضرموت.

المبحث الأول: بدء دخول التصوف إلى حضرموت.

المبحث الثاني: أعلام الصوفية الأوائل في حضرموت، وتحتة أربعة مطالب:

المطلب الأول: أعلام صوفية حضرموت من القرن الرابع إلى قرب عهد الفقيه المقدم.

المطلب الثاني: أعلام الصوفية في حضرموت من عهد محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم إلى قرب عهد السقاف.

المطلب الثالث: أعلام الصوفية في حضرموت من عهد السقاف إلى قرب القرن الثاني عشر.

المطلب الرابع: أعلام صوفية حضرموت في القرن الثاني عشر.

المبحث الثالث: الطرق الصوفية التي انتشرت في حضرموت، وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: الطريقة العلوية في حضرموت.

المطلب الثاني: الطرق الصوفية المتفرعة من الطريقة العلوية.

الفصل الثاني: الصوفية في حضرموت في القرون المتأخرة، وفيه مبحثان:
المبحث الأول: أعلام صوفية حضرموت في القرون الثلاثة الأخيرة
ودورهم في نشر التصوف، وتحت مطالبان:

المطلب الأول: أعلام الصوفية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين
ودورهم في نشر التصوف.

المطلب الثاني: أعلام صوفية حضرموت في القرن الخامس عشر
ودورهم في نشر التصوف.

المبحث الثاني: انتشار الصوفية وأماكن وجودها.

الباب الثاني: أبرز عقائد الصوفية في حضرموت ومناقشتها وبيان أثرها،
وتحت سبعة فصول:

الفصل الأول: مصادر التلقي عند صوفية حضرموت ومناقشتهم فيها. وفيه
أربعة مباحث:

المبحث الأول: منزلة الكتاب والسنة في الاستدلال عندهم، وفيه أربعة
مطالب:

المطلب الأول: دعوى التلقي عن الله تعالى مباشرة.

المطلب الثاني: طرق القوم في تفسير النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: العلم الوهبي (اللدني) عند صوفية حضرموت.

المطلب الرابع: تقسيم صوفية حضرموت الدين إلى شريعة وحقيقة.

المبحث الثاني: الكشف.

المبحث الثالث: الرؤى والمنامات.

المبحث الرابع: الكتب المعتمدة في التلقي عند صوفية حضرموت.

الفصل الثاني: قولهم في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات
ومناقشتهم فيه، وتحت مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: انحراف صوفية حضرموت في توحيد الربوبية

المطلب الثاني: عقيدة صوفية حضرموت في القطب.

المطلب الثالث: عقيدة التصرف في الكون عند صوفية حضرموت.

المبحث الثاني: قولهم في توحيد الأسماء والصفات، وفيه خمسة
مطالب:

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات عند صوفية حضرموت.

المطلب الثاني: قول صوفية حضرموت في صفة العلو.

المطلب الثالث: قول صوفية حضرموت في صفة الاستواء.

المطلب الرابع: قول صوفية حضرموت في صفة الكلام.

المطلب الخامس: قول صوفية حضرموت في مسألة الرؤية..

الفصل الثالث: قولهم في توحيد الألوهية ومناقشتهم فيه، وتحت ثلاثة
مباحث:

المبحث الأول: تعريفهم لمعنى لا إله إلا الله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: انحراف صوفية حضرموت في تعريف التوحيد وحكمه.

المطلب الثاني: انحرافهم في تفسير كلمة التوحيد وحكمها.

المطلب الثالث: موقف صوفية حضرموت مما يناقض لا إله إلا الله.

المبحث الثاني: قولهم في الدعاء والشفاعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: انحراف صوفية حضرموت في الدعاء.

المطلب الثاني: قولهم في الشفاعة.

المبحث الثالث: قولهم في التوسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التوسل عند صوفية حضرموت.

المطلب الثاني: أنواع التوسل عند صوفية حضرموت.

المطلب الثالث: النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في
مسألة التوسل.

الفصل الرابع: قولهم في النبوة ومناقشتهم فيه، وتحتة مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في الوحي.

المبحث الثاني: قولهم في النبوة والأنبياء.

الفصل الخامس: قولهم في القدر ومناقشتهم فيه، وتحتة مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: ادعاء معرفة ما في اللوح المحفوظ.

الفصل السادس: قولهم في اليوم الآخر ومناقشتهم فيه، وتحتة مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في الإيمان باليوم الآخر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كلامهم في بعض أمور اليوم الآخر.

المطلب الثاني: قولهم في الجنة.

المطلب الثالث: قولهم في النار.

المبحث الثاني: قولهم في عذاب القبر ونعيمه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى تصرف أوليائهم ومشايخهم في أمور البرزخ.

المطلب الثاني: كلامهم بلا علم فيما يقع بعد الموت.

الفصل السابع: أثر الصوفية في حضرموت وجهود أهل العلم وبعض

الولاية في مواجهتها، وتحتة خمسة مباحث:

المبحث الأول: الغلو في الأولياء والصالحين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذبح للأولياء والصالحين.

المطلب الثاني: النذر للأولياء والصالحين.

المطلب الثالث: جعلهم الأولياء واسطة بين الله وخلقه.

المبحث الثاني: الغلو في القبور، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: النصوص الناهية عن الغلو في القبور والعلة في ذلك.

المطلب الثاني: البناء على القبور واتخاذها مساجد.

المطلب الثالث: الزيارات الشريكية والبدعية للقبور.

المطلب الرابع: القبور المعظمة عند صوفية حضرموت.

المطلب الخامس: اعتقاد قضاء الحاجات عند قبور معينة.

المطلب السادس: اتخاذ القبور أعياداً.

المبحث الثالث: العبادات الشريكية والبدعية. وتحتة أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصلوات والعبادات المبتدعة.

المطلب الثاني: الحضرات الصوفية.

المطلب الثالث: السماع الصوفي.

المطلب الرابع: الاحتفالات الشريكية البدعية.

المبحث الرابع: نشر الفكر الصوفي بالوسائل المتعددة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التأليف والنشر.

المطلب الثاني: التلاميذ والأتباع.

المطلب الثالث: التأثير على بعض الولاة.

المطلب الرابع: نشر الزوايا والأربطة.

المبحث الخامس: جهود أهل العلم وبعض الولاة في مواجهة الآثار السلبية لصوفية حضرموت، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: جهود أهل العلم الحضارمة في مواجهة الصوفية.

المطلب الثاني: جهود أهل العلم من غير الحضارمة في محاربة الصوفية.

المطلب الثالث: جهود أهل العلم في اليمن في القرن الخامس عشر في محاربة التصوف.

المطلب الرابع: جهود جمعية الإصلاح والإرشاد بأندونيسيا في محاربة التصوف.

المطلب الخامس: جهود بعض الولاة والقبائل في محاربة التصوف.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وقد ذيلت البحث بأهم الفهارس^(١)، وهي كالتالي: فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

وقد سلكت المنهج التالي في كتابة الرسالة:

١ - الرجوع إلى الكتب المعتمدة التي ألفها متصوفة حضرموت أنفسهم، والرجوع أحياناً للكتب التي نَقَلْتُ أقوالهم ممن لهم مكانة عندهم.

٢ - جمع المعلومات والحقائق المتعلقة بالبحث وعرضها ثم دراستها دراسة علمية ونقدها.

٣ - تدوين أقوال صوفية حضرموت من كلام وأشعار أئمتهم ومشايخهم المعظمين عندهم الذين وصفوا بأنهم كبار الأولياء، وسادات العارفين، ولم أنقل عن عوامهم ومن لا قدر لهم عندهم.

٤ - عزوت الأقوال إلى قائلها.

٥ - عند نقل الكلام بنصه أذكر مصدره فقط، وأما عند النقل بتصرف فأضيف قبل اسم المصدر لفظة (انظر).

٦ - عند النقل عن كتاب له طبعات مختلفة أشير إلى ذلك في الحاشية.

٧ - عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٨ - تخريج الأحاديث النبوية والآثار وذلك بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، مع نقل حكم العلماء عليها، إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فاكتفي بالعزو إليه فقط.

٩ - تفسير الكلمات الغريبة، والتعريف بالأماكن والفرق وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية.

(١) وفي الأصل كان البحث متضمناً لثمان، فهارس، ولكن اختصاراً للقراء أوردنا فهرسين منها فقط.

١٠ - ترجمت للأعلام المذكورين في الرسالة، ما خلا المشهورين منهم كالخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة أو من عرف بكثرة رواية الحديث، وكذا لم أترجم للمشهورين من علماء أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر ونحوهم، وتركت ترجمة المشهورين عند الصوفية كالجنيد، والبسطامي، وابن عربي، والحلاج وغيرهم، ولم ألزم ترجمة المعاصرين.

١١ - أعقب على كلامهم، وأذكر الدليل الذي يبين باطلهم، أو خطأ ما استدلوا به مبيناً وجه الاستدلال الصحيح، وأذكر كلام أهل العلم في المسألة، ومذهب السلف، وكذا التعليق في الهامش على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق من الألفاظ والمعاني.

١٢ - يرد ذكر أشخاص كثيرين من صوفية حضرموت، ومن أهل حضرموت عموماً فلا أترجم لهم، وذلك لعدم شهرتهم بالتأليف أو التأثير، وإنما يذكرهم القوم لقصة، أو مسألة معينة لا غير.

١٣ - اختصرت بعض الأسماء وقمت بذكر ألقابهم فمثلاً إذا قلت: الحافظ فالمقصود ابن حجر العسقلاني، وكذا اختصرت أسماء بعض الكتب سواء للصوفية أو لغيرهم فمثلاً: الفتح اختصار لفتح الباري للحافظ ابن حجر، والغرر اختصار لغرر البهاء الضوي... إلخ لمحمد بن علي خرد العلوي الصوفي، وكذلك اختصر أسماء الكتب التي يتكرر ذكرها، فأذكر في المتن وكذا الحاشية بداية اسمها، ولا أذكر المؤلف في الغالب، إلا إذا اشتبه الكتاب مع كتاب آخر فإني حينئذ أذكر اسم المؤلف.

١٤ - عند تكرار المسألة أو كلامهم في مباحث مختلفة من الرسالة فإني أحيل في الحاشية إلى مكان تقدمه في الرسالة بذكر رقم الصفحة.

١٥ - يكون تقرير كلامهم أنفسهم عند مناقشته، لا ممن نقل عنهم، وهذا أبرأ للذمة، وحتى لا يقال إن هذا ليس مذهبهم.

١٦ - أحيل أحياناً في الحاشية عند التطرق لموضوع معين أو الرد على الصوفية إلى كتب أخرى للتوسع.

١٧ - اعتماد الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح والعلماء المقتدى بهم من بعدهم، وقد أنقل من كلام المخالفين أحياناً لإلزام الصوفية بالحق الذي خرج من قبل هؤلاء، فإن الحكمة ضالة المؤمن، وينظر إلى ما قيل لا إلى من قال، فإن كان حقاً أخذنا به، وإن كان غير ذلك طرحناه وهجرناه، ولذلك شواهد كما في قصة الشيطان مع أبي هريرة في البخاري^(١)، وقصة اليهودي الذي قال: تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت^(٢) وغيرها. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله عن قصة الشيطان مع أبي هريرة: «يستفاد من الحديث مشروعية الرجوع إلى الحق وإن كان من نَبَّ عليه ليس من أهل الحق»^(٣)، لذا فإن العلم والعدل هما ملاك الحكم على المخالف، لذا سعيت - بما استطعت - أن ألتزم هذا المنهج في رسالتي.

١٨ - ذيلت البحث بفهارس علمية تيسر الاستفادة منه.

وبعد:

فهذا هو البحث الذي أسأل الله جل وعلا أن ينفع به، وقد بذلت في إنجازه قصارى جهدي، ولا أدعي أنني وفيتة حقه، فما كان من صواب فيه فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي، واستغفر الله منه. وفي ختام هذه المقدمة أتوجه بالحمد والثناء والشكر لله تبارك وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، فله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثم أتوجه بالشكر بعد شكر الله تعالى لحكومة خادم الحرمين الشريفين - جزاها الله خيراً - على ما قدمته للإسلام والمسلمين من خدمات عظيمة، منها:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز (ص ٤٣٣) برقم (٢٣١١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١/٦، ٣٧٢)، والنسائي في سننه، كتاب الإيمان، باب: الحلف بالكعبة (ص ٣٩٩) برقم (٣٧٧٧٣)، والحاكم في المستدرک (٢٩٧/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في الإصابة (٣٨٩/٤).

(٣) القول المفيد (٢/٢٢٩).

إنشاء هذه الجامعة المباركة في بلد رسول الله ﷺ، التي تخرج منها الكثير من الطلاب على مدى سنين طويلة، عادوا إلى أوطانهم دعاة لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، فأسأل الله تعالى أن يبارك في تلك الجهود.

ثم أتوجه بالشكر لكل من كان له فضل في إتمام هذا البحث، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني - وفقه الله تعالى - الأستاذ المشارك في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، وكان لآرائه ونصائحه ومتابعته المستمرة دور كبير في إنجازها، فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في علمه، وعمره، وعمله.

كما أتقدم بالشكر للجامعة الإسلامية ممثلة بمديرها فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود - وفقه الله - على إتاحة الفرصة لي لمواصلة دراستي العليا، وتقديم الخدمات المشكورة لطلاب العلم ومن أهمها توفير الكتب والمراجع في المكتبات، مع ما يجده طالب العلم من الرعاية والتشجيع من المسؤولين.

وأخص بالشكر كذلك قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين برئاسة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف - وفقه الله - ومجلس كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة بعميدها فضيلة الشيخ الدكتور محمد با كريم با عبد الله - وفقه الله -.

وأتوجه بالشكر لفضيلة الشيخين الفاضلين الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي: الأستاذ في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، والدكتور محمد با كريم با عبد الله: الأستاذ المشارك في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية اللذين تفضلا - مأجورين - بمناقشة هذه الرسالة وتقويمها فجزاها الله خيراً وبارك فيهما.

وأخيراً أشكر كل من ساعدني في إتمام هذا البحث من المشايخ والزملاء بإبداء رأي أو نصيحة أو إرشاد لمرجع أو غير ذلك.

ولا أدعي الكمال في عملي هذا فالبحث كبير، والمؤلفات التي نشرتها صوفية حضرموت كثيرة جداً منها المطبوع والمخطوط بالإضافة إلى كتيباتهم الصغيرة، وقد يسر الله لي الاطلاع على كثير منها، فبذلت الوسع في الوقوف على ما فيها ورده بالأدلة، وأرجو أن أكون وفقت للصواب، وحسبي أنني اجتهدت في تحري الحق وكتابته ولم أتعمد الخطأ.

والله تعالى أسأل أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يذل الشرك وأهله، كما أسأله جلّ في علاه أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، وأن يوفقهم للتمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يبارك لي في ما علّمني، وأن يصلح لي عملي وجميع إخواني المسلمين إنه أكرم مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو عبد الرحمن أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي

المدينة النبوية

ص.ب. ١١٩١

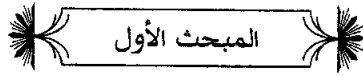
المملكة العربية السعودية

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حضرموت ودخول الإسلام فيها بإيجاز.

المبحث الثاني: التعريف بالتصوف ونشأته وتطوره.



حُضْرَمُوت ودخول الإسلام فيها بإيجاز

• رِثْمَتُهُ ثَلَاثَةُ مَطَالِبَ:

❖ المطلب الأول ❖

التعريف بحُضْرَمُوت

حُضْرَمُوت بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم اسمان مركبان، وهما اسمان جعلاً واحداً إن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعربت الثاني إعراب ما لا ينصرف فقلت: هذا حُضْرَمُوتٌ، وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني فقلت: هذا حُضْرَمُوتٍ أعربت حُضْراً وخففت موتاً، وكذلك القول في ساءَ أبرص ورامهرمز، والنسبة إليه حُضْرَمِي والتصغير حُضْرَمُوت، تصغير الصدر منهما، وكذلك الجمع تقول: فلان من الحضارمة^(١).

وحُضْرَمُوت بفتح فسكون وقد تضم الميم مثل: عُنْكَبُوت^(٢).

وحُضْرَمُوت اسم بلد، وقبيلة أيضاً، ولها ذكر في التوراة في سفر التكوين بلفظ حُضْرَمُوت^(٣).

وجاء في كتاب (الشامل في تاريخ حُضْرَمُوت ومخاليقها) أن أهل اللغة أجمعوا على أن اسم حُضْرَمُوت مركب تركيباً مزجياً من كلمتين هما: (حُضْر) و(موت) ثم ذكر الخلاف في سبب تسميتها بهذا الاسم^(٤).

(١) انظر: لسان العرب (٢٠٢/٤)؛ ومختار الصحاح (٥٩/١)؛ ومعجم البلدان (٢٧٠/٢).

(٢) انظر: معجم البلدان (٢٦٩/٢).

(٣) الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد، سفر التكوين (٢٦/١٠).

(٤) انظر: الشامل في تاريخ حُضْرَمُوت ومخاليقها، لعلوي بن طاهر الحداد (ص ٢٣).

وأما عن سبب التسمية فقليل: سميت بحضرموت بن يقطن^(١) بن عامر بن شالنخ، وقيل: اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية، ويتهي نسبة لحمير بن سبأ. وقيل: حضرموت اسمه عامر بن قحطان، وإنما سمي حضرموت؛ لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل، فلُقّب بذلك ثم سُكّنت الضاد للتخفيف، وقال أبو عبيدة^(٢): «حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمي به، فهو اسم موضع واسم قبيلة»^(٣).

وجاء في كتاب (صفة جزيرة العرب): «حضرموت من اليمن، وهي جزؤها الأصغر، نُسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسم ساكنها، كما قيل: خيوان، ونجران والمعنى بلد حضرموت، وبلد خيوان، ووادي نجران؛ لأن هؤلاء رجال نُسبت إليهم المواضع»^(٤).

وأما موقعها^(٥): فتقع حضرموت بالجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية المشرف على المحيط الهندي على الدرجة الخامسة عشرة شمال خط الاستواء، والدرجة الخمسين شرقي غريتش.

وأما موقعها بالنسبة لبلاد اليمن فتقع حضرموت في الزاوية الجنوبية

(١) يعني حضرموت بن قحطان وهو حضرموت بن يقطان في التوراة، ويقطان هو قحطان. انظر بهذا الخصوص: صفة جزيرة العرب، للهمداني (ص ١٦٧ - ١٧٣، ٣٦٥)، ط ١٣٩٤هـ، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٦٩ - ٢٧٠)، ط دار بيروت.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، مولى قبيلة بني تيم القرشية، وله معرفة بالغريب وأخبار العرب وأيامهم، وكان يبعث العرب، وكان يرى رأي الخوارج، توفي سنة ٢١٠ أو ٢١١هـ. انظر: المعارف، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) (ص ٣٠٢)، ط دار الكتب العلمية.

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٧٠). وانظر الكلام في سبب تسمية حضرموت بهذا الاسم: تاريخ يعقوبي (١/ ١٧٦)، ط دار العراق - بيروت.

(٤) صفة جزيرة العرب، للهمداني (ص ١٦٥ - ١٦٦).

(٥) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٧٠)، ط دار الفكر؛ وإدام القوت في ذكر بلاد حضرموت، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (٤٢ - ٤٦)، ط المنهاج؛ والشامل في تاريخ حضرموت ومخالفاتها، لعلي بن طاهر الحداد (ص ٢٢)؛ وحضرموت عبر أربعة عشر قرناً، لسقاف بن علي الكاف (ص ١١)؛ ومعالم في تاريخ الجزيرة العربية، لسعيد عوض باوزير (ص ٢٣٤)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد بن أحمد الشاطري (١/ ١٤ - ١٦)؛ ودخول الإسلام إلى حضرموت، لصالح بن سعيد هلابي (ص ١٥).

الشرقية من اليمن، ويحدها من الشمال الربع الخالي (رمال الأحقاف)، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق سيحوت بمحافظة المهرة، ومن الغرب عين بامعبد بمحافظة شبوة.

أي أن اسم حضرموت اليوم يطلق على ذلك الوادي الذي يبعد عن ساحل بحر العرب بحوالي ١٦٥ كم، ويسير في خط مواز له مسيرة ٢٠٠ كم.

أما مملكة حضرموت القديمة فقد امتدت شرقاً لتشمل ظفار، وجنوباً لتشمل نطاق الجول الجبلي الكبير حتى ساحل المحيط، وشمالاً باتجاه الربع الخالي - الصحراء الرملية الكبرى -، وغرباً إلى مساقط الأودية التي تؤدي إلى وادي حضرموت^(١).

وبهذه الحدود يكون الطول ما بين الدرجة (٤٥) إلى (٥٦:٣٠) شرقي غريتش، وفي العرض لا تتجاوز ما بين درجتي (١٣:١٩).

وأما أهم القبائل الساكنة ببلاد حضرموت عند دخول الإسلام فهي كالآتي:

حضرموت، وكندة، وقضاة، والصدف، والجعفيين، ونعرّف هذه القبائل بإيجاز لمعرفة سكان حضرموت الأصليين والقبائل التي هاجرت إليها لما لذلك من علاقة ببعض مباحث الرسالة - كما سيأتي -:

١ - قبيلة حضرموت: وهي القبيلة التي سُمي بها هذا الإقليم - كما سبق - وتمتد مساكن هذه القبيلة من شبام^(٢) غرباً إلى نهاية حضرموت شرقاً، وجنوباً من الساحل إلى الربع الخالي شمالاً، وينتسبون إلى حضرموت بن سبأ بن حمير القحطاني، ومن بطون هذه القبيلة:

أ - بنو شبيب بن حضرموت: وينتسب إليهم الصحابي الجليل وائل

(١) انظر: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ليوسف بن محمد بن عبد الله (ص ٦٣).

(٢) شبام: إحدى المدن الكبيرة في وادي حضرموت، وهي مصنفة ضمن أقدم بلدان العالم، وتشتهر بمبانيها العالية لذا يسميها الرحالة الأجانب بناطحات السحاب، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٣١٨)؛ وإدام القوت (ص ٥٠٤ - ٥٠٥)، ط المنهاج.

ابن حجر رحمه الله (١).

ب - بنو الحارث بن حضرموت: ومن بني الحارث الأشباء سلالة شياً.

ج - بنو سبأ بن حضرموت: ومنهم بنو الدغار الساكنون شبام.

د - بنو مرة بن حضرموت: ومنهم آل أبي قحطان الساكنون تريم (٢) وينسب إليهم السلطان عبد الله بن راشد (٣).

وقد أقامت قبيلة حضرموت في جهتها عدة بلدان أهمها: المزين، وشبام ومدوة وتريس ومشطة وتريم ومخا والعجز وثوبة (٤).

ومن بطون حمير:

١ - السكاسك حمير المنتسبون إلى زيد بن وائلة بن حمير الذي لقب بالسكاسك وهم غير سكاسك كندة.

٢ - قبيلة كندة: وهي نسبة لجدهم ثور بن مرتع بن كهلان، وقدمت هذا القبيلة مهاجرة من البحرين (٥) والمشرق على الخليج العربي على إثر حادث وقع

(١) هو الصحابي الجليل وائل بن حجر بن ربيعة، أبو هنيذة الحضرمي، كان قبلاً من أقبال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، وفد على رسول الله ﷺ فأسلم. وكان سيد قومه، له وفادة وصحية ورواية، روى له الجماعة، سوى البخاري، توفي في ولاية معاوية. انظر في ترجمته: السير (٥٧٢/٢ - ٥٧٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ص ٧٥٦ - ٧٥٧)، ط دار الأعلام، الأردن - عمان؛ وتاريخ ابن عساكر (١٧/٣٦٣)؛ وتقريب التهذيب (ص ١٠٣٤)، ط العاصمة.

(٢) تريم مدينة عظيمة تقع في بلاد حضرموت، وهي أشهر مدنها، سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت، وهي مسكن السادة آل باعلوي، ومنها تفرقوا إلى البلاد. انظر: صفة جزيرة العرب (ص ١٧٠)؛ وإدام القوت (ص ٨٧١ - ٨٧٢)، ط المنهاج.

(٣) هو السلطان عبد الله بن راشد بن شجعة بن فهد بن أحمد بن قحطان، ولد سنة ٥٥٣هـ، ولي الحكم على أجزاء من حضرموت سنة ٥٩٣هـ عقب مقتل أخيه شجعة، وكان عصره من أزهى عصور حضرموت التاريخية، وكان فقيهاً محدثاً طلب العلم بمكة وغيرها، جمع الحديث على عدة علماء منهم الحافظ عبد الغني المقدسي والحافظ ابن عساكر وقرأ صحيح البخاري على الفقيه محمد بن أحمد بن النعمان الجريني، وينسب إليه وادي حضرموت فيقال: وادي ابن راشد، توفي مقتولاً سنة ٦١٦هـ. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (ص ١١٠)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٢/٤١١).

(٤) كل هذه القرى والمدن تقع في وادي حضرموت.

(٥) البحرين: تشبة بحر وهي عدة جزر متناثرة على الخليج العربي وهي من العروض ثم من جزيرة =

هنالك فأقاموا غرب حضرموت «غرب شبام»، زاحموا قبائل الصدف والسكون والسكاسك، ومن بطون قبيلة كندة:

أ - كندة: ويقصد بهم بنو معاوية بن كندة.

ب - السكون: ومنهم تجيب.

ج - السكاسك: وهم غير سكاسك حمير السالف ذكرهم.

د - بنو تجيب: هم بطن من كندة متفرعون من السكون وسموا بهذا الاسم نسبة لجدتهم.

هـ - بنو عامر.

و - بنو العباد.

٣ - قبيلة الصدف: قبيلة سكنت غرب حضرموت قبل كندة، وقد زاحمتها كندة في منازلها حتى كادت أن تطمسها (١). ومن بطون الصدف: قبيلة الصيعر، والآجروم، وبنو نباته، وبنو ذهبان.

٤ - قبيلة قضاة: وهي قبيلة قضاة (مهرة) ومنها: مهرة، ونجيد، وركب.

٥ - قبيلة جعفر: وتنسب إلى سعد العشيرة بن مالك بن أدد، وهو مدحج بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، وموطن هذه القبيلة وادي جردان (٢) وما حولها من الأودية (٣).

= العرب، البحرين: هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر، طولها أربع وسبعون درجة وعشرون دقيقة من المغرب وعرضها أربع وعشرون درجة. وتتكون من عدة مناطق هي: الخط، والقطف، والآرة، وهجر، وبينونة، والزارة، وجوانا، والسابور، ودارين، والغابة. وقصة هجر الصفا، والمشرق. ولها اليوم شهرة عالمية لوجود البترول. انظر: معجم البلدان (١/٣٤٧)، ط الفكر؛ والسلوك في طبقات العلماء والملوك، للجندي (١/٢٥٦) مع الهامش.

(١) انظر عن سكان حضرموت: تاريخ حضرموت، لصالح بن علي الحامد (١/١٥ - ٢٨)؛ حضرموت عبر أربعة عشر قرناً، لسقاف بن علي الكاف: (ص ٢٦ - ٣٠).

(٢) قال ابن عبيد الله: «جاء في التاج: واد بين عمقين ووادي حبان، ولكن أخبرني جماعة من أهل تلك النواحي بأن الأمر ليس كذلك، وإنما عمقين في غربي جردان فهو - عمقين - بين جردان وحبان، فكان الأمر انعكس عليهما، وجردان مشهور بحسن غسله...»؛ إدام القوت (ص ٢٤٦)، ط المنهاج.

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، لصالح الحامد (١/١٨ - ٢٠).

٦ - قبيلة همدان: وهذه القبيلة من ولد كهلان أخي حمير، وهي أول قبيلة أسلمت في اليمن، إذ أسلمت في يوم واحد عندما أتى إليهم الصحابي الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام^(١).

المطلب الثاني

الأديان الموجودة في حضرموت قبل دخول الإسلام إليها

انتشرت الوثنية والأديان الباطلة في الجزيرة العربية قبل الإسلام حتى شملت كثيراً من البلدان، ومن تلك البقاع التي انتشرت فيها هذه الديانات أرض حضرموت التي نحن بصدد البحث عن الأديان الموجودة فيها قبل دخول الإسلام إليها.

فقد عاش في حضرموت قوم عاد الذين عبدوا الأوثان فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك ما هم عليه من الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العظيم مساكن قوم عاد فقال جل شأنه: ﴿وَأَذْكُرْ عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتْ يَدَايُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].

ومعنى الأحقاف^(٢): جبل الرمل، وكان باليمن من عمان إلى حضرموت

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (١٩٧/٢)؛ والبيهقي في سننه (٣٦٩/٢) برقم (٣٧٤٧)؛ بإسناد صحيح. وانظر: المحرر في الحديث لابن عبد الهادي: (ص ١٤٦)، بتحقيق: عادل الهدايا ومحمد علوش. ط ٢، ١٤٢٦هـ، دار العطاء، ودار أطلس.

(٢) انظر: لسان العرب (٥٢/٩)، ط ١، دار صادر؛ وصفة جزيرة العرب (ص ١٧٠)؛ ومعجم البلدان (١١٥/١)، ط دار الفكر.

بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر^{(١)(٢)}.

ورغم أن الدين الغالب على أهل حضرموت الوثنية إلا أنه وجدت في حضرموت أديان أخرى، كاليهودية والنصرانية، وكان فيهم أيضاً من يعبد الشمس وغيرها من المعبودات الباطلة^(٣).

وأما عبادة الشمس فكانت بالقسم الساحلي من حضرموت بشكل أكبر من غيره، واستمر عندهم تعظيم الشمس والسجود لها إلى العهد الإسلامي^(٤).

ومن آثار عبادة الحضارمة للشمس التي بقيت آثارها إلى يومنا هذا هو أن الصبي إذا انكسرت سنّته أخذها واتجه بها إلى الشمس قائلاً للشمس: هذا ضررس حمار فأنت لي بضررس غزال^(٥).

وجاء في كتاب (بضائع التابوت): «وكانت الجاهلية^(٦) ضاربة أطنابها بحضرموت، فالأصنام معبودة، واليهودية موجودة، ومن المستحيل مع مجاورة نجران^(٧) أن تكون النصرانية مفقودة، ولا يبعد أن تزورها المجوسية^(٨)، فقد

(١) الشحر: إحدى مناطق ساحل حضرموت، وهي أكبر مديريات حضرموت، تضم أربعة مراكز متباعدة وهي: الديس الحامي، والريدة، وقصير، وغيل بن يمين. وتقع الشحر على سطح متسع من الشاطئ الذي ينحدر تدريجياً إلى البحر. انظر: إدام القوت (ص ١٦١) مع الحاشية.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، للطبري (١٠٩/١ - ١١٠)؛ البداية والنهاية لابن كثير (١١٣/١).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، لصالح الحامد (١/٥٣).

(٤) انظر: صفة جزيرة العرب للهمداني (ص ١٥٧).

(٥) انظر: بضائع التابوت (١/٥٢).

(٦) الجاهلية معناها في الاصطلاح الحقبة الزمنية التي سبقت الإسلام، قبل بعثة النبي ﷺ وضبط آخره غالباً: فتح مكة. انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/١٥)، لمحمود شكري الألوسي؛ وفتح الباري (١٤٩/٧)، تحقيق الشيخ ابن باز، دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ، تصحيح قصي محيي الدين الخطيب.

(٧) نجران: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وهو من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وهو الآن إحدى إمارات المملكة العربية السعودية. انظر: معجم البلدان (٢٦٦/٥).

(٨) المجوس قوم يؤمنون بالأصليين: النور الأزلي والظلمة، واختلفوا في سبب حدوث كل منهما، وهم أربع فرق: زورائية، ومسخرية، وخرمدينية، وبها فريديّة، ومن معتقدات بعض هؤلاء: أن الناس كلهم شركاء في الأموال والنساء وسائر اللذات. انظر: الملل والنحل (٧٣/٢) تحقيق: محمد فهمي أبو الخير؛ والفرق بين الفرق، للبغدادي (ص ٢٧٦)، دار المعرفة - بيروت.

ذكر ابن الأثير^(١) عن بعض العلماء: أن بعض العرب يدين بها في البحرين، وما زالت العجائز تحدث في أقاصيصها: أن رجلاً تزوج بابنة له فجرى له خطب طويل، وإلى اليوم وأسماء بعض أصنام الوادي دائرة على السنة العامة مذكورة في أشعارها وأغانيها السائدة منها: الهومي ومنها حقل ومنها الجلسد وهو صنم من الحجارة البيضاء كشبه الرجل العظيم له وجه كوجه الإنسان، تعبده كندة وحضرموت وكانوا يُكَلِّمون منه، وله حمى ترعاه بسوامه، وإذا دخلته الهوافي^(٢) حرمت على أربابها، وكانت سدائته لأهل بيت من كندة يقال لهم: بنو علاق، ذكره صاحب معجم البلدان^(٣) عن ابن الكلبي^(٤) ولهم من الأصنام غير ذلك^(٥).

وقد اكتشفت بحضرموت آثار ريبون بقرب بلدة حريضة^(٦) في هذا العصر، وأهم ما اكتشف فيه معبد للقمر قديم جداً يرجع تأريخه إلى ما قبل الميلاد. وقد كان للعرب هياكل وأصنام شعبية لعموم الشعب أو القبيلة، وكان لأهل حضرموت أصنام معبودة يعبدونها الناس ويلجأون إليها عند الشدائد والمحن، ومن ذلك قول الشاعر الحضرمي الذي وصف حاله عند دخوله الإسلام فقال:

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير (١/٤٦٥)، وابن الأثير هو: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الموصل، المعروف بابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن، مؤرخ، نسابة، محدث، حافظ، أديب، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ، ونشأ بها، ثم سكن الموصل، من تصانيفه: الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، واللباب في تهذيب الأنساب. مات سنة ٦٠٣هـ. انظر: السير (٢٢/٣٥٣ - ٣٥٦)؛ والوافي، للصفدي (١٢/١٨٨، ١٨٩)؛ ومعجم المؤلفين (٣/٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) الهوافي: هي الإبل التي قد فتحت أفواهها من شدة العطش. انظر: القاموس المحيط (٨٦٣).

(٣) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/١٥١).

(٤) محمد بن السائب الكلبي، إخباري، كان رأساً في الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث، يروي عنه ولده هشام وطائفة، توفي سنة ست وأربعين ومئة. انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/٢٤٩)؛ وتهذيب الكمال برقم (١١٩٩)؛ والسير (٦/٢٤٨ - ٢٤٩).

(٥) بضائع التابوت (١/١٥٢).

(٦) حريضة بفتح إحدى مدن حضرموت وتقع جنوب غرب شبام، أسفل وادي عمد، وهي عاصمة مديرية دوعن في العصر الحاضر، وتتبعها قرى كثيرة: الهجرين، عندل، نفحون، المنيطرة. انظر: إدام القوت (ص ٢٨٣ - ٢٨٤)، وهامش رقم (٢).

سمعت بالدين دين الحق جاء به محمد وهو رقم^(١) الحضرمي والبادي فجيت متنقلاً من دين طاغية ومن عبادة أوثنان وأنداد وكان أهل حضرموت معترفين بالخالق جل شأنه، ولم يمنعهم ما هم عليه من تعظيم البيت الحرام والحج إليه، وكانت تلبية كندة وحضرموت إذا أهّلوا بالحج:

(لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك تملكه أو تهلكه، أنت حكيم فاتركه)^(٢).

وكانت في حضرموت أصنام كثيرة قبل دخول الإسلام إليها ومن أشهر تلك الأصنام: (مرحب) وكان صنماً بحضرموت، و(ذريح) كان لكندة بالنجير - ناحية في حضرموت - و(الجلسد) وهو صنم تعبده كندة وحضرموت، وصنم لوائل بن حجر الحضرمي قبل أن يسلم وغير ذلك من الأصنام^(٣).

ورغم دخول اليهودية جنوب شبه الجزيرة العربية أيام سليمان عليه السلام إلا أن سكانها عادوا وارتدوا إلى الوثنية^(٤).

وقد اختلفت أقوال المؤرخين في كيفية اعتداء سكان جنوب الجزيرة العربية للديانة اليهودية، فقليل: أن تبعاً - وهو التبع أسعد أبو كرب الحميري - عندما عاد من شمال الجزيرة بعد انتهائه من حرب قام بها هناك تأثر عند عودته ببعض الأخبار الذين لقيهم في المدينة، ومن ذلك الوقت أصبحت اليهودية هي الديانة الرسمية للبلاد^(٥).

وأما دخول اليهودية إلى حضرموت من ناحية اليمن، فقد كانت اليهودية بها شائعة وعريقة منذ عهد تبع ذي نواس - أحد ملوك اليمن - ثم انتشرت في

(١) الرقم بمعنى السيد. القاموس المحيط (ص ١١٤٨) مادة: (الرقم).

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي (١/١٩٧)؛ وتاريخ حضرموت لصالح الحامد (١/٥٧).

(٣) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/١٠٢)؛ والشفاء للشهاب الخفاجي (١/٤٨٤).

(٤) المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، تأليف: جواد علي (٦/٥٤٠).

(٥) تاريخ الطبري (٢/٩٢، ١٠٥، ١١٢).

حمير، لما ملك ذو نواس؛ لأنه أكره الناس عليها، وذهب إلى نصارى نجران فآكرهم على اليهودية، ومن أبى عرضه على السيف والنار، وهم أصحاب الأخدود الذين ذكر الله تعالى قصتهم في كتابه الكريم^(١)، حتى ثارت الحبشة النصرانية، فهاجمت اليمن واستولت عليها^(٢)، وذكروا أنه بسبب أفعال ذي نواس جاءت الحبشة إلى اليمن فغلبت عليها لما فعل بالنصارى^(٣) وذكر غير واحد: أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة^(٤).

وذكر عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف^(٥) في كتاب: (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) وجود اليهودية في حضرموت عند التعريف ببلدة حريضة - إحدى مدن حضرموت - : «وقال بعضهم: حريضة مصحفة من قريضة، ودل على ذلك بأنها كانت مسكن اليهود قبل البعثة بأربعمائة سنة إلى أن قال: وفي بعض مذكرات الحبيب أحمد بن حسن العطاس^(٦) أن

(١) وهو قوله تعالى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾ [آل رَّاءِ ذَاتِ الْأَوْدِيِّ] إِذْ هَرَّ عَلَيْنَا فُجُودٌ ﴿١﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٢﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَقِيدِ ﴿٣﴾ [البروج: ٤ - ٨]. انظر: فتح القدير للشوكاني (٥٤٩/٥)؛ تاريخ حضرموت لصالح الحامد (٥٥/١).

(٢) تاريخ حضرموت (٥٣/١ - ٥٤) بتصرف يسير.

(٣) المحجر، لابن حبيب (ص ٣٦٧).

(٤) بضائع التابوت (١٥٣/٢)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٥٥/١).

(٥) هو الفقيه، الأديب، المؤرخ الحضرمي عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العلوي، مفتي بلاد حضرموت في زمنه، ولد سنة (١٣٠٠هـ). رحل إلى عدة أقطار إسلامية والتقى بزعمائها، وكانت له يد في الصلح بين الفئات المتنافرة. وله مؤلفات منها: صوب الركاب في الفقه، وبلابل التغريد في حل مشكلات التجريد أي تجريد صحيح البخاري، وبضائع التابوت في تنف من تاريخ حضرموت، ونسيم حاجر في تأكيد قولني عن مذهب المهاجر، والإماميات قصائد قيلت في مدح الإمام يحيى حميد الدين - حاكم اليمن آنذاك، والعود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي يعني المتنبي وغيرها، توفي بسيئون سنة (١٣٧٥هـ). انظر في ترجمته: مقدمة كتابه المسمى العود الهندي (٤٣/١) وما بعدها؛ وتعليقات محمد ضياء شهاب على شمس الظهيرة (٣٤٠/٢)؛ والتلخيص الشافي من تاريخ طه بن عمر الصافي (ص ١٣٧ - ١٤٢)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٤٦٥).

(٦) هو أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس، من كبار صوفية حضرموت، ولد بقرية حريضة سنة =

حريضة كانت لليهود قبل النبوة^(١).

أما دخول النصرانية إلى شبه الجزيرة العربية ومنها حضرموت فقد ذكر بعضهم: أن دخولها كان عبر رجل اسمه فيميون وصل إلى نجران ونشر النصرانية بها ومنه انتشرت في جنوب الجزيرة العربية^(٢)، وذكر بعضهم: أن النصرانية أدخلت اليمن بمجيء ذي ثعلبان من ملوك التبابعة، وكان على دين النصرانية حيث أدخل ديانتهم هذه إلى اليمن، ومنها إلى حضرموت^(٣).

وقد شقت النصرانية طريقها إلى شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، ومنها الجنوب في القرن الثالث الميلادي بعد ظهور الفساد بين النصارى وانحيار الكنيسة الشرقية، وتعرض النصارى للإبادة والتفكيك من قبل الفرس، فاتجهوا لعقد معاهدة مع الحميريين لتحقيق لها منافع اقتصادية وسياسية، وليس دينية فقط، ولعب الرهبان والنساك دوراً كبيراً في نشر النصرانية في تلك البلاد^(٤).

أما وجود عقيدة التوحيد في حمير فكان بروزها من القرن الرابع الميلادي، عندما استولت مملكة سبأ وذو ريدان على كل المملكة السبئية القديمة - آخر منافسيها المتبقين في حضرموت - وبعد ذلك خلال القرن الخامس الميلادي حدث تغير كبير في الصيغ الدينية الواردة في النصوص العربية الجنوبية القديمة، حيث اختفت الصيغ الوثنية، وحل محلها الإله الواحد الذي يشار إليه بالرحمان، وهذه الديانة على الأرجح هي الحنيفية وليست

= (١٢٥٧هـ). ونشأ كفيفاً تحت جده فأخذ العلوم على سائر علماء حضرموت، وبرع في علوم التصوف ثم رحل إلى الحجاز ومصر والشام. له مؤلفات منها: رسالة في أنساب القبائل التي سكنت حضرموت، طبعت بمجلة العرب بالرياض، توفي سنة (١٣٣٤هـ). انظر: عقود الألباس «كتاب مستقل في ترجمته» لعلوي بن طاهر الحداد، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٠١/٤).

(١) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص ١٣١)، ط الإرشاد.

(٢) انظر: سيرة النبي ﷺ: لابن هشام (٣٥/١).

(٣) انظر: بضائع التابوت (١٥٥/١).

(٤) انظر: الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت، لفاطمة بنت علي باخشوين (ص ٩١).

اليهودية ولا النصرانية^(١).

ومما تقدم يتبين لنا أن حضرموت كغيرها من بلاد الجزيرة العربية وجدت فيها أديان مختلفة، وجاء الإسلام وأهل اليمن أهل كتاب، ودليل ذلك: أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله» الحديث^(٢).

وهناك دعوى قالها بعض المؤرخين ولا دليل لتلك الدعوى سوى الظن، فقد ذكر أن التاريخ أثبت أن الحضارمة كانوا على الفطرة ولم يعرفوا عبادة الأصنام، ولا عبادة الحيوان ولا النار، وأن سبب ذلك اتصالهم باليمن والحجاز وسفرهم للحج في كل عام^(٣).

وهذه دعوى كما أسلفنا لا مستند لقائلها إلا الظن المخالف للحقيقة، إذ الأدلة التاريخية ترد قوله - كما مر معنا -، وقد ردّ على ذلك المؤرخ الحضرمي صالح الحامد^(٤) وبين أن هذا زعم خاطئ وهو إخراج حضرموت من دين عامة العرب بدون تروؤ ولا بصيرة وتغيير للحقائق التاريخية لأجل استمالة قلوب العوام والسذج بالتظاهر بالغيرة على تاريخ بلادهم وتحسين ماضيها ولو بخلاف الواقع، وهم في غنى عن هذا، فلا حاجة للتشدد بغير الواقع، والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (ص ٢٧٢) برقم (١٣٩٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص ٤٢) برقم (١٩).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، لصالح البكري (١/٦١).

(٤) هو صالح بن علي بن صالح الحامد، شاعر وفقه ومؤرخ رحل إلى جاوة بمصر والحجاز، من مؤلفاته: تاريخ حضرموت في جزئين وتوفي سنة (١٣٨٧هـ). انظر: مقدمة كتابه تاريخ حضرموت، للمنجد، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن، لعبد الله الحبشي (ص ٥٥٦).

(٥) انظر: تاريخ حضرموت، لصالح الحامد (١/٦١).

المطلب الثالث

دخول الإسلام حضرموت وأثرها في العالم الإسلامي

لقد كانت الجزيرة العربية تعيش في ظلمات الشرك والضلال، فبعث الله جلّ وعلا أفضل رسله وخاتمهم نبينا محمد ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، والسعيد من وفق لاتباع هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والشقي من عاداه وخالف دينه القويم وهديه المستقيم.

وحين أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك انتشر دين الإسلام في جزيرة العرب، وترك من شاء الله هدايته الأصنام، بل وحطّمها ووجه وجهه لله حنيفاً مسلماً، وجاءت الوفود من كل حذب وصوب لتدخل في هذا الدين العظيم وتبايع هذا الرسول الكريم ﷺ.

وكان من هذه الوفود التي دخلت في الإسلام طوعاً وأتت لمبايعته ﷺ وفود حضرموت، وكان ذلك في السنة العاشرة^(١)، فقد وفدت كندة بقيادة الأشعث بن قيس الكندي^(٢) في ستين راكباً من كندة. حيث دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وقد رجّلوا جمهم^(٣) وتكحلّوا عليهم جيب الحبرة^(٤) قد كفّفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تسلموا؟» قالوا: بلى. قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فشقه منها فألقوه^(٥).

(١) السيرة، لابن هشام (٤/٤٠٩)؛ والطبقات، لابن سعد (٥/١٣).

(٢) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي. له صحبة، ورواية، زوجه أبو بكر الصديق ﷺ أخته فروة بنت أبي قحافة. مات بالكوفة سنة أربعين. انظر في ترجمته: أسد الغابة (١/١١٨)؛ وتاريخ ابن عساكر (٣/٢١٧)؛ والسير (٢/٣٧).

(٣) الجسم: جمع جمّة بالضم مجتمع شعر الرأس، القاموس المحيط (ص ١٠٨٩). أي أنهم امتشطوا وزينوا شعورهم.

(٤) الحبرة والحبرة: ضرب من برود اليمن منمّر والجمع جبرّ وخبرات، لسان العرب (٤/١٥٩).

(٥) رواه ابن جرير في تاريخه في حوادث السنة العاشرة (٣/١٦٢ - ١٦٣)، ط الفكر ١٣٩٩هـ، بسنده إلى ابن شهاب، ورواه ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام (٤/٣٠٧ - ٣٠٩) من =

وقدم على رسول الله ﷺ وفد تجيب - وهم من السكون - وكانوا ثلاثة عشر رجلاً قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم. فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بهم وأكرم نزلهم. وقالوا: يا رسول الله سقنا إليك حق الله ﷻ من أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «ردوها فاقسموها على فقرائكم» قالوا: ما قدمنا إلا بما فضل من فقرائنا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما وفد علينا ما وفد من العرب بمثل ما وفد هؤلاء الحي من تجيب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الهدى بيد الله ﷻ، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإسلام».

وسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألون عن القرآن والسنن فازداد فيهم رسول الله ﷺ رغبة وأمر بلائاً أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياماً ولم يطيلوا اللبث، فقبل لهم: ما يعجلكم، قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ وكلامنا إياه وما ردَّ علينا^(١).

وجاءت وفود أخرى إلى رسول الله ﷺ منها: وفد الجعفيين بقيادة قيس بن سلمة من بني مروان الجعفي أخى سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع لأمه^(٢)

= مرسل الزهري. وانظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣٢٨/١)، ط ١، ١٣٨٠هـ، دار صادر؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٠٣/٢ - ٢٠٤)، ط ١، ١٣٩٨هـ، دار الفكر، وتاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) (٤٧٦/٢)، ط ١، ١٤٠١هـ، دار الفكر.

(١) هذا الخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٢٣/١) بإسناد ضعيف.

(٢) ذكر الحافظ رحمه الله في الإصابة (١٥٦/٣) خبر هذين الصحابين فقال: «سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي الجعفي، نزل الكوفة وكان قد وفد على النبي ﷺ، وحدث عنه وروى عنه حديث قلت: يا رسول الله: إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم الحديث. وفي صحيح مسلم من حديث وائل بن حجر سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فذكر حديثاً، وابنه كريب بن سلمة كان شريعاً قاله بن الكلبي. وحكى أنه يقال فيه: يزيد بن سلمة وقال المرزباني وفد هو وأخوه لأمه قيس بن سلمة بن شراحيل فأسلموا واستعمل النبي ﷺ قيساً على بني مروان وكتب له كتاباً. قال: وسلمة بن يزيد هو القائل يرثي أخاه شقيقه قيس بن يزيد:

ألم تعلمي أن لست ما عشت لاقياً أخي إذا أتى من دون أوصاله القبر
وهون وجدي أنني سوف أفندي على أثره يوماً وإن نفس العمر
فتى كان يدنيه الغني من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

من جردان، جاء وافداً مع رهط من أصحابه وقد أكرمهم رسول الله ﷺ خير إكرام، وكذا وفدت قبيلة الصدف على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة^(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قدموا في بضعة عشر راكباً فصادفوا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، فجلسوا ولم يسلموا، فقال: «أمسلمون أنتم؟ فقالوا: نعم، قال: «فهلأ سلتم؟» فقاموا جميعاً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال: «وعليكم السلام، واجلسوا». فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن الصلاة فأخبرهم بها^(٢).

ومن الذين وفدوا على النبي ﷺ وائل بن حجر الحضرمي من سلالة الملوك في حضرموت.

قال ابن الأثير: «وكان وائل قتيلاً^(٣) من أقبال حضرموت. وكان أبوه من ملوكهم وفد على رسول الله ﷺ، وكان الرسول ﷺ قد بشر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام، وقال «يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله ﷻ وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك» وفي لفظ قال «يأتيكم بقية أبناء الملوك»^(٤).

وفد وائل رضي الله عنه على النبي ﷺ، فدخل المسجد، فأدناه الرسول ﷺ، وبسط له رداءه، وأجلسه معه، ثم صعد المنبر وقال «أيها الناس، هذا وائل بن حجر سيد الأقبال، وأتاكم من أرض بعيدة راغباً في الإسلام»^(٥). فقال: يا

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٢٤/١).

(٢) البداية والنهاية (٩٥/٤).

(٣) أصل قيل قتل بالتشديد مثل سيد من ساد يسود؛ كأنه الذي له قول أي: ينفذ قوله والجمع أقوال وأقبال أيضاً وهم الأقوال والأقبال الواحد قيل فمن قال أقبال بناء على لفظ قيل، ومن قال أقوال بناء على الأصل وأصله من ذوات الواو، قال أبو عبيدة الأقبال ملوك باليمن دون الملك الأعظم واحدهم قيل يكون ملكاً على قومه ومخلافه ومحجره وقال غيره: سمي الملك قبلاً لأنه إذا قال قولاً نفذ قوله. انظر: لسان العرب (٥٧٦/١١).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٣٥١/١).

(٥) طبقات ابن سعد (٣٥١/١).

رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم، فتركته واخترت دين الله. قال: «صدقت، اللهم بارك في وائل وولده»^(١).

وهذا يدل على محبة أهل حضرموت لدين الإسلام، الأمر الذي جعلهم يرحلون إلى المدينة النبوية للقاء النبي ﷺ وتعلم دين الله تعالى الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، ومبايعتهم رسول الله على هذا الدين ونشره، وبعد أن وفد وائل إلى المدينة وتعلم من نبينا محمد ﷺ ما يهيمه من أمور دينه رجع إلى حضرموت ليلبغ هذا الدين من وراءه من أهل حضرموت.

وقد رحب النبي ﷺ بوائل ومن معه من ملوك كندة، وكتب له كتاباً ملكه جميع الأراضي التي بحوزته^(٢).

أثر حضرموت في العالم الإسلامي:

بلاد حضرموت من البلدان العربية القديمة، والتي دخلها الإسلام مبكراً، وقد كان لها دور - كما سبق - في نشر الإسلام، فقد ضمت في كنفها قبائل كثيرة، وكان لهذه القبائل دور كبير في نشر الإسلام، لا سيما في البلاد التي هاجروا إليها، فقد وجد كبار العلماء والمحدثين الحضارمة والقضاة، والذين هاجروا إلى بلدان شتى لنشر الإسلام، وتعليم الناس العلم الشرعي^(٣).

ومع هذا الخير الذي نالته حضرموت، إلا أنه عكّر صفو ذلك الخير

(١) الحديث من رواية الطبراني وأبي نعيم كما ذكر محقق دلائل النبوة، للبيهقي (٣٥٠/٥)، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، وبعضه عند ابن سعد في الطبقات (٣٤٩/١).

(٢) طبقات ابن سعد (٣٤٩/١)؛ وتاريخ بغداد (١٩٧/١ - ١٩٨)؛ وتاريخ ابن خلدون (٢/٤٧٦).

(٣) فقد سكن الكوفة الصحابي الجليل وائل بن حجر وابناه علقمة وعبد الجبار، ومن نزل بحمص عمرو بن عبد الله الحضرمي حيث قدم مع أبي عبيدة رضي الله عنه، وكذا كثير بن مرة ويسر بن عبد الله الحضرميين، وفي مصر نزل مالك بن ناعمة الصدفى، وعبد الله بن لهيعة، وعمار بن سعد التميمي وغيرهم. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (١٦٨ - ١٧٣).

وجود انحرافات عقدية كان سببها بعض الطوائف والفرق التي ظهرت في حضرموت فحرقت عقائد كثير من الناس وأبعدتهم عن دين الله تعالى، ومن تلك الطوائف طائفة الصوفية، والتي كان لها أثر واضح في نشر التصوف إلى جانب بعض العلوم الفقهية في حضرموت وكذا في بعض البلدان التي ذهبوا إليها، حتى أن عبد الرحمن بن عبد الله اليافعي^(١) لما زار حضرموت أثناء القرن الثامن وجد بها كثيراً من الفقهاء والعباد فاغبط وأنشد:

مررت بوادي حضرموت مسلماً فألفيته بالبشر مبتسماً رحباً
وألفيت فيه من جهابذة العلى أكابر لا يلقون شرقاً ولا غرباً^(٢)

فقد كان لحضرموت أثر واضح في التعليم، وذلك بخروج فقهاء نشروا الفقه في بعض بقاع العالم الإسلامي لا سيما المذهب الشافعي الذي لقي اهتماماً كبيراً عند فقهاء حضرموت، يقول المؤرخ محمد أحمد الشاطري^(٣): «ولا نغالي إذا قلنا: إن كثيرين من خريجي المعاهد الشرعية الحضرمية يفوقون علماء الأزهر الشريف في فقه الشافعي والتاريخ الإسلامي وفي النحو والصرف، وهي الفنون التي كثيراً ما يتخصص فيها علماء حضرموت في العهد الأخير بينما كان الأقدمون يتوسعون في العلوم الشرعية والعقلية والعربية إلى

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي المكي، اشتغل بفنون من العلم وحفظ الحاوي وكانت تعتريه حدة، وفيه صلاح وله شعر. وله سماع من أبيه، وبالشام من ابن أميلة، وبمصر من البهاء بن خليل ولزم السياحة والتجريد فمات غريقاً بالرحبة بين الشام والعراق وله ست وأربعون سنة، وذلك سنة ٧٩٧هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/٣٤٨ - ٣٤٩)؛ والعقد الثمين، للفاسي (٥/٣٦٤) برقم (١٧٤٣).

(٢) البرقة المشيقة، لعلي بن أبي السكران (ص ٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، كان مولده بتريم سنة (١٣٣١هـ)، تلقى علومه على يد والده مفتي تريم آنذاك وغيره من علماء تريم. أسس جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، وعين مفتي الدولة الكثيرة، والقاضي بالمجلس العالي بالمكلا، وتولى منصب المفتش في المحاكم الشرعية ورئيس بلدية تريم ثم المشرف الاجتماعي بمدارس الفلاح بجدة. هاجر إلى السعودية سنة (١٣٩٣هـ)، من مؤلفاته: أدوار التاريخ الحضرمي، وشرح الياقوت النفيس، والياقيات من فن المواقيت وغيرها. توفي سنة (١٤٢٢هـ). انظر: هداية الأخيار (ص ١٨٨ - ١٨٩)؛ وإدام القوت طبعة دار المنهاج (ص ٩٢٧) مع الهامش.

درجة عالية جداً...»^(١).

وكان من المقرر على الطلاب في دور العلم في حضرموت إلزامهم بحفظ بعض المتون والرسائل الصغيرة، والمنظومات العلمية مثل: التنبيه، والمنهاج، والإرشاد، والحاوي، والشاطبية وألفية العراقي في أصول الحديث والفقه، وألفية ابن مالك، وانتشرت بينهم كتب التفسير، والحديث، وكتب الغزالي، وأبي طالب المكي، والسهورودي وغيرها^(٢).

فكما تقدم فقد خلط أهل حضرموت في فترات من الزمن بين الخير والشر، فالخير هو تعلم كتب الحديث والفقه والتفسير مع علوم الآلة المساعدة، وأما الشر الذي خالط هذا الخير فهو تقرير كتب التصوف المليئة بالشركيات والبدع، والبعيدة عن العلم، لذا لعب الحضارمة دوراً واضحاً في نشر التصوف وما تبعه من مخالفات شرعية كالبناء على القبور وإقامة المشاهد وصرف بعض العبادات لها، ونشر الأذكار البدعية وغيرها في بلاد حضرموت، وبقية البلدان التي قدم إليها هؤلاء المتصوفة. ومن آثارهم خارج حضرموت بناء القبر والمشاهد في البلدان التي قدموا إليها ومن ذلك بناء قبر أبي بكر العيدروس^(٣) في عدن الذي يشد إليه الرحل سنوياً من كثير من المناطق اليمنية وغيرها.

جاء في كتاب (جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن) عند ذكر مناسبة زيارة قبر العيدروس السنوية التي تقام بعدن: «خلّد أهل عدن هذه الذكرى المباركة كل عام بإقامة ما يسمونه بالزيارة السنوية للعيدروس، وهي

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، للشاطري (ص ٤٢٢).

(٢) انظر: الفكر والثقافة في تاريخ حضرموت، لسعيد عوض باوزير (ص ٩٠).

(٣) صاحب القبر هو: أبو بكر بن عبد الله العيدروس، ولد سنة ٨٥١ هـ، أحد شيوخ التصوف بحضرموت، رحل إلى عدن فلقى السلطان عامر الطاهري فاعتنى به عناية كبرى. توفي سنة ٩١٤ هـ. من مؤلفاته: الجزء اللطيف في التحكيم الشريف، وديوان محجة السالك وحجة الناسك. انظر في ترجمته: المشرح الروي (٢/٣٤)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٠٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٣٥).

مناسبة دخوله إليها، لا كما يعتقد البعض أنها حول وفاته، وللزيارة المذكورة اهتمام ومظهر كبير في عدن منذ القدم، وصارت إحدى المناسبات الشعبية الرسمية التي تعتنى بها الدولة والشعب، إلا أن هذه المناسبة طرأت عليها بعض الإفراطات التي كانت سبباً من أسباب الهجمة المبيتة على المقابر بتاريخ ٢٣/٣/١٤١٥ هـ الموافق ٢/٩/١٩٩٤ م وقد أعاد المناصب^(١) بعد ذلك دور الزيارة العلمي والعملية بالتدريج حتى صارت اليوم مناسبة ذات مدلولات اجتماعية وروحية هامة ومفيدة^(٢).

وكذا انتشر التصوف في مناطق كثيرة من اليمن كمحافظة شبوة وأبين ولحج وغيرها من محافظات اليمن، وتمثل ذلك بالبناء على الأضرحة والزيارات الشريكية والبدعية لها، ونشر الأريطة الداعية للتصوف، والغلو في الأولياء والصالحين، وصرف بعض العبادات لهم بحجة أن هذا من تعظيمهم الواجب لهم، وقام المتصوفة كذلك بنشر الأذكار والعبادات والاحتفالات البدعية التي تقام في المساجد، بحجة المحافظة على عادات وتقاليد الآباء دون التعويل على حكم الشرع في ذلك، بل وقيامهم بمحاربة السنّة وأهلها.

ورحل الحضارمة إلى مناطق اليمن العليا^(٣) لتعلم التصوف والعلوم الأخرى، يقول المؤرخ الحضرمي صلاح البكري^(٤) في كلام له على هجرة

(١) المنصب أو المنصة: مكانة اجتماعية ومركز في المجتمع الحضرمي، لبعض العائلات العلوية وغيرها يجمع بين النفوذ الديني والسياسي. انظر: حضرموت، لعلي بن عقيل (ص ٤٧).

(٢) جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن، لأبي بكر العدني بن علي المشهور (ص ٢٥).

(٣) المناطق العليا في اليمن يقصد بها مناطق شمال اليمن كزبيد وذمار ونحوها.

(٤) هو صلاح بن عبد القادر البكري اليافعي الحضرمي، ولد بأندونيسيا عام ١٩١٢ م، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدارس الإرشاد العربية بجاكرتا، وسافر إلى مصر عام ١٩٣٠ م، ودرس مرحلتى الكفاءة والثانوية ثم التحق بجامعة القاهرة وتخرج في كلية الآداب قسم التاريخ عام ١٩٣٨ م، ثم التحق بمعهد التربية العالي وحصل على دبلوم التربية وعلم النفس. وكانت وفاته بمكة: سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م. انظر: ترجمته على طرة كتابه: الجنوب العربي قديماً وحديثاً.

الحضارمة: «ولكن في أوائل القرن السابع نشط الحضارمة للهجرة إلى اليمن، فرحل أفراد منهم لطلب العلم في زبيد وآخرون للتجارة، وكان من اشتهر منهم: العلامة الأديب محمد بن حسين بن علي بن المخرم الحضرمي^(١) المتوفى سنة ٦٨١هـ، والإمام إسماعيل الحضرمي^(٢)»^(٣).

كما رحل الحضارمة إلى مدن كثيرة من اليمن كصنعاء^(٤) وذمار^(٥) وغيرها لتعلم التصوف والعلوم الأخرى كما يتبين في تراجم بعض علمائهم في كتب تراجمهم كالمرشد الروي والنور السافر وغيرهما.

وأما نشر الحضارمة للإسلام في بعض بلدان العالم الإسلامي فكان على طريقة المتصوفة وليست على طريقة أهل السنة والجماعة، ومن تلك البلدان التي قدم إليها الحضارمة معظم أجزاء جنوب شرق آسيا، وذلك بعد استقرار أحفاد المهاجر أحمد بن عيسى^(٦) في حضرموت. وكانت الهجرة إلى جنوب

(١) كذا في الأصل. والصواب: محمد بن الحسين بن المحرم الحضرمي، كان فقيهاً بارعاً في الأدب والخط، استدعاه المظفر لتعليم ولده المؤيد. توفي سنة ٦٨١هـ. انظر ترجمته في: تحفة الزمن في سادات اليمن للأهدل (١/٣٩٣).

(٢) هو إسماعيل بن محمد الحضرمي، من صوفية زبيد، أصله من حضرموت. ولي قضاء الأقضية بزبيد، وصنف كتاباً منها: شرح المذهب في فقه الشافعية، وشرح مختصر مسلم للمازري، وشرح الوسيط وغيرها. توفي في قرية الضحي من وادي سررد بتهامة سنة ٦٧٧هـ. انظر: كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري (١/٢٧٥)؛ والروض الأغن (١/١١١ - ١١٢).

(٣) تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح البكري (٢/٢٣٤).

(٤) صنعاء: أعظم مدن اليمن، تقع في منطقة جبلية عالية وسط شمال اليمن، كانت كثيرة الأشجار، كثيرة المياه، وقد نسب إليها جماعة من العلماء، وهي عاصمة اليمن في هذا الزمان. انظر: معجم البلدان (٣/٤٢٦ - ٤٢٧)، ط ١٣٩٧هـ، دار صادر - بيروت، وموسوعة المدن العربية والإسلامية، ليحيى الشامي (ص ١٣٨)، ط ١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) ذمار: بكسر الذاًل وفتحها - مدينة كبيرة مشهورة باليمن تقع جنوب صنعاء بنحو مئة كيلاً، وهي الآن أحد ألوية بلاد اليمن. انظر: معجم البلدان (٣/٧)، ط ١٣٩٧هـ، والبلدان اليمنية عند ياقوت الحموي للأكوع (ص ١٢٣)، ط ١، دار الفكر - بيروت.

(٦) هو أحمد بن عيسى الملقب بالمهاجر، ينتهي نسبه إلى الحسين بن عبد المطلب ﷺ، =

شرق آسيا على مرحلتين: المرحلة الأولى كانت إلى الهند.

ثم المرحلة الثانية من الهند إلى جنوب شرق آسيا أو مباشرة من حضرموت إلى جنوب شرق آسيا عن طريق موانئ الهند الساحلية^(١).

ويقول المؤرخ الحضرمي صلاح البكري رحمته الله: «ليس من شك أن هجرة العرب الحضارمة إلى جاوة^(٢) وما حولها من الجزائر أعظم هجرة من نوعها في تاريخهم، فقد اخترقوا الشرق الأقصى في وقت كان ذلك المحيط الخضم محفوفاً بالأخطار والأرزاء، وحطوا رحالهم في تلك الجزائر الخضراء، وكان من جلائل نتائج هذه الهجرة أن تلاشت ديانة بوذا^(٣) وقام على أنقاضها الإسلام^(٤)».

ومما يؤكد أثر حضرموت الواضح في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا ما جاء في قرار مجلس المشاورة الذي عقد لبحث دخول الإسلام إلى أندونيسيا والذي حضره مائة وخمسة وستون عالماً من علماء تلك البلاد في

= وهو جد العلويين في حضرموت، حيث قدم حضرموت مهاجراً إليها في القرن الرابع، ونزل أولاً قرية الجبيل بوادي دوعن مدة، وكانت أوضاع حضرموت في وقته مضطربة بسبب الحروب مع الإباضية من جهة بالإضافة لبعض الفتن التي سادت تلك الجهات آنذاك، ثم غادر قرية الجبيل متجهاً إلى الهجرين، ثم انتقل إلى قارة بني جشير - وهي من قرى كندة - تقع قرب بلدة بور، ثم انتقل إلى الحسيمة بالقرب من تريم فاستوطنها إلى أن مات بها سنة ٣٤٥هـ. انظر: صفحات من التاريخ الحضرمي، لسعيد بن عوض باوزير (ص ٥٤ - ٥٨)، ط ٢، ١٩٨٣م.

(١) أشرف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا، لمحمد بن حسن العيدروس (ص ٣٤). بتصرف يسير.

(٢) إحدى جزر أندونيسيا، وتقع في الأرخبيل الغربي ويسمى أرخبيل سوندا. انظر: جغرافية الدول الإسلامية، لجوده حسين وآخر (ص ٤٤١).

(٣) البوذية: من الديانات الوضعية التي ظهرت في بلاد الهند على يد بوذا في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي قائمة على نظريات فلسفية وأنظمة أخلاقية خاصة بها، حيث قامت على العناية بالإنسان، والدعوة إلى العزلة والخشونة ونبذ الحياة المادية، ثم تحولت بعد موت مؤسسها إلى معتقدات ذات طابع وثني. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص ١٠٧)، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

(٤) تاريخ حضرموت السياسي (٢/٢٤٠).

كدوغ جاغكويف في أندونيسيا حيث قرر المجلس بأن أول من أدخل الإسلام إلى أندونيسيا هم السادة العلويون الحضرميون الشافعيون^(١).

وقد نشط الحضارمة في هجرتهم لبعض البلدان بنشر الإسلام المشوب بالتصوف في تلك الأماكن مما كان له الأثر الواضح على المسلمين الجدد في تلك البقاع، حيث لم يعرفوا إلا التصوف القائم على الجهل بالتوحيد والوقوع فيما يضاهاه، فقد دخل أشرف حضرموت إلى آتشيه في سومطرا^(٢) التي تعتبر أول منطقة دخل إليها الإسلام في أندونيسيا، وكان أول من دخلها من الحضارمة هم الأشراف، ثم توالى دخول الحضارمة لهذه البلاد عبر الأوقات المتتالية بالإضافة لدخول العديد من علماء الأشراف العلويين الحضارمة إلى جاوه قبل الهولنديين بعدة قرون^(٣).

كما لعب الأشراف الحضارمة دوراً كبيراً في نشر الإسلام المشوب بالتصوف في جزر الفلبين وجزر سلولو وميندانا وغيرها.

ومما يؤكد أن الإسلام الذي نشره الحضارمة في بعض البلدان كان على طريقة المتصوفة ما جاء في أحد الأبحاث التي تحدثت عن انتشار الطريقة الشاذلية^(٤) بسيلان: «ولقد انتشر الإسلام في آسيا عن طريق التصوف، ولهذا انطبعت الحياة العامة في تلك البلاد بطابعه ففي بلاد سيلان مثلاً كل مسلم لا بد أن ينتسب إلى طريق صوفي، وفي كل بلد من سيلان زاوية صوفية، والأولاد هناك يتربون تربية صوفية فيذهبون إلى الزوايا كل صباح، وفي سيلان

(١) انظر: المدخل إلى الشرق الأقصى (ص ٢٠٤)؛ وأشرف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا (ص ٦٢، ٦٤).

(٢) إحدى جزر أندونيسيا. وتقع في الأرخبيل الغربي. انظر: جغرافية الدول الإسلامية (ص ٤٤١).

(٣) انظر: أشرف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا (ص ٦٤، ٦٦).

(٤) الشاذلية: طريقة صوفية وتنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وهي منتشرة في المغرب والجزائر، وفي أنحاء أخرى من العالم، وقد تشعبت عنها طرق كثيرة. انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، لكامل الشيبى (ص ٦٧)، ط ٢، دار المعارف.

طرق صوفية متعددة أشهرها: الشاذلية، والقادرية^(١) والعلوية^(٢) ويضيف إلى ذلك أن المسلمين في سيلان ينتسبون إلى أصليين كبيرين: أصل عربي وقدموا من حضرموت واليمن وتكتب لغتهم بالعربية، وفريق ثاني وفد إليها من الملايو^(٣).

وجاء في كتاب لوامع النور في ترجمة علوي بن عبد الرحمن المشهور^(٤): «ونجده في عام ١٣٢٣هـ يحضر في مدينة قالي ببندر سيلان^(٥) احتفالاً عظيماً بمناسبة اختتام السلسلة العيدروسية، وتكلم في الاحتفال... وألقى في ذلك الحفل المهيب قصيدة عصما^(٦). أشار فيها سند الاتصال برجال السلسلة، وكيف وصلت سلسلة إلى أهالي سيلان^(٧).

وجاء في الكتاب المذكور أيضاً: «وكانت قرى ومدن سيلان تزخر بالعديد من الطرق الصوفية، ولكل منهم مواقع خاصة إلى أن قال: وكان

(١) طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة ٥٦١هـ. انظر ترجمته في: السير (٤٣٩/٢٠)؛ والأعلام (٤٧/٤).

(٢) طريقة صوفية ظهرت في حضرموت - وسيأتي الحديث عنها - وهي نسبة لآل باعلوي الأشراف الذين سكنوا حضرموت، ويسمون «السادة» وأكثر تواجدهم في مدينة تريم وما حولها.

(٣) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى، لعلوي بن طاهر الحداد (ص ٢٥٦، ٢٧٨ - ٢٧٩). وهذا البحث للدكتور محمد مكي أحد الباحثين في سيلان ورئيس الجمعية الإسلامية بجامعة لندن في رسالته التي قدمها في جامعة لندن عن الطريقة الشاذلية وأثرها في تطور المجتمع.

(٤) هو علوي بن عبد الرحمن بن أبي بكر المشهور: ولد بمدينة تريم سنة ١٢٦٣هـ، من مؤلفاته: الدرر المنظومة في ذكرى المصطفى، مجموع يحتوي على الإجازات التي كتبت له، والتي كتبها هو لبعض مريديه والمتصلين به، وسفن متعددة حاوية على درر المسائل والفوائد، ومكاتباته التي كان يبعث بها إلى أصدقائه، انظر عن حياته بتوسع كتاب: لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت لحفيده أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور (ص ١٦ وما بعدها)، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ١٠٦).

(٥) قالي: مدينة من مدن سيلان الواقعة جنوب الهند، كانت تتبعها سياسياً قبل انقسامها. وقد عرفها العرب باسم جزيرة «سرنديب». انظر: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة: ص ٥٩١.

(٦) كذا في الأصل. (٧) لوامع النور (٨٧/١).

التنافس الطبيعي يجري مجراه، وكان الجد علوي يكرس جهده في رفع هذه الحواجز الناشئة بين أتباع الطرق، ويزود كل ذي طريقة ومظهر متحدثاً مع الأتباع والمريدين بالمعاني القيمة... كما كان يسهم بقريحته الشعرية إلى جانب علمه ووعظه في مشاركة أولئك كثيراً من حضراتهم، ومجالسهم، وحلقات ذكرهم كما أشاد في بعض أشعاره بالعديد من الأولياء والصالحين المعتقدين بالصلاح والتقوى، كالشيخ الكبير الشهير بالأشرفي وله مسجد كبير وضريح معروف يزار. ومن قصائده فيه قوله:

العالم اللوذعي البحر من خضعت له الرقاب وصمّ الصخر قد لانا
وكيف وهو الذي من نوره شرفت وسيل إحسانه قد عم سيلانا^(١)

ويقول أبو بكر المشهور^(٢) عن رحلات جده علوي: «وأما رحلته إلى أفريقيا الشرقية فكانت سنة ١٣٣٠هـ... وقد اجتهد في نشر الدعوة^(٣) إلى الله وتعليم العامة والخاصة، والتقى بعدد من الشيوخ في تلك البلاد وبالحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط^(٤)، وتهايا له في هذه الرحلة طبع مولده المبارك

(١) لوامع النور (٨٩/١ - ٩٠).

(٢) هو أبو بكر بن علي المشهور العلوي، من الصوفية المعاصرين، ولد بمدينة أحور - إحدى مدن محافظة أبين - عام ١٣٦٦هـ، يقيم أكثر وقته بعدن، حيث يقوم على رباط العيدروس، وإدارة المناهج والتراث بعدن، ومن الساعين لبناء الأربطة في مدن وقرى اليمن. من مؤلفاته: بين يدي الدجال، وقبسات النور، ولوامع النور، والتلبد والطارف وغيرها. انظر: هداية الأخيار (ص ٥٤٧)، وانظر ترجمته لنفسه على طرة كثير من كتبه منها: بين يدي الدجال.

(٣) نشر الدعوة إلى التصوف ولم ينشر الدعوة إلى الإسلام المصفي القائم على الكتاب والسنة؛ طريق السلف الصالح؛ أهل القرون المفضلة الذي الخير كل الخير في اتباعهم والشر كل الشر في التنكب عن طريقهم، فلا يغتر المسلم بكل من ذكر أنه سافر لأي بلد لنشر الدعوة بل تعرض دعوته على الكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح وذلك هو الفاصل بين الحقائق والدعاوى.

(٤) هو أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سميط العلوي، صوفي حضرمي، ولد سنة ١٢٧٧هـ، وقام بنشر التصوف والتدريس. وله عدة شيوخ. ومن مؤلفاته: منهل الورد من فيض الإمداد شرح أبيات الحداد، وتحفة اللبيب شرح لامية الحبيب، توفي سنة ١٣٤٣هـ. انظر: مقدمة كتابه الإبهاج، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٦٩).

المسمى «الدرر المنظمة» على نفقة نادي إخوان الصفا^(١) بزنجبار^(٢) (٣).

كان لمتصوفة الحضارمة دور كبير في تدريس التصوف في البلدان التي هاجروا إليها، ومنها أندونيسيا ففي مدينة بنداوسة الواقعة بجاوة كان محمد بن أحمد المحضار^(٤) يجلس يومياً لتدريس التصوف لعموم الناس في الضحى وفي المساء حيث يحتشد لذلك الناس وتكون القراءة غالباً في كتب الحديث، والتصوف، والسير، وكتب السلف والخلف من العلويين وغير العلويين، وتكون القراءة في بنداوسة، أو خارجها أثناء أسفاره فضلاً عن دروسه في علوم شتى لأبنائه وغيرهم، وكانت له مكتبة تحوي مئات الكتب الخطية والمطبوعة من مختلف العلوم والفنون ومنها التصوف^(٥).

كما لعبوا دوراً في نشر القباب والأضرحة في بعض بلدان العالم الإسلامي، وبناء القبب في مهجرهم ومنها جهة سوربايا^(٦) حيث يُدفن فيها

(١) إخوان الصفاء: هم جمعية إسماعيلية باطنية سرية، وجدت في القرن الرابع حين عمّ الرفض الأرض، وتبنت أسلوب السرية والخفاء في دعوتها، وبث فكرها في جميع طبقات الناس، وألفت اثنتين وخمسين رسالة على أقسام: رياضية تعليمية، وجسمانية طبيعية، ونفسانية عقلية، وناموسية إلهية، واستمدوا فكرهم ومعلوماتهم من كلام الفلاسفة، وألسوء الصبغة الشرعية وخلطوه بالعلوم الطبيعية وبالتنجيم على هيئة قصص وحكايات. انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٥٨ - ٥٩).

وهذا يدل على التقارب بين صوفية حضرموت والرافضة الباطنية يبين ذلك العلاقة مع هذه الجمعية التي تحمل اسم الإسماعيلية الباطنية، وهذا شأن البدع لها ارتباط بعضها ببعض، أما أهل السنة فهم على منهج ثابت مهما تغيرت الأحوال فلا يوالون ولا يعادون إلا في الله تعالى.

(٢) زنجبار إحدى مناطق دولة تنزانيا بأفريقيا. (٣) لوامع النور (٩١/١).

(٤) هو محمد بن أحمد المحضار، ولد بالجبل بدوعن سنة ١٢٨٠هـ، ومن شيوخه: أحمد بن حسن العطاس، وظاهر بن عمر الحداد وغيرهما وتوفي في سوربايا بالبلاد الجاوية سنة ١٣٤٤هـ. من مؤلفاته: مجموع وصايا وإجازات ومكاتبات في أربع مجلدات ضخمة، وديوان شعر مليء بالمدائح والصوفيات والمراثي وتخاميس لكثير من قصائد عبد الله الحداد المتوفى ١١٣٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٨٠/٥ - ٩٧)؛ كتاب إدام القوت الحاشية (ص ٣٣١)، ط المنهاج؛ ولوامع النور (١٣١/١).

(٥) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٨٤/٥).

(٦) إحدى مدن أندونيسيا الرئيسة تقع في شرق جزيرة جاوة، وهي ميناء تجاري هام ومركز =

شيوخهم^(١).

وأنشأ آل الجنيد قبلاً في سنغافورة خصصت لدفن موتاهم من آل الجنيد، وكذا إبراز ضرايحهم والاهتمام ببنائهم^(٢).

المبحث الثاني

التعريف بالتصوف ونشأته وتطوره

• ونعمته مطلبان:

✽ المطلب الأول ✽

التعريف بالتصوف

التصوف لغة:

تعددت أقوال العلماء وكذا الصوفية أنفسهم في مفهوم التصوف، حيث نقل بعض المتصوفة أكثر من خمسين تعريفاً للتصوف عن متقدميهم^(١). وقال بعضهم: إن أقوال مشايخ الصوفية تزيد على ألف قول^(٢). وأغلب هذه الأقوال في تعريف التصوف لا يؤيده الاشتقاق اللغوي. قيل إنه: مأخوذ من الصفاء^(٣)، وقيل: نسبة لأصحاب الصفة، وقيل: نسبة للصوفانة، وهي بقلة رعناء قصيرة، فنسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء^(٤)، وقيل: نسبة لرجل يقال له: صوفة، واسمه الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر انقطع للعبادة عند بيت الله الحرام، وقيل نسبة: لصوفة القفا، وهي الشعرات النابتة في مؤخر الرأس^(٥)، وقيل: نسبة إلى الصوف وقيل غير ذلك، والراجع من هذه الأقوال - والله أعلم - أن التصوف مأخوذ من الصوف^(٦)، وهو أصل اشتقاقه وذلك لأمرين:

- (١) الرسالة القشيرية، للقشيري (٥٥٠/٢). (٢) عوارف المعارف، للسهروردي (ص ٥٨).
(٣) الرسالة القشيرية (٥٥٠/٢). (٤) تلييس إبليس، لابن الجوزي: ص ٢٠١.
(٥) المصدر السابق (ص ١٩٩). (٦) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٠).

- = للصناعات المعدنية ومعمل لتكرير البترول. انظر: جغرافية الدول الإسلامي (ص ٤٥٠).
(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٨٨/٥).
(٢) انظر: العقود العسجدية، لعبد القادر الجنيد (ص ١١٩، ٢٥٩، ٤٥٧).

أولاً: من حيث اللغة، فنسبة الصوفي للصوف نسبة سليمة خلاف بقية الاشتقاقات السابقة فلا تخلو من نظر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فقل نسبة إلى أهل الصُّفَّة وهو غلط لأنه لو كان كذلك لقل: صُفِّي وقل: نسبة إلى الصف المتقدم بين يدي الله وهو أيضاً غلط، فإنه لو كان كذلك لقل صُفِّي...»^(١).

ثانياً: صحة هذه النسبة من حيث المعنى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «والنسبة في الصوفية إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد»^(٢).

وكان المتصوفة يلبسون الصوف للمبالغة في التقشف والرهبة كما يقولون^(٣)، ويرون ذلك الفعل من القُرب التي يتقربون بها إلى الله جلّ وعلا.

ويقول ابن خلدون^(٤): «والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب»^(٥). وكذلك وضع الكلاباذي^(٦) تفسير بعضهم للتصوف فقال: «وأما

(١) مجموع الفتاوى (٦/١١). (٢) المصدر السابق (١٠/٣٦٩).

(٣) قال بذلك: السراج الطوسي في اللمع (ص ٤٧)، وأبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/١٦٧)؛ والسهروردي في عوارف المعارف (ص ٦٠) وغيرهم. وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦/١١ - ١٩)؛ وابن خلدون في مقدمته (٢/٥٨٤). وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، للدكتور محمد لوح (١/٣٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي الأصل التونسي، ثم القاهري المالكي، ولي الدين، أبو زيد عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي ولد سنة ٧٣٢ هـ ومن مؤلفاته: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، ولباب المحصل في أصول الدين، وشرح قصيدة ابن عبدون الإشبيلي وتوفي سنة ٨٠٨ هـ. انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (٤/١٤٥ - ١٤٩)؛ وشذرات الذهب لابن العماد (٧/٧٦، ٧٧)؛ معجم المؤلفين (٢/١١٩ - ١٢٠).

(٥) مقدمة ابن خلدون (ص ٣٩٢).

(٦) هو محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي: من شيوخ الصوفية في القرن الرابع الهجري، من أهل كلاباذ، وهي محلة ببخارى له مؤلفات منها: بحر الفوائد بمعاني الأخبار، وأمال في الحديث، والتعرف لمذهب أهل التصوف، قال أحد الصوفية عن كتابه الأخير (لولا التعرف لما عُرف التصوف)، توفي سنة ٣٨٠ هـ. انظر: الموسوعة الصوفية (ص ٣٣٨).

من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا، فخرجوا من الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد»^(١). ولذا ترى المتصوفة يقدسون ويعظمون الصوف، يقول أحمد زيني دحلان^(٢): «وحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي^(٣) رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالاً للخرقة الصوف المنسوبة للصوفية»^(٤).

وأما تعريف التصوف في الاصطلاح:

كما كثرت الأقوال في تعريف التصوف لغة فكذاك بالنسبة لتعريفه اصطلاحاً، جاء في كتاب قواعد التصوف: «وقد حدّ التصوف ورسم بوجوه نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه»^(٥).

ومن تعريفات الصوفية لمفهوم التصوف ما قاله الجنيد: «التصوف تصفية القلب من موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازل الصفات الربانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واتباع الرسول في الحقيقة»^(٦).

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص ١٣).

(٢) هو أحمد زيني دحلان: ولد بمكة سنة ١٢٣٢ هـ، وتولى فيها الافتاء والتدريس، ويعد من غلاة الصوفية المتأخرين، ومن خصوم الدعوة السلفية. له مؤلفات كثيرة سودها بالضلالات منها: خلاصة الكلام، والدرر السنية، يقول عنه محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٧/٣٩٣): إن دحلان غير محدث ولا مؤرخ ولا متكلم وإنما هو مقلد للمقلدين ونقال من كتب المتأخرين. انظر: الأعلام (١/١٢٩)؛ ومعجم المؤلفين (١/٢٩).

(٣) هو أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي، من مشايخ الصوفية بمصر. توفي بقنا بصعيد مصر سنة ٥٩٢ هـ. انظر: الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب الشعراني (١/٢١٨ - ٢١٩)، ط ١، دار الرشد الحديثة.

(٤) تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله والرسول ﷺ لدحلان (ص ٢٢٠). وانظر: طبقات الشعراني (١/٢١٩).

(٥) حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى (ص ١٥).

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص ٤٣).

وقيل: «أن تكون مع الله بلا علاقة»^(١) وقيل غير ذلك.

وكثرة هذه التعريفات يدل على عدم ضبط أهل التصوف لمصطلح التصوف فضلاً عن غيرهم، وهذه ميزة الباطل لا ثبات له ولا قرار وإنما هو الاضطراب والاختلاف.

يقول ابن خلدون عن أصل كلمة التصوف: «وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة...»^(٢).

ولكثرة تعريفات التصوف فقد لخصه بعضهم بأنه: «السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف، وأنواع من العبادة، والأوراد والجوع، والسهر في صلاة، أو تلاوة ورد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم، سعياً إلى تحقق الكمال النفسي كما يقولون، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة»^(٣).

وبهذا يتبين لنا مخالفة الصوفية لمنهج سلف الأمة في العبادة، والسلوك، وتعذيبهم للنفس برياضات ابتدعوها من عند أنفسهم أملاها عليهم الشيطان، وما ذاك؛ إلا لبعدهم عن نور الوحي، الكتاب والسنة، واتباع الآراء المخالفة والنظريات الفلسفية الدخيلة على الأمة الإسلامية المخالفة لمذهب السلف الصالح.

* * * * *

(١) اللمع (ص ٤٥).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٦٧)، ط دار الفكر.

(٣) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة، لإبراهيم هلال (ص ١).

المطلب الثاني

نشأة التصوف وتطوره

كما اختلف في تعريف التصوف كذلك اختلف في الوقت الذي نشأ فيه التصوف، فلا يعرف وقت ظهور التصوف في الأمة الإسلامية بالتحديد ولا من هو أول متصوف^(١)، ولم يكن لفظ الصوفية مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك^(٢).

يقول الإمام ابن الجوزي رحمته الله: «والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب إلى أن قال: كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتحلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقاً تخلقوا بها»^(٣) وقال بعضهم: إن التصوف ظهر في القرن الثاني^(٤) ولكن شهرة الصوفية لم تبرز في القرون الثلاثة المشهود لها بالخير^(٥). وقد وجدت بوادر الصوفية في الأزمنة المتقدمة، ومما يدل على ذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمته الله: «خلّفت بالعراق شيئاً أحدثه الزنادقة»^(٦).

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن بن عبد الخالق، ص ٤٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٦/١١). (٣) تلييس إبليس (١٩٩/١).

(٤) انظر: تلييس إبليس، لابن الجوزي (ص ٢٠١ - ٢٠٢)؛ مقدمة ابن خلدون (ص ٣٧٠).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦/١١).

(٦) الزنادقة مفردة زنديق، وهو المنسوب إلى الزندقة، والزندقة لفظة معربة من الفارسية وكان يطلقها الفرس على من انحرف عن ظواهر نصوص كتبهم نسبة إلى ماني المجوس، الزند ومعناه: التفسير، الذي وضعه لتفسير كتاب زرادشت؛ لكن أغلب الفرس رفضوه، فأخذته العرب وعربوه إلى زنديق، وقد ظهر هذا اللفظ في عهد الخليفة العباسي المهدي فكان يطلق على المانوية الثانوية القائلين بإلهين هما: النور والظلمة، وعلى الشيعية والحركات الباطنة كالبايكية والخرمية، ثم صار يطلق على المستهتر الماجن الذي لا يؤدي الفرائض ويجاهر بالمعاصي، ثم صار في العصور الأخيرة يطلق على الأفراد أكثر من إطلاقه على الطوائف =

يسمونه التغيير^(١) يشغلون به الناس عن القرآن^(٢) والإمام الشافعي خرج من بغداد متوجهاً إلى مصر نهاية القرن الثاني، وكلام الإمام الشافعي يدل على أن التصوف أمر محدث لم يكن عليه أمر السلف - رحمهم الله - وأن التغيير وهو نوع من الإنشاد الصوفي الهدف منه إشغال الناس عن القرآن.

ويذهب بعض العلماء إلى أن ظهور التصوف كان نتيجة إقبال الناس على الدنيا والانشغال بها ولذا عُرف المقبلون على الزهد والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة^(٣)، ومنذ ذلك الوقت غلب هذا الاسم على هذه الطائفة من الزهاد فيقال: رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف والجماعة المتصوفة^(٤).

ولقد اختلفت الأقوال في أول من لقب بالصوفي، فقليل: هو أبو هاشم الكوفي^(٥) (ت ١٥٠هـ) وأنه بنى خانقاه^(٦) للصوفية في الرملة من بلاد الشام،

= ويطلق على من أظهر الإسلام وأبطن الكفر. انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لعلبي بن الحسين المسعودي (٢٥٩/١) شرحه وقدم له: د. مفيد محمد قميحة، ط ١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية - بيروت؛ وتاج العروس (٢٠١/١٣)، ط ١٤١٤هـ؛ مادة زندق؛ وتاريخ الإلحاد في الإسلام، لعبد الرحمن بدوي (ص ٣٥ - ٤٣).

(١) التغيير هو الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية، بترديد الأصوات والطرب بها عند القراءة وسماع الذكر أو بعض الأشعار، مع الضرب بالقضيب، ويسمى التغيير لأنهم يغيرون ذكر الله بما يطربون به من الشعر، وسموا مغيرين لتزهدهم الناس في الدنيا الفانية وترغيبهم في الآخرة. انظر: تليس إبليس (٢٨٣/١)، ط ١، ١٤٠٥هـ، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت؛ والاستقامة (٣٢٨/١)، ط ١، ١٤٠٣هـ.

(٢) تليس إبليس لابن الجوزي (ص ٢٨٣)، وذم ما عليه مدعو التصوف، لابن قدامة (ص ٧ - ٨)، ط ٣، المكتب الإسلامي. وانظر: الحلية (١٤٦/٩)؛ وإغاثة اللهفان (١٢٩/١).

(٣) انظر: تليس إبليس (ص ١٦٣)؛ ومقدمة ابن خلدون (ص ٤٦٧).

(٤) انظر: الرسالة القشيرية: ٥٥٠/٢.

(٥) هو عثمان بن شريك، أبو هاشم الزاهد، اختلف المترجمون له هل كان كوفياً أم بغدادياً أم شامياً، وذكر بعضهم أن أبا هاشم انهم بالزندقة، وأنه كان باطنياً دهرياً. توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٩٧/١٤)؛ وحلية الأولياء (٢٢٥/١٠)؛ والتصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير (ص ٤١).

(٦) الخانقاه: هي رباط الصوفية، وجمعها خانقاوات. انظر: المعجم الوسيط (٢٦٠/١).

وكان مولى من الموالي وكان يقول بالحلول والاتحاد وكان باطنياً دهرياً^(١). وقيل: إن أول من تسمى بالصوفي عبدك الصوفي^(٢) من أهل بغداد، وقيل: إن جابر بن حيان^(٣) أول من لقب بالصوفي^(٤) وهؤلاء الذين ذكر عنهم أنهم أول من لقب بالصوفي مطعون في مذاهبتهم وعقائدهم، ورمي كل واحد منهم بالفسق والفجور حتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان وعبدك^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «إن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة^(٦)، وأول من بنى ديرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد^(٧)، وعبد الواحد من أصحاب الحسن^(٨)، وكان في البصرة

(١) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، لكامل الشيباني (ص ٢٦٩).

(٢) يعتبر عبدك الصوفي من أوائل الصوفية، حيث كان مظهراً للزهد والتشيع، متهماً بالزندقة، نشأ في الكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، ذكر الملطي أنه (أول من أشتهر ببغداد باسم الصوفي)، وذكر أيضاً أنه (كان رأس فرقة من الزنادقة)، توفي سنة (٢١٠هـ). انظر: التنبيه والرد للملطي (ص ٢١)؛ والتصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير (ص ٤٣)؛ ومن قضايا التصوف لمحمد السيد الجليلند (ص ٣٦).

(٣) هو جابر بن حيان بن عبد الله، الطرسوسي الكوفي، الكيميائي المشهور، كان يعرف بجابر الصوفي، من أهل الكوفة، وأصله من خراسان، ذكر القفطي أنه «كان مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة، ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام»، له مؤلفات كثيرة منها: أسرار الكيمياء، وعلم الهيئة، وصندوق الحكمة، توفي بطوس سنة (٢٠٠هـ). انظر: الفهرست لابن النديم (ص ٤٩٨)؛ وأخبار الحكماء للقفطي (ص ١٦٠)؛ والأعلام (١٠٣/٢).

(٤) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع (ص ٢٦٦، ٢٦٩).

(٥) التصوف المنشأ والمصادر (ص ٤٣).

(٦) البصرة: هي المدينة المعروفة، من أعمال العراق تقع في الجنوب منه، انشئت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وينسب إليها عدد من الأئمة منهم الحسن البصري رضي الله عنه. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٣٠ - ٤٤٢)، ط ١٣٧٤هـ، دار صادر؛ وآثار البلاد وأخبار العباد، للقرظيني (ص ٣٠٩ - ٣١٣).

(٧) هو عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصري من الزهاد، شيخ الصوفية بالبصرة، ترك حديثه الأئمة كالبخاري والنسائي وابن حبان وغيرهم. كان ينسب إليه القول بالقدر، وقيل أنه رجع عنه. توفي بعد سنة (١٥٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (وفيات ١٤١ - ١٦٠هـ) (ص ٥٠٩)، ط دار الكتاب العربي؛ ولسان الميزان (٨٠/٤)، ط ٣، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٨) البصري الإمام المعروف.

من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية^(١).

وذهب بعضهم أن التصوف ظهر بالكوفة بسبب الاضطرابات السياسية آنذاك، حيث ترك بعضهم الدنيا وأقبل على التصوف^(٢).

وقد حمل بعضهم المنقول عن بعض السلف من الكلام في الزهد والورع على أنه من التصوف فنسبه إليهم كقول من قال أن سفيان الثوري تكلم به^(٣).

ومن خلال هذه النقول يتبين لنا أن إطلاق مصطلح الصوفي والمتصوف تختلف هيئته بين بداية ظهوره وبين ما جرى بعد ذلك من مخالفات للشرع المطهر، فقد كان إطلاق الصوفي والمتصوف بادئ الأمر يقصد به الزاهد في الدنيا وملذاتها، والعابد الورع المقبل على الآخرة^(٤).

ولم يكن للتصوف عند نشأته جماعة معروفة بعينها لها نظامها الخاص، ورئيسها المعين، وإنما تميزت في أول أمرها بالزهد المبالغ فيه وحب الله تعالى وهذه هي قاعدتي الصوفية التي كانوا ينطلقون منها^(٥)، ولكن تغير الأمر كما أسلفنا وحدث الانحراف عن الشرع فيما بعد كما سيأتي.

ويقال للقوم إنَّ صِدْقَ الرجل في ادعائه محبة الله يظهر ذلك من خلال التزامه بأوامر الله واجتناب نواهيه وذلك باتباع نبيه محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) - قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ آل عمران: ٣١ -

[٣٢]، لا كَيفَهُم الصوفية للمحبة، التي يدعونها مع وقوعهم في مخالفة هدي محمد ﷺ، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أحوال الناس في محبة الله جلَّ وعلا فقال: «قال بعضهم: من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَدَ الله بالرجاء وحده

(١) مجموع الفتاوى (٦/١١ - ٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١١).

(٣) انظر: الفلسفة الإسلامية وملحقاتها، لعمر رضا كحالة (ص ٢٣).

(٤) انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس (٣٨/١).

فهو مرجئ، ومن عَبَدَ الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد^(١). وقد بين أهل العلم تدرج الشيطان بالصوفية، وصرفهم عن الحق شيئاً فشيئاً فزاد تلبسه حتى أوصل بعضهم إلى حضيض الكفر والزندقة.

ومن تلبسه عليهم أن صدهم عن العلم الشرعي، وزين لهم بأن العمل هو الغاية فلا حاجة للعلم^(٢)، لذا تخطوا وتحيروا في ظلمات الجهل، فمنهم من ترك الدنيا في الجملة فتركوا ما يصلح أبدانهم وبغضوا المال بغضاً شديداً، وبالغوا في تعذيب النفس، حتى ذكروا عن بعضهم أنه لا يضطجع، ويعملون بسبب جهلهم بالأحاديث الموضوعة في عباداتهم المبتدعة، ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك.

وجاء آخرون فميزوا مذهب التصوف بعد تهذيبه وأفردوا ذلك بصفات لتمييزه عن غيره والاختصاص بالمرقعة^(٣) والوجد^(٤) والرقص والتفسير ونحو ذلك.

ثم بلغ بهم الأمر إلى أن وضع لهم الشيوخ ما يسمى بالتصوف وهو: علم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمن به، لتخليهم شخصاً مستحسن الصورة فهماموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة.

ثم وصل القوم لتشعب الطرق وفساد الاعتقاد إلى قول بعضهم بالحلول وقول البعض الآخر بالاتحاد. وما زال إبليس يوقعهم في فنون البدع حتى

(١) مجموع الفتاوى (٨١/١٠).

(٢) انظر كلام الإمام الشوكاني في كيفية تدرج الصوفية في الانحراف: أدب الطلب (ص ١٧٢)، ط ١٩٧٩م، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء.

(٣) المرقعة هي: ثوب يقطع ثم يرقع رقعاً بحيث يخطط بالصوف ويسمى أيضاً بالخرقة، وهو لبس خاص بالصوفية وشعار لهم. انظر: إتحاف السادة المتقين، للزيدي (٨/ ٢٧٠).

(٤) الوجد له تعريفات كثيرة عند الصوفية، قيل هو: مكاشفات من الحق، والوجد لا يرد إلا لأهل البدايات لأنه يرد عقب الفقد، فمن لا فقد له لا وجد له. وقيل: شعلة متأججة من نار العشق يستفيق بها الروح بلمع نور أزلّي، وشهود دفعي. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص ٣١٧)؛ والمعجم الصوفي، للحفني (٢٥٦ - ٢٥٧).

جعلوا لأنفسهم سنناً^(١).

ويمكن إجمال مراحل تطور التصوف في الآتي:

المرحلة الأولى:

كان يغلب على أصحاب هذه المرحلة العبادة والانعزال عن الناس، مع الالتزام بآداب الشريعة، ويغلب عليهم الخوف الشديد والبكاء المستمر حيث كان بعضهم يواصل صومه ثلاثاً، فينهاهم أهل العلم مبينين أن أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا^(٢).

وقد وجد عدد من الزهاد في البصرة وكانوا يصرحون أن علمهم مضبوط بالكتاب والسنة، فهؤلاء وإن كانت مقاصدهم حسنة فإنهم في حقيقة الأمر على غير الجادة لقلة علمهم، بل قد وقع بعضهم في التعبد بالأحاديث الموضوعة وهو لا يدري^(٣).

وإن كان الصفاء الروحي قد وجد في هذه المرحلة إلا أنه استحدث إلى جانب ذلك الاستماع إلى القصائد الزهدية مع استعمال الألحان المطربة، وصنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد، لكنها خلطت بين الصحيح وغيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن المذاهب قد ظهرت بعد القرون المفضلة رويداً رويداً، وكان أصحابها الأولون قد انفردوا بما أتوا من الزهد والورع، الذي لم يكن عليه رسول الله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

والحقيقة أن لفظ الصوفية أو التصوف لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك^(٤).

(١) تليس إبليس (٢٣١ - ٢٣٦)، بتصرف. ت: محمد مهدي الاستانبولي، ط ١٣٩٦هـ.

(٢) السير (٢١٩/٥).

(٣) تاريخ بغداد (٢٤١/٧ - ٢٤٩)؛ وانظر: التصوف في ميزان البحث والتحقيق، لعبد القادر بن حبيب السندي (ص ٤٣ - ١٠٤) حيث ترجم لعدد من معتدلي الصوفية.

(٤) انظر: الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥)، ط، دار الفتح - القاهرة.

هذه هي بداية التصوف في بدء أمرها، ولكنها لم تقف على ذلك وإنما تغير مسارها فيما بعد كما سيأتي.

المرحلة الثانية:

بدأ ظهور مصطلحات غامضة، وطقوس غريبة، وانحرافات عن الشريعة، وهذا ما ظهر واضحاً في المرحلة الثانية، بطرق منظمة لها مشايخها وطقوسها الخاصة بها وكان ذلك بعد القرن الثالث الهجري، فقد ظهر في هذه المرحلة ما يسمى بعلم الظاهر والباطن، وأعلنوا سقوط التكليف الشرعية عن أوليائهم؛ لوصولهم إلى علم الحقيقة بسبب الكشف والإلهام^(١)، وادعوا الاطلاع على علم الغيب فكثرت الأساطير والخرافات في ذلك.

وظهر واضحاً أثر الشيعة والباطنية على الصوفية في هذه المرحلة، وقد أشار العلامة ابن خلدون لذلك في مقدمته حيث قال: «ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس، توغلوا فذهب الكثير منهم إلى الحلول^(٢) والوحدة^(٣)، كما أشرنا إليه، وملثوا الصحف منه مثل: الهروي^(٤)»

(١) انظر الكلام عن الكشف والإلهام ومسائلهم ومنزلتهما عند الصوفية (ص ٢٦٣، ٣٠٦ وما بعدها) من هذا البحث.

(٢) الحلول: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً، والمسرى فيه محلاً أي يحل الشيء في شيء آخر، وهو يقتضي وجود الشئين معاً، وأصحاب هذه العقيدة يرون أن الله قد يحل في العبد أو أن اللاهوت قد يحل في الناسوت، وحلول الله في مشايخ التصوف عند غلاتهم، إذا وصل إلى درجة خاصة من الصفاء - تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً. انظر عن الحلولية واعتقاداتهم: اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين، لفخر الرازي (ص ١١٦)، ط ١٣٩٨هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) وحدة الوجود عند الصوفية عقيدة هدامة معناها أن الوجود واحد، وليس هناك خالق ومخلوق، فيجيز الصوفية حلول الحق - تعالى - في الأمكنة كالسماء والعرش والكرسي، ومنهم من يجيزه في جميع العالم والحيوان والشجر والجماد ويعبر عن ذلك بالوجود الكلي: انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ص ٤٤).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل، من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، شيخ خراسان في زمانه، ولد بهراة سنة ٣٩٦هـ، من كبار الحنابلة، كان =

في كتاب المقامات له، وغيره وتبعهم ابن العربي^(١) وابن سبعين،... وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية^(٢) المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول والهيئة الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم^(٣).

المرحلة الثالثة:

وتعتبر هذه المرحلة أخطر مراحل التصوف حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية، فابعدتها عن مراحل التصوف السابقة، بل جعلتها خارجة عن الإسلام فقد ظهرت النظريات الفلسفية الكثيرة، حيث ذكر بعضهم أن الأفلاطونية الحديثة هي إحدى المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها المصدر الأول لمن قال بوحدة الوجود والحلول، ويرى آخرون أنها مأخوذة من البوذية، وغيرها من الديانات المحرفة كاليهودية والنصرانية^(٤).

وكان من شخصيات هذه المرحلة أبي يزيد البسطامي الذي كان له دور في انحراف التصوف عن ذي قبل، قال عنه الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وقد حكى عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها الكثير من الفقهاء والصوفية، وحملوها على محامل بعيدة، وقد قال بعضهم: أنه قال ذلك في حالة الاصطلام^(٥) والغيبة، ومن العلماء من بدّعه وخطأه، وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدل على

= بارعاً في اللغة، حافظاً للحديث. من مصنفاته: منازل السائرين، ودم الكلام وأهله، والفاروق في الصفات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن كتابه (منازل السائرين) أنه ينتهي إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد». توفي سنة ٤٨١هـ. انظر: منهاج السنة (٣٤٢/٥)، والسير (٥٠٣/١٨)، والأعلام (١٢٢/٤)، ط ١٩٩٢م.

(١) ابن عربي الصوفي - المنكر - من كبار القائلين بوحدة الوجود.
(٢) الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق سابع الأئمة الاثنا عشر عند الرافضة، وهي فرقة باطنية رافضية. انظر: الفرق بين الفرق (ص ٦٢).

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٧٣).

(٤) انظر: الصوفية المنشأ والمصادر، (ص ١٢١).

(٥) الاصطلام هو: نوع وكه يرد على القلب، فيسكن تحت سلطانه، وقيل: هو غلبات الحق الذي يجعل كليات العبد مغلوقة له بامتحان اللطف في نفي إرادته. انظر: المعجم الصوفي، للحفني (ص ٢٤)؛ واصطلاحات الصوفية، إعداد: د. عبد الحميد بن صالح حمدان (ص ١٥).

اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته، والله أعلم^(١).
ثم جاء بعد أبي يزيد البسطامي الحسين بن منصور الحلاج الذي كان له أثر واضح في زيادة الانحراف عند الصوفية، حيث صرح بمعتقد الفاسد وأظهر أعمالاً منكراً. وقد حكم علماء عصره بزندقته الموجبة لقتله، فقتل وصلب وأحرقت جثته^(٢). ومن أقوال الحلاج التي تبرز زندقته من الحلول قوله:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الشاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب^(٣)

وقوله: (ما في الجبة إلا الله)^(٤)، وغير ذلك من أقواله الشنيعة وأفعاله الرديئة التي كان لها الأثر الواضح في إضلال من جاء بعده من المتصوفة.

وانتهت هذه المرحلة الخطيرة بابن الفارض وابن عربي وغيرهما، فصار هؤلاء المتصوفة يعتقدون أن لا فرق بين الله وخلقهم، وأنه تعالى متجل في كل شيء في الكون حتى الكلاب والخنازير، فالكل مظهره، وما في الوجود إلا الله، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهره تعالى الله وتقدس^(٥).

وأضاف ابن عربي أقوالاً شنيعة أضافها مع أقوال من سبقه من المتصوفة، بل وألف المؤلفات المنحرفة المشاقة لدين الله تعالى ككتابه الفتوحات المكية، وفصوص الحكم.

يقول ابن عربي: «فلا مظهر له إلا نحن، ولا ظهور لنا إلا به، فبه عرفنا أنفسنا، وبنا تحقق عين ما يستحق الإله».

فلولاه لما كنا ولولا نحن ما كنا
فلإن قلنا بأننا هو يكون الحق إيانا

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٣٥/١١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي (٣٤١/١٤).

(٣) ديوان الحلاج (ص ١٣٧)، ط ٢، ١٤٠٤هـ، بغداد، وانظر: السير (٣٢٥/١٤).

(٤) الصوامر الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، للشوكاني (ص ٣٣).

(٥) انظر: دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير (ص ٢٩٦).

فبدأننا وأخفاننا وأبداه أخفاننا
فكان الحق أكواننا وكنا نحن أعياننا^(١)

حتى ذكروا أن بعضهم كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الريح، وخرير الماء، وصياح الطيور، كان يصيح ويقول: لييك^(٢).

وقد دافع بعض علماء الصوفية عن هؤلاء الزنادقة، ومنهم اليافعي^(٣) الذي ترجم للحلاج في كتابه مرآة الجنان^(٤) وأطال في ترجمته وذكر اعتذار الصوفية له، وشنع على الحافظ الذهبي في ترجمة الحلاج ونبذه، وهذا يدل على اقتناع القوم بآراء الحلاج المنحرفة، واعتقادهم بولايته وتخريج المخارج لأقواله الشنيعة التي جعلت علماء عصره يفتون بقتله - كما سبق -، ولكن لبعدهم عن منهج السلف الصالح الذي سار في طريقه الحافظ الذهبي رحمته الله وغيره من علماء السنة، جعلهم يشنعون على من انتقدهم من علماء أهل السنة. وهكذا الضلال يتدرج بأصحابه حتى يصل بهم إلى الإلحاد والزندقة نعوذ بالله من ذلك.

فهذه لمحة موجزة عن نشأة الصوفية وانتشارها في بلاد الإسلام على أيدي المتصوفة، حيث مر التصوف بمراحل مختلفة، مما أدى إلى انتشار الشرك والبدع في البلدان التي حل بها المتصوفة، واستغلالهم للظروف والأوضاع في بعض الأزمنة لنشر بدعهم وضلالتهم، ولكن الله لا يصلح عمل المفسدين ولا نصر ولا تمكين إلا لأولياء الله المتقين، قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

(١) الفتوحات المكية (٤٤/٢ - ٤٥)، ط ١٤٠٥هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) كتاب اللمع، للطوسي (ص ٤٩٥)، ط دار الكتب الحديثة - مصر.

(٣) هو عبد الله بن أسعد اليافعي، من شيوخ الصوفية في القرن الثامن الهجري، نسبته إلى (يافع) من حمير، ولد سنة ٦٩٨هـ، في عدن، وأقام بمكة، له مؤلفات منها: أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، والدر النظيم في خواص القرآن العظيم، وروض الرياحين في مناقب الصالحين، توفي بمكة سنة ٧٦٨هـ. انظر: الدليل الشافي لابن تغري بردي (١/٣٨٢)؛ وجامع كرامات الأولياء، للنبهاني (٢/٢٥٠)؛ والأعلام (٧٢/٤)؛ والموسوعة الصوفية (٤١٣).

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي (٢/٢٥٣).

الباب الأول

تاريخ التصوف في حضرموت

وتحته فصلان:

الفصل الأول: نشأة الصوفية في حضرموت.

الفصل الثاني: الصوفية في حضرموت في القرون المتأخرة.



الفصل الأول

نشأة الصوفية في حضرموت

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: أسباب نشأة التصوف في حضرموت.

المبحث الأول: بدء دخول التصوف إلى حضرموت.

المبحث الثاني: أعلام الصوفية الأوائل في حضرموت.

المبحث الثالث: الطرق الصوفية التي انتشرت في حضرموت.

تمهيد

أسباب نشأة التصوف في حضرموت:

الصوفية عبارة عن فرق كثيرة لها أصولها ومعالها وفلسفتها الخاصة بها. وتعتبر الصوفية في حضرموت إحدى فرق الصوفية المنتشرة في العالم، فهي ليست بمعزل عن هذه الفرق؛ بل تلتقي معها، وتوافقها في الغاية المنشودة التي يذكرها المتصوفة في مؤلفاتهم كما سيأتي.

وقد قامت صوفية حضرموت بنشر التصوف في بلاد حضرموت وخارجها وبث المخالفات الشرعية في الأماكن التي استوطنتها، وكان لذلك أسباب كثيرة مهدت لنشأة التصوف في حضرموت، حيث ابتدأ أمره منها، لما صادف أرضاً خصبة في الداخل ساعدت على تمكنه.

ونورد أهم هذه الأسباب مراعين في ذلك تقديم الأسباب التي كان لها أثر كبير في نشر التصوف في بلاد حضرموت، وهي كالاتي:

١ - قدوم العلويين^(١) إلى حضرموت من العراق، حيث كانوا يحملون عقائد مخالفة لمذهب السلف الصالح، فهم على مذهب الإمامية الشيعة^(٢)، وكان عبيد الله^(٣) بن أحمد المهاجر بن عيسى قد قرأ كتاب قوت القلوب على

(١) العلويون: نسبة إلى علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى الذي ينتهي نسبة إلى الحسين السبط بن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر: نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر، لعبد الرحمن بن عبيد الله الشاف (ص ٨)؛ وتاريخ حضرموت، لصالح بن علي الحامد (١/ ٣٢٣ - ٣٢٥).

(٣) واسمه عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر الذي خلف والده، واستوطن قرية سمل بحضرموت واشترى بها أرضاً وتزوج بنت أحد أعيانها واستمر بها إلى أن توفي سنة ٣٨٣هـ. انظر: صفحات من التاريخ الحضرمي (ص ٥٨). وإنما كان يسمى نفسه بعبيد الله - مصغراً - =

مؤلفه في مكة سنة ٣٧٧هـ، وكانت هذه النقطة الأولى لظهور بوادر التصوف في حضرموت، فبمقدم العلويين في القرن الرابع بدأ ظهور عقائد التصوف في مجتمع لا يعرف تلك العقائد، وكان السائد في حضرموت قبل قدومهم المذهب الإباضي^(١) بجانب المذهب الشافعي^(٢).

فهذا السبب أهم الأسباب التي أدت لوجود التصوف بحضرموت، والذي قعده الفقيه المقدم^(٣) فيما بعد، وينشوء هذا المذهب الدخيل أظلمت بلاد حضرموت ورزئت بهذه النحلة التي يعاني أهل حضرموت من آثارها إلى يومنا هذا.

٢ - التأثير بالصوفية في البلدان الأخرى؛ لوجود اتصالات مع أولئك

= تواضعاً - كما يزعم - انظر: غرر البهاء الضوي، ودر الجمال البديع البهي، لمحمد بن علي بن علوي بن خرد باعلوي (ص ٧٥). وهذا من جهل الصوفية بمعنى التواضع الشرعي، حيث يتركون أحب الأسماء إلى الله تعالى الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن...» الحديث أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. إلى غيره من الأسماء يزعم التواضع المخالف لهذا الحديث.

(١) الإباضية: من فرق الخوارج، تنتسب إلى عبد الله بن إباض التميمي، الذي خرج في أيام مروان بن محمد، توفي عبد الله بن إباض سنة ٨٦هـ، ومن بدع الفرقة الإباضية: أن مرتكب الكبيرة كافر، كفر نعمة وهو في الآخرة مخلد في النار، ويرون أن الرجل إذا وطئ زوجته وهي حائض، حرمت عليه على التأبيد، ولهم مقولات منحرفة أخرى. والإباضية عدة فرق، منها: الحفصية، نسبة لحفص بن أبي المقدم، والحارثية أصحاب الحارث الإباضي. واليزيدية، نسبة إلى إمامهم يزيد بن أنيسة. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٠٢ - ١١١)؛ والملل والنحل (١/ ١٣٤ - ١٣٦)؛ والفرق بين الفرق (ص ٧٠ - ٧٤)؛ والبرهان للسكسكي (ص ٢٢ - ٢٣).

(٢) عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، لعبد الرحمن بن جعفر بن عقيل (ص ٣٧). وانظر: أدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد بن أحمد الشاطري (١/ ١٦٣).

(٣) هو محمد بن علي باعلوي اشتهر عند القوم بالفقيه المقدم وبالأستاذ الأعظم، مؤسس التصوف بحضرموت، وقد غلا فيه قومه وقدموه على شيوخهم ومعظميهم، وقد ذكروا له الخوارق والكرامات، وكثير من الشطحات والضلالات منها قوله: أنه الله، وله مراسلات لبعض الصوفية من خارج حضرموت. توفي بتريم سنة ٦٥٣هـ. انظر في ترجمته: الجوهر الشفاف (١/ ٥٧)؛ والغرر (ص ١٤٥)؛ والمشروع الروي (٢/ ٢)؛ وشرح العينية (ص ١٤٥، ٣٦٣).

المتصوفة، حيث قدم وفد أبي مدين المغربي الشاذلي^(١) إلى حضرموت لنشر التصوف كما سيأتي.

٣ - انتشار كتب الصوفية ككتب الغزالي وأشهرها كتاب «إحياء علوم الدين» - وكتب أبي طالب المكي، والرسالة للقشيري وغيرها. ثم إنه بتصوف الغزالي استطاع أن يمزج بين علوم الشريعة والتصوف مما خفف حدة الخلاف بين الفقهاء والصوفية^(٢).

٤ - العلاقة والتواصل بين حضرموت وبعض بلدان اليمن، وأكثر التواصل كان مع بلاد زبيد^(٣) وتهامة^(٤) والتي دخل فيها التصوف قبل حضرموت، فقد كان الصوفي الكبير قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم (باجابر)^(٥) - وهو من أبناء مدينة بروم الواقعة غربي المكلا بحضرموت - يتردد

(١) هو شعيب بن الحسن المغربي، الأنصاري الأندلسي، التلمساني، أبو مدين، صوفي. أصله من الأندلس، وأقام بفاس، وسكن بجاية، له مؤلفات منها: أنس الوحيد ونزهة المرید في علم التوحيد، وحكم أبي مدين، والحكم. توفي بتلمسان سنة ٥٩٤هـ. انظر: السير (٢١/٢١٩)؛ وطبقات المالكية (ص١٦٤)؛ ومعجم المؤلفين (١/٨١٥).

(٢) انظر: عمر بامخرمة السياني حياته وتصوفه وشعره، لعبد الرحمن بن جعفر بن عقيل (ص٣٥ - ٣٦).

(٣) زبيد: بفتح الزاء وكسر الباء مدينة يمنية قديمة مشهورة، أحدثت أيام المأمون، وهي تقع على وادي زبيد قرب البحر الأحمر في أقصى الجنوب الغربي من اليمن، وقد نسب إليها جماعة من العلماء منهم: أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي، ومحمد بن مرتضى الزبيدي - صاحب تاج العروس في اللغة - وغيرهما. انظر: معجم البلدان (٣/١٣١)، ط ١٣٩٧هـ؛ وموسوعة البلدان العربية والإسلامية، للشامي (ص١٣٥).

(٤) تهامة: بكسر التاء، من بلاد اليمن، وهي ما أصحر منها إلى باديتها، سميت بذلك لشدة حرها، وهي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب، ويقال له غور اليمن. وتهامة واسعة من جنوب اليمن ما بين الشرق والغرب ومن غربي اليمن، ما بين الجنوب والشمال على مسافة شهر أو يزيد، فيدخل في اسم تهامة نواحي عدن وأبين ولحج الواقعة جنوب اليمن. وتهامة الغربية من باب المنذب جنوباً إلى حدود الحجاز شمالاً. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/٦٣)، ط ١٣٩٧هـ، دار صادر؛ ومجموع بلدان اليمن وقبائلها، جمعه: المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري اليمني (١/١٥٦ - ١٥٧).

(٥) هو مزاحم بن أحمد بامزاحم (باجابر) من أعيان القرن التاسع، أخذ عنه عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨١٩هـ، وكان السقاف يثني عليه ويسميه بالشيخ الكبير توفي سنة ٨١٧هـ =

إلى مدينة زبيد للاجتماع بالصوفي الكبير إسماعيل الجبرتي^(١) المتأثر بمدرسة ابن عربي الصوفي مما يؤكد العلاقة والتواصل بين حضرموت وتهامة اليمن في الجانب الفكري والعلمي^(٢)، وكان سفيان اليمني^(٣) من كبار صوفية أبين^(٤) ولحج^(٥) قد زار حضرموت في نهاية القرن السادس والتقى بعلمائها وأخذوا عنه وأخذ عنهم، يقول علي بن أبي بكر السكران^(٦): «التقى بالفقيه المقدم

= ببروم، وعلى قبره قبة صغيرة إلى جوار المسجد الجامع. انظر: الجوهر الشفاف (الحكاية ٣٠٤) (٢/٥٣)؛ وتاريخ حضرموت المعروف بتاريخ سنبل (ص١٦١)؛ وإدام القوت (ص١٠٧ - ١٠٨)، ط المنهاج.

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي نسبة إلى جبرت، وهي بلدة في اليمن، شيخ صوفية اليمن في عصره، ولد سنة (٧٢٢هـ)، له دور كبير في نشر التصوف في اليمن وكان من المروجين لمؤلفات ابن عربي، أسس طريقة صوفية قائمة على أفكار ابن عربي، وكان له نفوذ ومكانة لدى السلاطين بني رسول، حكام اليمن في وقته، توفي سنة (٨٠٦هـ). انظر: إنباء الغمر، لابن حجر (٥/١٦٣)؛ والفكر الصوفي عند الجيلي (ص٣٧).

(٢) انظر: الفكر والثقافة في تاريخ حضرموت، لكرامة بن سليمان بامؤمن التريمي (ص٢٥٤).

(٣) هو سفيان بن عبد الله الأبيني اليمني، أبو محمد الصوفي، صاحب الحوطة المشهورة بلحج، وينسب إلى أبين - إحدى بلدان اليمن -، كان من كبار الصوفية الذين رحلوا إلى بلدان عديدة لنشر التصوف، وأولع المتصوفة بذكر كرامات له جلها خيالية. وكانت وفاته بمدينة لحج سنة ٦١٠هـ. انظر: طبقات الخواص، للشرحي (ص١٤٦ - ١٤٩) الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الدار اليمنية، توزيع: دار المناهل - بيروت؛ وتاريخ ثغر عدن، للطبيب بامخرمة (ص١٢٥) الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، اعتنى به علي بن حسن الحلبي، دار الجيل - بيروت، دار عمار - عمان؛ وهداية الأخيار، للهدار (ص٥٣٤)، وقد ترجم له استقلالاً حامد الحداد بكتاب سماه (الجواهر الحسان في ترجمة الشيخ سفيان).

(٤) أبين: يفتح أوله ويكسر بوزن أحمر، وهو مخلاف مشهور على ساحل البحر الهندي شرقي عدن أبين، إليه نسب عدن أبين للفرق بينها وبين عدن لاعة. ويقال: إنه سمي بأبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ وهي الآن إحدى محافظات اليمن الموحد. انظر: معجم البلدان (١/٨٦)، ط دار الفكر، ومجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (١/٥٥).

(٥) لحج: بالفتح وسكون الحاء المهملة وجيم مدينة مشهورة على مقربة من عدن وأبين، ولها أودية. وتشتمل على قرى ومزارع ونخيل. وهي الآن إحدى محافظات اليمن. انظر: معجم البلدان (٥/١٤)، ط دار الفكر؛ ومعجم بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (٤/٦٧٧).

(٦) هو علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف، ولد بمدينة تريم سنة ٨١٨هـ، وتفرغ لعلوم الصوفية ورحل إلى عدن فأخذ عن أبي شكيل وغيره وتوفي سنة ٨٩٥هـ، من مؤلفاته: =

في أول فتحه، ومبتدأ كشفه، فحصل بينهما مذكرات، وانبساطات واستمد كل واحد منهما من صاحبه مدداً عظيماً، ونيلاً جسيماً ونفعاً جليلاً^(١).

واستمرت علاقة الفقيه المقدم مع سفيان اليميني بعد ذلك، ولم تنقطع، يقول علي السكران: «ثم رحل الشيخ سفيان إلى اليمن، وبعد ذلك أرسل الفقيه محمد بن علي إلى الشيخ سفيان بكتاب لطيف، وفيه كلام شريف من أسرار الحقائق، وغرائب من الكشف الخارق، وعجائب من دقائق العلوم اللدنية، والأنوار الغيبية، والفتوحات الإلهية، والأنفاس الربانية فأتى الجواب من الشيخ سفيان اليميني إلى الشيخ جمال الدين محمد بن علي وقال: هذا شيء لم تبلغه أحوالنا فنصفه لك^(٢)».

ولا شك أن لهذه الزيارات واللقاءات مع الصوفية في البلدان الأخرى دور في تطور التصوف في حضرموت وانتشاره، لا سيما في مجتمع يسوده الجهل والانقسامات وتعاقب الدول عليه التي سببت عدم الاستقرار واضطراب الأحوال في ذلك المجتمع سواء كان بكثرة الحروب، أو المنازعات بين الدول التي حكمت حضرموت، وغير ذلك مما أخل بالاستقرار، وقيام بعض الدول بنصرة التصوف إلى جانب المذهب الأشعري^(٣).

ولقاء أهل حضرموت مع كبار الصوفية كان قد مهد لدخول التصوف ومعرفة الصوفية خارج حضرموت، ولذا اقتنى القوم كتب كبار الصوفية كابن عربي، والحلاج ودعوتهم للاهتمام بها، وتعظيم أهلها، والتي كان لها الأثر

= معارج الهداية إلى ذوق جني ثمرات المعاملات في النهاية في التصوف قسمه على فصول، والبرقة المشيقة، انظر: المشرح الروي (٢/٢١٥)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/٧٨)؛ وعقد اللآل (ص ٥٢)؛ وعقد اليواقيت (٢/٩٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٣٤).

(١) البرقة المشيقة (ص ١١١). وانظر: تاريخ ثغر عدن (ص ١٢٥).
(٢) البرقة المشيقة (ص ١١١). فما هو الحال والسر الذي لم يستطع سفيان الأيبني أن يصفه؟ وهذا دأب القوم في إخفاء شيء ما عن الناس، وسيأتي أن مما يخفونه القول بوحدة الوجود، والله المستعان.

(٣) مثل الدولة الراشدية. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/١٧٢).

البارز على بعض صوفية حضرموت القائلين بوحدة الوجود.

٥ - عدم فهم كثير من أهل حضرموت الدين الإسلامي فهماً صحيحاً، كما فهمه سلف الأمة؛ فخالقوا ما جاء به النبي ﷺ قولاً وفعلًا واعتقاداً، ولم يقوموا بما أمر به ﷺ ولم يجتنبوا ما نهى عنه وزجر، فانصاعوا وراء آراء مشايخهم وعلمائهم التي تخالف الحق الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ، فانتشر الجهل لعدم وجود العلماء الربانيين المتصلين في علوم الكتاب والسنة لبيان الحق والرد على من خالفه.

٦ - انتشار الظلم والجور والفساد في حضرموت في القرن السابع الهجري مما دفع بمشايخ تلك الجهة إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم، ومنهم من هاجر إلى اليمن الأعلى لطلب العلم بزيد، لقلّة المعارف والعلماء المحققين بحضرموت لانشغالهم بالحروب، ولما آلت الأمور إلى الهدوء، وكثرت الخيرات والمسرّات، وضع هؤلاء المشايخ السلاح وتركوه زهداً في الشر وأسبابه، وظهرت لذلك الطرق الصوفية والتحويط^(١) في كثير من مدن حضرموت^(٢)؛ أي أن الظروف الاجتماعية والثقافية التي كانت في حضرموت كان لها دور واضح في توجه البعض نحو التصوف، فالإباضية من جهة، والحروب القبلية من جهة أخرى، فرأوا أن التصوف - بزعمهم - طريق يبعدهم عن الفتن، لذا كسر الفقيه المقدم سيفه إشارة إلى ترك السلاح والقبلية ولزوم طريق الصوفية^(٣).

(١) التحويط عند صوفية حضرموت نسبة للحوطة - بفتح الحاء والطاء وسكون الواو -: هو الموضع الذي يختطه المنصب أو أحد المعتقدين ويحوطه ويعلن بأنه أصبح حرماً آمناً على الدوام لا يمكن فيه قتل ولا نهب أو غير ذلك، فهي الأرض التي يحوطها أحد أولياء الصوفية أو مشايخهم في حضرموت فمن لاذ بها فقد أمن من أعدائه، لما لها من الحرمة عند القبائل والسلطين فلا يجوز فيها قتل ولا قتال ولا غير ذلك من الجرائم، وهي في حقيقتها توسع دائرة نفوذ القطب الصوفي. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (٢/٢٩١)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢١٨).

(٢) انظر: جواهر تاريخ الأحقاف، لمحمد بن علي باحنان (٢/١٣٤ - ١٣٥). صححه وأشرف عليه عبد الله محمد الدبوي، مطبعة النهضة الجديدة بمكة، ط ١، ١٣٨٢ هـ.

(٣) انظر: الجوهر الشفاف (١/٨١ - ٨٢)؛ والمشرح الروي (٢/٤ - ٥).

وكان العلويون ممثلين بأستاذهم الفقيه المقدم، الذي ترك السلاح واتجه للتصوف من المتوغلين في التصوف؛ فتصدر الفقيه المقدم الزعامة الدينية عندهم، فأتى بشطحات وانحرافات ساهمت في فتح باب الغلو في الأشخاص، وكذا التوسع في الانحرافات العقدية التي يقوم عليه دين الصوفية كما سيأتي.

٧ - قلة مؤلفات أهل السنة في تلك الجهة، وعدم انتشارها مع كثرة وجود مؤلفات الصوفية والأشاعرة^(١) وغيرهم من أهل البدع، فقلّ الاهتمام بكتب العقيدة السلفية وكان جُلّ الاهتمام بكتب الأشاعرة وأقوال الفقهاء، أما ما يتعلق بالمعتقد الصحيح فلا يدرس في أربطة^(٢) الصوفية ولا في غيرها.

٨ - نزعة الزهد الخاطيء لدى متصوفة حضرموت، حيث دعوا إلى التزهيد في كتب السلف والاهتمام بكتب الصوفية التي يزعمون أنها تعالج أدواء القلوب المعنوية، والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل في دائرة الإسلام السمحاء^(٣)، فيترقى الشخص بذلك - بزعمهم - للمنازل العالية؛ لأن

(١) الأشاعرة: فرقة كلامية ظهرت في القرن الرابع، وتتسب للإمام أبي الحسن الأشعري رحمته الله في طوره الثاني وهو طوره الكلاسيكي لأن الإمام الأشعري مر بثلاثة أطوار: مرحلة الاعتزال، وطور سلك فيه مسلك ابن تكلاب، وطور نهج فيه منهج السلف، مع وجود شوائب من شوائب المعتزلة لم يتخلص منها. والحق أن المنتسبين للأشعري اليوم أشاعرة كلامية، وهؤلاء يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط لأن العقل دل عليها وهي: العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة. وإثباتهم لهذه الصفات لا كإثبات السلف وإنما لهم فيها تخبطات كقولهم في الكلام بأنه المعنى القائم بالذات ويستحيل أن يفارقه، والعبارات والحروف دلالات على الكلام الأزلي، فحقيقة قولهم فيه هو قول المعتزلة القائلين بخلق القرآن.

والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب والعمل والإقرار من فروعه لا من أصله. انظر: رسالة في الرد على الرافضة، لأبي حامد المقدسي (ص ١٦٦)؛ والفوائد المجمعة في بيان الفرق الضالة المبتدعة، لإسماعيل بن عبد الباقي اليازجي (ص ٣٣ - ٣٤)؛ والفرق الكلامية (المشبهة - الأشاعرة - الماتريدية)، نشأتها وأصولها وأشهر رجالها وموقف السلف منها، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل (ص ٤٩ وما بعدها).

(٢) الأربطة جمع رباط، وهو من مراكز الصوفية وسيأتي الكلام عليها. انظر (ص ٩٧٧) من هذا البحث.

(٣) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٦٣).

الدين عندهم شريعة وحقيقة، والمعول عندهم الحقيقة، وأما الشريعة فإنها في نظرهم لا يهتم بها إلا العوام ومن ليسوا من أهل الحقيقة، وطبق القوم هذه الفكرة من خلال المؤلفات في ذلك، والإشادة بذلك في دروسهم وزياراتهم لبلدان حضرموت، مما غرّر الكثير من الناس، لجهلهم بالتصوف وما اشتملته كتبه من الانحرافات لذا انجرف الكثير منهم إلى التصوف والأخذ عن مشايخ الصوفية.

٩ - الانعزال وظهور الخلوات والاعتكاف على الأذكار، والأوراد المبتدعة، وعدم تعليم الناس الحق مما جعل كثيراً من الناس في حضرموت في فترات من الزمن لا يعرفون إلا التصوف.

١٠ - نظر العلويين لأنفسهم بالفخر والزهو لنسبهم وحسبهم الشريف المنتمي إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهذه المكانة لعبت دوراً كبيراً في التربع في السلم الاجتماعي بحضرموت، والوصول لقمته، وكان لظهور الفقيه المقدم دور كبير في ذلك، فقد استطاع الوصول إلى المكانة الروحية في قلوب الناس بدلاً من حمل السلاح^(١)، فرأى في السيف الذي يحمله رمزاً للسلب والنهب، والقتل، والإجرام وللتخلص من ذلك أعلن توجهه إلى طريق الزهد والتصوف ونبد السيف واستبدله بالعكاز، وصرف النظر عن الزعامة القبلية والسياسية، ودعا أتباعه العلويين إلى سلوك التصوف والسير على طريقته لأنها أسلم لهم^(٢).

وكان سبب بروز أثر دعوة الفقيه المقدم في حضرموت هو مكانته عند السادة العلويين، وصرفه الناس عن الصراعات القبلية والتوجه للحياة العلمية والثقافية والتصوف والاكتفاء بالسيطرة الفكرية، والحفاظ على الواجهة في المجتمع واكتسابه لبعض المدن والقرى والتي عُرفت فيما بعد بالحوط وتعتبر حصانة روحية للعلويين، كما أثرت دعوة الفقيه المقدم على بعض الوجهاء في

(١) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٦١ - ٦٢).

(٢) انظر: عمر بامخرمة السباني حياته وتصوفه وشعره (ص ٣٧ - ٣٨). بتصرف يسير.

حضر موت والذين يسمون بالمشايخ^(١)؛ فقد كانوا أعلى طبقة في حضر موت قبل مقدم العلويين من العراق، فدخل هؤلاء المشايخ في التصوف، ولم يخشوا التعبير بالجبن ما دام قد سبقهم إلى ذلك الفقيه المقدم^(٢).

وينبئ هنا إلى أن المجتمع الحضرمي قائم على نظام طبقات، ويأتي في أعلى هذا الهرم طبقة العلويين ويسمون (السادة) لا سيما فئة المناصب منهم، وفئة التسلط وسلاحها: القوة ويمثلها: القبائل، وفئة التمسك وسلاحها: العمل ويمثلها: المساكين^(٣).

١١ - انغلاق بلاد حضر موت حول نفسها، فقد كانت بعيدة عما يجري في العالم من أحداث، ولا سيما بعدها عن الدعوات السلفية وعلمائها الأكابر الذين كان لهم دور في الرجوع بالامة إلى مذهب السلف الصالح والأخذ من المنبع الصافي للمسلمين وهما الكتاب والسنة الصحيحة، والتي كان آخرها دعوة شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب السلفية الإصلاحية، التي لعبت دوراً عظيماً في تصحيح العقائد وحاربت الشرك والبدع في الأماكن التي وصلتها هذه الدعوة المباركة، ورغم وصول بعض دعائها إلى حضر موت في وقت ظهورها، ولكن هذه الفترة كانت قصيرة ومع ذلك فقد اتبعتها بعض مريدي الخير في بعض مناطق حضر موت كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) المشايخ إحدى الفئات الاجتماعية التي يتكون منها السلم الاجتماعي في حضر موت، وقد كانت لهم المكانة والزعامة الدينية قبل قدوم العلويين من العراق، ومن العائلات التي تنسب إلى المشايخ: آل العمودي، وآل باعباد، وآل بافضل، وآل الخطيب وآل باحرمي... إلخ. قال عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في «إدام القوت» (ص ٣٨٣)، ط الإرشاد: «وفي الحكاية ٢٤٩ من الجوهر الشفاف ما يعرف منه أن جاء آل باعباد كان أضخم من جاء العلويين».

(٢) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/٣٠٥)؛ «عمر بامخرمة السباني حياته وتصوفه وشعره» (ص ٣٩).

(٣) انظر: الفكر والمجتمع في حضر موت (ص ٥٨ - ٥٩).

المبحث الأول

بدء دخول التصوف إلى حضر موت

• رتبته مطالب:

تمهيد: حال حضر موت قبل دخول التصوف

حضر موت من البلدان الإسلامية التي دخلها الإسلام مبكراً - كما تقدم -، وكان أهلها منذ ظهور الإسلام فيها على السنة ولم يعرفوا البدع التي ظهرت فيما بعد، وكان لهذا القطر منذ فجر الإسلام شأن كبير تمثل ذلك في إرسال النبي ﷺ عدداً من الصحابة للقيام بمهام الدولة الإسلامية، وقام هؤلاء الصحب الكرام بنشر العلم والإيمان في ربوع تلك البلاد، ومن أولئك: زياد بن لبيد الأنصاري ﷺ^(١)، وعكاشة بن ثور ﷺ^(٢)، وعكاشة بن ثور ﷺ^(٣)، وعكاشة بن ثور ﷺ^(٤).

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري البياضي، من بني بياضة بن عامر بن زريق. خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة فكان يقال لزياد: مهاجري أنصاري. شهد العقبة، ويدرأ، وأحدأ، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله رسول الله ﷺ على حضر موت. مات في أول خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب (٢/٥٣٣)، بتحقيق الجاوي، ط ١، ١٤١٢هـ، دار الجيل.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٠٤، ٢٤٧، ٣٠٠، ٣٥٢)؛ والاستيعاب في تمييز الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي بهامش الإصابة في تمييز الصحابة (١/٥٦٤)؛ مطبعة السعادة بالقاهرة، ودار صادر بيروت ط ١، ١٣٢٨هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (١/٨٥٥)، ط ١، ١٣٢٨هـ - مصر.

(٣) هو عكاشة بن ثور بن أصغر القرشي، كان عاملاً لرسول الله ﷺ على السكاسك والسكون وبني معاوية من كندة. قال ابن عبد البر: ذكره سيف بهذا، ولا أعرفه بغير هذا. الاستيعاب (ص ٥٨٥)، ط الأعلام.

(٤) تاريخ الطبري (٢/٢٤٧، ٢٧٠/٣)؛ والاستيعاب (ص ٥٨٥)، ط الأعلام؛ والإصابة (٤/٥٣٣). وقال الإمام الطبري في تاريخه بسنده: «عن عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري =

وهكذا استمر الحال في حضرموت على الإسلام الصافي، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ لفترة طويلة من الزمن.

يقول الشلي^(١): «وكان أهل حضرموت يشتغلون بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية»^(٢).

وقال في موضع آخر عن العلماء والصلحاء المتقدمين في حضرموت: «إلا أن كثيراً منهم لا يُعرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور»^(٣).

قال ابن عبيد الله معلّقاً على كلام الشلي: «فإنه من أنصع الأدلة على تمسكهم بالسنة»^(٤).

ويوضح المؤرخ محمد بن علي باحنان^(٥) كثرة الفقهاء عند قدوم المهاجر

= السلمي، وكان فيمن بعث النبي ﷺ مع عمال اليمن في سنة عشر بعد ما حج حجة التمام، وقد مات باذام فلذلك فرق عملها بين شهر بن باذام، وعامر بن شهر الهمداني، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص والطاهر بن أبي هالة ويعلى بن أمية وعمرو بن حزم وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي على السكاسك والسكون ومعاوية بن كندة، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين اليمن وحضرموت.

(١) هو محمد بن أبي بكر الشلي، ولد بحضرموت سنة ١٠٣٠هـ، وأخذ عن علمائها في التصوف والفقه، وكان أكثر تنقله بين مدينة تريم وظفار بحضرموت آنذاك، ثم رحل إلى الهند والحجاز واستقر في مكة، من مؤلفاته: المشرح الروي، والسناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، وكتاب عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، ورسالة في علم الميقات. توفي بمكة سنة ١٠٩٣هـ. انظر: المشرح الروي (١٧/٢)؛ وخلاصة الأثر (٣٣٦/٣)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٥٦٩).

(٢) المشرح الروي (٥/٢). (٣) المصدر السابق (١٤٦/١ - ١٤٨).

(٤) إدام القوت (ص ٤٣٠)، ط الإرشاد.

(٥) هو محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكين باحنان، ولد بمدينة عينات سنة ١٣١٤هـ وأخذ عن الحسن بن إسماعيل الحامد وتوفي سنة ١٣٨٣هـ من مؤلفاته: جواهر تاريخ الأحقاف، والقول الشاف في تاريخ الأحقاف، والفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة، انظر: مقدمة كتابه جواهر تاريخ الأحقاف ص (ك) وياقات الرياحين، للهدار (ص ٩٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي (ص ٥٥٥ - ٥٥٦).

إلى حضرموت بقوله: «وكان بتريم إذ ذاك ثلاثمائة مفت»^(١).

وكذلك فقد تضافرت القول على أنه وجد بتريم ثلاثمائة مفت في عصر واحد^(٢).

وكان لنهضة بغداد العلمية؛ والبحث في المسائل الدينية صدى عظيم في حضرموت وأثر حسن من الحضرميين، فقد ذكر المؤرخون دور بعض العلماء الذين خرجوا من حضرموت إلى العراق لتلقي العلم أمثال سالم بافضل^(٣) الذي مكث أربعين سنة يطلب العلم بالعراق فعاد إلى حضرموت بأحمال الإبل من الكتب فأحيا العلم بحضرموت بعد أن كاد أن يندرس^(٤).

وكذلك بدأت الحركة العلمية في تريم ومنها تسربت إلى شبام فإلى الهجرين ثم إلى الشحر^(٥)، وكانت تلك الحركة في بدايتها تخطو خطوات بطيئة، وكان العلماء ينشرون علومهم في صورة محاضرات ومواعظ يلقونها في المساجد، وازدادت الحركة العلمية وأقبل عليها الناس، فبدأوا يُنشئون مكاتب خاصة للتعليم في سيئون، والغرفة، وشبام، وهينن، والهجرين، ودوعن والشحر^(٦)، فكان طلبة العلم يؤمّون مدينة تريم من كل أنحاء حضرموت ومن

(١) جواهر تاريخ الأحقاف (١/١٠٤).

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (ص ٦٣٨).

(٣) هو سالم بن فضل بن محمد بن عبد الكريم بافضل، من علماء حضرموت، أخذ عن علماء عصره وارتحل إلى مكة والعراق واتصل بال محدث محمد بن علي القلعي صاحب مرباط. من آثاره: القصيدة الفكرية في التفكير في خلق الله، توفي سنة ٥٨١هـ. انظر: صلة الأهل (ص ٤٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ١١٢).

(٤) انظر: إدام القوت (ص ٤٩٢).

(٥) الشحر: إحدى مناطق ساحل حضرموت، وهي أكبر مديريات حضرموت وتضم أربعة مراكز متباعدة الأطراف وهي: الديس الحامي، والريدة، وقصيعر، وغيل بن يمين. وتقع الشحر على سطح متسع من الشاطئ الذي ينحدر تدريجياً إلى البحر. انظر: إدام القوت (حاشية ص ١٦٦).

(٦) سيئون، والغرفة، وشبام، وهينن، والهجرين، ودوعن: هذه كلها من مناطق وادي حضرموت.

الغرفة: قرية بأعلى حضرموت، ذات نخيل ومزارع، أشهر سكانها آل باعباد وهم الذين بنوها.

عدن^(١) وصنعاء وزبيد، وكان العلماء والأدباء على وفاق، متبعين الكتاب والسنة بعيدين عن خرافات الصوفية وشركياتها من تبرك وتوسل واستغاثة^(٢)، حتى أنه قد وجد بتريم خاصة كثير من العلماء والفقهاء، يقول الشلي: «كان السادة»^(٣) في مدة استيطانهم ببيت جبير^(٤) يكتشرون الدخول إلى مدينة تريم ويترددون في أرجائها... وجدوا في تريم من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهم والألباب، ما شغلهم عن الأهل والوطن، وأذهلهم عن كل خل صفي وسكن، فتدانوا منها وعانقوها ولا عناق العاشقين»^(٥).

ورغم هذه الحركة العلمية التي شهدتها حضرموت وما أنجبته من علماء إلا أنه: «يؤخذ على هؤلاء العلماء أنهم لم يهتموا بالتدوين كثيراً ولم يؤلفوا

وهين: تقع غربي القطن وتعد من أعمالها. والهجرين: مدينة قديمة، بها آثار ترجع إلى العصور الحميرية القديمة، ويحيط بها واد خصيب، ويقع في حضن جبل فارد جاثم على الأرض كالجمال المبارك من غير عنق، تحف بسفوحه النخيل من كل جانب. ويسكنها عدد من العلويين والمشايخ وبعض القبائل، وأما دوعن فمن أودية حضرموت الرئيسة، ويشكل مديرية كبيرة، ذات مساحة واسعة، ويقع أعلى وادي حضرموت الرئيس.

وسيثون: زنة: زيدون بعضهم يكتبها بواو واحدة وبعضهم بواوين، وهي من البلدان القديمة، وتعتبر أكبر بلدان وادي حضرموت، وهي الآن عاصمة المحافظة، تبعد عن شبام شرقاً نحو (١٨) كيلو متر، وعن تريم غرباً نحو (٣٤) كيلو متر. انظر: إدام القوت (حاشية ص ١٦١)، وانظر (ص ٣٠٥ مع الحاشية)، (٤١٠، ٤٥٦، ٦١٠، ٦٧٤ مع الحاشية)، ط المنهاج.

(١) عدن بالتحريك وآخره نون وهو من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به وبذلك سميت عدن، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ويقال لها عدن أبين نسبة إلى أبين الحميري. وهي من أعظم ثغور اليمن، يحيط بها سلسلة جبال من خلفها البحر، ولها طريق إلى البحر من بطن الجبل منحوتة بزبر الحديد من قديم الزمان، وبها مخازن الماء المطر النازل من الجبل المعروف بالصهاريج وهي قديمة جداً. انظر: معجم البلدان (٨٩/٤)؛ ومعجم بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (٥٨٢/٣).

(٢) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح بن عبد القادر البكري (ص ٧٥ - ٧٦).

(٣) السادة: من الألقاب التي تطلق على العلويين الذين قدموا حضرموت، فهي بمعنى الأشراف عند غيرهم.

(٤) بيت جبير: واد واسع كان كثير المياه والأنهار بحضرموت الداخل باتجاه تريم، وأكثر مسمى وادي بيت جبير يدخل بين الجبل الذي في طريقه إلى الصومعة والجبل الشرقي الذي يحاذيه. انظر: إدام القوت (ص ٨٤٤ - ٨٤٥) ط المنهاج.

(٥) المشرع الروي (١٢٨/١).

الكتب مع سعة علومهم ومقدرتهم على الكتابة ولو فعلوا لكان فضلهم عظيماً ومعروفهم جسيماً»^(١).

وقد وجدت فرقة الإباضية في حضرموت قبل ظهور التصوف، والتي مكثت بها مدة طويلة، واتخذت لها قاعدة في مناطق محددة من حضرموت مثل شبام وقد كان آخر عهدهم بحضرموت باستيلاء الصليحي^(٢) على حضرموت، فما لبث بعدها أمداً بعيداً بل ذهبت في سبيلها إلى التلاشي فالانقراض^(٣).

ووجود الخوارج بحضرموت كان قديماً حيث إن أول اتصالهم بحضرموت كان في بداية النصف الثاني من القرن الأول من الهجرة، حين بعث أتباع نجدة بن عامر الحنفي الخارجي^(٤) المتغلب على اليمامة^(٥) والبحرين بأنصارهم إلى حضرموت سنة ٦٦ هـ، لقبض الصدقة للفرقة النجدية - نسبة إلى نجدة بن عامر المذكور -، وهذا الاتصال كان سبباً لتلقي نحلة الإباضية بالقبول، بالإضافة إلى تردد أبي حمزة المختار^(٦) على مكة ودعوته للثورة على

(١) تاريخ حضرموت السياسي (٧٦/١).

(٢) هو الأمير منصور بن المفضل الصليحي آخر حكام الدولة الصليحية الذي انتهت دولته سنة ٥٤٧ هـ بشراء محمد بن سبأ الزريعي منه جميع ما تحت يده من الحصون والمدن. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (١/٣٦٠).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (١/٣٦٠ - ٣٦١).

(٤) هو نجدة بن عامر الحنفي، الحروري، رأس الفرقة النجدية من الخوارج، من أصحاب الفتن في صدر الإسلام، وتسمى فرقته النجدات. قتله أصحابه بعد أن اختلفوا عليه، وقيل ظفر به أصحاب ابن الزبير فقتلوه سنة ٦٩ هـ. انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٣/٣٩٧)، ط ٤، دار الكتاب العربي؛ وشدرات الذهب (٧٦/١)، ط دار الأفاق الجديدة - بيروت.

(٥) اليمامة: من بلاد نجد، طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وكان فتحها وقت قتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ هـ حيث فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جواً والعروض بفتح العين، وكان اسمها قديماً جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. قال أهل السير: كانت منازل طسم، وجديس اليمامة، وكانت تدعى جوا وما حولها إلى البحرين ومنازل عاد الأولى. انظر: معجم البلدان (٥/٤٤٢).

(٦) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلمي البصري، خارجي، بايع عبد الله بن يحيى =

الحاكم مروان بن محمد الأموي وإلى اعتناق المذهب الإباضي، فاتصل سنة ١٢٨هـ بعبد الله بن يحيى الكندي^(١) من أهل حضرموت فأقنعه بأفكاره فاستحسنها الكندي، ودعا إليها أهل حضرموت فأعلن ثورته على بني أمية فكان هذا أول وجود للمذهب الإباضي بحضرموت وذلك في حدود سنة ١٢٩هـ^(٢).

ولكن هؤلاء الإباضية لم يكن لهم التأثير الديني الكبير لكراهية الناس لهم، ولانشغالهم كذلك بالحروب والثورات، وعدم التعويل على العلم والدعوة، بخلاف الصوفية التي دعت إلى التصوف وألفت المؤلفات في ذلك كما سيأتي.

وكانت الإباضية منتشرة في عصر أحمد المهاجر، حيث ذكر بعض المؤرخين أن هناك خلافاً كان قائماً بينه وبينهم، يقول باحنان: «وقد كان الخلاف في المذهب والعقيدة بين المهاجر والإباضية سبباً في عدم استطاعة المهاجر سكنى المدن الكبرى في حضرموت؛ كشبام، وتريم مثلاً فقد كانت تزخر بعلماء الإباضية وذوي الرأي والقوة منهم، فكان يختار القرى التي يمكن أن يجد فيها أنصاراً من السُّنَّيين والشيعة كقرية الجبل^(٣) في دوعن،

= على الإمامة والخروج على بني أمية، وأدخل أهل حضرموت في قتال مع الدولة الأموية، استولى أبو حمزة وأصحابه على مكة والمدينة، ولم يدم ذلك لهم فقد أرسل مروان بن محمد الأموي عسكرياً بقيادة ابن عطية السعدي، فقتل عبد الله بن يحيى الكندي الخارجي وبعث برأسه إلى مروان، ثم قتل أبا حمزة في أسفل مكة سنة ١٣٠هـ. انظر: تاريخ الموصل، للأزدي (ص ٨٠)؛ وجواهر تاريخ الأحقاف (١٤/٢ - ٢٢).

(١) هو عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الحضرمي، أبو يحيى، الملقب بطالب الحق، إمام إباضي من أهل اليمن، كان قاضياً بحضرموت، وخلع طاعة مروان بن محمد الأموي، وبويع بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة بعد حروب. تم قتله على يد الجيش الأموي الذي أرسل إلى اليمن وحضرموت سنة ١٣٠هـ. انظر: الجامع (جامع شمل) أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، للمؤرخ: محمد بن عبد القادر بامطرف (ص ٣٤٨).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣٠٢/٢).

(٣) كذا في الأصل، والصواب الجُبيل وهي بلدة صغيرة في حضرموت تقع بالقرب من بلدة =

والهجرين^(١).

دور العلويين في ظهور التصوف في حضرموت:

يعتبر العلويون الذين قدموا حضرموت من العراق في القرن الرابع هم زارعوا بذرة التصوف في حضرموت، حيث قدموا من البصرة وكانوا على مذهب الإمامية الشيعية^(٢) وهو مقارب لمذهب المتصوفة، فالصوفية وليدة الشيعة.

وقد أكثر العلويون التنقل داخل حضرموت يبحثون على مكان ليستقروا فيه حتى وضعوا عصا الترحال في تريم، فجعلوها وطناً لهم، وقد وجدوا في حضرموت عموماً وتريم خصوصاً عدداً كبيراً من الفقهاء قبل قدوم المهاجر، الأمر الذي أذهل العلويين^(٣).

وكان الجاه والمكانة في حضرموت قبل قدوم العلويين للمشايخ، الذين عرفوا بالتفقه في الدين، كما لعبوا أدواراً هامة في تاريخ حضرموت السياسي، والاجتماعي، وتمتعوا ببعض الامتيازات من قبل الحكام، ورؤساء القبائل مثل: الإعفاء من العوائد، ومنح قراهم الأمان^(٤).

والعرف في حضرموت إطلاق لفظ المشايخ على كل فرد من أفراد البيوت - العائلات - التي اشتهر بعض أفرادها بالعلم فأطلق عليه لقب شيخ ثم أطلق على كل أفراد القبيلة^(٥).

= الهجرين. انظر: معجم بلدان حضرموت لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص ١٦٠)، ط الإرشاد.

(١) جواهر تاريخ الأحقاف (٧٣/١).

(٢) انظر: نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر، لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص ٨)؛ وتاريخ حضرموت، لصالح بن علي الحامد (٣٢٣ - ٣٢٥).

(٣) الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ قدوم المهاجر أحمد بن عيسى، لعبد الله بن حسن بلفقيه (ص ١٧). وانظر: إدام القوت (ص ٤٩٣)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص ١٥٧).

(٤) انظر: قيام السلطنة القيعية، لمحمد بن عبد الكريم عكاشة (ص ٢١).

(٥) انظر: عادات وتقاليد بالأحقاف، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص ٤٠). مطبوع بالآلة الكاتبة عام ١٩٧٩م.

ويتنشر المشايخ في معظم مناطق حضرموت وآل باعباد يسكنون الغرفة، وآل العمودي وآل باسودان يقطنون دوعن، وآل إسحاق أسفل شبام وآل باوزير في غيل باوزير، وآل باحميد في أطراف سيئون، وآل الخطيب في تريم وآل باعمر في العجلانية^(١)، فهذه بعض أسر المشايخ، وهناك الكثير من هذه الأسر منتشرة في مناطق حضرموت وبواديها.

لكن العلويين لم يرق لهم هذا الأمر، لا سيما وهم ينتسبون إلى سلالة الرسول ﷺ، فأرادوا صرف الوجوه إليهم، وإظهار مكانتهم للناس، وأخذ السلطة الروحية من المشايخ، فتم لهم ذلك مع مرور الزمن، وصاروا أعلى درجة في السلم الطبقي في حضرموت.

ولم يشتهر العلويون الأوائل بالعلم، لا سيما جدهم أحمد بن عيسى المهاجر الذي قدم حضرموت سنة ٣١٩هـ، وإنما ذكروا عن ابنه عبيد الله، أنه قرأ كتاب قوت القلوب على مؤلفه أبي طالب المكي عندما حج سنة ٣٧٧هـ^(٢).

ويسمي بعضهم مرحلة أخذ عبيد الله التصوف بالمدرسة الذوقية، فيدعون أنه نقل لحضرموت أساليب الذوق في العبارة والطرح وشرح الأحوال من شيخه أبي طالب المكي من غير انتماء معين، ولهذا يقال عنه: أنه أول من تنفس الأنفاس الصوفية بحضرموت^(٣).

(١) العجلانية: من قرى وادي حضرموت، وهي لآل عمر بن جعفر الكثيرين، ويقال إن منها الشاعر عبد الله العجلان النهدي. انظر: إدام القوت (ص ٤٧٥)، ط المنهاج؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٢٧/١ - ٣١).

(٢) انظر: شرح العينة لأحمد بن زين الحبشي (ص ١٣٥). ومن غرائب القوم قول الشاطري في كتابه «سيرة السلف من بني علوي الحسينيين» (ص ٦٨): «عبد الله بن أحمد بن عيسى، وأبو طالب المكي صاحب قوت القلوب كل منهما أخذ عن الآخر». هكذا يضطرب القوم في أخبارهم مع أنه مر علينا كلام ابن عبيد الله السقاف الذي بين فيه أن عبيد الله هذا لم يشتهر بالعلم سوى قراءته كتاب قوت القلوب على مؤلفه.

(٣) الأبنية الفكرية (ص ٣١)، وانظر: بحث بعنوان التحولات التي طرأت على عهد الفقيه المقدم (ص ٣) (مخطوط بمكتبة الأحقاف بحضرموت - قسم التاريخ).

ويوضح ابن عبيد الله السقاف حقيقة صلة عبيد الله بن أحمد المهاجر بالعلم بقوله: «وقد نقلوا عن الياقوت الثمين أن عبيد الله بن أحمد أمّ كبار العلماء مع أنهم لم يذكروا له أثراً من آثار علمه إلا قراءته لقوت القلوب على مؤلفه، وطنطنوا على ذلك على أن لو كان هناك أثر أكبر منه لذكروه وكبروه»^(١).

وفي كلام ابن عبيد الله دليل على أن من وصفوهم بكبار العلماء من المتصوفة؛ لم يعرفوا بالعلم؛ لأن دين الصوفية كله قائم على الجهل وتقديس الأشخاص والبعد عن منهج الكتاب والسنة، بل يؤكد ابن عبيد الله أن كثيراً من العلويين الذين ترجم لهم الشلي في مشرعه لم يعرفوا بالعلم^(٢).

لقد كانت حضرموت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو: عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله وهو من رجال القرن الرابع الهجري. حيث ذكر الشاطري في كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) أن من شيوخه أبا طالب المكي، والذي تلقى عنه علم التصوف، وقرأ عليه كتابه «قوت القلوب» ذلك الكتاب المشهور لدى جميع الصوفية. وذلك لما حج سنة (٣٧٧هـ)^(٣) غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت مع أنه من رجال القرن الرابع، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم الذي كان له الدور الأكبر في نشر التصوف.

ويشير أبو بكر المشهور إلى تصوف جدهم المهاجر حيث قال فيه: «فالمؤسس الأول للمدرسة وتفردتها المنهجي - كما سبق ذكره - هو الإمام المهاجر وكان عصره عصر بذر لهذا التفرد وغرس أولي لمبادئه»^(٤)، وقال أيضاً: «وأما التصوف فلا يبعد أن يكون المهاجر قد تأثر بمعناه كما تأثر ابنه

(١) إدام القوت (ص ٤٣٤)، ط الإرشاد. (٢) المصدر السابق (ص ٤٣٥).

(٣) أدوار التاريخ الحضرمي (ص ١٦٢ - ١٦٣).

(٤) الأبنية الفكرية الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية، لأبي بكر العدني بن علي المشهور (ص ٣٠).

أيضاً الذي حج عام ٣٧٧هـ، واتصل بأبي طالب المكي وقرأ عليه في كتابه (قوت القلوب)، وهو زبدة علم التصوف آنذاك^(١).

ويرى المشهور أن المهاجر هو الذي بعث بولده إلى مكة وأن هذا العمل: «أعظم شاهد على رغبة الإمام المهاجر في اتخاذ قرار فكري جديد في أولاده وأحفاده قبل سائر الناس، فكان الأمر كذلك»^(٢).

ومن هذه النصوص تتضح الصلة بين الشيعة والصوفية، فقد كان أحمد بن عيسى المهاجر - جد العلويين - إمامي المذهب كما ذكر المؤرخون ومنهم اثنان من العلويين أنفسهم وهما: ابن عبيد الله السقاف - مفتي حضرموت -^(٣)، والمؤرخ صالح بن علي الحامد^(٤)، وقد قدم جد العلويين حضرموت منتقلاً بين مناطقها بدءاً من الهجرين في دوعن غرباً إلى الحسيّة^(٥) في وسط حضرموت شرقاً لغاية كبيرة وهي قيام دولة علوية إمامية تحت لوائه ولكن ثمَّ صعوبات واجهته فحالت بينه وبين أمنيته، ومن هذه الصعوبات العصبية القبلية والمذهبية وكذا حب الرئاسة فهو من شيم الرئاسات العشائرية والقبلية في حضرموت^(٦).

ولم يكن السادة أو العلويون ذوي نفوذ روحي فحسب بل كانوا أيضاً من الناحية الذاتية أكبر قبيلة في حضرموت من حيث العدد والثقافة والمال ومثانة العلاقات فيما بينهم والتأثير في مجتمعهم^(٧).

(١) المصدر السابق (ص ٨٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٠). ومن الاضطراب في كلام أبي بكر المشهور أن أحمد بن عيسى المهاجر توفي سنة ٣٤٥هـ فكيف يرسل ولد عبيد الله سنة ٣٧٧هـ لأخذ التصوف من أبي طالب المكي ١؟.

(٣) انظر: نسيم حاجر (ص ٤).

(٤) انظر: تاريخ حضرموت لصالح الحامد (ص ٣٢٣ - ٣٢٥).

(٥) الحُسيّة: بضم الحاء وفتح السين المكررة بينهما ياء مشددة مكسورة، إحدى قرى وادي حضرموت، وهي قرية خارية جهة بلدة بور، وتقع في سفح الجبل الجنوبي المعروف بشعب مُخَدَم على نصف مرحلة من تريم كانت معمورة ثم خربت، وهي القرية التي استقر فيها أحمد بن عيسى - جد العلويين - واستوطنها حتى توفي بها سنة ٣٤٥هـ. انظر: إدام القوت (ص ٧٨٠ - ٧٨١)، ط المنهاج.

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ١٨٤ - ١٨٧).

(٧) انظر: المعلم عبد الحق، لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص ١٢٩).

ويمكن أن يقال الفكر الصوفي في حضرموت: «عبارة عن توليفة فكرية وسلوكية تكونت من تقاطع ثلاثة خطوط فكرية هي: الخط الصوفي العام وهو محور التوليفة، والخط العلوي الإمامي وهو خط شيعي، والخط السني الأشعري الشافعي^(١) وهما الملتفان حول المحور»^(٢).

فهذه هي محاور الفكر الصوفي القائم في حضرموت، والذي صارت له صولة وجولة في فترات مختلفة من تاريخ حضرموت، وقد كان العلويون الأوائل هم السبب الرئيس في زرع نحلة التصوف في حضرموت حيث بدأت بوادره في وقت مبكر؛ وهو القرن الرابع الهجري، مع الغموض الشديد الذي ساد تاريخ حضرموت في فترات مختلفة وكانت الصوفية هي السبب في ذلك، يقول صالح الحامد: «ولا أستبعد أن للروح الصوفية عملها البارز في صرف العلماء والمتورين من رجال الماضي عن الاهتمام بالتاريخ، ومن صرف بعض الوقت في تدوينه، فقد غمرت الموجهة الصوفية الكافة من العلماء والمتورين»^(٣).

مما تقدم يبدو أنه لم تتبين مراحل التدرج في نشو التصوف في حضرموت حتى صار منهجاً له أصوله العقدية المخالفة لمذهب السلف الصالح؛ لكونه مذهب قام على الغموض والأسرار لصلته الكبيرة بمذهب الباطنية، ويعرف ذلك من نظر في كتب التصوف قديماً وحديثاً، حتى أن المستشرق الإنجليزي سارجنت^(٤) لمس ذلك في متصوفة حضرموت فقال:

(١) مما تقدم في تعريف الأشاعرة يتضح أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة، وإنما هي فرقة من فرق المسلمين المخالفة لأهل السنة والجماعة في كثير من الأصول العقدية - كما تقدم. انظر: مجموع الفتاوى (٦/٣١٠)؛ ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/١١٦ - ١١٨).

(٢) الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٥٢).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (١/٣). وانظر: أثر القوم على الحياة العلمية والأدبية: المصدر السابق (٢/٧١٨).

(٤) سارجنت: مستشرق بريطاني، ولد سنة ١٩١٥م، تعلم في إدنبرا وكمبريدج، وانتدب باحثاً لشؤون الجزيرة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية سنة ١٩٤٠م، ومنقياً في =

«ويعتقد الصوفي العلوي في الغموض ويكره الوضوح»^(١). كما إن التصوف في حضرموت لم يكن قائماً على الزهد والخلوة للتعبد كما يدعون، وإنما هو تصوف فكري له آراؤه العقدية والفلسفية المنحرفة.

ومن خلال القراءة في الكتب التاريخية، وكتب المناقب نلاحظ وجود روافد خارجية ساعدت في دخول التصوف لحضرموت فقد ذكروا أن سفيان اليميني من صوفية أبين ولحق زار حضرموت في نهاية القرن السادس والتقى بعلمائها فأخذوا عنه وأخذ هو عنهم، ومن أولئك الآخذين الفقيه المقدم حيث خاض معه في التصوف والحقائق، وكانت بينهما مراسلات في ذلك^(٢)، كما ذكر المؤرخون أن علي بن محمد بن جديد العلوي^(٣) التقى بشخص يدعى مدافع بن أحمد المعيني ثم الخولاني الصوفي^(٤) حيث أخذ عنه ابن جديد وصحبه وألبسه وأخاه وحكمهما^(٥) وأجازهما وزوجهما ابنتيه^(٦).

وقد تأثر ابن جديد العلوي بالطرق الصوفية الأخرى لكثرة أسفاره فقد رحل إلى الهند والعراق والحجاز وأخذ عن مشايخ الطرق في تلك البلدان، وذكروا عنه أنه تأثر بالطريقة الجيلانية القادرية التي انتشرت في التهائم وعدن

= حضرموت سنة ١٩٤٧ - ١٩٥٤م، ومنقياً في الجزيرة العربية والخليج العربي سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤م. وله مؤلفات منها: مختارات من الأدب العامي الحضرمي، وكتاب حول مصادر التاريخ الحضرمي. انظر: مقدمة كتاب إدام القوت (حاشية ص ٨)، ط المنهاج.

(١) مذكرات انجرامس (ص ٤٠).

(٢) انظر: الجوهر الشفاف (٨٣/١)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (٣٠٢/٢).

(٣) هو علي بن محمد بن أحمد بن جديد من علماء الحديث باليمن رحل من حضرموت وقدم إلى عدن، توفي سنة (٦٢٠هـ)، من مؤلفاته: أربعون حديثاً في فضائل الأعمال. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٤٨).

(٤) هو مدافع بن أحمد بن محمد، أبو أحمد المعيني، نسبة إلى معين بضم الميم وكسر العين، قوم من خولان، من أرباب الكرامات والمكاشفات، أخذ عن عبد القادر الجيلاني. وكان مسكنه قرية الوحيز غربي مدينة تعز. وقد تتلمذ عليه بعض الصوفية من العلويين الحضارمة. مات بظفار من بلاد عمان سنة ٦١٨هـ. انظر: طبقات الخواص (ص ٣٣٥ - ٣٣٦).

(٥) سيأتي الكلام عن التحكيم والإلباس في مبحث العبادات البدعية عندهم - إن شاء الله تعالى -.

(٦) انظر: الغرر (ص ١٢٠)؛ وشرح العينية (ص ١٤٠).

وأبين وما حولها، حيث التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ الطريقة عنه، وأخذ عنه بعض مشايخه، بل ووصلت هذه الآثار إلى بعض نواحي حضرموت^(١).

يقول أبو بكر بن علي المشهور: «لم تكن حضرموت في هذه المرحلة بمعزل عن التحولات والأحداث الجارية في العالم الإسلامي وما يدور فيها من صراع فكري واجتماعي؛ بل كان واقع الزمان وأحواله السياسية مسهماً إلى حد كبير في ظهور المدارس الصوفية وهي التي تمثل انعكاساً حتمياً لذلك الواقع ومعطياته»^(٢).

ويقول عن الفقيه المقدم العلوي: «ويبدو من خلال استقراء الحوادث ومجريات التحول أن أخبار الفقيه ومكانته العلمية وتوجهاته الفكرية المتجددة قد بلغت بواسطة المسافرين إلى خارج حضرموت وتحدث الناس بشريف أحواله، وجيليل أقواله، فما كان من الشيخ الكبير صاحب بجاية^(٣) الشيخ شعيب أبي مدين إلا أن بعث إليه كبار تلاميذه وأمره أن يذهب إلى مكة ثم إلى حضرموت وقال: إن لنا فيها أصحاباً سر إليهم وخذ عليهم عقد التحكيم ولبس الخرقة»^(٤).

وقد ذكر صاحب المشرع الروي أن عبد الرحمن بن محمد المقعد

(١) انظر: الغرر (ص ١١٩ - ١٢٠).

(٢) سلسلة أعلام حضرموت (الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم)، لأبي بكر بن علي المشهور (ص ٢٣).

(٣) بجاية: بالكسر، وتخفيف الجيم، وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفرقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة ٧٥٤هـ، وبينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام، كانت قديماً ميناء فقط، ثم بنيت المدينة وهي في لحف جبل شاهق، وفي قلبها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد وتسمى الناصرية أيضاً باسم بانيتها، وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصصها من المنافع شيء؛ إنما هي دار مملكة تركب منها السفن وتساfer إلى جميع الجهات. معجم البلدان (١/٣٣٩).

(٤) سلسلة أعلام حضرموت (الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم) (ص ٢٤).

حضرمي ثم مغربي^(١)، فيتضح أن لأبي مدين التلمساني علماً بحضرموت وأهلها من خلال عبد الرحمن هذا، الذي وصف أنه من كبار تلامذة أبي مدين^(٢).

اتخذ الفقيه المقدم وسعيد بن عيسى العمودي^(٣) القرار في كسر السيف، والتزام طريق الصوفية وترك طريقة الفقهاء، وسلوك طريق الخمول، وأخذ العكاز الذي يرمز إلى التصوف وترك السلاح الذي يرمز وقتئذ إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والانتقام^(٤).

بدأ التصوف في حضرموت كمنهج له أصوله وأفكاره التي التزم بها أتباعه منذ عصر الفقيه المقدم وهو القرن السابع الهجري عندما لبس الفقيه المقدم الخرقة المرسلة إليه من أبي مدين زعيم الصوفية في المغرب إذ ذاك^(٥)، وزامن هذا عهد الدولة الرسولية التي قامت على انقراض الدولة الأيوبية عام ٦٢٦هـ^(٦).

وقد ذكرنا أن بوادر ظهور التصوف كانت على يد عبيد الله بن أحمد بن عيسى العلوي في القرن الرابع، ولكن لم يكن لهذا الرجل أثر يذكر في نشر التصوف الذي شهدته حضرموت في عصر الفقيه المقدم، فكان القرن السابع هو عصر ظهور التصوف في حضرموت كمنهج له أفكاره وأصوله، فبدأ التصوف بالاعتناء بتراجم الصالحين من أهل التصوف وإشاعة أخبارهم وقراءة

(١) انظر: المشرع الروي (٤/٢). وانظر كلام أبي بكر المشهور في تأكيده بأن المقعد عرف شيخه ببلد حضرموت ورجالها الأمر الذي جعل أبا مدين يرسل المقعد ليكون سفيراً للفقيه المقدم ومن معه من أهل حضرموت: «الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم» (ص ٢٥ - ٢٦).

(٢) انظر: المشرع الروي (٥/٢).

(٣) هو سعيد بن عيسى العمودي: من صوفية حضرموت، ومن المتحكمين لمندوب أبي مدين. توفي سنة ٦٧١هـ، وخلفه على منصبه ولده محمد بن سعيد. ثم لم يزل منصبه يتوارث بين أولاده حتى تحول بسعة الجاه وكثرة الأتباع ونفوذ الدعوة إلى سلطته، ثم اختلفوا وانقسموا، فكان لآل مطهر بضعة وما حازها وما ارتفع عنها سعيد بن عيسى العمودي. انظر: طبقات الخواص (١٤٥ - ١٤٦).

(٤) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٧١٧/٢ وما بعدها).

(٥) انظر: سيرة السلف من بني علوي الحسينيين، محمد بن أحمد الشاطري (ص ٣٠)، ط ٣، ١٤٢٢هـ، دار الحاوي - بيروت.

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ١٩٥).

تراجمهم في المجالس العامة، فحضرموت لم تعرف التصوف بشكله الواسع والتميز إلا عن طريق مندوب صوفي قادم من المغرب العربي أجريت على يديه مراسيم الدخول في الدائرة الصوفية لأربعة من رجال حضرموت.

ويفسر علي بن حسن العطاس^(١) سبب تزيي الفقيه المقدم بزي الفقراء^(٢) وترك حمل السلاح الظاهر بأمور: «منها:

١ - أنه دعا لأولاده بأن يكونوا من أهل المقامات والأحوال بالسلاح الباطن الذي هو البرهان المبين المعبر عن نفسه بسيف القدرة فأصبحوا هم الملوك وهم أهل الشوكة والحماية.

٢ - أن الله ﷻ أطلعه على أنهم سوف يكثرون بالجهة الحضرمية.

٣ - أن آخر الزمان المشار إليه بتراكم الفتن مأمور فيه بكسر السيف نصاً من جد الحسن كما صح في صحيح مسلم قوله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير فيها من الساعي، ومن تشرف لها تتشرفه، ومن وجد منها ملجأ فليعد به»^(٣) إلى أن قال ﷺ: «يعمد أحدهم إلى سيفه فيدق على حده بحجر»^(٤)»^(٥).

وتؤكد أغلب كتب التصوف وكذا كتب التاريخ الحضرمي أن طريقة السادة آل باعلوي الطريقة المدنية وهي طريقة أبي مدين التلمساني المغربي

(١) هو علي بن حسن بن عبد الله العطاس: ولد سنة ١١١٢هـ. وهو من الصوفية والأدباء سكن قرية عُرقَت فيما بعد بالمشهد. توفي سنة ١١٧٢هـ. من مؤلفاته: الرياض المونقة في المعاني المتفرقة. وقلائد الحسان وفرائد اللسان، وتحفة ذوي المقامات العلية، والمقصد إلى شواهد المشهد. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٥٨/٢)؛ وتاريخ الدولة الكثيرة (ص ١٠٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٤٤٨).

(٢) أي الصوفية، والفقراء من ألقابهم.

(٣) الحديث متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص ٦٨٨) برقم (٣٦٠١)، وبرقم (٧٠٨١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح يأجوج ومأجوج (ص ١١٥٦) برقم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح يأجوج ومأجوج (ص ١١٥٦) برقم (٢٨٨٧) من حديث أبي بكر ؓ.

(٥) الرياض المونقة، لعلي بن حسن العطاس (ص ٣٢).

وقطبها ومدار حقيقتها الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، ولكن لم يتبين كيفية هذا الارتباط إلا عن طريق ذكر قصة يتداولها الصوفية والمؤرخون الحضارمة، وقد لخص هذه القصة عبد الرحمن بلفقيه^(١) بقوله:

وشيخهم الغوث الفقيه محمد أبو علوي ذو المعالي العلية
إمام الطريقين الحسيني نسبة ثوى في تريم البلدة الحضرمية
ومرجعه في لبسه وانتسابه أبو مدين شمس القرى المغربية
بخرقته قد أرسل الصالح الذي لدى الموت فيها المقعد أوصى بمكة^(٢)

وجاء في كتاب شرح العينية عند ذكر أبي مدين المغربي: «وهو أشهر من ترجع إليه شيوخنا وأصولنا آل باعلوي السادة الحسينيون التريميون في نسبة الخرقه الشريفة الشهيرة ووصلة الصحبة المنيرة؛ لأن سيدنا وإمامنا محمد بن علي السيد الشهير بالفقيه لبس الخرقه الأنيقة في بدايته، ومبدأ مكاشفته من الشيخ أبي مدين المذكور، بواسطة الشيخ عبد الرحمن المقعد وبواسطة الشيخ عبد الله الصالح المغربيين^(٣)»^(٤).

ويعتبر عبد الرحمن بن محمد الخطيب (ت ٨٥٥هـ) أقدم من ذكر قصة إرسال أبي مدين لرسله إلى حضرموت للتحكيم ولبس الخرقه الصوفية حيث قال في كتابه (الجواهر الشفاف): «الحكاية السابعة والعشرون: روى المشايخ^(٥) أنه قيل

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه: فقيه صوفي، من مؤلفاته: عمدة المحقق، رشفات أهل الكمال، وفتح الخلاق بشرح عقد الميثاق. توفي سنة ١١٦٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٨٥/٣)؛ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٥١).

(٢) رشفات أهل الكمال (ص ٦).

(٣) لم يترجم مؤرخو حضرموت لهذين الرجلين سوى الإشارة إلى أنهما مندوبان لأبي مدين المغربي أرسلهما من هناك ليحكمما الفقيه المقدم ومن معه، وكذا نشر خرقه التصوف في حضرموت، وذكروا أن عبد الله الصالح المغربي كان من أولاد ملوك المغرب فآثر لبس سلوك طريق التصوف، وأقام بميفعة وهي بلدة بأقصى حضرموت قريب من ساحل عين بامعبد، وذكروا أنه قسم ميراثه عند موته للصوفية الذين حكمهم، وقبره معروف باصبعون. انظر: تاريخ حضرموت، الحامد (٧٣٦/٢).

(٤) شرح العينية (ص ١١٣).

لشيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي^(١): إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد، وكان الشيخ عبد الرحمن المقعد^(٢) إذ ذاك بمكة - حرسها الله تعالى - فسار الفقيه شيخ شيوخنا قاصداً نحوه، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده، وكان الشيخ عبد الرحمن المذكور^(٣) من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين^(٤)، وكان شيخه أبو مدين^(٥)، قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لنا فيها أصحاب سِرٍّ إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقه أو كما قال، وقال له: ولكنك لا تصل إليهم بل تموت في أثناء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك، فسار الشيخ عبد الرحمن طالباً حضرموت، فلما بلغ في أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الله الصالح المغربي - وكان من أولاد ملوك المغرب - فآثر سلوك هذه الطريقة ففتح له وكان من كبار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفائقة، وأمره بالمسير إلى حضرموت وقال له ما قال له الشيخ أبو مدين^(٦)، وفي رواية أنه قال له أيضاً: اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان^(٧) يستقي يعني - يأخذ منه العلم -، طارح سلاحه فوق رجليه، فاغمزه من عند الفقيه وحكمه، واذهب إلى قيدون تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكمه، قال الشيخ عبد الله: فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه محمد بن علي كما قال الشيخ عبد الرحمن فغمزته وحكمته - وما شاور أبا مروان - فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقه اغتاز عليه وقال له: رجوناك إماماً مثل ابن فورك^(٨) فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي

(١) هو علي بن أحمد بن سالم بامروان، ولد سنة (٥٥٥هـ)، وأخذ عن فقهاء تريم وظفار كالعلامة محمد بن علي القلعي، وسالم بافضل، وبعد من شيوخ الفقيه المقدم قبل أن يتصرف، وقد هجره لتصوفه وتركه لطريقة الفقهاء، فبقي على هجره حتى مات. من مؤلفاته: تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة وأدوات الطلاق، وكانت وفاته سنة (٦٢٤هـ). انظر: السلوك، للجندي (٤٨٠/٢) ط ١؛ وتاريخ شنبل (٤٠، ٨٣).

(٢) هو أبو بكر بن محمد بن الحسن بن فورك الأصهباني، أشعري، أخذ عن أبي الحسن الباهلي. من مؤلفاته: مشكل الآثار. توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر ترجمته في: تبیین کذب المفتري (ص ٢٣٢) ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، والسير (٢١٤/١٧).

الصوفية أو كما قال، فقال له الفقيه محمد بن علي عليه السلام: الفقر خير. وهجره أبو مروان إلى أن توفي، فسار الشيخ عبد الله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشيخ شيوخنا الفقيه محمد بن علي عليه السلام، وقال له الشيخ عبد الله: أي لؤلؤة عجماء لو ثقت، فقال الشيخ محمد: وما الثقب؟ قال: التحكيم، فاندخل الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم، وتحكم للشيخ عبد الله ولبس منه الخرقة، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صحبة الصوفية، قالوا ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعوات:

(الأولى): بذل النفوس ولا يعودون إلى العمومية أي لا يزالون على زي الفقراء.

(الثانية): أن لا يسلط الله تعالى عليهم ظالماً يؤذيهم.

(الثالثة): أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور في دنياه - أي لا تكون به حاجة تضر بدينه - قالوا: فَقَبِلَهُنَّ اللهُ تعالى، فما يموت أحد منهم إلا وهو بتلك الصفة، ولم يسلط الله تعالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشيخ لهم عليه السلام ^(١).

وكذلك قال الشلي في المشرع: «فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كان قال له: أذهب نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك واخترت طريق التصوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر، فقال الأستاذ: الفقر فخري وبه أفتخر، وبه على النفس والشیطان أنتصر، ولا أتباعد عنكم إعراضاً، ولا تبدلت بكم معتاضاً. وهجره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر، ورأى أنه أعظم من الزجر، واستمر مهاجراً له إلى أن مات» ^(٢).

ومن هذه القصة التي ذكرها الخطيب وكذا الشلي وغيرهم من صوفية حضرموت يتضح ما يلي:

- اعتماد القوم على أقوال شيوخهم في مسائل الغيب حيث أرشدوا الفقيه

إلى رجل في مكة يزعمون أنه سيفك قلبه، ولا يُدري ما مرادهم بهذه الإشارات والرموز الغامضة؟.

- مبادرة القوم في تنفيذ أقوال مشايخهم بلا روية ولا نظر فقد سار الفقيه المقدم متجهاً إلى مكة للقاء عبد الرحمن المقعد الذي زعموا أنه سيفك قلبه.

- في القصة ما يدل على سابق معرفة بين أبي مدين التلمساني وأهل حضرموت، حيث أمر أخص طلابه بالرحيل إلى حضرموت ولقاء أصحابه فيها.

- ادعاؤهم معرفة الشيخ الغيب، حيث ذكروا أن أبا مدين أخبر تلميذه بأنه سيموت قبل أن يصل إلى حضرموت.

- اهتمام الصوفية بتنفيذ طقوسهم وشعاراتهم الصوفية وذلك حيث أمر أبو مدين تلميذه بأن يأخذ على الفقيه المقدم ومن معه عقد التحكيم ولبس الخرقة الصوفية.

- غلو الصوفية الملحوظ لتقرير باطلهم بالثناء على الصوفية أينما كانوا، فقد قال الخطيب عن عبد الرحمن المقعد وتلميذه عبد الله الصالح المغربي: «الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الله الصالح المغربي - وكان من أولاد ملوك المغرب - فآثر سلوك الطريقة ففتح له، وكان من كبار تلامذته، ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفارقة».

- كون أهل حضرموت كانوا على طريقة الفقهاء فهم على مذهب الإمام الشافعي الفقهي، ولم يعرفوا التصوف بدليل أن مؤسس التصوف في حضرموت الفقيه المقدم كان يدرس الفقه على يد شيخه أبي مروان، ولم يتقل للتصوف إلا بعد قدوم مندوب أبي مدين إلى حضرموت، بل صرح الشلي بذلك فقال: «إن أهل حضرموت كانوا مشغولين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحاتهم السنية، فأظهر الأستاذ الفقيه المقدم علومها، ونشر في تلك النواحي أعلامها، فأخذ عنه الجم الغفير، وتخرج به العدد الكبير من أجلهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بأعباد» ^(١) ^(٢).

(١) انظر ترجمته (ص ١٠٩) من هذا البحث. (٢) المشرع الروي (٢/ ٥ - ٦).

(١) الجوهر الشاف (١/ ٨١ - ٨٢)؛ ونقل القصة الشلي في مشرعه (٢/ ٤ - ٥).

(٢) المشرع الروي (١/ ٢ - ٥).

- إنكار الفقهاء على التصوف الدخيل بدليل قول أبي مروان لتلميذه الفقيه المقدم: «رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصوفية» بل إنه هجره لذلك.

- تقدّم دخول المذهب الأشعري إلى حضرموت^(١) قبل التصوف، بدليل تعظيم أهل حضرموت لكبار الأشاعرة كابن فورك الذي تمنى أبو مروان لتلميذه الفقيه المقدم أن يكون مثله.

- السر في اختيار هذه الشخصيات دون غيرها؟، لا سيما وإن سعيد بن عيسى العمودي كان أمياً كما في ترجمته^(٢).

- حرص الخطيب في نهاية القصة على الدعوة إلى مذهب التصوف وتقرير صحته بذكر كرامات الفقيه المقدم، ودعواته الثلاث المذكورة في القصة، حتى بلغ به الأمر أن يتألى على الله تعالى ويكذب عليه سبحانه بأن قبل هذه الدعوات: «أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَوْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» [مريم: ٧٨].

- وفي القصة بيان شر البدع، وحرمان أهلها نور العلم والبصيرة، فقد بدأت هذه البدعة بالتحكيم ولبس الخرقه والبعد عن مجالس الفقهاء، وانتهى الأمر بالفقيه المقدم أن تمادى في الشطح والغلو حتى ادعى أنه الله^(٣) - تعالى الله

(١) فقد كانت الدولة الراشدية القحطانية التي حكمت حضرموت من سنة ٤٠٠هـ إلى سنة ٧٠٠هـ تأخذ مذهب الشافعي في الفروع وبمذهب الأشعري في العقيدة. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/١٧٢).

(٢) انظر: الجوهر الشفاف (١/٩٢).

(٣) انظر: الجوهر الشفاف (١/٩٢) وأسوق القصة كاملة من الجوهر الشفاف كما هي حتى لا يظن أحد أننا ننقل عنهم؛ ولنعلم أننا ننقل ما دونوه في مؤلفاتهم كما هو، وذكر كلامهم كافي في بيان باطله لكل مسلم ذي عقيدة سليمة، يقول عبد الرحمن الخطيب: «الحكاية الخامسة والثلاثون: أن شيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي عليه السلام، خرج ذات يوم من الأيام إلى شارع من شوارع تريم وكان ذلك الشارع مطروفاً، فوقف الشيخ فيه فمرّ بدوي معه جمل عليه سعه فساومه الشيخ في السعف فأبى [هكذا] البدوي أن يبيع السعف للشيخ بالذي أراد فقال له الحاضرون بع السعف للشيخ وألحوا عليه فأبى البدوي فأتى إليه الفقيه الأجل الإمام الأكمل أحمد بن عبد الرحمن أبو علوي وقال له بع الشيخ السعف بما أراد فإن الشيخ كذا وكذا وذكر شيئاً من مناقب الشيخ، فقال له البدوي هو الشيخ محمد بن علي (الله) =

وتقدس عن قوله علواً كبيراً -، وظهر كذلك القول بوحدة الوجود في صفوف متصوفة حضرموت كما سيأتي بيانه في مبحث قولهم في توحيد الربوبية. يعتبر محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم هو المؤسس الحقيقي للتصوف^(١) في حضرموت، وإن كان قبله من تصوف لكن أعمالهم كانت فردية وغير ظاهرة ولا مؤثرة كالفقيه المقدم.

ولكن هذه المدرسة الصوفية لم تدون منهجها في مؤلفات عند بدء ظهورها ويرجع السبب في ذلك: «لكونها طريق تحقيق وأذواق وأسرار جنحوا إلى الخمول والسر والإسرار، ولم يضعوا في ذلك تأليفاً، ولا صنفوا فيه تصنيفاً، ومضت الطبقة الأولى إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي فاتسعت الدائرة، وبعد المزار، واتصل بهم القريب المنفصل ببعيد الدار فاحتجج إلى التأليف والإيضاح والتعريف»^(٢).

وقد أشار إلى ذلك الحداد بقوله:

فعن عيدروس السر بعد عفيفه إلى الشيخ قطب العارفين الأئمة
علي بن أبي بكر الإمام ملاذنا وعمدتنا في نقل علم الحقيقة^(٣)

كما ذكروا أنه منذ: «القرن الرابع الهجري قدم أسلاف السادة العلويين من البصرة إلى حضرموت؛ وهم يحملون أفكار التصوف معهم، في مجتمع لم تكن تلك الأفكار منتشرة فيه، وكان المذهب الإباضي هو السائد بجانب المذهب الشنّي الشافعي، واستطاع العلماء الشنّيون أن ينشطوا في دعوتهم، ويصرفوا الحضارمة عن اعتناق المذهب الإباضي»^(٤).

= فلما سمع الشيخ ذكر الله قال بأعلى صوته: نعم (أنا الله) وسقط مغشياً عليه. ومعنى السعف: جريد النخل.

(١) وقد أكد ذلك من المؤرخين المتأخرين مفتي حضرموت في وقته عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٣٧٥هـ) عند ذكر بلدة قيدون وهي بلدة سعيد بن عيسى العمودي: «وهو والفقيه المقدم أول من سلك طريق التصوف بحضرموت». إدام القوت (ص ١٨٧)، ط الإرشاد. وانظر أيضاً: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/٦٣٨).

(٢) ظهور الحقائق (ص ٦٨). (٣) غاية القصد والمراد (١/٢١٧).

(٤) عمر بامخرمة السباني حياته وتصوفه وشعره، لعبد الرحمن بن جعفر بن عقيل (ص ٣٧).

المبحث الثاني

أعلام الصوفية الأوائل في حضرموت

• رتبه أربعة مطالب:

كان ظهور التصوف في حضرموت - كما تقدم - كان في عهد الفقيه المقدم؛ ومنذ ذلك الوقت ونشاط متصوفة حضرموت في نشر المخالفات والبدع يبدو أثره جلياً؛ وكان للفقيه المقدم دور كبير في نشر التصوف وكذا أتباعه، وتنوعت طرق وأساليب الدعوة لهذا المذهب الدخيل، فقد نشره بطريقة تدريس المريدين، وتارة بالتأليف وتارة باستخدام الجاه والمنزلة عند الناس بالترويج للتصوف، أو بغير ذلك من الأساليب التي استخدمها متصوفة حضرموت في ذلك الوقت وتأسى بذلك الخلف.

وقد بالغ أهل حضرموت في التصوف كغيرهم من أهل البلدان التي شاع فيها التصوف^(١)، وقام معتنقوه بنشاط كبير في نشر المخالفات الشريكة والبدع في بلاد حضرموت وغيرها من البلدان التي وصلت إليها مخالفاتهم، وبما أن دين الصوفية قائم على تقديس الأشخاص والتلقي منهم، فهم قدوة متصوفة حضرموت، لذا فقد وجدت شخصيات في حضرموت تبنت فكر التصوف ودعت إليه بأساليب مختلفة، ونذكر في هذا المبحث بعض رجال التصوف المشتهر ذكرهم عند القوم:

* المطلب الأول *

أعلام صوفية حضرموت من القرن الرابع إلى قرب عهد الفقيه المقدم

كان لبعض صوفية حضرموت دور في ظهور التصوف في حضرموت والتهيئة له منذ القرن الرابع، حتى اكتمل كمنهج له أصوله وعقائده في القرن السابع، ونذكر تحت هذا المطلب نماذج لبعض متصوفة هذه الطبقة:

(١) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/٦٣٩).

< عبيد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر (ت ٢٨٢هـ):

يعتبر من أعيان العلويين في القرن الرابع، ولكن لم يذكر المؤرخون ولا غيرهم عن هذا الرجل إلا أنه قرأ كتاب قوت القلوب على مؤلفه أبي طالب المكي عندما حج سنة ٣٧٧هـ^(١)، ولم يذكروا تفاصيل ذلك للغموض الذي ساد تاريخ حضرموت فيما قبل القرن السادس حتى أن المؤرخ أحمد بن عبد الله شنبل باعلوي (ت ٩٢٠هـ)^(٢) عندما جمع تاريخه: «ابتدأه بأوائل القرن السادس، لعدم وجود ما يخص حضرموت في السنوات السابقة قبل ذلك القرن، وهي في الغالب فترة غامضة في تاريخ حضرموت»^(٣).

ولهذا الغموض أسباب ذكرها المؤرخون، منها ما ذكره علوي بن طاهر الحداد^(٤) عن شيخه أحمد بن حسن العطاس حيث قال: «وكان شيخنا رحمته يقول: إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها، أن الأخلاف رأوا في سيرة أسلافهم ما ينكرونه اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها»^(٥).

ومن هذا النص لعلوي بن طاهر الحداد الذي نقله عن شيخه أحمد بن

(١) أدوار التاريخ الحضرمي (١/١٦٢ - ١٦٣).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن حسين المعروف بابن شنبل العلوي، مؤرخ حضرمي، برع في علوم الأدب والتاريخ ورحل إلى بلدان كثيرة، من مؤلفاته: تاريخ شنبل، توفي سنة (٩٢٠هـ). انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٤٩٩).

(٣) مقدمة المؤرخ عبد الله بن محمد الحبشي لكتاب تاريخ شنبل (ص ١٣).

(٤) هو علوي بن طاهر بن عبد الله الهدار الحداد، ولد سنة ١٢٩٠هـ ببلدة قيدون من دوعن بحضرموت، وأخذ العلم عن شيوخ حضرموت، منهم أحمد بن حسن العطاس، وتصدر بعد ذلك للتدريس والوعظ، ورحل إلى عدة بلدان، واستقر أخيراً بالملايا عند سلطان جهور، وتولى وظيفة الإفتاء بها حتى مات سنة ١٣٨٢هـ، من مؤلفاته: الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفاتها، وعقد البواقيت في تاريخ حضرموت، وعقود الألماس في مناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة الحبيب، أحمد بن حسن العطاس، وإئتمد البصائر في تاريخ الإمام المهاجر وغيرها. انظر: مقدمة كتاب المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص ٣)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٥٥٤).

(٥) جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ، لعلوي بن طاهر الحداد (ص ١٣). وانظر أسماء بعض الكتب التاريخية التي لم تصل إلينا بسبب الإهمال: المصدر السابق (ص ٣٠).

حسن العطاس؛ الذي يعد من كبار علماء العلويين في حضرموت يتضح لنا دور الصوفية في إخفاء كثير من الحقائق التي رأى المتأخرون أنها تضر أسلافهم، مع أن أسلافهم يعتبرون ذلك ديناً يتدينون لله به، وعقيدة لا يُفَرِّطون فيها، لذا يذكر المؤرخون أخباراً مختصرة عن بعض تاريخ تلك القرون لندرة المصادر التي توضح حقائق تلك الحقبة من تاريخ حضرموت. هكذا كان التصوف سبباً رئيساً في الغموض الذي شهدته حضرموت في مختلف الأزمنة التي مرت بها، يقول المؤرخ صالح الحامد: «ولا أستبعد أن للروح الصوفية عملها البارز في صرف العلماء والمتنورين من رجال الماضي عن الاهتمام بالتاريخ، ومن صرف بعض الوقت في تدوينه»^(١)، ووصف المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه^(٢) كذلك الفترة الممتدة من ١٤٠هـ إلى تدوين التاريخ الحضرمي في ما بعد القرن الخامس بأنها: «من مجاهيل التاريخ الحضرمي»^(٣).

«علي بن علوي المشهور بخالغ قسم (ت ٥٢٧هـ):

هو علي بن علوي بن محمد الشهير بخالغ قسم، ولد ببنت جبير بحضرموت، وبنى أرضاً بقرية قسم وغرس بها نخلاً فلقب بخالغ قسم^(٤). كان لهذا الرجل دور كبير في إخراج العلويين من عزلتهم واحتكاكهم بالمجتمع، وسكن المدن الكبرى في حضرموت، فقد كان العلويون معزولين في منطقة تسمى بيت جبير، الأمر الذي جعلهم يتعدون عن العلم وأهله وعن

(١) تاريخ حضرموت، للحامد (٣/١).

(٢) هو عبد الله ويسمى عبد اللاه بن حسن بلفقيه، المؤرخ، البحاث، ولد بتريم سنة ١٣١٤هـ، ورحل إلى جاوة في عام ١٣٢٩هـ وأخذ عن شيوخها من العلويين الحضارمة، ثم عاد إلى حضرموت فساهم في تأسيس مجلس الإفتاء الشرعي بتريم، وتأسيس المعهد الفقهي. من مؤلفاته: تعليقاته على رحلة الثغرين لمحمد بن هاشم، والشواهد الجلية على مآثر الخلف في القاعدة الخلدونية، وصبح الدياجر على حياة المهاجر، واستدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات وغيرها. وتوفي بمدينة تريم سنة ١٤٠٠هـ. انظر: قبسات النور، لأبي بكر المشهور (ص ١٨٥)؛ وترجمة موجزة عن حياة عبد الله بن حسن بلفقيه لتلميذه علي بكير (ص ٩٤ - ١٠٣). ملحق بالشواهد الجلية.

(٣) الحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت منذ قدوم أحمد بن عيسى المهاجر (ص ٣٢).

(٤) انظر ترجمته في: المشرع الروي (٢/ ٢٣٠ - ٢٣١).

مراكز العلم في حضرموت لا سيما تريم حتى دخلوها سنة ٥٢١هـ وكان علي بن علوي هذا «يتردد إلى تريم ثم سكنها هو وإخوانه وبنو أعمامه سنة إحدى وعشرين وخمسمائة»^(١). وقد اشترى علي هذا أرضاً بحضرموت سماها «قَسَم» نسبة لأرض لأهله في البصرة، وقد غلا الصوفية في هذه القرية حتى قال الشلي: «ولم تزل محترمة ليس للملوك فيها تصرف، ومن عمل فيها شيئاً من المخالفات أو أساء أو ظلم عوجل بالعقوبة»^(٢). وكانت وفاته بتريم سنة ٥٢٧هـ.

«يعقوب بن يوسف (ت ٥٥٣هـ):

ذكر المؤرخون أن يعقوب بن يوسف عاش قبل الفقيه المقدم بنحو مئة سنة، حيث قدم من العراق إلى حضرموت بصحبة ولده عبد الله وحفيده سالم، واستوطن المكلا وتوفي بها سنة ٥٥٣هـ^(٣). ودفن في مقبرتها فعرفت بمقبرة يعقوب، وبنيت على ضريحه قبة.

يقول فيه عبد الرحمن بن محمد العيدروس العلوي^(٤) (ت ١١١٣هـ):

لا يقاس علاؤه بعلاء وهو نسل الرسول طه الحبيب
وابن شيخ الشيوخ قطب المعالي الشريف الجيلاني المنسوب
العفيف المنيف حقاً وصدقاً هو يعقوب غوث أهل الخطوب^(٥)

وقد وافقت هجرته هجرة جد العلويين أحمد بن عيسى المهاجر، مع فارق زمني يقدر بنحو مئتي سنة. فالمهاجر وذريته اختاروا الهجرين، بينما

(١) المشرع الروي (٢/ ٢٣٠). (٢) المصدر السابق (٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص ١٠٧)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٥٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد العيدروس، ولد بقرية الحزم بحضرموت سنة ١٠٧٠هـ، ومن تلاميذه عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه. له مؤلف ضخمة اسماء الدشته يحتوي على متنوعات العلوم وشئى المسائل وحوادث سياسية واجتماعية، وله رسائل صوفية. توفي بقرية الحزم سنة ١١١٣هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٦٤ - ٦٥).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٦٦).

يعقوب اختار المكلا في ساحلها، وهذا يدل على الأثر الخارجي الذي كان له دور في التمهيد لدخول التصوف إلى حضرموت، الذي بلغ ذروته في عصر الفقيه المقدم وما بعده.

وقد قدم يعقوب هذا - جد آل باوزير - من العراق إلى المكلا، وتفرق أبناؤه في جميع أنحاء حضرموت، وكانت له مكانة، وله ضريح مشهور بحضرموت^(١).

وهذه المرحلة هي من أنشط مراحل التصوف في حضرموت، فقد ظهرت آثارها بشكل ملحوظ وأنشط من ذي قبل، وكذا فقد عرفت هذه المرحلة شخصيات كان لها الأثر الكبير في نشر التصوف بما يحمله من انحرافات عقدية أثرت على الناس في حضرموت ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم والله المستعان.

« سالم بن بصري العلوي (ت ٦٠٤هـ):

هو سالم بن بصري العلوي: ولد بتريم، ودرس على الشيخ سالم بافضل، وطبقته من آبائه وبني عمومته من آل أبي علوي^(٢).

يعتبر سالم بن بصري من أعيان صوفية حضرموت قبل بروز التصوف في حضرموت بشكل كبير، وبصورته الواضحة التي شملت بلدان حضرموت وغيرها، فقد ذكروا أن الفقيه المقدم أخذ عنه التصوف والحقائق^(٣). وكون الفقيه المقدم يأخذ منه التصوف يدل على علم سالم بن بصري بعلوم الصوفية وحقائقهم، لكن لم يكن له دور كبير - كما أسلفنا - مثل الفقيه المقدم الذي أظهر علوم القوم بقوة ودعا إليها، فظهرت شطحاته وانحرافات في أقواله

(١) المختصر في تاريخ حضرموت العام، لبامطرف (ص ١٣٢).

(٢) انظر ترجمته في: المشرع (٢/ ٢٥٤ - ٢٥٧)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٩٩)؛ وتاريخ الحامد (٢/ ٤٧٦)؛ وحاشية أدام القوت (ص ٨٩١)، ط المنهاج.

(٣) انظر: شرح العينية (ص ١٣٩)؛ وكتاب عقد اليواقيت الجوهريه وسمط العين الذهبية، لعيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي (٢/ ١٢٦). طبع باهتمام أبي بكر بن حسن بن أبي بكر العطاس الزبيدي، بدون تاريخ.

وأفعاله باسم الحقائق والوصول إلى التجليات والواردات الربانية التي وردت عليه، ونحو ذلك من ترهات الصوفية التي شحنوا بها كتبهم، لتدل على مدى الانحراف الذي وصلوا إليه، والله المستعان.

كما كانت لابن بصري رحلات إلى الحجاز واليمن^(١)، ولا شك أن لهذه الرحلات الأثر في الالتقاء بالناس لا سيما أهل التصوف في زبيد وغيرها من المدن التي سبقت حضرموت في التصوف والتأثر بهم في الفكر والتوجه.

وقد غلا القوم فيه حتى جعلوه أعظم شخص في تريم في عصره، وأنه عين الوقت والزمان^(٢) مستدلين بقصة ذكروها مفادها أن والي تريم طلب إحضار أعظم علمائهم لما كان يفتخر كل شخص بصاحبه، فوقع الاختيار على سالم بن بصري، فأراد السلطان فتنه بإحدى النساء الجميلات، فدخلت عليه فتعلقت به فضربها بنعله فأصيبت بالجذام في جسمها بكل ضربة وقعت فيها، ثم تاب السلطان من فعله عندما رأى هذه الكرامة لسالم فاعتذر إليه، وقال له: يا شيخ هذه البنت أصابها ما ترى من عقوبتك فعساك تبرئها فأخذ الشيخ ماء وقرأ عليه ما تيسر وتفل فيه ومسح به جسد البنت فبرئت^(٣).

وكانت وفاته بتريم سنة (٦٠٤هـ).

« علي بن محمد بن جديد العلوي (ت ٦٢٠هـ):

ذكروا عنه أنه قام برحلة طويلة لأخذ العلوم والمعارف فأقام باليمن والحرمين والشام والعراق وغيرها، حتى ذكروا أن شيوخه قد بلغوا نحو الألف^(٤).

وقد بالغ القوم في الثناء عليه، حتى قال فيه صاحب كتاب الغرر: لسان الملة الحنيفية الزهراء، والطريقة والحقيقة الكبرى، بلغ رتبة الاجتهاد المطلق

(١) شرح العينية (ص ١٣٩). وانظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: الغرر (ص ١١٤).

(٣) انظر القصة في: الجوهر الشفاف (١/ ٥٨ - ٦٠)؛ الغرر (ص ٣٣٩)؛ والبرقة المشيقة (ص ٦٨ - ٦٩)؛ المشرع الروي (٢/ ١١١).

(٤) انظر: المشرع الروي (٢/ ٢٣٤)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/ ٢٠٦).

والإمامة، وعدوه من الأوتاد^(١)»^(٢).

وقال فيه صاحب المشرع الروي: «شيخ الإسلام وعمدة العلماء وحجة الله تعالى على الأنام»^(٣).

ويظهر تصوف ابن جديد من خلال أخذه عن بعض صوفية البلدان التي زارها، حيث ذكروا رحلته إلى اليمن وأخذه عن الصوفي مدافع بن أحمد المعيني - أحد تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني - الطريقة الصوفية^(٤).

وكذلك فقد اتجه ابن جديد بعد موت شيخه مدافع إلى زبيد وتلمذ عليه هناك عدد من صوفيتها منهم: محمد بن إسماعيل الحضرمي^(٥) والد إسماعيل الحضرمي وغيره^(٦).

ومن هذا النص يتضح أثر ابن جديد في التصوف وعلاقته بصوفية زبيد، تلك البلد التي دخلها التصوف قبل حضرموت، وكان التصوف فيها على أشده، فقد ظهرت فيها أفكار غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج وتبناها أكبر علمائها، لذا كان لهذه العلاقة بمتصوفة زبيد الأثر في زرع بذور التصوف في حضرموت على يد هؤلاء العلويين.

(١) الأوتاد عند الصوفية: هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم (الشرق والغرب والشمال والجنوب) يحفظ الله تعالى بهم تلك الجهات لكونهم محل نظره. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص ٥٨).

(٢) الغرر (ص ٣٤٠).

(٣) المشرع الروي (٢/٢٣٣).

(٤) انظر: الغرر (ص ١٢٠)؛ وشرح العينية (ص ١٤٠)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/٢٠٨)؛ وتاريخ حضرموت للحامد (٢/٧٠٣).

(٥) هو محمد بن إسماعيل الحضرمي، من صوفية زبيد، وهو والد الصوفي الكبير إسماعيل الحضرمي، ومن أصحاب الصوفي أبي الغيث بن جميل، حكيت له كرامات كما في طبقات الخواص. له مؤلفات منها كتاب المرتضى المختصر فيه كتاب شعب الإيمان للبيهقي. توفي بقرية الضحي جنوبية الزيدية سنة ٦٥١ هـ. انظر: طبقات الخواص (ص ٧٨ - ٨٠)؛ والروض الأغن (٣/٣٢).

(٦) المشرع الروي (٢/٢٣٦)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (١/٢٠٩).

« أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط (ت ٦٥٠ هـ):

هو أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط العلوي، من شيوخ صوفية حضرموت^(١).

يعتبر هذا الرجل من صوفية حضرموت قبل ظهور الفقيه المقدم - مؤسس التصوف بحضرموت - فقد قالوا عنه إنه تصوف قبل الفقيه المقدم، جاء في كتاب غرر البهاء الضوي ذكر أسبقية أحمد بن علوي في التصوف: «وتصوف بعده ابن عمه الفقيه المقدم المذكور محمد بن علي، وذكره أرباب التواريخ وأثنوا عليه، وقالوا إنه أول متصوف من آل أبي علوي وذكره ابن حسان»^(٢)»^(٣).

وقد ذكر المؤرخون أخذ الفقيه المقدم التصوف عن صاحب مرباط وغيره^(٤).

ويقول صالح بن علي الحامد: «ومع كون الأستاذ الفقيه المقدم هو الذي فتح لأهل حضرموت باب التصوف على مصراعيه وأثار لهم السبيل لسلوك تلك الطريقة. فلم يكن هو أول متصوف في بني علوي. إذ كان أول متصوف منهم هو الشريف الصالح أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط. وهو ابن عم الأستاذ الفقيه وتوفي الشريف المذكور في عُشر الخمسين بعد الستائة»^(٥).

(١) انظر ترجمته في: المشرع الروي (٢/٧٣).

(٢) هو عبد الرحمن بن علي حسان، ولد سنة ٧٥٠ هـ وسكن ريدة المشقا ص بحضرموت، من مؤلفاته: شرح جامع المختصرات، ونكت على المذهب، وتاريخ ابن حسان. وتوفي سنة ٨١٨ هـ. انظر: جواهر تاريخ الأحقاف (٢/١٥٧)؛ عقود الألباس (ص ٥٢)؛ تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٧٤)؛ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص ١٣٦)؛ والروض الأغن (٢٢/٢٣ - ٢٣).

(٣) غرر البهاء الضوي (ص ١٣٣). وانظر: المُعَلِّم عبد الحق، لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص ٧٣).

(٤) انظر: المشرع الروي (٢/٧٣)؛ وإدام القوت (ص ٤٢٩).

(٥) تاريخ حضرموت لصالح الحامد (٢/٧١٥).

* المطلب الثاني *

أعلام الصوفية في حضرموت من عهد محمد بن علي
المشهور بالفقيه المقدم (ت ٦٥٣هـ) إلى قرب عهد السقاف

وتعد هذه المرحلة مرحلة التصوف الحقيقي الذي بثّ رجاله فكره وعقائده المنحرفة إلى عموم بلاد حضرموت، ثم انتشاره بعد ذلك إلى البلدان الأخرى التي كان لصوفية حضرموت أثر واضح عليها. ومن رجال هذه المرحلة:

< محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم (ت ٦٥٣هـ):

ويعتبر الفقيه المقدم مؤسس التصوف في حضرموت، والذي ينتسب في خرقة التصوف إلى أبي مدين شعيب التلمساني المغربي^(١).

وللفقيه المقدم طريقان في أخذ التصوف أولهما: سلسلة العلويين رواها عنهم عن الجد. والطريق الثاني: طريق لبس الخرقة الصوفية، وهذه أخذها من شعيب أبي مدين بواسطة عبد الرحمن المقعد وعبد الله الصالح المغربيين وأبو مدين أخذ الخرقة عن أبي يعزى المغربي^(٢). . . . إلخ الإسناد^(٣).

وقد دخل التصوف إلى حضرموت - كما يقول مؤرخو حضرموت - بصورة واضحة عند إرسال أبي مدين التلمساني المغربي رسوله عبد الرحمن

(١) انظر: الجزء اللطيف، لأبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني (ص ٢٢٢) (ضمن المجموعة العيدروسية).

(٢) هو داود بن ميمون الهزميري، الهسكوري، أبو يعزى المغربي من صوفية المغرب في القرن السادس أخذ التصوف عن أيوب بن سعيد الصنهاجي، وهو شيخ أبي مدين التلمساني. قال عنه الشعراني (انتهت إليه تربية المريدين الصادقين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها). توفي سنة ٥٧٢هـ. انظر: الطبقات الكبرى المسماة: لواقع الأنوار في طبقات الأخيار، للشعراني (١/١٣٦)، ط ١٤٠٨هـ، دار الجيل - بيروت؛ والطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، لعامر النجار (ص ٨٢). ط ٦، دار المعارف - القاهرة.

(٣) البرقة المشيقة (ص ٣٧)؛ تاريخ حضرموت، للحامد (٢/٧٢٩).

المقعد إلى حضرموت لإعطاء الخرقة لمحمد بن علي الفقيه المقدم: «وجاء إليه رجل من أهل الشام وقال: ما جئت إلا لأجلك ولكني وجدت عبد الرحمن المقعد جائئاً على قلبك، فلو اجتمع أهل المشرق والمغرب أن يفكوه من قلبك ما قدروا فإذا جاء فتحكّم له فهو رجل مكتسب وأنت رجل ذو نسبة فقال الأستاذ: ما هذه النسبة فقال: سدره المنتهى»^(١).

وقد نصب عبد الله الصالح المغربي الفقيه المقدم كشيخ مشايخ الصوفية بوصية له عند اقتراب أجل المغربي^(٢).

وقد وصفه الشلي بأنه خاتم الأولياء الذي بلغ مقام الوراثة المحمدية وهو مقام القطبية الكبرى^(٣).

ويعد زمن محمد بن علي باعلوي الملقب بالفقيه المقدم هو زمن نشوء التصوف الفعلي بحضرموت، حيث كان له الدور الكبير في نشر التصوف الفلسفي، وهو أكبر شخصية غلا فيها المتصوفة من بعده^(٤)، وهذه الشخصية هي نقطة التحولات في تاريخ حضرموت حيث نافس التصوف طريق الفقهاء الذي عرفته حضرموت وتميزت به قبل التصوف.

وادعوا أنه نودي بالتصوف من قبل الله تعالى حيث قيل له: «يا فقيه محمد بن علي اترك ما أنت عليه من الظواهر وأقبل علينا نواصلك ونواليك فإن لك فينا مراداً ولك منا ازدياداً»^(٥).

بهذه المناداة المزعومة تُرك الفقه وطريقة الفقهاء واعتُض عنها بطريق التصوف الذي حاد بأهل حضرموت عن جادة الحق.

ومن تعظيمهم لهذا الرجل تلقيبه بـ: «مفتي الفريقين وقُدوة أهل الطريقين»^(٦).

(٢) انظر: عرائس الوجود (ص ٢٠ - ٢١).

(١) ظهور الحقائق (ص ٧٨).

(٣) المشرح الروي (٣/٢).

(٤) انظر عبارات الإطراء والغلو في الفقيه المقدم: الجوهر الشفاف (١/٧٧)؛ ووصفه صاحب

الغفر (ص ١٤٥ - ١٤٦) بستين وصفاً؛ والمشرح الروي (٢/٢ - ٣).

(٥) الجوهر الشفاف (١/٧٧). (٦) المصدر السابق.

وكان سعد بن علي الظفاري^(١) الملقب بتاج العارفين الذي كان له اطلاع على التصوف وأسراره وغموضه، ويؤكد ذلك مراسلات الفقيه المقدم له وعرض له بعض الإشكالات، يقول عبد الرحمن الخطيب: «فلما أن من الله على الشيخ محمد بجزيل العطيات، وترادفت عليه الواردات، وتضاعفت عليه المنازلات، وأشرقت عليه شمس أنوار العناية وتحققت عنده عظيم المعارف والتجليات، فصار يكتب إلى الشيخ تاج العارفين ومعدن الصادقين المعروف بسعد بن علي الظفاري المدفون بالشحر»^(٢).

وكان من أغراض هذه المراسلة طلب الفقيه المقدم من سعد الظفاري أن يشرح له الواردات التي ترد عليه^(٣).

ويعتبر الفقيه المقدم صاحب مدرسة لها فلسفتها وغموضها حتى قال فيه عبد الرحمن الخطيب: «وقال بعض المشايخ - الجامعين بين علمي الظاهر والباطن -: بهرت أحوال الشيخ الفقيه محمد بن علي علوي رحمته الله، جميع المشايخ من أولياء زمانه فما فسروا منها بتفسير يعتمد عليه»^(٤).

فهو كما أسلفنا حامل راية التصوف المشثوم التي لا تزال آثاره السيئة إلى يومنا هذا، يقول عبد الرحمن الخطيب: «وكان أهل تريم إذ ذاك أهل علم وورع وزهد وتمسك بعلم الشرع وعملاً به، ولم يكن في ذلك الزمان من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف عن أحوالهم ويوضح إشكال وارداتهم

(١) هو سعد بن علي الظفاري الشحري، ونسبه يرجع إلى الجحافل وهم من مذبح، من كبار الصوفية، مولده ونشأته في (ظفار)، وبها أخذ العلم عن محمد بن علي صاحب مرباط. ومن شيوخه أيضاً: عبد الله الأسدي، الأخذ عن ابن الحداد، الأخذ عن عبد القادر الجيلاني، ومن تلاميذه الفقيه محمد بن علي باطن الظفاري، وقد كتب ترجمة لشيوخه سعد، وأورد فيها بعض مكاتبات جرت بينه وبين الفقيه المقدم، ولباطن المذكور شرح على هذه الرسائل. وتاريخ وفاته كما نقله باحسن عن باطن (٦٠٧هـ)، وليس (٦٠٩هـ) كما ذكر ابن عبيد الله. انظر: «تاريخ الشحر» لباحسن (١٣٨/٢ - ١٤٢)؛ وإدام القوت (ص ٢٠٢ - ٢٠٣) والحاشية رقم (٥).

(٣) المصدر السابق.

(٢) الجوهر الشفاف (٧٨/١).

(٤) المصدر السان، (٨٠/١).

ومنازلاتهم»^(١).

وعن آراء الفقيه المقدم ومعتقداته فقد «اعتنق فكرة الزهد للتعبير عن الناحية العملية في تصوفه، إلا أن النواحي النظرية والآراء الصوفية كانت من صلب معتقداته، وهذا ما جعل منه من أهم شيوخ المتصوفة في حضرموت لاعتناق آراء العشق الإلهي، والحلول والاتحاد، وهي من صلب الأفكار الصوفية الرئيسية التي اعتنقها أبرز مشايخ الصوفية، أمثال البسطامي، والجنيد، وشكلت عند الحلاج عقيدة يؤمن بها بكل صراحة وإصرار»^(٢).

وقد نقل صالح الحامد في تاريخه بعضاً من مناقب الفقيه المقدم من كتب القوم ثم قال بعد ذلك إن هذه النماذج: «معربة عن كونه بلغ في الصوفية مبلغاً تنقطع عنه الأعناق وتغير دونه وجوه السبق العتاق»^(٣).

ولم يذكروا له مؤلفات سوى رسائل منها: بدائع علوم المكاشفات والتجليات^(٤).

وقد عقد الفقيه المقدم مجالس بث فيها أفكار التصوف والحقائق^(٥)، وقد بين صالح الحامد أثر الفقيه المقدم بنشره للتصوف بحضرموت فقال: «وقد بلغ من سعة تأثير هذا الإمام على وطنه؛ أنه بتصوفه صار أهل حضرموت إلى صوفية في مدة غير بعيدة، وبالرغم أنهم لا يشتغلون إلا بالفقه والحديث وما كانوا قبل يعرفون طرق التصوف وأصبح المتنورون وفي مقدمتهم العلويون صوفية بكل ما في كلمة التصوف من معنى»^(٦).

فالفقيه المقدم هو الذي فتح لأهل حضرموت باب التصوف على

(١) الجوهر الشفاف (٧٨/١).

(٢) عمر بامخرمة السياني حياته وتصوفه وشعره (ص ٤٠).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٧١٣/٢).

(٤) انظر: الأعلام للزركلي (١٧٢/٧)؛ ومعجم المؤلفين (٥٤٤/٣)، ط ١، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت. وانظر: كلام الشلي على كتابة الفقيه المقدم رسائل دون تأليف الكتب، وأن ذلك من تواضعه: المشرع الروي (٣/٢).

(٥) انظر: المشرع الروي (٥/٢). (٦) تاريخ حضرموت، للحامد (٧١٥/٢).

مصراعيه^(١).

وقد كان يكتب الرسائل في التصوف، ويرسلها لبعضهم، حتى أن سفيان اليميني - من كبار صوفية اليمن - قال عنه عندما قرأ رسائله إنه أوتي مفاتيح أسرار التصوف لما اشتملته من الرموز والإشارات التي لا يوفق لحلها إلا كبار المتصوفة^(٢).

وقد قدّمه متصوفة حضرموت على كبار العلماء الذين يجعلهم المتصوفة في جميع البلدان التي ينتشر فيها التصوف؛ كعبد القادر الجيلاني رحمته الله، يقول محمد بن علي خرد باعلوي^(٣) في قصيدة له:

تصرف شيخ في الوجود معظّم على السادة الأشياخ أهل المعارف
على السيد الشيخ الفتى عبد قادر ومعروف الكرخي منج لتالف
وقيس^(٤) عقيل المنبجي^(٥) وشيخنا لتصريفه لا يصرفون لصارف
وتصريفهم في كل شيء محقق سوى في جمال الدين^(٦) عين لواقف^(٧)

ويعتبر الفقيه المتقدم من أهل الشطحات الخطيرة التي تشبه كلام أهل وحدة الوجود - كما سيأتي -، وتعتبر هذه العقيدة الخطيرة هي غاية الوصول

(٢) انظر: المصدر السابق (٧٢٧/٢).

(١) المصدر السابق (٧١٥/٢).

(٣) هو محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي، من صوفية حضرموت، ولد بتريم سنة ٨٩٠ هـ وتوفي سنة ٩٦٠ هـ. من مؤلفاته: النفحات في التصوف، وغرر البهاء الضوي في مناقب السادة بني بصري وجديد وعلوي، والوسائل في الحديث. انظر: تاريخ النور السافر (ص ٢٥٢)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٤٣)؛ وعقد اليواقيت (٢/٩٦).

(٤) وقال بعد أبيات (قوله: وقيس صوابه حيوة)، وهو حيوة أو حياة بن قيس الحراني، صوفي، يعتقد فيه الصوفية أنه أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق. سكن حران واستوطنها إلى أن مات بها سنة ٥٨١ هـ. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (ص ٢١٣ - ٢١٤).

(٥) هو عقيل المنبجي، من مشايخ الصوفية في الشام في القرن السادس، تخرج على عدي بن مسافر، وهو أول من دخل بالخرقة العمريّة إلى الشام، وأخذت عنه. سكن منبج واستوطنها نيّفاً وأربعين سنة، وبها مات. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (١/١٩١)، ط دار الفكر.

(٦) جمال الدين من الألقاب التي أضفوها على الفقيه المقدم.

لأعلى درجات الأحوال عندهم، وذلك بعد مرورهم بالبقاء بعد الفناء^(١) حيث تغمرهم الأنوار الربانية في استغراقهم في ذكر الله تعالى فيصابون بالاصطلام^(٢) والذهول فتختلط عليهم الأمور وتشابه فيصبح الذاكر والذكر والمذكور واحداً، وهو حال يسمونه البقاء بعد الفناء كما ذكر الشلي عن محمد بن علي الفقيه المقدم قوله: «ووردت على الأستاذ واردات وتجليات جليلات ربانيات أخذته عن نفسه وغاب عن حسه... ويحكى أنه قيل له وهو في تلك الواردات: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فقال: ليس لي نفس، فقيل له: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٣) فقال: ما أنا عليها، فقيل له: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقال: أنا من نور وجهه، وسمع أعرابياً يقول: هل محمد بن علي هو الله، فقال: أنا الله وخر مغشياً عليه، وقال: ما لي حاجة إلى محمد ومحمداه»^(٤).

وقد توسل أهل حضرموت بقبيره واستغاثوا به، وقد نُعت قبره بأنه يستسقى به كل من أجذب، ويستشفى به من كل وجع وعطب^(٥).

◀ سعيد بن عيسى العمودي (ت ٦٧٨هـ):

ويعتبر من رجال التصوف الأوائل الذين تحكّموا للمغربي الذي أرسله أبو مدين التلمساني إلى حضرموت^(٥).

وقد ذكر من كتب عن التاريخ الحضرمي أن سعيد بن عيسى العمودي: «أحى الله به هذه الطريقة الصوفية، وأظهرها على يديه في هذه الجهة الدوعنية ونواحيها بعد أن لم يكن لها وجود، لأهلها منها مطلع وشهود»^(٦).

ومن آثار العمودي ما جاء في كتاب (سلسلة أعلام حضرموت، الشيخ

(١) انظر: الكلام على الفناء عند صوفية حضرموت (ص ٨٦٨) من هذا البحث.

وأما البقاء عند الصوفية فيعرفونه بأنه: بقاء العبد بقيام الله له في قيامه الله بالله. وقيل يفنى عما له ويبقى بما لله. انظر: معجم مصطلحات الصوفية، للحفني (ص ٣٥)؛

وعوارف المعارف (٢/٢٥٠ - ٢٥١).

(٢) الغرر (ص ١٥٤). (٣) المشرح الروي (٢/٩).

(٤) المناقب، لعبد الرحمن الحامد (ص ٧٣). (٥) انظر: إدام القوت (ص ١٨٧).

(٦) ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان لمصادر التاريخ الحضرمي (ص ٣٥).

سعيد بن عيسى العمودي) تحت عنوان: «سلالات آل العمودي وتفرقهم في البلدان»: «ظهرت منذ القرن السادس الهجري لأسرة آل العمودي مكانة اجتماعية وصولاً وسلطنة في وادي حضرموت وما جاورها من الأودية والبلدان، وكان أساس هذا النفوذ وقاعدته مظهر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي... مجاوراً ومساعداً ومسانداً لمظهر وأثر وسلطنة الفقيه المقدم، وبهذا النفوذ الروحي والموقف الاجتماعي الديني انتشر المنهج الصوفي المتميز، وظهرت المدرسة العلوية، والطريقة العمودية، في كافة المدارس والزوايا والمساجد، متمثلة في أساليبها الخاصة، ووسائلها المألوفة... ومنها:

- ١ - نظام الحلقات العلمية لدراسة المذهب الشافعي وقراءة كتب الذوق.
- ٢ - إقامة الحضرات والأذكار والمولد.
- ٣ - الاهتمام بالمجاهدة للنفس ومن خلال الأخذ بالعزائم في الشرع^(١).

ويلاحظ أنه إلى زمن العمودي والتصوف أظهر وأقوى، وبسبب الغموض في تاريخ حضرموت - كما تقدم - فإن هناك بعض الفترات الزمنية لم يبدو فيها مدى الأثر للتصوف حتى جاء القرن التاسع وظهرت فيه شخصيات صوفية كان لها أثر في نشر التصوف كما سيأتي.

< مزاحم بن أحمد بامزاحم الحضرمي (ت ٨١٧هـ):

يعتبر هذا الرجل من الصوفية الذين تسربت إليهم أفكار الحلاج، فقد كان يتردد إلى زبيد للاجتماع بإسماعيل الجبرتي، واستعار منه كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي الطائفي ونقله في مدة قريية^(٢).

ويعد إسماعيل الجبرتي من الذين نشروا التصوف في اليمن في بلاد

(١) سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ سعيد بن عيسى العمودي)؛ لأبي بكر بن علي المشهور (ص ٢٨).

(٢) انظر: الصفة، الفقهاء في المذاهب (ص ٧٨)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٢٤).

زبيد، وكان من المروجين لكتب ابن عربي، وله طريقة صوفية قائمة على أفكار ابن عربي، وقد كان من المقربين للدولة الرسولية التي حكمت اليمن آنذاك، قال عنه الحافظ ابن حجر: «كان محباً في مقالة ابن عربي، وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد، حتى اجتمعت به فرأيت أنه يفهمه ويقرره ويدعو إليه، حتى صار من لم يُحْصَلْ لكتاب الفصوص من أصحابه لا يلتفت إليه^(١)».

دور تلاميذ الفقيه المقدم في نشر التصوف:

وقد تتلمذ على الفقيه المقدم عدة تلاميذ، وكان لبعضهم دور في نشر التصوف في حضرموت وذلك بنشر المؤلفات الداعية للتصوف، أو بنشر التلاميذ ونحو ذلك من الوسائل التي استخدمها القوم لنشر شركهم وبدعهم في بلاد حضرموت، وفي غيرها من البلدان التي وصلوا إليها.

من أشهر أولئك الذين أخذوا عن الفقيه المقدم ثم نشروا التصوف من بعده:

< عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن عبّاد المشهور بالقديم (ت ٦٨٧هـ):

هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن عبّاد المشهور بالقديم^(٢)، من كبار صوفية حضرموت في وقته، وهو من أكبر الدعاة لزيارة القبر المزعوم لهود عليه السلام^(٣)، يقول الشرجي عنه: «قصد مرة زيارة قبر النبي هود عليه السلام في نحو

(١) أنباء الغمر (١٦٣/٥). وانظر: الفكر الصوفي عند الجيلي، ليوسف زيدان (ص ٣٧)، ط ١٤٠٨هـ، دار النهضة العربية - بيروت. وهكذا يقال في صوفية حضرموت، فإنهم يذكرون عبارات في وحدة الوجود مقتبسة من كلام ابن عربي ثم يحاول الخلف أن يجدوا لها مخارج منها: أن ذلك الكلام من الشطحات، أو أنه في حالة سكر، أو أن معناها لا يفهمه غيرهم، أو تأويل الكلام ونحو ذلك، ولا يستبعد اعتقاد الوحدة عندهم لاهتمام كبارهم بكتب ابن عربي والحلاج كما سيأتي عن أبي بكر العيدروس وغيره من المعظمين لكبار زنادقة الصوفية، بل وتدرس كتبهم على المريدين.

(٢) انظر ترجمته في: طبقات الخواص (ص ١٧٦ - ١٧٩)؛ وإدام القوت (ص ٦١٠، ٦١١).

(٣) وهو قبر مزعوم لنبي الله هود عليه السلام يقع شرق تريم، في واد بقربه نهر جار طوال السنة يسمى (نهر هود عليه السلام)، وهذا القبر المزعوم أشهر القبور في حضرموت، وأكثرها زواراً وفضائل، إذ تقام له زيارة سنوية في شهر شعبان، وتقد إليه الناس من بلدان حضرموت المختلفة، وكذا =

ألف وخمسمائة نفس^(١).

ويعتبر «القديم» من أكثر الآخذين عن الفقيه المقدم^(٢)، وكذلك أخذ عن أحمد بن الجعد الأبيني^(٣) الذي ينتمي إلى الطريقة القادرية، قال الشرجي^(٤): «رحل إلى الشيخ أحمد بن الجعد وأخذ عنه اليد، وانتفع به في طريق الصوفية وعلومهم، ولقي أبا الغيث بن جميل^(٥) وغيره من الأكابر وانتفع بهم، وكان انتماءه إلى ابن الجعد^(٦).

وكان له جاه كبير ساهم في نشر التصوف لا سيما في الناحية الغربية والساحلية من حضرموت، وذلك بعد وفاة شيخه الفقيه المقدم^(٧). وقد قام كذلك بالترتيب والتوقيت للزيارة حيث جعلها بعد الفراغ من شؤون حصاد التمر، وأصبح تقليداً متبعاً أن يكون المشايخ آل باعباد أول

= من خارجها، ولترويج هذه الزيارة الشريفة والبدعية فقد ذكروا من فضائل هذه الزيارة أن من زار هود سبع مرات بمنزلة حجة! انظر: إدام القوت (ص ١٠١٧ وما بعدها)، ط المنهاج.

(١) طبقات الخواص (ص ١٧٧).

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٢٢١)، ط ١، دار الطباعة الحديثة - القاهرة، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص ١٢٩).

(٣) هو أحمد بن أبي الجعد الأبيني، صوفي كبير من صوفية زبيد، له حكايات وكرامات ترونها الصوفية على الناس، من مؤلفاته: كشف الأسرار للأعيان الخيار (الدر المنير) توفي نحو سنة ٦٩٠هـ. انظر: طبقات الخواص (ص ٧٢ - ٧٤)؛ وطبقات صلحاء اليمن (ص ٧٢).

(٤) هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، من صوفية زبيد باليمن، ولد سنة (٨١٢هـ). من مؤلفاته: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، وطبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، والجواب الشافي في الرد على المبتدع الجافي. وتوفي سنة ٨٩٣هـ. انظر: الضوء اللامع (٤/ ٣٢٢)؛ وكتاب هجر العلم ومعاقله في اليمن، للأكوع (١٠٤٣/ ٢ - ١٠٤٤).

(٥) هو أبو الغيث بن جميل: صوفي كبير، وكان أصله من الموالي، من مشايخه علي بن أفلح الصوفي توفي سنة ٦٥١هـ، جمع كلامه أحد تلامذته قال الشرجي في وصفه: «مجموع في قدر مجلد لطيف عندي نسخة منه». انظر في ترجمته: مرآة الجنان، للبياعي (٤/ ١٣٦)؛ والعقود اللؤلؤية للخزرجي (١/ ١٠٧)؛ وطبقات الخواص (ص ١٨٧)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٢٢).

(٦) طبقات الخواص (ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٧) طبقات الخواص (ص ٧٨٤).

الذاهبين إلى زيارة النبي هود عليه السلام^(١).

يقول عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف عند التعريف ببلدة الغرفة: «بها فقراء صالحون يعرفون بآل باعباد، ومن مشائخهم الكبار ومشاهيرهم: الشيخ الكبير العارف بالله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باعباد، وهو أول من اشتهر بالتصوف بحضرموت^(٢).

قال عنه ابن عبيد الله: «كان للشيخ عبد الله القديم ولذريته من بعده تعلق عظيم بالعلويين، وسمعت من بعض المشائخ أنهم أول من سنَّ تقبيل أيدي العلويين بحضرموت^(٣)، وقال أيضاً: «وقال لي بعضهم أن آل باعباد هم الذين حملوا الناس على دعائهم بالحبيب، وعلى تقبيل أيديهم لا على تقبيل أيدي العلويين، وأنهم لا يزالون على ذلك بين أتباعهم إلى اليوم^(٤).

وهذه الآثار التي قام بها آل باعباد كان من أسباب رواجها في المجتمع هو جاههم الكبير الذي كان يتمتعون به قبل تمكن العلويين وتقدمهم عليهم^(٥).

وقد روج القديم لشيخه الفقيه المقدم حيث كان يقول عن شيخه: «ما تمضي على الفقيه محمد بن علي ساعة إلا وهو سكران من حُمَيَّا^(٦) محبة الله الرحمن الرحيم^(٧).

ويزعم أن شيخه يشفع يوم القيامة في قبيلة نهد^(٨).

(١) تاريخ حضرموت، للحامد (١/ ٦٩)؛ وزيارات وعادات (زيارة نبي الله هود)، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص ٢٥).

(٢) إدام القوت (ص ٣٢٣)، ط الإرشاد. وهذا من الاضطراب في تحديد أول من اشتهر بالتصوف في حضرموت فقد تقدم أنه صاحب مرباط، وهنا ذكروا أنه القديم باعباد.

(٣) إدام القوت (ص ٣٢٤). (٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: الحكاية (٣٤٩) من الجوهر الشفاف.

(٦) الحُمَيَّا: شدة الغضب، وأوله، ومن الكأس: سورتها وشدتها، أو إسكارها، أو أخذها بالرأس، ومن كل شيء شدته. القاموس المحيط (ص ١٢٧٧). انظر كيف يفتخرون بذكر أوصاف الخمر ويعدون ذلك من مناقب مشايخهم، وكيف يشبهون أحوالهم بالسكاري - أعاذنا الله من ذلك.

(٧) المشرح الروي (٢/ ١٤٤).

(٨) شرح العينية (ص ١٥٨). ونهد عبارة عن عدة قبائل موجودة بحضرموت منذ القرن السادس وهي: قبائل خيثمة، وظبيان، ومرة، ومعروف. انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٦٢١).

كما ذكروا عنه أنه من الدعاة إلى التوسل الشركي، فقد قال: «من وقع منكم في ضيق فليتوسل إلى الله تعالى بي ويدعوني فإني أحضركم أينما كنتم»^(١). وكذلك فقد كان له تلاميذ روجوا لدعوته الصوفية في مناطق مختلفة من حضرموت في سيحوت، وفي وادي بن علي، وفي عمد، وفي مريمة^(٢) وغيرها من بلاد حضرموت^(٣).

كما كان من آثاره ما ذكره القائمون على مقام باعباد في الغرفة بحضرموت في هذا الزمن من إحياء القديم لأراضي شعب هود وبناء مسجده عام ٦٤٤هـ، فورث آل باعباد هذه الأراضي إلى اليوم^(٤). ومن آثاره أيضاً: السماع بالدف والأشعار في المحبة، والسلوك ليلة الخميس والاثنين راتباً ثم استمر عليها من بعده^(٥)، وقد توفي بمسجد الحلة بالغرفة سنة ٦٨٧هـ، ودفن بمقبرة شبام^(٦)، وتربته هناك من التراب التي يتبرك بها، وتقصد للزيارة من الأماكن البعيدة، وقد بنيت على قبره سقيفة^(٧).

«علي بن محمد الخطيب (ت ٦٤٤هـ):

هو أبو الفتح علي بن محمد الخطيب المشهور بمولى الوعل، وصفه صاحب برد النعيم: بالقطب الغوث الفرد^(٨)، وذكر له عدة كرامات^(٩).

(١) طبقات الخواص (ص ١٧٧).

(٢) مريمة: تقع جنوب شرق سينون، وتبعد عنها نحو (٨) كيلاً. انظر: إدام القوت (ص ٧٥٠ الحاشية).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (ص ٧٨٨). وقد نقل ذلك من كتاب «مناقب آل باعباد وأخبارهم». وانظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٢).

(٤) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٢).

(٥) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٨٧). (٦) انظر: المصدر السابق (٢/ ٧٩٠).

(٧) طبقات الخواص (ص ١٧٩). وانظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٢).

(٨) القطب عند الصوفية له صفات كثيرة منها الغوثية والفردية وغير ذلك من صفات الرب تعالى - التي يرونها أعلى الدرجات التي يصل إليها الصوفي في الطريقة - وهو رجل واحد يزعمون أنه موضع نظر الله من العالم في زمان، ويسمى بالغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه. وقيل: خلق على قلب محمد ﷺ، وقيل على قلب إسماعيل عليه السلام. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص ١٦٢)؛ والمعجم الصوفي، للحنفي (ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٩) انظر: رد النعيم، في نسب الأنصار خطباء تريم، لمحمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب =

الملقب بصاحب الوعل، وقد وصفه محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب الحضرمي^(١) بالقطب الغوث الفرد، وإنسان عين الأستاذين ولسان الملكوت القدسي في عالم التمكين^(٢).

ويقول أيضاً عند ذكر كرامات علي بن محمد الخطيب منها: «تفقير ملك حضرموت بأسرها وأبو ملوك غورها ونجدها، المكنى بلاذهم الثاني جد ملوك آل يماني بن لبيد الظني»^(٣).

فمن هذا النص يتضح أثر علي الخطيب على أحد حكام حضرموت في إدخاله في دائرة التصوف، المسماة بدائرة الفقر.

وقد وردت أبيات شعرية لمحمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب في مدح صاحب الوعل هذا قال فيها:

واقصد إماماً بالزيارة صادقاً تُعْط من الخيرات ما لم يرمقا
وتنال في دنياك أشرف حالة بزيارة الشيخ الإمام الأوثقا
أعني به قطب العوالم كلها وإمام تربتنا ونوره مشرقا
ذاك المسمى بالفتوح علينا ابن الإمام محمد المتحققا
إلى أن قال:

أقسمت بالله الكريم وحقه ما زاره ملهوف مشغب محرقا
إلا انثنى مسرور محظياً بما يهواه من كل الأمور مروقاً^(٤)
توفي بتريم سنة ٦٤١هـ.

(١) (ص ٤٢ - ٤٥). وانظر تصوف السلطان ابن يماني علي يد علي بن محمد الخطيب: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٥٠٤).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن سليمان الخطيب: من علماء صوفية حضرموت، ولد سنة ٩٥٦هـ، وتوفي سنة ١٠٢٥هـ. من مؤلفاته: برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم. انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (١/ ١٦٥)؛ والشواهد الجلية (ص ٧٤)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٥٢٠).

(٣) انظر: برد النعيم (ص ٤٢ - ٤٣). (٣) المصدر السابق (ص ٤٤).

(٤) المصدر السابق (ص ٤٥).

« علوي ابن الفقيه المقدم (ت ٦٦٩هـ):

هو علوي بن محمد بن علي العلوي، ولد بتريم، ومن الذين ادعت لهم صوفية حضرموت الكرامات الخارقة، بل ادعت لهم صفات الرب تعالى^(١). من الذين غلا فيهم صوفية حضرموت، فقد وصفه صاحب كتاب الغرر بأنه: «صاحب الأحوال الباهرة، والعلوم اللدنية، وممن أذن له في التصريف المطلق بإذن الله في الدنيا والبرزخ والآخرة، وشهد له المشايخ العارفون المكاشفون: أنه من الذين يتصرفون في قبورهم كما يتصرفون في حياتهم»^(٢).

وقد غلا فيه القوم حتى قال عبد الرحمن بن علي العلوي: «إن العارفين قالوا: ثلاثة من آل أبي علوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرجة ملجمة، إذا ما دعوتهم ونوّهت بأسمائهم حضروك وأنقذك وأدركوك من كل خوف وفي كل مخافة، وفاح سر بركتهم، فمن دعاهم بصدق نية أجيب:

إذا خفت أمراً أو توقّعت شدة فنوّه بهم كي يدركوك ويحضروا
فنوّه بعلوي الفتى وابنه علي كذا عمر فيما يجمل ويعسر
فغارتهم تنجيك من كل شدة وعسر وضيق أو بصدرك يكبر»^(٣)

وقد جعله القوم معبودهم الذي يلجأون إليه عند الشدائد، ويستغيثون به لتفريج كربهم وإزالة ما حل بهم من الضر، يقول محمد بن علي خرد:

أنت الغياث لمن أتاك وعونه مهما دهاه من الشدائد موبق
أنت المنادى في الخطوب إذا طرت لغياثكم هو موقن ومصديق
وهو الصفي المرتضى بحر الصفا وهو الخضم الكامل المتحذق
الهادي لخيرات في تيه الردا المنجي الملهوف من هو موثق
فاقصد إلى ربع حواه وناده كي للبلاء تكفى تعان وتطلق
إذا ضقت ذرعاً أو خشيت مكدرأ فيه فسل تعطى المنى وتوفق

(١) انظر: الغرر (١٥٩، ٣٧٣)؛ وشرح العينية (١٦٩، ١٧٣).

(٢) الغرر (ص ١٥٩).

(٣) شرح العنة (ص ٧٤١)؛ وانظر أيضاً: المشرع الروي (٢/ ٢١٢).

متصرفاً بحياته ومماته دنيا وأخرى والبرازخ تلحق
ذا القول يروى عن شيوخ سادة من المعارف حققوا وتحققوا^(١)
وقد وصفوه كذلك بأنه: يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويقول
للشيء كن فيكون، ويميز الشقي من السعيد، وأن له العلوم اللدنية، والأسرار
الإلهية، نافذ التصرف عالماً بالأسرار والاطلاع والتعريف^(٢). توفي بتريم سنة
٦٦٩هـ.

المطلب الثالث

أعلام الصوفية في حضرموت

من عهد السقاف إلى قرب القرن الثاني عشر

وتعتبر هذه المرحلة من المراحل المتميزة في تاريخ التصوف في
حضرموت، وقد قاد هذه المرحلة أعلام قاموا بدور كبير في نشر التصوف،
ومن أشهرهم:

« عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة (السقاف) (ت ٨١٩هـ):

هو عبد الرحمن بن محمد بن علي مولى الدويلة، المشهور بالسقاف،
ذكروا له تبجاً بالكفريات والشطحات الكبيرة وكثيراً من الكرامات المنكرة،
وادعوا له صفات الرب تعالى، وهو من الذين نشروا السماع البدعي
المصحوب بالآلات الطرب في المساجد^(٣).

كان لهذا الرجل أثر فكري كبير في الحياة الفكرية والاجتماعية
بحضرموت في عصره، فقد كان من رؤوس المتصوفة في حضرموت من نهاية
القرن الثامن إلى بداية القرن التاسع الهجري، وقد اعتبره المؤرخ صالح الحامد
صاحب الزعامة الدينية بعد الفقيه المقدم^(٤).

(١) الغرر (ص ١٦١).

(٢) انظر: الجوهر الشفاف (١/ ٦٢)؛ والغرر (ص ١٦١، ١٦٣، ٣٧٣، ٣٧٥).

(٣) انظر: الغرر (ص ١٨٨، ٣٩٦)؛ والمشرع الروي (٢/ ١٤١ - ١٤٧)؛ وشرح العينية (ص ١٨٣).

(٤) تاريخ حضرموت (٢/ ٧٤٢ - ٧٤٤).

وقد كان السقاف من المتعلقين بكتب أبي حامد الغزالي، والداعين لقراءتها، حتى قال عن كتاب الإحياء: «كاد الإحياء يكون قرآناً» وقال: «من لم يقرأ الإحياء ما فيه حياة»^(١).

ويقول صالح الحامد العلوي مبيناً تصوف عبد الرحمن السقاف: «أما التصوف فقد خاض في بحاره وضرب في أنجاده وأغواره حتى بلغ عين الحقيقة، وظهرت له خوارق عظيمة وكرامات باهرة، ذكر منها الشيخ الخطيب مائة كرامة أو أكثر، وأورد منها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير^(٢) في التحفة النورانية مثل ذلك»^(٣).

وهذا يدل على شدة الغلو عند القوم حيث أحصوا لعبد الرحمن السقاف هذه الكرامات، فإذا كان الخطيب قد ذكر له مائة كرامة، وصاحب الغرر ذكر له عشرات الكرامات وكذا صاحب المشرع ونحوهم، فهذا يدل على منزلة الرجل العالية في التصوف، ومدى الاعتقاد فيه من قبل مؤلفي الصوفية.

ومن آثار السقاف أيضاً إدخال السماع - وهو الإنشاد المصحوب بالدفوف والشبابات^(٤) - في مسجده بتريم وسماه «الحضرة» أو راتب السقاف، وكان يترك راتباً أو ثلاثة إذا مات أحد آل أبي علوي^(٥)، وقد استمر راتبه إلى اليوم^(٦). توفي بتريم سنة ٨١٩ هـ.

(١) المشرع الروي (١٤٤/٢)؛ وانظر عن فضائل كتاب الإحياء عند القوم: كتاب (تعريف الأحياء بفضائل الإحياء)، لعبد القادر العيدروس (٦/٥، ٧، ٨).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن باوزير، أحد تلامذة عبد الله العيدروس ألف كتابه (التحفة النورانية في مناقب فاطمة الرضية وذريتها خير البرية)، وهو في مناقب شيخه المذكور واستطرد فيه إلى مناقب فاطمة عليها السلام. انظر: تاريخ حضرموت للحامد (٣٠٠/١)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٤٩٨).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٧٤٦/٢).

(٤) جمع شبابة وهي آلة موسيقية ينفخ فيها فتصدر صوت وهي كالزمزامر.

(٥) انظر: الجوهر الشفاف (٦٨/٢ - ٦٩)؛ الحكاية (٣٢٠).

(٦) تاريخ حضرموت، للحامد (٧٤٦/٢). وكذلك استمر راتب السقاف بعد صالح الحامد إلى يومنا هذا في كثير من مناطق حضرموت وغيرها ممن تأثر بصوفية حضرموت.

«عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف: (ت ٨٢٣ هـ):

هو عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف، صاحب الكرامات الكثيرة التي يرددها الناس إلى يومنا هذا، ولد بتريم، وكان من أصحاب المجاهدات الصوفية الغربية، ومن المقدسين عند صوفية حضرموت، فقد دعوا الناس إلى دعائه والاستغاثة به عند الشدائد وذكروا عنه حكايات ومناقب في ذلك أضلوا بها كثيراً من الخلق^(١).

يعتبر المحضار من علماء الصوفية، ومن الأولياء المخصوصين بمزيد الاهتمام، وذلك بذكر مناقبه وكراماته، وقد ساهم مع سلفه في فتح أبواب الشر في حضرموت وذلك بالتعلق بالقبور؛ لما له من المكانة عند صوفية حضرموت، يقول عنه أحمد بن زين الحبشي^(٢): «وأخذ مجاوراً عند قبر هود بحضرموت شهراً، لم يأكل سوى رطل سمك»^(٣). وقد ارتقى عمر المحضار في دائرة الصوفية حتى بلغ عند القوم مرتبة القطبية^(٤).

وارتبط اسمه بكثير من الكرامات حتى قال الخطيب: «صاحب الأحوال الفاخرة والكرامات الظاهرة المشهورة قبل أن يولد»^(٥) التي جعلت عامة الناس بتريم يتناقلونها، فأصبح على طرف لسان العامة في تريم حيث يستغيثون به عند المصيبة قائلين: يا عمراً! يا محضاراً! يا بو عيشة!^(٦).

(١) انظر: المشرع الروي (١٤١/٢).

(٢) هو أحمد بن زين الحبشي، ولد سنة ١٠٦٩ هـ بقرية الغرفة وتلقى علومه على شيوخ الصوفية في عصره ومن أهمهم:

عبد الله بن علوي الحداد. توفي سنة ١١٤٥ هـ من مؤلفاته المسلك السوي في جمع فوائد مهمة ملتقطة من المشرع الروي والنفحات السرية والنفثات الأمرية شرح القصيدة المنظومة العينية انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٨٥/٢)؛ وعقود الألباس (ص ٣٦).

(٣) شرح العينية (ص ١٩٤). (٤) المصدر السابق (ص ١٩٣).

(٥) الجوهر الشفاف (١٥٨/٢). هكذا الغلو يفعل بأصحابه حتى يجعلهم يهرفون بما لا يعرفون، انظر غلو الخطيب في المحضار وادعائه أن له كرامات وأحوال قبل ولادته.

(٦) هكذا بالدارجة الحضرمية، وعائشة ابنة لعمر المحضار يكنى بها. انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٣).

وقال عنه محمد بن أحمد الشاطري: «وهو أعظم شيخ معتقد في عصره»^(١).

ومن آثاره: إقامة نقابة للعلويين في حضرموت تحت ضمان حكام تريم، وهذه النقابة امتداد لفكرة الفقيه المقدم في تحقيق المكانة الاجتماعية التي يسعى لها العلويون لنشر فكرهم وهدفهم الذي يؤملون تحقيقه.

وقد أسست نقابة للعلويين بتريم، وكان عمر المحضار هو أول رئيس لها، ثم تولى بعد المحضار نقباء آخرون منهم العيدروس الأكبر (ت ٨٦٥هـ)^(٢)، وأحمد بن علوي باجحدب (ت ٩٧٣هـ)^(٣)، وزين العابدين الأكبر العيدروس (ت ١٠٤١هـ)^{(٤)(٥)}. توفي بتريم سنة ٨٣٣هـ.

«سلطانة بنت علي الزبّيدية (ت ٨٤٧هـ):»

هي سلطانة بنت علي الزبّيدية، من متصوفات حضرموت في أواخر القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع ولدت سنة ٧٨٠هـ. تحكمت لعبد الرحمن السقاف، وابنيه عمر المحضار وأبو بكر السكران. وكذا لمحمد بن عبد الله باعباد، وذكروا عنها أحوالاً ومكاشفات صوفية، كانت تقيم

(١) سيرة السلف من بني علوي الحسينيين (ص ٣٥).

(٢) هو عبد الله بن أبي بكر العيدروس، من كبار شيوخ صوفية حضرموت، ولد بمدينة تريم سنة ٨٢١هـ، وأخذ عن عمه عمر المحضار وتدرّب به في سلوك الصوفية، ثم تلقى علومه على جمع كبير من الشيوخ. من آثاره: كتاب الكبريت الأحمر في التصوف، وشرح قصيدة الصوفي سعيد بالحاف، توفي سنة ٨٦٥هـ. انظر: الضوء اللامع (١٦/٥)؛ والمشرح الروي (١٥٢/٢)؛ وشرح العينية (ص ٦٤٤)؛ وعقد اليواقيت (١١٨/٢)؛ وتاريخ الحامد (٧٥٧/٢).

(٣) هو أحمد بن علوي بن المعلم محمد بن علي بن محمد، عرف جده بباجحدب، من مشايخ صوفية حضرموت، وهو من شيوخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، وسعيد الشواف - صاحب القصيدة الطويلة - وغيرهما. وقد ذكروا عنه كثيراً من الشطحات والكرامات، توفي بمدينة تريم سنة ٩٧٣هـ. انظر: المشرح الروي (٦٩/٢ - ٧٣).

(٤) هو زين العابدين بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس نقيب العلويين، ولد بمدينة تريم سنة ٩٨٤هـ توفي سنة ١٠٤١هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص ١٠٧ - ١٠٨).

(٥) أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧). وانظر تفصيل أهداف نقابة العلويين: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٥١ - ٧٥٥)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٤ - ٢٦٥).

ببلدة العر - شرقي بلدة مريمة -^(١). وهي من المتصوفات الأمّيات بحضرموت، وكانت من الموالين للعلويين مقتدية بمنهجهم الصوفي،، فقد بنت «رباط العر» في منطقة مريمة بحضرموت لنشر التصوف وجمع المريدين وتعليمهم طريق التصوف، وسميت حوطتها التي بنتها «بحوطة سلطنة» ولها زيارة سنوية يفد إليها الناس من مختلف الجهات الحضرمية^(٢).

وقد وصف القوم أحوالها وعباداتها بأنها تشبه رابعة العدوية^(٣)، وتحكمت لطريق التصوف عند آل باعباد هي وأخوانها، ورجعت عن طريق العوام^(٤).

وقد تدرجت في التصوف حتى قالوا بأنها: «ذات أحوال وكرامات ومكاشفات وأسرار جلييلة وبراهين مشهودة، وصارت فيما يروى عنها ترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجال الغيب يقظة وتكلمهم، ولها في التصوف أحوال غريبة»^(٥).

وكانت شاعرة تقول الشعر الحميني «العامي» وتميز شعرها بالعشق الإلهي^(٦).

وكان متصوفة حضرموت يتبركون بزيارتها في حياتها وبزيارة ضريحها بعد وفاتها^(٧).

توفيت سنة ٨٤٧هـ ببلدة العر.

(١) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٣ - ٧٩٥).

(٢) انظر: إدام القوت (ص ٧٥٧ - ٧٥٨)، ط المنهاج؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤ - ٧٩٥)؛ وأدوار التاريخ الحضرمي (ص ٣١٠).

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية، أم الخير، مولاة آل عتيك، اشتهرت بالصلاح والعبادة، تكلم فيها الإمام أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة. توفيت سنة ١٣٥هـ. وقيل ١٨٥هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٨)؛ والسير (٨/ ٢٤١)؛ والبداية والنهاية (١٠/ ١٨٦) وما بعدها؛ والأعلام (٣/ ١٠).

(٤) انظر: إدام القوت (ص ٤١٣). (٥) انظر: تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤).

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٦).

(٧) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٩٤).

« عبد الرحمن بن محمد الخطيب (ت ٨٥٥هـ):

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب^(١)، ولد بمدينة تريم سنة ٧٩٥هـ، وعاش حياة صوفية، توفي سنة ٨٥٥هـ، من مؤلفاته الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء العراف، وعقد البراهين المشرقة، ويعتبر كتاب الجوهر الشفاف من أكبر الكتب الخرافية المنتشرة بحضرموت، حيث حوى الخرافات والأساطير المسماة عندهم «بالكرامات» المتضمنة للشركيات والبدع والانحراف عن دين الله تعالى^(٢).

وقد وصف ابن عبيد الله عبد الرحمن الخطيب بأنه: «غريد مديح العلويين وصنّاجة ثنائهم»^(٣).

« علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف العلوي (السكران) (ت ٨٩٥هـ):

يعتبر علي بن أبي بكر من المتصوفة الذين وصلوا درجة المشيخة الصوفية، فلا يذكرونه إلا بلقب الشيخ علي، حتى قال فيه عبد الله بن محمد بن حامد السقاف (ت ١٣٨٠هـ)^(٤): «وإذا فهمت مغزى المشيخة في إطلاق الصوفية أدركت معنى اشتهاه بالشيخ علي»^(٥)، ويقول عنه عبد الله

(١) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٧٧)؛ وتاريخ حضرموت للحامد (٢/٣٠٠).

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر خرافات وبدع وشركيات هذا الكتاب الصفحات التالية (١/ ٢، ١٩، ٣٢ - ٣٣، ٤٨، ٦٢، ٧٥، ٨٧، ٩٢، ٩٦، ١٥٩، ١٧٣ - ١٧٤، ١٧٨، ٢٤٤، ٢٧/٢، ٣٠ - ٣١، ٣٤، ٣٧، ٤٤ - ٥٧، ٥٨ - ٦٤، ٦٥، ٨٤، ٨٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٩/٣، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٤٦، ٧٣، ٨٨، ١٠٦، ١٠٩، ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٠، ١٩١، ٤٢٩).

(٣) إدام القوت (ص ٤٩٢).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، ولد بمدينة سيئون وتلقى علومه على يد والده ثم رحل إلى مصر وجاوة والحجاز، من مؤلفاته: تاريخ حضرموت السياسي، وتاريخ الشعراء الحضرميين، والبدر الساطع في تاريخ الإمام الناصر (أحمد). توفي بسيئون سنة ١٣٨٠هـ. انظر: باقات الرياحين (ص ١٠٦)؛ ومقدمة كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين.

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين للمؤرخ عبد الله بن محمد بن حامد السقاف (١/٧٨)، ط ٣، ١٤١٨هـ، الناشر: مكتبة المعارف - الطائف.

الحبشي^(١) بأنه: «تفرغ لعلوم الصوفية»^(٢).

وكما كان هذا الرجل متأثراً بالفلسفة في كتاباته حتى قال عنه صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين: «ومن الذين درسوا الحياة، وله في الفلسفة أبحاث عميقة تجد منها شظايا في حداثته الثمانية والعشرين»^(٣).

ووصفه الحامد بأنه: «يستطيع بسط المعاني في الفلسفة الصوفية»^(٤).

وجاء في كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين وصف علي السكران بأنه «فصيلة من رجال الرسالة القشيرية»^(٥).

وله كتاب «البرقة المشيخة» حشاه بالخرافات، والكرامات، وكلام المتفلسفة والعبارات الغريبة»^(٦).

وكان السكران يدرس كتاب الفتوحات لابن عربي في تريم للمريدين^(٧).

ويقول عنه صالح الحامد: «ويمكن أن يقال أن حامل راية الشعر الصوفي في القرن التاسع بحضرموت هو العلامة الشيخ علي بن أبي بكر صاحب كتاب البرقة»^(٨).

(١) أحد العلويين الحضارمة، معاصر، مؤرخ، يعمل في المركز الثقافي بأبوظبي، ويعتبر الحبشي من المكثرين من التأليف والتحقيق في هذا الزمان، من آثاره: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، والصوفية والفقهاء في اليمن، وتحقيق تحفة الزمن للأهدل. انظر: مؤلفاته والكتب التي حققها: نهاية طرة كتابه المسمى (معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها): (٢/١٣٧٣ - ١٣٧٦).

(٢) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، لعبد الله بن محمد الحبشي (٣١٦)، ط ١، ١٤٠٨هـ، المكتبة العصرية - بيروت.

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٧٩). (٤) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/٦٤٧).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٨٠).

(٦) انظر على سبيل المثال لا الحصر المخالفات التي حواها هذا الكتاب: وصف أوليائهم بصفات الرب تعالى (ص ١٣١، ١٤٠، ١٤١)؛ اللجوء للموتى عند الشدائد (ص ١٠)؛ اعتقاد تصرف الموتى في الكون (ص ٢١٣، ٢٢٣)؛ والتوسل الممنوع (ص ٧٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٩ - ١٢٠).

(٧) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/٧٦٨). (٨) المصدر السابق (٢/٦٤٧).

ويقول أيضاً: «والشيخ علي المذكور يعتبر شاعراً في فنه، يعبر عما يخالجه نفسه، يستطيع بسط المعاني في الفلسفة الصوفية بحيث يؤديها تمام الأداء في أسلوب فصيح»^(١).

«عبد الرحمن بن عمر باهرمز الشبامي: (ت ٩١٤هـ):

هو عبد الرحمن الأخضر بن عمر باهرمز، من صوفية حضرموت أصحاب الطريقة الملامتية، ولد بشبام سنة (٨٤٠هـ)، وأخذ عن مشايخها. الشهير بالأخضر، ويعتبر من مشايخ معروف باجمال أحد المعظمين عند صوفية حضرموت^(٢).

وقد وصفه القوم بأن: «حصل له التمكن التام، والتصريف»^(٣).

ويمثل باهرمز ومن تبعه من تلاميذ كباخرمة^(٤) الطريقة الملامتية^(٥) وهي من «المامة» لأنهم يشتغلون بملامة أنفسهم ويهملون الشريعة، وإن كانت هذه الطريقة اضمحلت كطريقة مستقلة، ولكنها استمرت في سلوك كثير من الأولياء في كل الطرق من التظاهر بالتهتك والانحراف وفعل المنكرات^(٦)، ومنها ما ذكره عبد القادر العيدروس في تاريخه عن باهرمز هذا

(١) المصدر السابق (٢/٦٤٧).

(٢) انظر: تاريخ النور السافر (ص ٥٩)؛ وتاريخ الشجر (ص ٨٣)؛ و«تاريخ الشعراء الحضرميين» (٩٤/١ - ٩٦).

(٣) خلاصة الخبر (ص ٣٥٩)، ط ١، ١٤٢٣هـ، ط دار المنهاج.

(٤) هو عمر بن عبد الله بن أحمد باخرمة، ولد سنة ٨٨٤هـ بمدينة الهجرين بحضرموت، وكان من جهابذة الفقهاء ثم سلك طريق التصوف حتى نفاه السلطان الكثيري إلى الشجر، ثم رحل إلى عدن، ومكث بها مدة ثم رجع إلى حضرموت واستقر بمدينة سيئون. من آثاره: الورد القدسي في شرح آية الكرسي، وشرح أسماء الله الحسنى، والمطلب اليسير من السالك الفقير وغير ذلك. توفي بسيئون سنة ٩٥٢هـ. انظر: رحلة الأشواق القوية (ص ٣٠)؛ وتاريخ الدولة الكثيرية (ص ٥١)؛ والأعلام (٥/٢١٢)؛ وعقد البواقيت (٣/٩٣)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٣٠ - ١٣٣).

(٥) الطريقة الملامتية إحدى الطرق الصوفية وسميت بذلك نسبة إلى لوم النفس، ويطلق عليها القصارية نسبة إلى حمدون القصار (ت ٢٧١هـ). انظر أخبارهم: الخطط والآثار للمقريزي (٢/٤٣٢ - ٤٣٣)؛ والرد الوافر مع الحاشية (ص ٩٤ - ٩٥).

(٦) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص ٣٥٤).

بأنه: «كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال فيغنين بين يديه ويرقصن، فكان هذا دأبه أكثر الأوقات»^(١).

وهذه من آثار المتصوفة السيئ في فتح باب الشر لاختلاط الرجال بالنساء عند ورود الحال الشيطاني عليهم، وهذه من أحوال مشايخهم، ويعد هذا أحد توجهات الصوفية، ويفتح باهرمز لهذا الباب نجد أنه قد تبعه عليه بعض تلاميذه أمثال عمر بن عبد الله بن أحمد باخرمة (ت ٩٥٢هـ) حتى وصفه القوم بأنه: «غلب عليه الحب والشهود، والفناء الكلي عن الوجود، فأكثر من السماع»^(٢) حتى من ذوات القناع، وأنكر عليه فقهاء عصره^(٣).

وكان عمر باخرمة في آخر عمره على سيرة شيخه عبد الرحمن باهرمز من جمع النساء الحسان والسماع^(٤)، توفي عبد الرحمن باهرمز بهين سنة ٩١٤هـ.

«معروف بن عبد الله باجمال (ت ٩٦٩هـ):

هو معروف بن عبد الله باجمال الشبامي، من كبار صوفية حضرموت في زمنه، ولد سنة ٨٩٣هـ. من شيوخه: عبد الرحمن الأخضر بن عمر باهرمز. وأما تلاميذ معروف فأشهرهم: أبو بكر بن سالم^(٥) صاحب عينات، ويعد معروفاً من المعظمين لابن عربي واتباعه. توفي سنة ٩٦٩هـ^(٦).

(١) تاريخ النور السافر (ص ٥٩)؛ وخلاصة الخبر (ص ٣٥٩).

(٢) انظر السماع عند صوفية حضرموت (ص ٩١٢) وما بعدها من هذا البحث.

(٣) خلاصة الخبر (ص ٤٣١).

(٤) المصدر السابق (٤٣٣).

(٥) هو أبو بكر بن سالم العلوي من كبار الصوفية بحضرموت ولد سنة ٩١٩هـ بتريم وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى دوعن واتصل بالصوفي الكبير معروف باجمال له مؤلفات منها: كتاب معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح، وكتاب فتح باب المواهب وبغية مطلب الطالب، وكتاب معراج التوحيد، وكتاب مفتاح السرائر وكنز الذخائر. توفي سنة ٩٩٢هـ. انظر: تاريخ النور السافر (ص ٣٦٨)؛ والمشرح الروي (٢/٢٦)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٦٧ - ١٧١). وأفرده حفيده عبد الله بن أحمد الهدار ترجمته ومناقبه في كتاب ضخم بعنوان: الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر طبع بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ.

(٦) انظر: تاريخ النور السافر (ص ٢٤٦)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٤٧)؛ وخلاصة الخبر (ص ٤٤٤).

ويعد هذا الرجل من كبار مشايخ أبي بكر بن سالم - صاحب عينات - ، وقد وصفوه بالألقاب الصوفية الكبيرة؛ وأنه الإمام العارف بالله تعالى .

وأفرد ترجمته محمد بن عبد الرحمن باجمال^(١) بمؤلف سماه: «مواهب البر الرؤوف في مناقب الشيخ معروف»^(٢) . وقد قام معروف بدور كبير في نشر التصوف، فقد بلغ أثره كما يذكر الشاطري أن أثر على السلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري^(٣)، الذي أقام له سلطنة بشبام، وكان معروف من مستشاريه، وقد سعى في إقامة دولة تشتمل على شعب متصوف^(٤) .

وجاء في كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين عند ذكر مجالس معروف باجمال الصوفية: «ويقول الذين يحضرون مجالسه أنه كثير التحدث عن أذواق الصوفية ومشاربهم وما لها من آثار كالتواجد»^(٥) .

وكان معروف يحسن الظن بآبن عربي وطائفته، ويقبل ما قالوه ويكل ما فيه من الإشكال إلى الله تعالى^(٦) .

ولا شك أن صدور مثل هذا الكلام من كبارهم كان من الأسباب التي فتحت باب الزندقة الذي أوقع البعض في شركها، لأن الدين - بزعمهم - له ظاهر وباطن وعلوم كبار الزنادقة لها باطن لا يعرفها إلا الواصلون، فهذا من

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال ولد ببلدة الغرفة ورحل إلى الشحر لطلب العلم وكان من المبرزين في علم الفقه والتاريخ وتولى القضاء بعدة بلدان ورحل إلى الهند وتوفي سنة ١٠١٩ هـ . من مؤلفاته: هداية العباد بنظم الإرشاد، والقول المفيد في أحكام التقليد، فتح الفتاح في أحكام النكاح . انظر: خلاصة الأثر (٣/٤٩٣)؛ وعقود اللآل (ص ٣٦) .

(٢) الكتاب لا يزال مخطوطاً بمكتبة الأحقاف بتريم .

(٣) هو السلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري، ولد ببلدة بور بحضرموت، وهو أول من نصب سلطاناً على حضرموت التي كانت في وقته متفرقة بين ولاية كثيرين، وقد استولى على ظفار سنة ٨١٦ هـ بعد حروب ومناوشات، واستمر في الحكم إلى أن توفي سنة ٨٢٥ هـ . انظر: تاريخ الدولة الكثيرية (ص ٣٨ - ٤٢) .

(٤) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (٢/٢٤٣) .

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٤٩) . (٦) خلاصة الخبر (ص ٤٤٩) .

آثار الباطنية على كبار صوفية حضرموت، مما أدى إلى رواج الباطل وانتشاره بسبب هذه التأويلات والمخارج للزندقة؛ لا سيما وأن التأويل للباطل صدر من كبار علماء الصوفية في حضرموت .

ومن آثاره: الدعوة إلى مجاهدات الصوفية التي تسعى لبلوغ الغايات المزعومة من الفناء والمكاشفات وغير ذلك من غايات القوم، فقد ذكروا عنه أنه: «مكث خمس عشرة سنة ما نام ليلاً ولا نهاراً، وتمضي الأيام العديدة ما يذوق شيئاً»^(١) .

وذكر هذا الكلام بما فيه من المبالغات البعيدة كافٍ في عدم تصديقه عند كل من قرأه من أصحاب العقول السليمة، ولكن المتصوفة ألغوا عقولهم وسلموا زمامها للشيخ فتربوا على تصديق كل ما يفعله مشايخهم، وإن كان أسطورة أو خيالاً، ومع ذلك فهذه كرامة عند القوم لا يستطيع الوصول إليها إلا بالمجاهدات على يد المربي الصوفي المقدس في نظرهم .

وتوفي معروف باجمال سنة ٩٦٩ هـ ودفن بترية بضفة المشهورة بطرمون من مناطق دوعن بحضرموت وعُمل على قبره قبة يزورها الناس من مناطق مختلفة^(٢) .

« أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف (ت ٩٩٢ هـ):

تعد هذه الشخصية عند القوم: «من كبار الصوفية بحضرموت، ولد سنة ٩١٩ هـ بتريم وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى دوعن واتصل بالصوفي الكبير معروف باجمال وكان له معتقد عند الناس، ولا تزال زيارته إلى الآن»^(٣)، وقال فيه أحمد بن زين الحبشي: «ظهرت له الحقائق، وُصِفَ في الأكوان»^(٤) .

(١) المصدر السابق (ص ٤٤٥) .

(٢) المصدر السابق (ص ٤٥٢) .

(٣) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (٣٢١) .

(٤) شرح العينية (٢٣٢) .

ووصفه القوم بأنه خليفة الله على خليقته، وأمينه على بريته، شيخ الإسلام، سر الأسرار، قطب العارفين واشتهر بلقب (فخر الوجود)، وقالوا عنه بأنه خَلَفَ منصب معروف باجمال في التصوف حتى قال عبد الله بن محمد بلفقيه^(١) - صاحب الشبيكة - عند وفاة معروف: «والله ما غربت شمس معروف إلا وقد طلعت شمس الشيخ أبي بكر بن سالم»^(٢).

وأما مؤلفاته فأكثرها فكرية فلسفية مشحونة بالانحرافات العقدية والقول بالتفسير الباطني^(٣)، وعقائد أهل الوحدة.

وهو كذلك من القائلين بالتفسير الباطني^(٤).

وقد غلا فيه القوم حتى زعموا حضوره عند من تمنى رؤيته كما حصل لإحدى النساء التي تمت رؤيته فأثاها إلى مزرعتها^(٥).

وهذا الرجل كذلك ممن تأثر بفلسفة ابن عربي القائلة بوحدة الوجود^(٦).

ونذكر مثالين من أقواله في تقرير عقيدة وحدة الوجود؛ فمنها تفسيره لمعنى اسمي (العليم الخبير) حيث قال: «هذا بيان خلافة الحقيقة المحمدية وهي الجامعة للذات والعلم والصفات، وهو جامع الكمالات وهو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الأحدية لأن جميع الحقائق عين ذاته حقيقة ولا

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، ولد بتريم، ودرس على مشايخها ومنهم محمد بن علي خرد صاحب الغرر، وأخذ عن عبد الله باقشير وغيرهما. توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ ودفن في تربته المشهورة بالشبيكة وعمل على قبره قبة عظيمة. انظر: خلاصة الخبر (ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٨٢).

(٣) انظر على سبيل المثال بعض المخالفات: مفتاح السرائر وكنز الذخائر (ص ٩، ٣١، ٣٥، ٤٢).

(٤) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/٦٢).

(٥) المصدر السابق (٢/٢٢٧).

(٦) انظر قوله بهذه العقيدة في كتبه: معراج الأرواح والمنهج الوضاح (١/٢٣٠، ٢/٢٣٤، ٢٣٥)؛ وفتح باب المواهب (١٥٥، ١٥٦ - ١٥٧)؛ مفتاح السرائر وكنز الذخائر (ص ٣٥).

يدركه غيره كما قال: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الأنعام: ١٠٣]»^(١).

ويقول أيضاً: «واعلم أيها العبد أن من نسي نفسه في الوجود، لم يشهد إلا الموجود، ﷻ إذ لا موجود في الحقيقة إلا الله»^(٢)، وله أقوال أخرى في الحلول^(٣).

ووصفه شيخه معروف باجمال بأنه: «قطب الزمان، صاحب الدائرة، يظهر الله على يديه هذه الدعوة... وهو صاحب الوقت والخليفة»^(٤).

وقد ترك أبو بكر بن سالم مؤلفات كثيرة تحمل أفكار غلاة المتصوفة وعبارات فلاسفة المتصوفة ومن أخطر مؤلفاته في ذلك: كتاب (معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح)، وكتاب (فتح رب المواهب)، وكتاب (مفتاح السرائر وكنز الذخائر) و(معارج التوحيد)^(٥). وله ديوان شعري فيه غلو شديد.

ومن آثاره أيضاً: إعادته لموعد زيارة القبر الذي يزعمه القوم لنبي الله هود ﷺ فقد جعل الزيارة على الشهر القمري بعد أن كانت بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبته حيث جعله في شعبان وجعل المبيت هناك ليلة النصف من شعبان^(٦).

وقد غلا فيه القوم حتى قالوا: «إن المتعلق بالشيخ مع البعد أحسن من

(١) معراج الأرواح (١/٢٣٠)، وهذا هو قول ابن عربي الطائفي، انظر: فصوص الحكم (ص ٢١٢ - ٢١٥).

(٢) مفتاح السرائر وكنز الذخائر (ص ٣٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٠). وهذا القول هو قول ابن عربي الطائفي حيث يقول (العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء). فصوص الحكم لابن عربي بشرح القيصري (٢/٣٨٥).

(٤) شرح العينية (ص ٢٣٤). وانظر: خلاصة الخبر (ص ٨١).

(٥) انظر مؤلفاته: المشرح الروي (٢/٢٧ - ٢٨)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/٦٧)، وخلاصة الخبر (ص ٨٣).

(٦) تاريخ حضرموت، للحامد (١/٦٩). وزيارات وعادات (زيارة نبي الله هود)، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص ٢٥).

الحاضر عنده لغلبة رؤية البشرية على الحاضر»^(١).

ويعتبر أبو بكر بن سالم من دعاة التعلق بالقبور والانعزال عندها فقد: «انعزل عند القبر المشهور بقبر هود، وغاب عن هذا الوجود»^(٢).

وأفرد ترجمته محمد بن عبد الرحمن باجمال بتأليف سماه: «بلوغ الظفر والمغانم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم»^(٣). توفي سنة ٩٩٢ هـ بعينات، وبني على قبره قبة عالية عظيمة^(٤)، ولا تزال القبة إلى اليوم تزار ويتبرك بها، والله المستعان.

« أحمد بن عبد القادر باعشن (ت ١٠٥٢هـ):

هو أحمد بن عبد القادر باعشن، أحد متصوفة حضرموت، القائلين بمذهب ابن عربي، نشأ بقرية الرباط من دوعن وتبحر في علوم الصوفية، وكان أحد القائلين بمذهب ابن عربي»^(٥).

وله مؤلفات منها «البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد شرح أنس الوحيد» لأبي مدين التلمساني. وله كتاب «شرح لأبيات المشكلة» لابن عربي، وشرح مشكلات الأمر المحكم المربوط»^(٦).

« محمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٩٣هـ):

ولد بتريم، ورحل إلى بلدان عديدة منها: ظفار، والهند، والحجاز، وأقام بمكة»^(٧).

(١) إدام القوت (ص ٥٥٤).

(٢) خلاصة الخبر (ص ٨١).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٤٤٤).

(٤) المصدر السابق (ص ٩٣).

(٥) انظر: خلاصة الأثر (١/ ٢٣٧ - ٢٣٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٢٤، ٣٤٤ - ٣٤٥).

(٦) خلاصة الأثر (١/ ٢٣٨)؛ ومعجم المؤلفين (١/ ١٧٤)؛ والروض الأغن (١/ ٤٨ - ٤٩).

(٧) انظر: خلاصة الأثر، للمحبي (٣/ ٣٣٦ - ٣٣٨)؛ والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٨٦)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ١٦٣).

ومن آثاره كتاب المشرح الروي، والذي يعد من أكبر الكتب الخرافية المنتشرة والمتداولة في حضرموت إلى اليوم^(١)؛ فقد احتوى على تقرير الشرك والبدع والمخالفات الشرعية الكثيرة^(٢).

دور آل العيدروس في نشر التصوف:

لعب آل العيدروس دوراً كبيراً في نشر التصوف سواء بالتأليف، أو بتدريس التلاميذ الذين نشروا التصوف فيما بعد أو بغير ذلك من الطرق التي كان لها الأثر الواضح في نشر التصوف سواء في المجتمع الحضرمي، أو في غيره من البلدان التي هاجروا إليها، ويعتبر عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف الملقب بالعيدروس أقدم شخصية لآل العيدروس سعت في نشر التصوف والتأليف في ذلك، ثم جاء بعده أولاده ثم أحفاده، فزمن آل العيدروس هو زمن كثرة التأليف عند العلويين، يقول ابن عبيد الله: «لم يكثر التأليف في العلويين إلا بعد ظهور السادة آل العيدروس»^(٣).

« ١ - عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت ٨٦٥هـ):

ومعنى العيدروس - كما يقول القوم -: كبير الصوفية»^(٤).

(١) وهذا الكتاب من الكتب المعتمدة عند القوم فقد أثنى عليه علماؤهم، يقول علوي بن طاهر الحداد في كتابه (جني الشماريخ) (ص ٣١): «ولا يحتاج الأخذ من المشرح أن يتطلب حجة في كل شيء رآه. فإن صاحب المشرح من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي. ولا يزال الكتاب متشراً إلى يومنا هذا وأعيد تصويره وبيع في مكتبات تريم وسيئون وغيرها، بما يحتويه من شريكات وخرافات وبدع والله المستعان.

(٢) وهذا الكتاب قد ذكرت النقول الكثيرة منه في بعض مباحث هذه الرسالة، وانظر على سبيل المثال لا الحصر: الغلو، اعتقاد اتصاف أوليائهم بصفات الرب، ادعاء علم الغيب وغيرها: المشرح الروي (١/ ١٧٨، ١٩٣، ٢٠٠، ٣/ ٢ - ٦، ٧، ١٧، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤٩، ٧٩، ٨٩، ٩٣، ١٦٤).

(٣) إدام القوت (ص ٤٩٨). وقد ذكر المؤلف في كتابه إدام القوت أسماء أحد عشر مؤلفاً لأحد أفراد أسرة آل العيدروس.

(٤) انظر: شرح العينية (ص ١٩٥).

أخذ التصوف عن عمه عمر المحضار حيث قرأ عليه كتب الغزالي، خصوصاً كتاب «إحياء علوم الدين»، وله كلام في الحقائق الصوفية^(١).

ومن تصانيفه: «كتاب الكبريت الأحمر»، وهذا الكتاب على طريقة أهل وحدة الوجود، حيث حشاه العيدروس بعبارات الفلاسفة، ورموز الصوفية، أهل وحدة الوجود^(٢).

ومن عباراته التي تحمل أسرار الصوفية قوله: «آه! آه! وردت على القلب علوم لا يمكن شرحها»^(٣).

وكان من أصحاب الرياضات الغربية فقد ذكروا عنه أنه كان يجلس على المزابل، ويقفات من ثمر العشرق^{(٤)(٥)}.

وقد ذكر الشلي أن العيدروس أخذ هذه المجاهدات من كتب الصوفية المتقدمين حيث قال العيدروس: «كنت في بدايتي أطالع كتب الصوفية، وأختبر نفسي بمجاهداتهم المذكورة في مؤلفاتهم»^(٦).

وكان العيدروس من المروجين لكتب الغزالي لا سيما كتاب الإحياء، حيث دعا أهل حضرموت للتعلق به وقراءته وادعى أنه شرح للكتاب والسنّة^(٧).

ومن آثاره كذلك: ترويج لكتب ابن عربي الصوفي وجعله من كبار الأولياء العارفين، وأن مصنفاته عالية على الأفهام^(٨)، وله قصيدة في التوسل

(١) الغرر (ص ٢٠٣)؛ والمشرح الروي (١٥٣/٢).

(٢) انظر مثلاً: كتاب الكبريت الأحمر (ص ٦٧، ٧٣، ٧٧، ٧٨، ٧٩).

(٣) شرح العينية (ص ١٩٦).

(٤) العشرق: نبت من الغلاس، حبه نافع للبواسير وتوليد اللبن، ويسود الشعر. القاموس المحيط (ص ٩٠٩).

(٥) انظر: المشرح الروي (١٥٣/٢)؛ وشرح العينية (ص ١٩٦).

(٦) المشرح الروي (١٥٣/٢).

(٧) المشرح الروي (١٥٤/٢). وقد جعل العيدروس من قرأ الإحياء من المجتهدين، بل وضمن على الله الجنة لمن قرأه.

(٨) انظر: المشرح الروي (١٥٤/٢).

الشركي والبدعي حتى قال الشلي عنها أنها مشهورة بالبركة وأنها جربت في أبيات للفرج^(١).

ومن آثار العيدروس السلبية نقل الزيارة للقبور من الطريقة الشرعية إلى الطريقة الشركية والبدعية، يقول عبد اللاه بلفقيه: «إن الزيارة انتقلت إلى طريقة الصوفية في عهد العيدروس، من التجمع لها، وكان ميلاد سيدنا العيدروس سنة ٨١١ هجرية ووفاته سنة ٨٦٥ هجرية وكان ذلك لتوقف العيدروس طيلة ١٣ سنة، لما ذكر مؤلف التحفة النورانية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير هو الداعي لانتظار الإذن الرباني في نقل زيارة قبر النبي هود من طريقة الفقهاء إلى طريقة الصوفية»^(٢).

ويوضح الصبان الطريقة الصوفية التي تبناها العيدروس في زيارة قبر هود عليه السلام بقوله: «انتقلت الزيارة من الكيفية الفقهية إلى الطريقة الصوفية والتي لا تقتصر على السلام والترحم بل تتناول التوسل والاستمداد والتبرك بالمزار له»^(٣).

ب - أبو بكر العدني بن أبي عبد الله العيدروس (ت ٩١٤هـ):

وصفه القوم بأنه القطب الأكمل^(٤).

وكان أبو بكر العيدروس من المهتمين بكتب الغزالي وكذا كتب ابن عربي، التي لعبت دوراً كبيراً في تكوين شخصيته الصوفية، لا سيما كتب ابن عربي الذي عرفت كتبه بالسطحات والرموز والقول بوحدة الوجود. فقد كان يشرح كتب الفصوص لابن عربي ويكشف أسرارها^(٥).

وكان العيدروس من دعاة السماع الصوفي المليء بالمنكرات حتى ذكروا

(١) المصدر السابق (١٦٢/٢).

(٢) الفرائد في قيد الأوابد، لعبد اللاه بن حسن بلفقيه (ص ٨).

(٣) زيارات وعادات «زيارة نبي الله هود»، لعبد القادر بن محمد الصبان (ص ٢٦).

(٤) المشرح الروي (٣٩/٢). انظر: المصدر السابق (٣٥/٢ - ٣٦).

عنه أنه: «لا يكاد يصبر عنه كما هو شأن كثير من الأولياء والصوفية ونجده يقول في هذا الموطن من قصيدة:

ما استماعي للحن والنغمات غير ذكرى مثيرة العزمات^(١)

وقد وطد لمركزه الصوفي علاقته الكبيرة مع حكام الدولة الطاهرية خاصة عامر بن عبد الوهاب بن داود الطاهري^(٢)، ولذا أكثر العيدروس من مدحه في قصائده وموشحاته^(٣).

وقد بنيت على ضريحه قبة كبيرة في عدن، ولقبره زيارة سنوية تسمى زيارة العيدروس يتوافد الناس إليها من مناطق مختلفة من اليمن.

ج - شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس (ت ٩٩٠هـ):

هو شيخ بن عبد الله العيدروس، ولد سنة ٩١٩هـ بتريم. من أشهر شيوخه: ابن حجر الهيتمي. وله مصنفات كثيرة أشهرها: العقد النبوي والسر المصطفوي، وكان كثير السفر حتى استقر به السفر بالهند واتخذ مدينة أحمد آباد مقراً له^(٤).

وصفه القوم بأنه ممن جمع بين علمي الشريعة والحقيقة^(٥).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٠٦/١).

(٢) هو السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود العامري ولد سنة ٨٦٦هـ. ملك اليمن بعد أبيه واختلف عليه بنو عامر الذي قبله، ولكن كانت شوكته قاهرة لهم، اشتغل بالنظر في المدارس وغيرها بعمارتها وتنمية أوقاتها. قتله رجل يمني يدعى ابن الزلايا، حيث قبض عليه في إحدى المعارك واحتز رأسه وأتى به إلى الأسكندر - القائد التركي - وذلك سنة ٩٣٢هـ. انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (١٧/٤)؛ منشورات دار مكتبة الحياة؛ وتاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر لمحمد بن عمر الطيب بافقيه (ص ١٢٤)؛ تأييد الفكر الإسلامي في اليمن، لأحمد حسين شرف الدين (ص ٢٨٤)؛ وجلاء الهم والحزن (ص ١١٢ - ١١٤).

(٣) انظر شعره في ذلك: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٠٨/١).

(٤) انظر: تاريخ النور السافر (ص ٣٣٣)؛ والمشرح الروي (١١٩/٢)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٧١/١)؛ وذيل كشف الظنون (٣٥٨/١).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٧١/١).

وقد كثرت مؤلفات آل العيدروس حتى أن ابن عبيد الله كلف أحد أصحابه بإحصاء مؤلفاتهم فأحصى أحد عشر مؤلفاً لشيخ بن عبد الله العيدروس منها العقد النبوي^(١) وكتاب «الفوز والبشرى في الدنيا والأخرى بشرح العقيدة الزهراء»^(٢) وحقائق التوحيد وغيرها^(٣).

يقول عبد الله بن محمد السقاف عن وفاة شيخ العيدروس: «توفي سنة ٩٩٠هـ، بأحمد آباد بالهند ودفن بصحن منزله، وقد شيد على ضريحه قبة عظيمة يقصدها الزائرون إلى اليوم»^(٤).

د - محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس: (ت ١٠٣٦هـ):

هو محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس: ولد بتريم سنة ٩٧٠هـ، ثم رحل إلى الهند سنة ٩٨٩هـ للأخذ عن جده شيخ بن عبد الله العيدروس. ثم أقام بسورت ودرس بها التصوف وغيره. من آثاره: كتاب إيضاح أسرار علوم المقربين^(٥)، وقد احتوى هذا الكتاب على مخالفات للعقيدة الصحيحة، فقد ذكر ابن عبيد الله مؤلفات آل العيدروس ومنها كتاب «إيضاح أسرار علوم المقربين» فقال: «إلا أن في بعضها ما يخلص إليه الانتقاد نحو الغلو في الشيخ، وإنزاله أعلى مما يستحق، ويجوز في بعضها ما يشبه كلام ابن عربي فيأتي فيها ما يقال فيه»^(٦). توفي بالهند سنة ١٠٣٦هـ^(٧).

هـ - عبد القادر بن شيخ العيدروس: (ت ١٠٢٨هـ):

هو عبد القادر بن شيخ العيدروس، ولد سنة ٩٧٨هـ، مؤرخ، وشاعر

(١) وهذا الكتاب من أكبر الكتب الخرافية التي يروجها متصوفة حضرموت، ويعتبر من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها أبو بكر الشلي في كتابه الخرافي (المشرح الروي).

(٢) وقرر فيه عقيدة الأشاعرة في التوحيد ولا سيما توحيد الأسماء والصفات.

(٣) انظر مؤلفاته: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٧٤/١).

(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٧٣/١).

(٥) انظر ترجمته في: تاريخ النور السافر (ص ٣٠٠)؛ ومعجم المؤلفين (١٨٨/٢)؛ والأعلام، للزركلي (٣٩/٤).

(٦) إدام القوت (ص ٤٩٩). (٧) انظر: خلاصة الخبر (ص ٤٩٩).

صوفي مشارك في بعض العلوم من مؤلفاته: تاريخ النور السافر عن أخبار العاشر، والدر الثمين في بيان المهم من أمور الدين، وبغية المستفيد بشرح تحفة المريد وغيرها^(١). ويعتبر عبد القادر العيدروس من المكثرين في التأليف، في التصوف وغيره، فقد ذكر ابن عبيد الله أن لعبد القادر بن شيخ العيدروس ستة وعشرين مؤلفاً^(٢). ومن تلك الكتب في التصوف كتابه المسمى (غاية القرب شرح نهاية الطلب) الذي قرر فيه عقيدة أهل وحدة الوجود^(٣)، والثناء على كبار المتصوفة كالحلاج وأبي يزيد البسطامي وتقرير مذهبهم^(٤)، واضطرابه في مسألة النبوة فقد تكلم في هذه المسألة العظيمة على طريقة الفلاسفة، وكذا يتضح غلوه في مقام الأولياء وادعاؤه بلوغهم منزلة أعلى من مقام النبوة^(٥).

ومن أشهر مؤلفاته عند القوم: كتاب «تاريخ النور السافر» والذي حشاه بالشريكات والبدع والانحرافات العقدية الكثيرة^(٦).

وله كذلك كتاب في فضائل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي سماه: «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» وكتاب «الفتوحات القدوسية في الخرقه العيدروسية» وغيرها من المؤلفات^(٧).

ويعتبر عبد القادر العيدروس من الدعاة إلى الغلو في الأولياء وكذا الغلو في قبورهم بعد موتهم كقبر أبي بكر العيدروس الذي تعظمه صوفية حضرموت، ونشر ذلك في مؤلفاته كتاريخ النور السافر وغيره مما كان له الأثر على أهل

(١) انظر ترجمته في: تاريخ النور السافر (ص ٣٠٠)؛ ومعجم المؤلفين (١٨٨/٢)؛ والأعلام، للزركلي (٣٩/٤).

(٢) انظر: إدام القوت (ص ٤٩٨). وانظر مؤلفاته: كتاب عقد الجواهر والدرر (ص ١٣٣ - ١٣٥) (مخطوط)؛ ومعجم المؤلفين (١٨٨/٢).

(٣) انظر: غاية القرب شرح نهاية الطلب (ص ٨٦، ٨٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٨٦).

(٥) المصدر السابق (ص ٨٧، ٨٨).

(٦) انظر على سبيل المثال بعض هذه المخالفات: تاريخ النور السافر (ص ٢٥، ٢٨، ٥٩، ٧٢، ٧٦، ٧٩، ١١٦، ١٣٩).

(٧) انظر: الأعلام (٤١/٢ - ٤٢).

حضرموت ومن ضل عن سواء السبيل بسبب هذه الكتب المنحرفة^(١).

ويعد من علماء الصوفية المعتقدين بالأوتاد الذين يدعون أن لهم تصرفاً في الكون^(٢)، والتي ملئ القوم كتبهم بها، وما تبع ذلك من شريكات وانحرافات.

«و - عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس - نزيل مصر - (ت ١١٩٢هـ):

هو عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ولد بتريم سنة ١١٣٥هـ، يعد من علماء الصوفية الحضارمة، رحل إلى مكة وزيد ثم استقر في مصر^(٣). ذكر القوم أن المشيخة الصوفية كانت له في عصره^(٤).

وكان عبد الرحمن العيدروس كثير الترحال إلى بلدان مختلفة منها الهند والحجاز ومصر وغيرها، لذا كان له تلاميذ كثر حتى قال صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين: «ومن الغرابة محاولة استقصاء تلاميذه المنبئين في مشارق الأرض ومغاربها بكثرة هائلة»^(٥).

وقد قام بنشر الطريقة العلوية وكذا الطريقة النقشبندية في مصر عند إقامته فيها، وتلمذ عليه شيوخ الطريقة وأخذ كل واحد عن الآخر^(٦).

وذكر عيدروس بن عمر الحبشي^(٧) أن مؤلفات هذا الرجل تزيد على

(١) انظر صور الغلو في كتابه «تاريخ النور السافر» (ص ٣٢، ٥٩، ١٠٠، ١٤٣، ١٥٩، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٥٨، ٢٨١، ٣٤٠، ٣٤٢، ٤٠٠، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦).

(٢) تاريخ النور السافر (ص ٣٢).

(٣) انظر: سلك الدرر (٣٢٨/٢)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٨٩/٢)؛ وتاريخ الجبرتي (٢/٢٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٥٤)؛ وترجم له ابنه مصطفى بترجمة مستقلة.

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٨٩/٢).

(٥) المصدر السابق (١٩١/٢). وانظر رحلاته إلى بعض البلدان نفس المصدر (١٩٠/٢ - ١٩٢).

(٦) انظر: تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار (٣٧٣/١، ٣٥٠، ١٠٤/٢)، تاريخ الشعراء الحضرميين (١٩٢/٢).

(٧) هو عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، ولد بقرية الغرفة من حضرموت سنة ١٢٣٣هـ وأخذ عن شيوخ وقته أمثال محمد بن أحمد الحبشي، والحسن بن صالح البحر وغيرهما، =

الستين^(١)، وذكروا أن لهذا الرجل ارتباطاً بطرق صوفية أخرى غير الطريقة العلوية التي ينتسب لها، فقد أُلّف في الطريقة النقشبندية مؤلفاً بعنوان: (الإرشادات السنية في الطريقة النقشبندية)، وله مؤلف آخر في الطريقة القادرية بعنوان: (النفحة العلية في الطريقة القادرية)، وكذلك له شرح على بعض أبيات ابن عربي^(٢).

وقد توفي بالقاهرة سنة ١١٩٢ هـ ودفن بجوار قبر السيدة زينب ابنة فاطمة الزهراء إلى جانب مسجدتها وعلى ضريحه قبة صغيرة^(٣).

المطلب الرابع

أعلام صوفية حضرموت في القرن الثاني عشر

وتعد هذه المرحلة تكملة لما سبق من مراحل التصوف في حضرموت، وقد ضمت هذه المرحلة عدداً من الشخصيات التي كان لها أثر واضح في نشر التصوف بوسائل مختلفة كالتدريس، أو التأليف، أو بنشر الأتباع في المدن والقرى لنشر هذا الفكر الدخيل على بلاد حضرموت وغير ذلك من الوسائل، ويمكن ذكر أبرز رجال هذه المرحلة في الآتي:

عبد الله بن علوي الحداد (ت ١١٣٢ هـ):

ويعتبر عصر عبد الله بن علوي الحداد هو عصر تدني المستوى الصوفي

= وكان كثير الرحلة لسماع الشيوخ فقد رحل إلى مناطق شتى في حضرموت والحجاز وغيرها. من آثاره: عقد البواقيت الجوهرية (تراجم لشيوخه مع إجازاتهم له) اعتمد عليه الكتاني واختصره، وعقود اللال في أسانيد الرجال، ومنحة الفتح الفاطر بذكر أسانيد الأكابر. توفي بحضرموت سنة ١١٣٤ هـ، انظر: كتاب أئمة اليمن، لمحمد زبارة (ص ٢٥)، ط ١٣٧٦ هـ؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٥٩)؛ وفهرس الفهارس (٢/ ٣٣٧)؛ ولأحد تلامذته كتاب في مناقبه بعنوان (الفيوضات العرشية).

(١) عقد البواقيت الجوهرية (٢/ ١٠٤)؛ وانظر أسماء مؤلفاته: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٩٣ - ١٩٤).

(٢) انظر هذه المؤلفات في: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ١٩٣ - ١٩٤).

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين: ١٩٢/٢.

دون مستوى أهل الدور الذي قبله^(١)، ورغم ضعف هذه المرحلة إلا أنه ظهرت شخصيات صوفية كان لها أثر واضح في نشر التصوف، يقول الشاطري عن هذا الدور: «ظهرت فيه على الشاشة شخصيات بارزة وأبطال ممتازون لا يقلون عن أبطال الدورين الماضيين، وفي مقدمة أولئك: سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، الذي يعد - بحق - المثل العالي للعلوي الممتاز»^(٢).

وقد لبس الحداد خرقة التصوف من عقيل بن عبد الرحمن بن عقيل السقاف^(٣) الذي لم يلبسها لأحد غيره^(٤).

وقد خلط الحداد طريق التصوف بطريق المتكلمين، فترى في مؤلفاته تقرير عقيدة الأشاعرة في الأسماء والصفات، وفي القدر وغير ذلك مما خالف فيه الأشاعرة عقيدة السلف الصالح حيث يعد الحداد من الشخصيات التي دعت إلى العقيدة الأشعرية على طريقة أبي حامد الغزالي حتى قال في إحدى قصائده^(٥):

وكن أشعرياً في اعتقادك إنه هو المنهل الصافي عن الزيف والكفر
وقد حرر القطب الإمام ملاذنا عقيدته فهي الشفاء من الضر
وأعني به من لن ينعت غيره بحجة إسلام^(٦) فيا لك من فخر

وهو شخصية مضطربة في باب العقيدة، فحين تجد له كلاماً جيداً في التوحيد كحرمة الذبح لغير الله تعالى وأنه شرك حيث قال في كتابه النفائس العلوية ما نصه: «أما الكيش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم، ويسمونهم

(١) انظر: أذوار التاريخ الحضرمي (ص ٤٤). (٢) المصدر السابق (ص ٤٤).

(٣) هو عقيل بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد السقاف، أحد متصوفة حضرموت، ولد بتريم. من تلاميذه: عبد الله بن علوي الحداد. توفي بتريم سنة ١١٠٠ هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: غاية القصد والمراد (١/ ١١٣)؛ والفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٦).

(٥) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم من أنفاس عبد الله بن علوي الحداد (ص ٦٦ - ٦٧). مخطوط.

(٦) ويعني به أبا حامد الغزالي مؤلف إحياء علوم الدين حيث كان يلقبه الصوفية بحجة الإسلام.

مسايراً، وكلما ذهب أبدلوه بغيره فهذا - والعياذ بالله - من الشرك، والشرك ظلم عظيم، وهو وأمثاله بسبب تسلط الشياطين وجنوده على العاملين به^(١). وكذا أنكر استخدام الحروز والجن وغير ذلك من الأعمال التي يفعلها الجاهل ودعا إلى التحصن بالله تعالى وحده^(٢).

وبالمقابل تجد له أخطاء عقدية كبيرة بل الوقوع في الشرك بالله - والعياذ بالله - مثل: دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة الشركية، وكذا التوسل بالمخلوق، وهذا الاضطراب ناتج عن عدم فهم القوم لتوحيد العبادة، والخلط في مسائل التوحيد، حيث يسمون الشرك - كدعاء الأولياء من دون الله تعالى - تعظيماً وإجلالاً لهؤلاء الأولياء، ويدعون أن الشرك لا يكون إلا إذا اعتقد أن الأولياء لهم تأثير مستقل من دون الله تعالى، وهم لا يعتقدون ذلك، وإنما يرون المؤثر هو الله تعالى وإنما الأولياء أسباب ووسائط عند الله لما لهم من جاه عظيم إلى غير ذلك من الشبه، وهذه نفس شبهة مشركي قريش كما أخبر الله عنهم في كتابه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

أما ما وافق الحق من كلامه في مسائل التوحيد فلعله - والله أعلم - بسبب تأثره بالفقه والأحكام الشرعية؛ وقراءته في كتب أهل العلم المتقدمين؛ لأن الرجل فقيه، متضلّع في مذهب الإمام الشافعي رحمته الله لكن هذه مصيبة بدعة التصوف حيث تعمي من تلبس بها فتصرفه عن الحق وتوقعه في المهلكات - نسأل الله السلامة -.

وأكثر الحداد من التأليف نظماً ونثراً، ومن آثاره: مؤلف يسمى «عقيدة الحداد» والذي يتداوله أهل حضرموت ويحفظونه ويحفظونه أبناءهم، وطلابهم ويوصي به مؤلفوهم، وهذه العقيدة للحداد على طريقة الأشاعرة، في نفي العلو، وتأويل الاستواء، ونفي صفة الكلام لله تعالى على طريقة الأشاعرة وهو

من الدعاة إلى مذهب التفويض في الصفات^(١).

ومنها: رسالة المذاكرة، ورسالة المعاونة، ورسالة آداب سلوك المريد وله ديوان حشاه بالشركيات والمخالفات العقدية الكثيرة^(٢)، وكتاب النفائس العلوية.

كما دعا الحداد إلى القول بكسب الأشاعرة، واعتبر ذلك مذهباً وسطاً بين مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة في باب القضاء والقدر^(٣).

كما كان من الدعاة لزيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام في حضرموت؛ وذلك بترويج الفضائل لتلك الزيارة، منها «أن من زار النبي هود، ووضع مولداً للنبي عليه السلام هناك تمر عليه سنة طيبة جميلة»^(٤).

وكذا دعا لزيارة «مقبرة بشار» خصوصاً مقبرة «زنبيل» التي تضم في جوفها كبار العلويين، ووقت لزيارتها وقتاً محدداً فجعله كل جمعة، ثم أضاف يوم الثلاثاء مع يوم الجمعة بناء على رؤيا لأحد أصحابه رأى الفقيه المقدم يعاتب الحداد، وأن الجمعة لا تكفي فأضاف يوم الثلاثاء، وتبدأ الزيارة بالفقيه المقدم قبل الأهل والأقربين ثم السقاف ثم أولاده^(٥).

ومن آثاره: ما يسمى براتب الحداد الذي اهتم به متصوفة حضرموت فشرحوه^(٦)، ويقرأ في المساجد في أوقات محددة عندهم.

وفي كتبه يلتبس اهتمام الحداد بالأمور العملية، والتركيز على الزهد في الدنيا، والحث على بعض الأخلاق الحسنة التي فقدت عند الكثيرين، وأطنب في كثير من مؤلفاته في ذم الدنيا والتحذير منها، والمبالغة في ذلك، ولم

(١) انظر: النصائح الدينية (ص ٦٧)؛ وغاية القصد والمراد (١/ ١٨٢).

(٢) انظر بعض هذه المخالفات في ديوانه (٥، ٢٣ - ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٤١، ٤٢، ٥٧، ١٢٨ - ١٢٩، ١٥٠، ٢٢٥، ٣٢٧).

(٣) انظر: النصائح الدينية (ص ٢٥). (٤) الإمام الحداد (ص ١٣٠).

(٥) الغرر (ص ١٥٧).

(٦) من شروحه المشهورة: ذخيرة المعاد شرح راتب الحداد، لعبد الله بن محمد باسودان، وكتاب شرح راتب الحداد لعلوي بن أحمد الحداد.

يصرف اهتمامه لأعظم أمر خلق العباد لأجله وهو التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، والتحذير مما ينقضه أو ينقصه من الشرك والبدع؛ لعدم الاهتمام بتعلم هذا الأمر، وتعليمه الناس، ولذا أهملوه فوقعوا وأوقعوا غيرهم في الانحرافات العقدية العظيمة، لذا لم يدعوا إلى التوحيد ولم يحذروا مما يخالفه لأنه كما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

ويلاحظ في شخصية عبد الله الحداد العاطفة الجياشة التي لم تنضبط بالشرع، فلذا فقد وقع في الاستغاثة الشركية، والتوسل الممنوع، ودعا إلى ذلك في كثير من كتبه^(١).

دور تلامذة الحداد في نشر التصوف:

وكان للحداد تلاميذ كثر^(٢)، وقد نشر كثير منهم أفكار التصوف بما يحمله من الغلو في الأشخاص، والشركيات والبدع، ونذكر أمثلة من هؤلاء التلاميذ:

١ - أحمد بن زين الحبشي: (ت ١١٤٤هـ):

مؤلف كتاب شرح القصيدة العينية لشيخه الحداد، وقد اشتهر باسم (شرح العينية)، أما مؤلفه فقد سماه «النفحات النثرية والنفثات الأثرية في شرح القصيدة العينية»، ويعد هذا الكتاب من أكبر الكتب الخرافية في حضرموت فقد احتوى على تقرير الشرك الأكبر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم، والغلو في الأولياء واعتقاد تصرفهم في الكون، وعلمهم الغيب، وتصرفهم في أمور الآخرة كالجنة والنار، والغلو في القبور، واعتقاد تصرف الموتى، وغير ذلك من الانحرافات^(٣)، وهو من المراجع المهمة عند القوم إلى يومنا هذا.

(١) انظر: ديوان الحداد (ص ٤١، ٤٢، ٢٠٩، ٣٢٧)؛ والقصيدة العينية البيت رقم (٧٥)، ٧٦، ٨٥.

(٢) تتلمذ على يدي الحداد تلاميذ كثيرون ذكر أسماءهم تلميذه محمد بن زين بن سميث في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد» (ص ٢٢٨ - ٢٣٤). وإنما ذكرنا اثنين من تلاميذه للتمثيل، وليبيان دورهم في نشر التصوف.

٢ - علي بن حسن العطاس (ت ١١٧٢هـ):

وهذه الشخصية تعد من الشخصيات التي لها تعلق كبير بأولياء الصوفية، وكان شديد الاعتقاد فيهم، كثير الزيارة للأحياء والضرائح من مختلف بقاع حضرموت إلى الشحر^(١).

وقد أسس المشهد في منطقة الغيوار^(٢) بحضرموت، والذي يقدسه صوفية حضرموت إلى يومنا هذا، ودُفن فيه علي العطاس «ومن المعلوم أن عليه تابوتاً تحت قبة عظيمة غير منقطعة الوفود الزائرة عدى الاحتشاد العمومي السنوي في ١٢ ربيع الأول من كل عام كزيارة عمومية تتقاطر لها الجماهير من نواحي حضرموت كلها، حتى تغص قرية المشهد ومكتنفاتها مدى أربعة أيام بجموع حاشدة تخالها في مظهرها كأيام الحجيج بمنى»^(٣)، وله مؤلفات كثيرة ذات منزلة عالية عند القوم يتداولونها إلى يومنا هذا منها: كتاب (القرطاس)، و(المقصد إلى شواهد المقصد) وهو كتاب ضخيم مليء بالمخالفات^(٤)، وله ديوان ضخيم سماه: (قلائد الحسان وفرائد اللسان) مليء بالغلو في الأولياء، والدعوة إلى الشرك بالله تعالى؛ وذلك بالاستغاثة بالنبي ﷺ والالتجاء إلى الموتى والاستنجاد بهم عند الشدائد ونحو ذلك^(٥). وكانت وفاته سنة ١١٧٢هـ وقبر بالمشهد.

= ٢٤٤، ٣٥٨)، وغير ذلك من الخرافات والمخالفات التي شحنها الحبشي في كتابه هذا.

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٦٠/٢).

(٢) الغيوار هي المشهد وهي قرية صغيرة، تبعد عن الهجرين في شمالها مسافة ساعتين. انظر: إدام القوت (ص ٤٢٤)، ط المنهاج.

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين لعبد الله بن محمد السقاف (١٦١/٢). وانظر: تاريخ حضرموت السياسي (١٤٨/٢).

(٤) انظر انحرافات كتاب المقصد إلى شواهد المشهد على سبيل المثال (ص ٨، ٩، ١٠، ١٤، ٢٠٤، ٢٨٠، ٢٩٩، ٤١٣، ٤٢٢).

(٥) انظر: أمثلة لتلك المخالفات في ديوان العطاس المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) (ق ٦، ١٦، ١٧، ٢٥، ٧٤، ٨٠، ١٧/٢، ٣٢، ١٠٥، ١٩٥، ٢١٠)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١٦٢/٢، ١٦٣، ١٦٤).

المبحث الثالث

الطرق الصوفية التي انتشرت في حضرموت

تمهيد

الطرق جمع طريق أو طريقة، ومعنى الطريقة في اصطلاح الصوفية: «هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات»^(١).

وعُرفت الطريقة كذلك بأنها: «مجموعة من القواعد والرسوم التي يضعها المشايخ لبلوغ المريدين الغاية من التصوف، وهي التحقق بالحق ﷻ»^(٢).

والطريق الصوفي: هو ما يضعه شيخ من مشايخ الصوفية لمجموعة من المريدين من أوضاع يلتزمون بها ويختصون بها دون غيرهم^(٣).

وشيخ الطريقة الصوفية هو الذي يفرض الطريقة على المريدين، وقد انكشف له الحجاب وتجلت له الأقدار، وعرف الأسرار إلى غير ذلك مما يروج على ألسنة أتباع الطريقة^(٤).

وفي هذا المبحث نتحدث عن الطرق الصوفية التي ظهرت في حضرموت منذ نشوء التصوف فيها، شأنها شأن بقية المتصوفة في بلدان العالم الإسلامي الذين سن لهم مشايخهم طرقاً ومسالك يسرون عليها في منهجهم الصوفي للوصول لغاياتهم المنشودة.

ومن خلال القراءة في كتب القوم لمعرفة تفاصيل الطرق التي انتشرت في

(١) معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص ٨٥)؛ وكتاب التعريفات، للجرجاني (ص ١١٦).

(٢) المعجم الصوفي (ص ١٥٨).

(٣) التيجانية، لعلي بن محمد الدخيل الله (ص ٢٨).

(٤) التيجانية، لعلي بن محمد الدخيل الله (ص ٢٨).

حضرموت، نجد عدم تدوين ما يتعلق بتلك الطرق بشكل واضح وموسع إلا ما كان من الاهتمام بالطريقة العلوية والتي تعد أشهر وأكبر طريقة ظهرت في حضرموت إذ هي عبارة عن عدة طرق مرتبة على نمط خاص كما سيأتي الحديث عنها، ولا يزال أتباع هذه الطريقة منتشرين في حضرموت وغيرها من بلدان العالم الإسلامي إلى يومنا هذا.

ويتضح كذلك من خلال القراءة في كتب القوم وكذا كتب المؤرخين الحضارمة قلة المعلومات في بعض الأحيان عن بعض الطرق التي كان ظهورها في بداية مراحل التصوف في حضرموت، فلا تجد لذلك إلا إشارات وتلميحات عن هذه الطرق دون تفصيل وتوضيح لمعالمها الصوفية.

وكما تقدم فإن ظهور هذه الطرق كان لأسباب كثيرة منها: التأثير بالبلدان الأخرى التي ظهر فيها التصوف وطرقه في وقت مبكر سبق حضرموت بسنوات طويلة كما هو الحال في بلاد زبيد، وتعددت فيها الطرق لعلاقة مشايخها بالبلدان الأخرى التي ظهر فيها التصوف، وكذلك لوفود الأفكار إليها؛ كونها بلاد علم يفد الناس إليها لتلقي العلوم لا سيما علوم الفقه والعربية وغير ذلك.

ومن أسباب وفود أفكار التصوف إلى حضرموت كذلك تأثر أهلها بالتصوف بسبب الرحلات ونحوها أو بغير ذلك من الأسباب.

ثم إن الطرق في حضرموت تفرع بعضها من طرق أخرى، كما هو الشأن في الطريقة العلوية التي تفرعت منها طرق أخرى: كالعيدروسية، والعطاسية، والحدادية وغيرها، وهي كما يقولون لا تختلف عن الطريقة الأم فهي عبارة عن سلاسل الأخذ التي وصلت إلى الشيوخ وصار المريدون والتلامذة ينتمون إليها، فيأخذون على من جاء بعدهم العهد^(١) والتحكيم وغيرها من مراسيم وطقوس الصوفية^(٢).

(١) سيأتي الكلام عليه عند الكلام على آثارهم في مبحث العبادات الشركية والبدعية - إن شاء الله تعالى -.

(٢) انظر: رفع الأستار، لبلقيه (ص ٦)؛ والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، لأبي بكر المشهور (ص ١٦).

وحضرموت لم تعرف التصوف كمنهج وطريقة إلا في القرن السادس الهجري، بينما عرفت بلاد اليمن الأخرى الطريقة القادرية وأخذت بها من قبل ذلك بسنوات طويلة، وكذلك فقد انتشرت الطريقة الشيعية (المدينية) في حضرموت منذ القرن السادس، ومن هاتين الطريقتين ظهرت بقية الطرق، وتفرعت مدارس الذوق الصوفي^(١).

وقد ظهرت طرق محلية في حضرموت منها الطريقة الحدادية والعيدروسية^(٢). وكل هذه الطرق تلتقي مع منبع التصوف العام.

وقد كان لحضرموت نصيب من تلك الطرق الصوفية القائمة على التعلق بالأشخاص، واتباع منهجهم المخالف لمنهج سلف الأمة وأئمتها، وتعتبر الطريقة العلوية أشهر الطرق الصوفية في حضرموت، منذ ظهر التصوف فيها، وهي عبارة عن مزيج من طرق أخرى كما سيأتي.

وتلتقي صوفية حضرموت مع الطرق الأخرى كالقادرية والشاذلية في إسناد الخرقه الصوفية، حتى قال أبو بكر بن عبد الله العيدروس عند ذكره لإسناد الخرقه الصوفية التي ينتمون إليها: «ولنا أيضا بهذا الإسناد خمس خرق: الأولى: إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، والثانية: إلى الرفاعي، والثالثة: إلى الشيخ السهروردي، والرابعة: إلى الشيخ أبي مدين، والخامسة: إلى الشيخ أبي إسحاق الكازروني^(٣)، ولي طريق آخر: السادسة بإسناده المتصل إلى أبي الحسن الشاذلي رحمته الله فتمت بحمد الله ست خرق مسلسل إلى المشايخ

(١) انظر: سلسلة أعلام حضرموت: الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص ١٦)، طبع بمطابع شركة الأدوية - صنعاء، بدون تاريخ.

(٢) انظر: الصوفية والفقهاء في اليمن، لعبد الله الحبشي (ص ٣٣)، ط ١، ١٣٩٦هـ، توزيع مكتبة الجبل الجديد - صنعاء.

(٣) هو أبو إسحاق علي الكازروني، أحد الصوفية من أصحاب المجاهدات والرياضات الصوفية، تتلمذ عليه عبد الوهاب الشعراني، له كلام كثير في التصوف، وفي الأحوال والفناء. مات سنة ٩٦٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى، للشعراني (٢/ ٢٤٥ - ٢٤٧)، ط دار

المذكورين^(١).

وبالنظر إلى حقيقة الطرق الصوفية نجدها عبارة عن مشيخات أخذت أسماءها من أسماء مشايخها التي كانوا يجمعون حولهم المريدين والسالكين ليوصلوهم - كما يزعمون - إلى مقامات السالكين ودرجات العارفين، ويمدوهم بمددهم الصوفي وغير ذلك من ترهات الصوفية، ويتبين ذلك من أسمائها كالعلوية، والقادرية، والعيدروسية... إلخ.

وهناك اتفاق بين طرق الصوفية المختلفة: «والفرق بين الطرق هو بكلمات الأذكار لا بمعانيها، وبأشكال الحضرة، وأما الرياضة والوصول والكشف والحقيقة، فواحدة»^(٢).

وقد انتشرت في حضرموت عدة طرق منذ نشأة التصوف بها ولكن تلك الطرق لم يكن لها الأثر البالغ، عدا طريقة واحدة كان لها الأثر في نشر التصوف لا تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا:

الطرق الصوفية الأخرى المنتشرة في حضرموت.

أ - الطريقة القادرية:

وتنسب إلى الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني (ت ٥٦١هـ) ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في حضرموت إبراهيم بن محمد باهرمز^(٣) بمدينة شبام، وعبد الله بن عقيل باعباد^{(٤)(٥)}.

وقد كانت الطريقة القادرية منتشرة في اليمن^(٦) حتى قال أبو بكر

(١) الجزء اللطيف في التحكيم الشريف، لأبي بكر بن عبد الله العيدروس (ص ١٩)، ط ٢، ١٣٥٥هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص ٣٥٣).

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن عمر باهرمز، من صوفية حضرموت، ولد سنة ٨٧٧هـ، توفي بشبام سنة ٩٣٩هـ. انظر: خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر (ص ٣١٢ - ٣١٣).

(٤) هو عبد الله بن عقيل باعباد، من صوفية حضرموت في القرن التاسع. ولد سنة ٨١٠هـ، ولازم أباه في رحلاته إلى بلدان عدة. انظر: الإكليل (ص ١٩٥ وما بعدها).

(٥) الجزء اللطيف (ص ١٩، ٢١).

(٦) انظر أول معرفة اليمنيين للطريقة القادرية ووقت انتشارها في اليمن: طبقات الخواص

(ص ٧١، ٨٤).

العيدرروس في الجزء اللطيف: «وسأذكر مشايخي عليه السلام إلى الخرقه القادرية، ثم أشرع في إسنادها فإنه كان الغالب على أهل اليمن ومناسبتهم المشهورة انتماءهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ما خلا الفذ القليل: كالسادة الأشراف آل باعلوي، وآل العمودي، وسيدي الولي العارف ذو الأحوال والمعارف: القطب الغوث جوهر العدني^(١) نفع الله به، فإن نسبته مما اشتهر إلى الشيخ أبي مدين أيضاً، وكذلك جد آل بامعبد^(٢)».

ب - الطريقة المغربية (المدينية):

وتنسب إلى شعيب بن الحسن (أو الحسين) التلمساني الأندلسي الشهير بأبي مدين، استوطن بجاية في المغرب، ومات في طريقه للقتل على الزندقة (سنة ٥٩٠هـ) وقيل سنة: (٥٩٣هـ) في تلمسان.

وقد بدأ ظهور هذه الطريقة في حضرموت منذ وقت بعث أبي مدين لمندوبه إلى حضرموت لنشر طريقته «ومنذ ذلك التاريخ وأتباع هذه الطريقة يتكاثرون في اليمن، ولعل آخرهم هو الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن المتوفى سنة ١٠٥٢هـ الذي شرح كتاب الشيخ أبي مدين (أنس الوحيد) في مؤلف بعنوان (البيان والمزيد)^(٣)».

ومن أشهر أتباع هذه الطريقة في حضرموت: محمد بن علي الفقيه المقدم الذي أسس الطريقة العلوية المنتشرة بحضرموت إلى يومنا هذا، وسعيد بن عيسى العمودي الذي أسس الطريقة العمودية.

* * * * *

(١) هو أبو البهاء جوهر بن عبد الله العدني الصوفي، من أهل الجند. ذكرت له كثير من الكرامات والشطحات الصوفية. توفي بعدن سنة ٦٢٦هـ. انظر: تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، لأبي عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخزومة (ص ٧١ - ٧٣). اعتنى به علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، دار الجبل - بيروت، ودار عمار - عمان.

(٢) الجزء اللطيف (ص ٢٠).

(٣) الرسالة الفقهية في المصنف (ص ٣٥ - ٣٦).

* المطلب الأول *

الطريقة العلوية في حضرموت

وهي أكبر الطرق بحضرموت، وأكثرها انتشاراً، وسميت بالعلوية نسبة لآل أبي علوي الذين ينسبون لعلوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر، الساكنين حضرموت، حيث قدم جدهم أحمد بن عيسى المهاجر من العراق واستوطن حضرموت وتناسلت ذريته فيها وهي باقية إلى يومنا هذا.

ومؤسس هذه الطريقة هو محمد بن علي بن محمد باعلوي المشهور بالفقيه المقدم المولود بتريم سنة ٥٧٤هـ، والمتوفى والمدفون بها سنة ٦٥٣هـ^(١).

ويقسم الحداد هذه الطريقة إلى: الطريقة الخاصة وفيها تكون المشيخة؛ مشيخة تحكيم أي أن المريد يسلم أمره إلى شيخه بالكلية فهي - كما يرون - : «تهذيب أخلاق النفس، وتلطيف كثافتها بالرياضات البالغة، الماحقة للرعونات النفسية القاهرة للحظوظ الشهوانية، المزيينة بالحضور الدائم مع الله تعالى»^(٢).

ومن الرياضات البالغة المذكورة: الخلوة الأربعينية، والجوع والسهر وغير ذلك، وعلاقة الشيخ بالمريد في هذه الطريقة المسماة بالتحكيم معناها ألا يبقى للمريد مع الشيخ شيء من الإرادة، ولا الفعل المستقل فلا يفعل شيئاً إلا بأمر شيخه^(٣).

ويعتبر الشيخ المصدر الأساس في الطريقة العلوية، الذي يستقي منه المريدون العلم، والتوجيه للعمل الذي يترقون به في منازل التصوف، فلا يعرضون الأقوال والأعمال والإرادات على الكتاب والسنة، ولا يسلكون منهج سلف الأمة المأمور باقتفائه، والتحذير من العدول عنه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَوْنَهُ مَا تَوَلَّ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(١) انظر: الغاية والأساس (ص ٣٧).

(٢) كتاب (الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري) (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٠٥).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمته الله عند تفسير هذه الآية: «يقول جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: ومن يباين الرسول ﷺ معادياً له فيفارقه على العداوة له، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله ﷺ، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويتبع طريقاً غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجاً غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله؛ لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم...»^(١).

لذا فلا غرو أن نجد القوم يتخبطون ويضطربون في وضع الطقوس والمراسيم الخاصة بالطريقة، ووضع الشروط الخاصة لسلوكها، فيظهر بذلك توافقها مع الطرق الصوفية الأخرى، حيث تجتمع جميعها في الوقوع في المخالفات الشرعية؛ وذلك لأن كل طريقة تبحث عما تراه يناسبها، مقتفية طريق المعظمين عندها وإن خالف الكتاب والسنة، كما سيتضح من تقسيمهم لطرقهم إلى أقسام متعددة لكل فئة مسلك تسلكه دون غيرها.

يقول عبد الله بن علوي العطاس^(٢): «والطريق عند أهل الحقيقة: عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها وهي المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل، والترقي والمقامات ما رسخ وأقام من الأحوال والتحقيق مأخوذ من الحقيقة»^(٣).

وقد ألفت كتب كثيرة في بيان هذه الطريقة ومنهجها^(٤) وحقيقتها وهذا

(١) جامع البيان (٣٢٣/٥).

(٢) هو عبد الله بن علوي العطاس: من صوفية حضرموت، مؤسس الطريقة العطاسية، واعظ صوفي رحالة، توفي سنة ١٣٣٤هـ. من مؤلفاته: البروق اللامعة، وظهور الحقائق في بيان الطرائق، ورياض المديح في ذكر النبي المليح. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٦٨).

(٣) ظهور الحقائق في بيان الطرائق، لعبد الله بن علوي العطاس (ص ١٧).

(٤) ومن هذه الكتب على سبيل المثال: تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي، لأحمد بن زين الحبشي، وعقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية، لعيدروس بن عمر الحبشي، وظهور الحقائق في بيان الطرائق لعبد الله بن علوي العطاس، =

يدل على شدة اهتمام القوم بهذه الطريقة والتي تفرعت منها طرق أخرى فيما بعد فنسبت لأشخاص معظمين عندهم كما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.

وتتسم طرق الصوفية في حضرموت بالغموض في طريقتها لمن ليس منهم، فمن يطالع كتبهم يجد لغة الرموز، والإشارات والعبارات الغريبة، واتسام منهجهم بالسرية، حتى أن أحد علمائهم ويسمى محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس قد ألف كتاباً سماه: «إيضاح أسرار علوم المقربين»^(١)، وهذا يؤكد التقاء المتصوفة مع فرق الباطنية في بعض أساليبها وتوجهاتها كما سيأتي بيانه في مبحث مصادر التلقي عند صوفية حضرموت.

ولشيخ طريقتهم مجاهدات للوصول للمقامات والمنازل العالية في التصوف، وتتخذ مجاهداتهم صوراً متعددة، منها الجوع والسهر، وتعذيب النفس وحرمانها مما أحل الله تعالى لها^(٢).

وهناك الطريقة العامة التي جعلها الحداد لأهل الأزمنة المتأخرة لكثرت مشاغل الدنيا، وضعف همم الناس فقال: «لا تصلح الخلوة والرياضة في هذا الزمان، لعدم توفر شروطهما فيه...»^(٣).

وأما المكاشفات^(٤) وخرق العادات، وكذلك مسألة الفناء والفرق والجمع^(٥) فمن مهمات المطالب في طريقتهم، وذلك للوصول إلى الله تعالى

= وكتاب إيضاح الأسرار العلوية ومنهاج السادة العلوية، لفضل بن علوي بن محمد بن سهل العلوي، والعقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية، لمحمد بن حسين بن عبد الله الحبشي، والغاية الأساس لطريقة الداعي إلى رب الناس الإمام العارف بالله عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، لمصطفى بن عبد الرحمن العطاس وغيرها من الكتب بالإضافة لذكر بعض ما يتعلق بطريقتهم في ثنايا بعض كتبهم الأخرى.

(١) والكتاب المذكور طبع أكثر من طبعة آخرها طبعة دار الحاوي، عام ١٤١٦هـ.

(٢) انظر صور من هذه المجاهدات: عقود الألماس بمنابح شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أحمد بن حسن العطاس (٥٨/١ - ٦٢)، ط ١، ١٣٦٨هـ.

(٣) كتاب الإمام الحداد (ص ١٥٤).

(٤) انظر الكلام على الكشف ومثاله (ص ٢٦٣ وما بعدها) من هذا البحث.

(٥) وهذه من مصطلحات الصوفية: فالفناء والبقاء: هو: «أن تفتي الحظوظ فلا يكون له في شيء =

بها، يقول الحداد عن مرتبة الطريقة الخاصة: «يعلم السائل أن الواصل إلى الله عبْدٌ وصل من العلم بالله إلى حد ينتهي إلى علم العلماء به من خلقه. وأهل هذه المرتبة يتفاوتون تفاوتاً لا ينحصر، وللواصل على هذا المقام حالتان تسمى إحداهما: بالجمع، والأخرى: بالفرق. فإذا وردت عليه حالة الجمع فني عن نفسه وعن غيره من جنسه، واستغرق بربه، وذهب عنه بالكلية، فلا خاطر هناك يخطر، ولا موجود ثم يظهر إلا الموجود الحق جلّ وعلا»^(١).

ويقول الحداد عن حالة الفرق: «وأما حالة الفرق، فالواصل فيها محفوظ ويعين العناية ملحوظ. وعندها يبقى خاطر الرباني، ويسمى عند الصوفية بالإذن، والخطر الملكي ويدعى عندهم بالإلهام»^(٢)^(٣).

والشيخ رأس الطريقة وهو دليل المريد الذي لا يحتاج إلى دليل غيره ليوصله إلى أعلى المقامات ورتب الكمال المزعومة يقول عبد الله بن علوي العطاس: «فقد قال ساداتنا: لولا المربي ما عرفت ربي، وعليه بحفظ خواطره وامتنال أوامره، فقد قالوا: من رده قلب شيخ لا يفلح أبداً، وليجعل نفسه كالبيت بين يدي الغاسل ليفوز بالفوز العظيم»^(٤).

= من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز، وهو فناء عن الأشياء كلها، شغلاً بما فني به... والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بالله» التعرف على التصوف (ص ١٤٢ - ١٤٣)، ط ١، ١٤١٣هـ.

ومقام الجمع - نوع من الفناء - ويسمى الجمع في مقابل مقام الفرق وهو الصحو أو البقاء. ويقول القشيري: «من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طلاً، يقال: أنه فني عن الخلق وبقي بالخلق» الرسالة القشيرية (١/ ٢١٢)، ط ١، ١٣٨٥هـ، ويقول أيضاً: «فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحق من نعت الجمع» المصدر السابق (١/ ٢٠٧).

(١) الفانس العلوية (ص ٣٧). وهذه العبارة من العبارات التي توحى بعقيدة وحدة الوجود، وهي غاية المتصوفة الغلاة، فهل الحداد من هؤلاء المعتقدين بها، أو يقر أصحابه على ذلك؟! والذي يمتنع من الجزم بذلك هو وجود عبارات أخرى أنكرها على هذه العقيدة، لكن لعله الاضطراب عند القوم، وهكذا المخالفات تهوي بصاحبها في هاوية المهالك والردى.

(٢) انظر الكلام على الكشف والإلهام ومسانله (ص ٢٦٣ وما بعدها) من هذا البحث.

(٣) الفانس العلوية (ص ٤٥).

(٤) ظهور الحقائق (ص ٢٨).

فهذا هو أساس الطرق الصوفية وهي التربية الذليلة للمريد، التي تجعله يرفع منزلة شيخه فوق منزلته التي جعلها الله تعالى له، بل غلوا فيه أشد الغلو، وقد نهى ﷺ عن الغلو بكل صوره، فقد أخرج النسائي في سننه بسنده أن ابن عباس قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «هات القط لي» فلقطت له حصيات هنّ حصى الخذف فلما وضعتهم في يده قال: «بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(١) وبين ﷺ لأمتة أن الغلو مذموم، حتى في شخصه ﷺ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»^(٢).

وأما عن أصل الطريقة العلوية في حضرموت، فقد اتفقت كتب صوفية حضرموت على أن أصل طريقة آل باعلوي هي الطريقة المدينية؛ طريقة أبي مدين شعيب المغربي، وقطبها ومدار حقيقتها الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وهذا الاتفاق من القوم يوردونه بشكل قصة يتناقلونها في كتبهم^(٣) حتى جعلت من المسلمات.

وقد لخص هذه القصة بلفقيه - كما تقدم - بقوله:

وشيخهم الغوث الفقيه محمد أبو علوي ذو المعالي العلية
إمام الطريقتين الحسيني نسبة ثوى في تريم البلدة الحضرمية
ومرجعه في لبسه وانتسابه أبو مدين شمس القرى المغربية

- (١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧)؛ والنسائي في سننه: كتاب مناسك الحج، باب: التقاط الحصى (ص ٣٢٣) برقم (٣٠٥٧)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، (٣٢٨) برقم (٣٠٢٩)؛ وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/ ٢٩٣)؛ وانظر: السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (٣/ ٢٧٨). برقم (١٢٨٣).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْمٍ إِذْ أَنْبَذْتُ مِنْ أَلْهَمًا﴾ (ص ٦٦٤) برقم (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبرقم ٦٨٣٠ في حديث طويل من حديث ابن عباس.
- (٣) انظر القصة: الجوهر الشفاف (١/ ٨١ - ٨٢)؛ والمشروع الروي (٢/ ٤ - ٥)؛ وشرح العينية (ص ١١٣)؛ وعقود الألماس (١/ ٤٣ - ٤٤).

بخرقته قد أرسل الصالح الذي لدى الموت فيها المقعد أوصى بمكة وقد غلا القوم في الطريقة العلوية ودعوا للتمسك بها أشد التمسك، حتى نشروا الأحلام والمنامات التي تدعوا للمحافظة على هذه الطريقة وتحث أتباعها على التمسك بها، يقول محمد بن حسين الحبشي^(١): «ولما جاء الشيخ باركوة^(٢) إلى تريم، وقصده أن يُحْكَم ويلقن السادة على الكيفية المعروفة في سيرته رأى في المنام: أن سيدنا الفقيه المقدم يقول له: اخرج من البلد لثلاث تفتن أولادي فخرج منها هارباً»^(٣).

وقال محمد الحبشي: «وما خالف طريقة آل باعلوي فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله»^(٤).

ويقول الحداد عن شيوخ الطريقة العلوية والذين يجلونهم ويقدمونهم على غيرهم: «الفقيه المقدم والشيخ عبد القادر الجيلاني إمامان كبيران قطبان جامعان سنيان شريفان وكل منهما فاضل سابق ومقرب، وانتفاعنا واعتمادنا على الشيخ الفقيه المقدم أكثر وأظهر؛ لأنه الأب، والشيخ الذي تدور عليه الدواير في هذه الجهة لنا ولغيرنا وهما في المقام سواء غير أن ظهور سيدنا الفقيه المقدم في العالم البرزخي أكبر وكذا الشيخ أبو مدين إمام عظيم جامع وممن قطب أيضاً على ما ذكره العارفون فانتقلت القطبية من الشيخ عبد القادر

(١) هو محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي - والد الصوفي الكبير علي الحبشي صاحب القبة الكبيرة بسينون -، ولد بحضرموت، ثم هاجر إلى الحرمين، وتولى الإفتاء بمكة فبقي بها إلى أن توفي سنة ١٢٨١ هـ. انظر: الجامع، لبامطرف (ص ٥٠٤).

(٢) هو عمر بن عيسى باركوة السمرقندي، من صوفية القرن العاشر، وهو من تلاميذ أبي بكر بن سالم - صاحب عينات المتوفى سنة ٩٩٢ هـ - ومن الذين أخذوا عنه في التصوف: عمر بن عبد الرحمن العطاس، وأحمد بن عبد القادر باعشن وغيرهما. مات بالقرعة. انظر: إدام القوت (ص ٦١٧)، ط المنهاج.

(٣) العقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية، لمحمد بن حسين بن عبد الله الحبشي (ص ٤)، طبع على نفقة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي بتاريخ ١٢٨٩ هـ. وانظر: تخوفهم من يترك طريقهم بأنه يصاب بالجنون، أو يموت ونحو ذلك، واستدلواهم لذلك بقصصهم الخيالية، وترهاتهم المنحرفة: المصدر السابق (ص ١٦).

(٤) الفتوح اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية (ص ٥).

إلى الشيخ أبي مدين إلى الشيخ الفقيه المقدم على الترتيب لا على التوالي»^(١). ومدرسة التصوف في حضرموت لم تهتم بالتأليف في بداياتها وسبب ذلك تعليلهم بأنها: «طريق تحقيق أذواق وأسرار وجنوحوا إلى الخمول والسر والإسرار ولم يضعوا في ذلك تأليفاً ولا صنفوا فيه تصنيفاً، ومضت الطبقة الأولى إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي فانتسعت الدائرة وبعد المزار واتصل بهم القريب المنفصل ببعيد الدار احتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف»^(٢).

وقد أشار الحداد إلى ذلك بقوله:

فعن عيدروس السر بعد عفيفه إلى الشيخ قطب العارفين الأئمة
علي بن أبي بكر الإمام ملاذنا وعمدتنا في نقل علم الحقيقة^(٣)
ولا بد من شيخ عند القوم وذلك للترقي في طريق التصوف كما قال الحداد:

ولا بد من شيخ تسير بسيره إلى الله من أهل القلوب الزاكية^(٤)
فالشيخ في الطريقة الصوفية هو المحور الرئيس الذي تدور حوله الطريقة، فلا وجود للطريقة بدونه، لذا قال الحداد: «طريقة السادة آل أبي علوي العقيدة التامة والتعلق بالشيخ والاعتناء من الشيخ والتربية بالسر، وهي طريقة السلف كالحسن البصري»^(٥) وغيره^(٦).

هكذا يصف الحداد طريقتهم وهي الغلو في الشيخ والتعلق به لا التعلو بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة والتمسك بذلك لأنه سبيل العصمة.

(١) كتاب النفائس العلوية، لعبد الله بن علوي الحداد (ص ٧٣)؛ والعقود اللؤلؤية (ص ٧).

(٢) ظهور الحقائق (ص ٦٨). (٣) ديوان الحداد (ص ٧٩).

(٤) المصدر السابق (ص ٨٢).

(٥) هو سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبر سعيد الأنصاري مولاها، ثم فقيه مشهور، زاهد فاضل، كان يرسل كثيراً وكان أفصح الناس وأجملهم. مات سنة ٨١٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٣٨٨)؛ وتقريب التهذيب (ص ٢٣٦)، ط العاصمة.

(٦) العقود اللؤلؤية (ص ١٦).

ويقول الحداد: «طرق التصوف وإن تعددت، فهي طريقة واحدة وهي: مجاهدة النفس والخروج من كل ما تدعو إليه، وهذا أمر عسر»^(١).

ويقول أيضاً: «الطريقة التي تذكر إنما هي طريقة الباطن وهي العقائد والأخلاق، وإنما مثل لها بالطريق الظاهر لتعقل وتفهم»^(٢).

وهي طريقة خليط من أكثر من طريقة، فهي كما وصفها أصحابها غزالية المظهر شاذلية الباطن^(٣)؛ وهي هدي وسكون، ومحو وإثبات، ويصفون طريقة الشاذلي بأنها طريقة الشكر وهي الأصلية والتي كانت عليها قلوب الأنبياء والصحابة، أما طريقة الغزالي فتعتمد على الرياضة والتعب، والمشقة والسهر والجوع «المجاهدة» فتكون طريقة الشكر أصعب على النفوس الغافلة. والجمع بين الطريقتين هي طريقة السادة العلوية في حضرموت^(٤).

وأصبحت هذه الطريقة ذات أصول، ولها شيوخها ومنهجها الذي تسير عليه، ولم تجعل لأي من الطرق عليها سبيلاً؛ بل تمسكت بطريقتها، يقول محمد بن حسين الحبشي: «وقد وقع لشيخنا عمر البار»^(٥) أن بعض مشائخ اليمن قصده أن يجيزه على طريقة نقشبندية فلقني بعض مجاذيب آل باعلوي وهو السيد سالم بن حسن بن شيخ فأول ما ذكره به قول المحضار:

ومن جاءنا ببايخضع حمانا نكشر في بلده الصائبات^(٦)

= ١٣٧٩هـ، مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة.

(١) الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص ١٠٥).

(٢) عقود الألباس (٤٣/١ - ٤٤)؛ والإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر (ص ١٠٥).

(٣) انظر: عقود الألباس (٤٣/١ - ٤٤).

(٤) المصدر السابق (٤٤/١)؛ وانظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٢٢).

(٥) هو عمر بن عبد الله البار: من صوفية حضرموت، رحل إلى زبيد ومكة، توفي سنة ١٢١٢هـ، من مؤلفاته: الروضة الأنبياء في أسماء أهل الطريقة منظومة شرحها تلميذه عبد الله بأسودان، ومطالع الأنوار (مجموعة أورد). انظر: عقد البواقي (٦٣/٢ - ٦٤)؛ وعقود اللال (ص ٢٢٧)؛ ونيل الوطر (١٦٧/٢)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣٣/٣)؛ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٥٧).

(٦) العقود اللؤلؤية (ص ١٠)؛ والبيت باللهجة العامية في حضرموت ومعناه من جاءنا يريد يقع في حمانا سوف نكشر في بلده المصائب وما يكره. وانظر كذلك من قصصهم في التخويف من =

واستعمل القوم في طريقتهم العلوية أوضاعاً ورسوماً مبتدعة، منها ما يسمى بالخرقة الصوفية التي تعد من أهم رسوم الصوفية، وليقتنع بها الناس فقد استدلوها بحديث موضوع أسنده الوضاعون إلى النبي ﷺ ليثبتوا سند الخرقة الصوفية التي هي من شعارهم فقالوا: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء وأمسك حبيبي جبريل بيدي فأدخلني الجنة بعد المخاطبة، فرأيت فيها قصرًا من ياقوتة حمراء فيها صندوق من نور عليه قفل من نور فقلت:

يا حبيبي جبريل ما في هذا الصندوق؟ قال: فيه فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة، هذا فيه خرقة الفقر، ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقة الفقر والبسنيها، وقال: يا محمد أمرني الحق أن ألبسها لك فلا تودعها إلا عند مستحقها، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: وجل بها في الجنة وقال: «الفقر فخري وفخر أمتي من بعدي إلى يوم القيامة». قالوا: وانتقلت نسبة الخرقة الشريفة من النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وانتقلت من علي ﷺ إلى الحسن البصري ﷺ، وانتقلت من الحسن البصري إلى حبيب العجمي وانتقلت من حبيب العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الشيخ الجنيد البغدادي ومن الجنيد البغدادي تفرقت إلى المشائخ. ومن طريق أخرى: «انتقلت من النبي ﷺ إلى الحسين بن علي بن أبي طالب إلى علي بن زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الجنيد البغدادي»^(١). وفي هذا النص يبدو أثر التشيع على القوم في نسبة الخرقة الصوفية حيث ادعى القوم أعطاء النبي ﷺ علياً ﷺ الخرقة دون سائر الصحابة.

= ترك طريقتهم لمن دخل فيها: المصدر السابق (ص ٤).

(١) موضوع. نقل ذلك السخاوي في المقاصد الحسنة عن الحافظ ابن حجر (ص ٣٠٠) حيث قال: «قال شيخنا هو باطل موضوع» طبعة دار الهجرة بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). ثم هذا الكلام يخالف هديه ﷺ حيث كان ﷺ يستعيز بالله من الفقر، فكان يقول (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أظلم أو أظلم) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٨٧).

ثم إن قولهم بانتقال الخرقه الصوفية من علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحسن البصري عليه السلام غير صحيح؛ لأن المحدثين يقولون: إن الحسن لم يسمع من علي بن أبي طالب عليه السلام شيئاً، قال العجلوني ^(١) عن قول الصوفية إن الحسن البصري لبس الخرقه الصوفية من علي بن أبي طالب عليه السلام: «قال ابن دحية ^(٢) وابن الصلاح ^(٣): باطل، ولم يسمع الحسن من علي حرفاً بالإجماع، فكيف يلبسها منه؟» ^(٤).

وهذا كاف في بيان انقطاع إسناده خرقته المزعومة.

وقد بين أهل العلم بطلان ما ادعته الصوفية لإثبات الخرقه التي يقدسونها، يقول العجلوني رحمته الله مبيناً بطلان إسناده الخرقه الصوفية: «وقال جماعة من العلماء وما يذكره بعضهم: من أن الحسن لم يسمع من علي ولم يرد في خبر ضعيف أنه عليه السلام ^(٥) ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً منهم بفعلها، وكل ما يروى في ذلك صريحاً فهو باطل، نعم لبسها وألبسها جمع منهم تشبهاً بالقوم وتبركاً بطريقتهم، إذ ورد لبسهم لها عقد الصلحة المتصلة إلى كميل بن زياد ^(٦) وهو قد صحب علياً

(١) هو أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني ثم الدمشقي الشافعي، المحدث المؤرخ. من تصانيفه: كشف الخفاء، والفيض الجاري في شرح صحيح البخاري، والكواكب المنيرة المجتمعة في تراجم الأئمة المجتهدين الأربعة. توفي سنة ١١٦٢هـ. انظر: هداية العارفين (٢٢٠/٥)؛ والأعلام (٣٢٥/١)؛ ومعجم المؤلفين (٣٧٨/١).

(٢) هو عمر بن علي بن حسن بن علي بن الجُميل، أبو الخطاب الكلبي الداني ثم السبتي. كان بصيراً بالحديث معتنياً بتقييده مكباً على سماعه، حسن الخط معروف بال ضبط، حدث بتونس سنة ٥٩٥هـ. توفي سنة ٦٣٣هـ. انظر: السير (٢٨٩/٢٢ - ٣٩٤).

(٣) هو الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين بن عثمان الكردي، أحد الأئمة علماء وديناً، ولد سنة ٥٧٥هـ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ. انظر ترجمته: العبر (٢٤٤/٣)؛ والبداية والنهاية (١٦٨/١٣)؛ والأعلام (٢٠٧/٤ - ٢٠٨).

(٤) كشف الخفاء، للعجلوني (١٨٠/٢) تحقيق: أحمد القلاش، ط ٤، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، والمقاصد الحسنة برقم (٢٠٣٥).

(٥) هذه من الصيغ التي دخلت على البعض، وكمثل قولهم علي - كرم الله وجهه - وهي من آثار الشيعة وغلّوهم فيه. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١٠٠/٣).

(٦) هـ. كما. ن. زاد. ن. نهيك النخعي، تابعي ثقة رمي بالتشيع، وهو من أصحاب علي عليه السلام، =

اتفاقاً، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني ^(١)، وهو قد اجتمع بعمر وعلي اتفاقاً. قلت: وكذا ما اشتهر بينهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عمر وعلياً بخرقته لأويس وأنها سلماها إليه وأنها وصلت إليهم من أويس وهلم جرأ فلا أصل له أيضاً» ^(٢).

وقال عيدروس بن عمر الحبشي عند ذكره لطرق خرقه التصوف التي ينتسب لها صوفية حضرموت: «وأما الطريق الثانية من طرق الشيخ القطب محمد بن علي في نسبة الخرقه الشهيرة ووصلة سند الصلحة، وسلسلة الوصلة إنه لبس الخرقه الشعبية المدنية في بدايته ومبدأ مكاشفة بإذن رباني، وأمر غيبي، مع بشارات جليلة وإشارات عظيمة منها أنه سمع قائلاً يقول: لا يفك قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد وهو إذ ذاك بمكة فسار سيدنا الفقيه المقدم نحوه فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع، وكان الشيخ عبد الرحمن المقعد من أكابر تلامذة الشيخ أبي مدين وكان قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لنا فيها أصحاباً فسر إليهم، وخذ عليهم عقد التحكيم، وحكمهم وألبسهم الخرقه، وأعطاه الخرقه وأمره أن يعطيها سيدنا الفقيه» ^(٣).

وقال علي بن أبي بكر السكران: «فلما حصل له - أعني سيدنا الفقيه - الإذن الرباني والأمر الغيبي يقظة وكشفاً عياناً لا مناماً؛ فلبس الخرقه الشريفة من يد الشيخ الإمام القطب شعيب أبي مدين المغربي بواسطة الشيخ عبد الرحمن المقعد بواسطة الشيخ عبد الله الصالح المغربي وبغير واسطة» ^(٤).

وبيّن عيدروس بن عمر الحبشي الطريقة العلوية بذكر أئمتهم الذين = شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة. روى الحديث، قتله الحجاج سنة ٨٢هـ، وهو ابن سبعين سنة. انظر: تقريب التهذيب (٤٧٥/٣)، اعتناء: إبراهيم الزريق، وعادل مرشد، ط ١، ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(١) هو أويس بن عامر القرني - بفتح القاف المهملة ثم نون - من قبيلة مذحج، مخضرم، سيد التابعين كما رواه مسلم في الصحيح، أرسل وروى له مسلم أشياء من كلامه، شهد صفين مع علي عليه السلام وقتل يومئذ، وله مناقب مشهورة. انظر: الخلاصة للخزرجي (ص ٤١).

(٢) كشف الخفاء (٥٦٤/٢). (٣) كتاب عقد اليواقيت الجوهريّة (ص ١٣٨).

(٤) البرقة المشيقة (ص ٤٥).

اعتمدوا عليهم في تحرير طريقتهم بعد كلام طويل له عن نقلها منذ عهد الرسول ﷺ ثم الصحابة والتابعين فتابعهم فقال: «وقد نقل ذلك الإمامان: أبو طالب المكي في (قوته)، وأبو القاسم القشيري في (رسالته)، ومن هنا نحوهم. ثم فصل ذلك وهذبته وحرّره وبوّبه وقرّره ونقّحه حجة الإسلام الغزالي. وهو طريق السادة العلويين الحضرميين الحسينيين تلقوه هكذا طبقة عن طبقة، وأباً عن أب، وتوارثوها من لدن الحسين، وزين العابدين، والباقر، والصادق وغيرهم من أكابر السلف، هكذا إلى الآن»^(١).

وقال عبد الله بن أحمد باسودان: «سئل بحر العلوم وينبوع الفهوم الحبيب الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي رحمه الله عن طريقة السادة آل أبي علوي ما هي؟ وكيف هي؟ وهل يكفي في تعريفها الكتاب والسنة أم لا؟ وهل بينهم تخالف، وهل يخالفهم غيرها من الطرق أم لا؟».

الجواب: والله الموفق للصواب: اعلم أن طريقة السادة آل باعلوي أحد طرق الصوفية التي أساسها الكتاب والسنة، ورأسها صدق الافتقار وشهود المنّة، فهي اتباع منصوص على وجه مخصوص، وتهذيب الأصول لتقريب الوصول، فلها فائدة ونفع معلوم تزيد على ما يقتضيه اتباع الكتاب والسنة على وجه العموم، وذلك أن علم الأحكام المتعلقة بظاهر الإسلام أصل موضوعه عام في عام... ولا يكفي فيه التعليم بالعموم، بل لا بد فيه لكل جزء من تعريف وتوقيف، وهذا هو علم التصوف والسلوك إلى الله تعالى، طريق الصوفية فظاهرها علم وعمل بمقتضاه وباطنها صدق التوجه إلى الله تعالى بما يرضاه، فهي جامعة لكل خلق سُني، مانعة من كل وصف دني إلى أن قال: «فأصل طريق السادة آل باعلوي الطريقة المدينيّة طريق الشيخ أبي مَدْيَن المغربي وقطبها ومدار تحقيقها الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي الحسيني الحضرمي، تلقاها عنه الرجال عن الرجال، وتوارثها منه الأكابر أولو المقامات والأصول، ولكن لكونها طريق تحقيق وأذواق وأسرار جنحوا إلى

الخمول والتستر والأسرار، ولم يضعوا في ذلك تأليفاً، ولا صنفوا تصنيفاً، ومضى الطبقة الأولى على ذلك إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي؛ فاتسعت الدائرة وبعد المزار واتصل بهم المنفصل ببعده الدار؛ فاحتجج إلى التأليف والإيضاح والتعريف، فظهر بحمد الله ما يشرح الصدور ويبهج النفوس: كالكبريت الأحمر، والجزء اللطيف، والمعارج، والبرقة وغير ذلك وأكثر المتأخرون في ذلك التأليف واشتهر لهم في كل تعريف وتصنيف^(١).

وجاء في كتاب تاج الأعراس: «فاعلم أن طريقة السادة أبي علوي نسجها على هذا المنوال، فظاهرها علوم الدين والأعمال وباطنها تحقيق المقامات والأحوال وآدابها صون الأسرار والغيرة عليها الابتدال، فظاهرها ما شرحه الغزالي من العلم والعمل على المنهج الرشيد، وباطنها ما وضحه الشاذلية من تحقيق وتجريد التوحيد، فعلومهم علوم القوم ورسومهم محو الرسوم يرغبون إلى الله بالتقرب إليه بكل قرينة، ويقولون بأخذ العهد والتلقين، والخرقه، ودخول الخلوة^(٢)، والرياضة والمجاهدة وعقد الصحبة، والجذبات^(٣)، وعلوم الأسرار، والمكاشفات في أعمال وأقوال تؤذن بأنعم شربة وأعظم رتبة فصارت طريقتهم طريقة قائمة بنفسها ظاهرة شمسها غنية عن التعريف لشهرتها عند أهل المعرفة وشيوخها في كل تأليف وتصنيف. اهـ»^(٤).

ويقول بلفقيه: «وقيل إن طريق الشاذلية في حزوبهم مطوية لاشتغالها على تحقيق التجريد، وعلوم التوحيد وصدق العبودية، وليس بين السادة آل باعلوي في طريقتهم تخالف، وإنما اختلف المشهود بحسب المشاهدة واختلاف الشهود إلى أن قال: فلا فرق بينهم يقتضي التفريق ولا مباينة على التحقيق، وأما طريق

(١) العقود اللؤلؤية (ص ١١ - ١٣)؛ وعقد البواقيت الجوهريّة (١/ ٣٣)؛ وتاج الأعراس (١/ ٥٦ - ٦٠).

(٢) سيأتي الكلام على الخلوة الصوفية انظر (ص ٨٦٢ وما بعدها) من هذا البحث.

(٣) الجذب أو الجذبات جمع جذبة وتعني في اصطلاح الصوفية «الغاية الإلهية الجاذبة للعبد إلى عين القرب بتهيئته تعالى له كل ما يحتاج إليه في مجاوزته لمنازل السير إلى ربه». لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، للقاشاني (١/ ٣٨٧ - ٣٨٨). تحقيق ودراسة: سعيد عبد الفتاح، ط ١، ١٤١٦هـ، دار الكتب المصرية - القاهرة.

(٤) تاج الأعراس (١/ ٥٨).

غير السادة آل باعلوي من طرق الصوفية الصحيحة الوفية فلا تخالفها في الأصول ولا في حقيقة السلوك والوصول، وإنما الخلاف في رسوم وأوضاع مشارب تؤول إلى المخالطة في تقريب الطريق على الطالب غايتها كالاختلاف في الفروع بين أهل المذاهب^(١).

وفي هذا النص لبلفقيه بيان طريقة القوم والتقائها مع الطريقة الشاذلية وغيرها من الطرق الصوفية في الأصول والغاية من تحصيل المكاشفات والفناء، والوصول إلى وحدة الوجود عند غلاتهم، وإنما خلاف الطريقة العلوية مع غيرها في الرسوم والأوضاع والطقوس التي يضعها الشيوخ للمريدين ومنها ملازمة المجاهدات، والخلوات، والرياضات الصوفية المختلفة للوصول إلى غاياتهم المنشودة ومنها الجذبة التي يرتفع بها كلفة الأعمال، والتحقق بالكشف، والشهود، ومشاهدة الحقيقة كما ذكر ذلك عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في رشفاته^(٢).

ونقل علوي بن طاهر الحداد عن عبد العزيز الدباغ^(٣) قوله في الفرق بين الطريقة الغزالية والطريقة الشاذلية: «قال ﷺ: وسأله الفقيه المذكور أيضاً عن طريق الشكر وطريق المجاهدة بقوله: سيدي رضي الله عنكم ما الفرق بين طريقة الولي العارف بالله الشاذلي وأتباعه وطريقة الغزالي وأتباعه، حتى أن الأولى مدارها كلها على الشكر والفرح بالمنعم من غير مشقة والأخرى مدارها على الرياضة والتعب... فهل هما متوافقان... الخ السؤال فأجاب ﷺ: بأن طريقة الشكر هي الأصلية، وهي التي كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم، وهي عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع

(١) العقود للؤلؤة (ص ١٣).

(٢) انظر: الرشفات (ص ١١).

(٣) هو عبد العزيز بن مسعود الدباغ، صوفي شاذلي، ولد بفاس، سنة ١٠٩٥ هـ، أخذ التصوف عن عمر بن محمد الهواري الشاذلي، ثم صار شيخاً من مشايخ الصوفية، مع أنه أُمي، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه، ونسبة الخوارق إليه، وقد صنف تلميذه أحمد بن مبارك السلجماسي (الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز)، ترجم له، ونقل أقواله، توفي الدباغ بفاس سنة (١١٣٢ هـ). انظر: الإبريز لمحمد السلجماسي؛ والأعلام (٤/ ٢٨)؛ ومعجم المؤلفين (٢٦٢/ ٥).

الحظوظ مع الاعتراف بالعجز إلى أن قال: ونيل المراتب والسير في الأولى سير القلوب وفي الثانية: سير الأبدان والفتح في الأولى هجومي... وفي الثانية: انتظاري مع تعاطي أسبابه، والطريقتان متفقان على الرياضة...^(١).

وجاء في كتاب (ظهور الحقائق) عند ذكر الطرق الصوفية في حضرموت: «وقد يقال في طرائق السادة العلويين بأسماء معروفة حفظاً للأصل، لا لمنافاة بينها، أو خلاف لبعضها من بعض، كقولهم: العيدروسية المنسوبة لسيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس، والعطاسية المنسوبة لسيدي عمر بن عبد الرحمن العطاس^(٢)، والحدادية المنسوبة لسيدي عبد الله بن علوي الحداد وما أشبهها»^(٣).

وجاء في كتاب عقود الألماس عند ذكر قول شيخهم أحمد بن حسن العطاس: «وقال ﷺ: سلفنا يقولون إن طريقتهم ظاهرها غزالية ما يتركون الأعمال، وباطنها الشاذلية ما يعتمدون على الأعمال ما يسلكون إلا بالرجاء والشوق والخمول لا أنهم يقصدونه وأمثال هذه الأحوال يعني الكشوفات ونحوها ما يقصدونها ولا ينظرون إليها لأنها تقطعهم عن ربهم»^(٤).

ويقول علوي بن طاهر الحداد: «فصل في بيان أن مجموعي الطريقتين الغزالية والشاذلية هو عين الطريق العلوية: اعلم أنهم جمعوا الطريقة الشاذلية في قولهم: هي رؤية المنة لله، وملازمة الشكر وإخلاص العبودية، والبراءة من جميع الحظوظ، والاعتراف بالعجز والتقصير، هذا مجمل أصولها»^(٥).

ويقول محمد بن حسين الحبشي: «طريقة السادة آل علوي الطريقة

(١) عقود الألماس (١/ ٥٠ - ٥١).

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس، ولد في قرية اللسك من عينات سنة ٩٩٢ هـ، ودرس على الحسين بن أبي بكر بن سالم، وتردد إلى وادي دوعن وحريضة، وكف بصره من الجدري. استوطن حريضة سنة ١٠٣٧ هـ وبقي بها. مات ببلدة لفحون - بين عمد وحريضة - سنة ١٠٧٢ هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص ٢٤٨).

(٣) ظهور الحقائق (ص ٤٨).

(٤) عقود الألماس (١/ ٤٣).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤٧).

المدينية طريقة الشيخ أبي مدين شعيب المغربي، وقطبها ومدار تحقيقها الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد بن باعلوي الحسيني الحضرمي تلقاها عنه الرجال عن الرجال وتوارثها الأكابر أولوا المقامات والأحوال... إلخ^(١).

وجاء في ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وبداية طلبه للعلم على يد مشايخ المتصوفة: «وأخذوا عليّ العهد الخاص والعام في الأمور القديمة والجديدة فاتصلت من سلاسل أنوارهم بأكمل الاتصال، وتوالى إليّ وصالهم بكل نوال، وشربت من مناهل معرفتهم العذب البارد والسلسال، واتصلت بواسطتهم لي بطريق الصوفية الصفية علي الأعمال من طريق تزايد على العشرين طريقاً منسوبة إلى المشايخ الكبار والمشهورين في الأقطار، كالعلوية المنسوبة إلى سيدنا الفقيه الشيخ محمد بن علي باعلوي، والعمودية المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والعبادية المنسوبة إلى الشيخ عبد الله باعباد، والقادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٢)». وجاء في كتاب عقود الألباس: «وتعلم من ذلك أن طريقتهم لم تكن شيئاً استحدثوه بعد ظهور الغزالية والطريقة الشاذلية، ولكن كان ما توارثوه موافقاً لهما فاعتمدوهما لما كان فيهما من الغناء والكفاية عن التأليف والجمع وتعويلهم كان على الاقتداء بالمشايخ والملازمة لهم والتربية بالعمل والأخذ بالمحاكاة والمشافهة ما يسر لي من الصفات والأسرار بالمخالفة للأشياخ مع المحبة والتعظيم^(٣)».

وجاء في كتاب عقود الألباس أيضاً تحت عنوان (بيان أن الطريقة العلوية تنقسم إلى خاصة وعامة): «اعلم أن لهم طريقة خاصة ونعني به ما اشتملت على عزائم الصوفية، وأنواع الرياضة والأربعينات على ما هو مشروح في أصول كتب التصوف، كالقوت للإمام أبي طالب المكي، وعوارف المعارف للسهروردي، والإحياء للغزالي ومنهج العابدين وميزان العمل والأربعين له وغير ذلك مما اشتمل على التصوف الواضح المقيّد بالكتاب

(١) العقود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية (ص ١٢ - ١٣).

(٢) مطالع الأنوار (ص ١٥ - ١٦). (٣) عقود الألباس (٥٤/١).

والسنة. ولا سيما كتاب الإحياء فقد اعتنوا به قراءة ومطالعة ومدارسة وحثاً عليه وسلوكاً به... وكانوا يعدون مطالعته من جملة أعمال الرياضة، بل قد يغني عنها لمن تحقق به. ثم قول عبد الله بن علوي الحداد: «من طالع الكتب الغزالية كفته عن العمل، ومن اشتغل بمطالعتها وقراءتها تم أمره وظفره، ومن طالع إحياء علوم الدين رُزق الخوف من الله تعالى^(١)».

وقد بين أهل العلم بدعية الطرق الصوفية، ومنها الطريقة العلوية التي كان لها أثر واضح في مناطق مختلفة من اليمن والتي تبناها المتصوفة ودعوا إليها، يقول العلامة محمد بن سالم البيحاني^(٢) رحمته الله مبيناً أحوال المتصوفة: «وأما طرائقهم المبتدعة وأذكارهم المجمعة من كلمات لا معنى لها، وربما كانت لها

(١) المصدر السابق (٥٤/١). وهذا من الغلو في كتاب الإحياء الذي حشاه مؤلفه بالغث والسمين، مع وجود أشياء جيدة فيه، لكن الخشية لا تكون إلا بكتاب الله تعالى، وتعظيم شرعه جل وعلا، ومن لم تكن له عبرة وعظة في كتاب الله تعالى فلا عبرة له.

(٢) هو العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، ولد بمدينة القصاب ببيحان - إحدى مدن محافظة شبوة - سنة (١٣٢٦هـ)، تلقى بداية تعليمه برباط تريم في حضرموت، ومن أشهر مشايخه الذين تلقى العلم عنهم: عبد الله بن عمر الشاطري، فمكث هناك أربع سنوات، ثم عاد إلى بيحان، فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (١٣٤٦هـ)، ف لازم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر، للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة فيه، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطرب بعدها إلى العودة إلى عدن فاستقر بها، واستفاد من شيخه السلفي أحمد بن محمد العبادي.

ومن أبرز مآثره: تأسيسه مسجد العسقلاني بمدينة عدن، وينشر السنة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاحتلال البريطاني آنذاك، والتحذير من الانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.

توفي الشيخ البيحاني بمحافظة تعز سنة ١٣٩١هـ. وترك رحمته الله مؤلفات كثيرة بلغت أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها: كتاب «إصلاح المجتمع» الذي لقي قبولا واسعاً، وكتاب (أشعة الأنوار في مرويّات الأخبار)، وزبوجة في قارورة، وشفاء المصاب من لسعات العود والرباب وغيرها. انظر في ترجمته: مقدمة كتابه: إصلاح المجتمع، دار الندوة الجديد - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن، للحشي (ص ٣٠٨)، ط المجتمع الثقافي - أبو ظبي؛ والروض الأغن (٥٦/٣)؛ ورسالة عن الإمام البيحاني بعنوان (الإمام محمد بن سالم البيحاني: حياته - عصره - شعره - دعوته - آثاره) للدكتور أحمد هجوان.

معاني مجهولة، وربما تغنوا بها وتواجدوا ورقصوا وشوشوا على القاري والمصلي فحينما نفتي بحرمتها وأنها غير مشروعة ولا موافقة للسنة يغضبون ويخبطون، وفي خيوط العنكبوت يجمعون أدلة الباطل ويحطبون»^(١).

ولخص القوم طريقتهم العلوية بأن: ظاهرها علوم الدين والعمل، وباطنها تحقيق المقامات والأحوال، وآدابها صون الأسرار والغيرة من الابتذال.

فظاهرها ما شرحه الغزالي من العلم والعمل على المنهج الرشيد، وباطنها ما أوضحه الشاذلية من تحقيق التجريد وتجريد التوحيد، ومدار طريقتهم على الخمول وعدم الفضول ومحو الرسوم إلا رسوم الخير المؤسسة على العلم والهدى^(٢).

ويوضح عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي^(٣) الصورة أكثر ببيان طريقة أسلافهم العلويين بقوله: «العلم والعمل مع الإخلاص لله ﷻ هو طريق أسلافنا العلويين صفة الأولياء المقربين وهي مشروحة في إحياء علوم الدين وغيره من المصنفات الغزالية، وتأليف ساداتنا البهية كالكتب الحدادية، والمشرح، وشرح العينية، والغرر، والعقد، والسلسلة العيدروسية»^(٤).

(١) زويرة في قارورة، لمحمد بن سالم البيهاني (ص ١٠). طبع في دار الشعب بـ عدن - بدون تاريخ.
(٢) العقود اللؤلؤية (ص ٥ - ٦)؛ والمناصرة والمؤازرة لكافة منسوبي مدارس آل البيت النبوي في المرحلة المعاصرة، لأبي بكر بن علي المشهور (ص ٦٠)، ط ٢، ١٤٢٣هـ، فرع الدراسات وخدمة التراث - عدن.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى العلوي، أحد العبادة السبعة عند أهل حضرموت، ولد في حضرموت ببلدة المسيلة سنة ١٢٠٧هـ. وتوفي بها سنة ١٢٦٥هـ. انظر: عقد اليواقيت (١/١٢٧)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣/٢٠٨ - ٢١٤).

(٤) عقد اليواقيت (ص ١٢٩ - ١٣٠). فهذا كلام أحد كبارهم في تأكيد اعتماد مؤلفات أسلافهم العلويين لمعرفة الطريقة العلوية، وقد مر في البحث وسيأتي نقولات من هذه الكتب وما حملته في ثناياها من الانحرافات العقدية الكثيرة، وفي هذا رد على المتأخرين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويخفون ما تحويه هذه المؤلفات من انحرافات كما فعل محمد بن أحمد الشاطري حيث أعاد طبع المشرح الروي وحذف منه أكثر الخرافات والانحرافات التي ذكرها صاحب المشرح عن أسلافهم، وكما يفعل أبو بكر المشهور في تخريج هذه الخرافات بما ناسه تادة وثأويل. فظاهرها تارة أخرى ونحو ذلك من المخارج كما سيأتي.

الطريقة العمودية:

وتنسب إلى سعيد بن عيسى العمودي المتوفى في مدينة قيدون بحضرموت سنة ٦٧١هـ والمدفون فيها.

والمقصود بالطريقة العمودية: سلسلة الأخذ التي وصلت إلى الشيخ وصار المريدون والتلامذة يتمون إليها، فيأخذون على من جاء بعدهم العهد والتحكيم، ولهذا عبّر عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في كتابه رفع الأستار بقوله: «الطريقة العمودية: أحد الطرق المشهورة المرضية، معدودة من نحو ثلاث وعشرين طريقة كلها ترجع إلى طريقة واحدة وهي طريقة الشيخ شعيب أبي مدين»^(١).

وقد عرّف أبو بكر المشهور المقصود بالطريقة العمودية بأنها الأسلوب والكيفية المتبعة لدى الشيخ المذكور وأمثاله في تسليك المريدين، وترتيب وظائف عاداتهم وعباداتهم حتى يتخرجون على يديه^(٢).

وللعمودي خرقة في التصوف، وطريقته أحد الطرائق المشهورة في حضرموت^(٣).

وقد أثنى القوم على طريقته حيث ذكروا أنه وصل لمقام القطبية الذي ينشده المتصوفة حيثما وجدوا، جاء في كتاب ظهور الحقائق: «وقد قيل أنه ﷺ قطب، ومكث في القطبية ثمانية عشر يوماً يعني الشيخ سعيد ومكث فيها أبو مدين نصف يوم والإمام الغزالي ثلاثة أيام»^(٤).

من هذا النص يتضح رفع القوم منزلة العمودي في التصوف مع كونه أمياً^(٥)، بل وتقدير درجته في القطبية على الغزالي وأبي مدين الشخصيتين المعظميتين عند صوفية حضرموت، التي قامت الطرق الصوفية في حضرموت كافة على منهجهما.

(١) الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص ١٦). (٢) المصدر السابق (ص ١٥).

(٣) انظر: ظهور الحقائق (ص ٨٥، ٨٦). (٤) ظهور الحقائق (ص ٨٦).

(٥) انظر: كتاب عرائس الوجود ومראה الشهود في بعض مناقب العارف بالله القطب الفرد الجامع مولانا وشيخنا الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، لسعيد بن أحمد بن محمد الخطيب (ص ٣٤). طبعة حجرية؛ وسلسلة أعلام حضرموت، الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص ٩).

وجاء في كتاب: سلسلة أعلام حضرموت، الشيخ سعيد بن عيسى العمودي تحت عنوان (سلالات آل العمودي وتفرقهم في البلدان): «ظهرت منذ القرن السادس الهجري لأسرة آل العمودي مكانة اجتماعية وصولاً وسلطنة في وادي حضرموت وما جاورها من الأودية والبلدان، وكان أساس هذا النفوذ وقاعدته مظهر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي...، وبهذا النفوذ الروحي والموقف الاجتماعي الديني انتشر المنهج الصوفي المتميز، وظهرت المدرسة العلوية، والطريقة العمودية، في كافة المدارس والزوايا والمساجد، متمثلة في أساليبها الخاصة، ووسائلها المألوفة... ومنها:

- ١ - نظام الحلقات العلمية لدراسة المذهب الشافعي وقراءة كتب الذوق.
- ٢ - إقامة الحضرات والأذكار والمولد.
- ٣ - الاهتمام بالمجاهدة للنفس ومن خلال الأخذ بالعزائم في الشرع^(١).

الطريقة العبّادية:

وهي المنسوبة إلى عبد الله بن محمد باعبد المشهور بالقديم والمتوفى سنة ٦٨٧هـ، المدفون بمقبرة شبام بجرب هيصم، وقد جعلت لنفسها مظهراً خاصاً بالرغم من علاقتها بالطريقة العلوية، فلها إسناده في خرقة التصوف أخذه باعبد عن أحمد بن الجعد بسنده إلى عبد القادر الجيلاني^(٢).

المطلب الثاني:

الطرق الصوفية المتفرعة من الطريقة العلوية

وهناك طرق انبثقت من الطريقة العلوية كان لها ارتباط بها وهي كالتالي:

أ - الطريقة العيدروسية:

نسبة إلى عبد الله بن أبي بكر العيدروس، ولد في تريم ومات فيها سنة ٨٦٥هـ، وقد تخرج في الطريقة العلوية.

(١) سلسلة أعلام حضرموت: الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ص ٢٨).

(٢) انظر: ظهور الحقائق (ص ٨٧)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٨٤).

وتنتشر الطريقة العيدروسية في حضرموت والهند^(١).

ب - الطريقة العطاسية:

وتنسب هذه الطريقة إلى عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس باعلوي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ بمدينة حريضة بحضرموت. وأما مؤسسها فهو عبد الله بن علوي العطاس^(٢)، وقد عرّفها أتباعها بأنها: «طريقة صوفية إسلامية سنيّة أشعرية (وهي شعبة من طريقة السادة بني علوي الحسينيين)^(٣)».

وجاء في ذكر أسس أهداف الطريقة العطاسية أن عقيدتها هي: «عقيدة أهل السنة والجماعة كما ذكرها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب قواعد العقائد من الإحياء^(٤)».

يقول مصطفى بن عبد الرحمن العطاس^(٥) عن هذه الطريقة أنها: «حملت راية الدعوة إلى الله في مناطق عديدة في بلاد الهند وبورما مدة تزيد عن المائة عام^(٦)»، وغالب اتباع الطريقة في تلك البلدان على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمته الله^(٧).

وأنشأ أتباعها لها زوايا سنة ١٣٠٠هـ في مختلف مناطق بورما كالعاصمة البورمية رانجون والتي تسمى بشير الخير، وزوايا في مدن مندلاي ومولمين، وبيقو ومركوي واكياب^(٨)، وأما في الهند فأنشئت زوايا في مدينتي كلكتا

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص ٣٦٣).

(٢) الغاية والأساس (ص ٤٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٧).

(٤) المصدر السابق (ص ١٠٣).

(٥) شخص معاصر، من صوفية حضرموت، وهو من أهل حريضة، يقيم حالياً في دولة الإمارات. له بعض المؤلفات في بيان الطريقة العطاسية، ويقوم أيضاً على موقع «العطاسية» الصوفي على شبكة الأنترنت.

(٦) الغاية والأساس (ص ٨).

(٧) المصدر السابق (ص ٤٤).

(٨) هذه المدن تتبع دولة بورما الواقعة في جنوب شرقي آسيا، وهي تجاور الصين والهند وتايلاند، وتشرف على خليج البنغال، وتقع العاصمة رانجون في الطرف الشرقي من نهر ايراوادي الذي يجتاز البلاد من الشمال إلى الجنوب. انظر: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، تأليف: د. محمد السيد غلاب وآخرون (ص ٥٩٦).

وكتك^(١) عام ١٣٧٧هـ، وزاوية في مدينة كراتشي^(٢) بباكستان^(٣).

وهكذا استمر القوم في نشر طريقتهم العطاسية في تلك البلاد بنشر الزوايا وبث المخالفات والدعاة لنشر الطريقة الصوفية.

ولهذه الطريقة طقوس لمن أراد الدخول منها: البيعة، والإجازة والتلقين والمصافحة ويكون ذلك كله على يد الشيخ^(٤).

وللقوم مكتبة كبيرة في مدينة حريضة جمعت كثيراً من المخطوطات والمطبوعات، وكثير منها لشيخوهم وعلمائهم من الصوفية.

ولأتباع هذه الطريقة رواتب وأذكار خاصة ذكرها صاحب كتاب (سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين) منها: راتب عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس، والأذكار العشرة لعلي بن حسن العطاس، وكيفية قراءة الفاتحة ويس وتبارك لمرشد الطريقة عبد الله بن علوي العطاس، وأدعية أخرى ومناجاة^(٥).

ج - الطريقة الحدادية:

وهي نسبة لعبد الله بن علوي الحداد المولود بتريم سنة ١٠٤٤هـ، والمتوفى بها سنة ١١٣٢هـ.

وله عقيدة يتداولها أتباع الطريقة إلى يومنا هذا، وله أورد، وراتب يلقي في المساجد في بعض الليالي، وفي بعض المناسبات.

وقد جعل محمد بن زين بن سميط^(٦) في كتابه في مناقب الحداد عنواناً

(١) تقع كلكتا شرق الهند وتسمى البنغال الغربية وتطل على خليج البنغال، ويحدها من الشمال الشرقي بنغلاديش. المصدر السابق (ص ٨٤٧).

(٢) تقع كراتشي جنوب باكستان على بحر العرب. انظر: المصدر السابق (ص ٨٠٥).

(٣) الغاية والأساس (ص ٨٩).

(٤) المصدر السابق (ص ٩١).

(٥) انظر: كتاب سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين، لعلي بن حسن العطاس (ص ١١٣).

(٦) هو محمد بن زين بن سميط: ولد بمدينة تريم سنة ١١١٠هـ، وأخذ عن عدة شيوخ ثم رحل إلى شام واستوطنها بأمر من شيخه عبد الله الحداد، وكان له ولع بالصوفية، توفي سنة

في ذكر طريقة الحداد فذكر أقوالاً كثيرة للحداد في ذلك ثم قال: «ما فيها إلا الله ورسوله وسيدنا الفقيه المقدم، وطريقة الفقر ما حجتنا إلا منه. وقد أسس لنا سلفنا آل أبي علوي الأمور فلا نقتدي إلا بهم»^(١).

ويقول الحداد: «إن طريقتنا طريق الإمامة الكبرى، ولا يقدر أحد سلوكها. إن أرادها فليلق يده في يدنا نحن نوصله»^(٢).

وللحداد ورد يتداوله أتباع الطريقة وقد شرحه فضل بن علوي بن محمد بن سهل العلوي^(٣).

وغلا القوم في الحداد حتى قال أحمد الهندوان^(٤): «ظهر لي أن سيدي عبد الله مملي الكون وأن مشيخته محققة، ولا بقي اليوم شيخ يرشد غيره، ولو ظهر في زمان غيرنا لم تجد عنده لجلوسك موضعاً من ازدحام الناس عليه»^(٥).

وقد جعل محمد بن سميط العلوي فصلاً في كتابه عن الآخذين بطريقة الحداد من أهل حضرموت، وذكر أن طريقتهم قد أخذها جم غفير من أهل الجهات من العلويين وغيرهم من القبائل والمشايخ آل العمودي، وآل باوزير وآل باجابر وغيرهم^(٦).

وألف في بيان مشايخ الطريقة الحدادية مؤلف بعنوان (كنز البراهين الكسبية والأسرار الغيبية لسادات مشايخ الطريق الحدادية العلوية) لشيخ بن محمد الجفري العلوي^(٧).

= ١١٧٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢٧/٢)؛ وعقد اليواقيت (٦٦/٢).

(١) غاية القصد والمراد (٢٠٦/١). المصدر السابق (٢٠٧/١).

(٢) هو فضل بن علوي بن سهل: صوفي سياسي. من مؤلفاته: إيضاح الأسرار العلوية ومنهاج السادة العلوية، وشرح راتب الحداد، وعقد الفرائد من نصوص العلماء الأماجد، توفي سنة ١٢٩٧هـ. انظر: الأعلام (١٥٠/٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٦٥).

(٣) هو أحمد بن عمر الهندوان ولد بتريم، ورحل إلى الحرمين والهند، واتصل بالسلطان عادل شاه في الدكن، توفي بتريم سنة ١١٢١هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/٣٣٣).

(٤) غاية القصد والمراد (٢٠٨/١). انظر: المصدر السابق (٢٢٨/١).

(٥) هو شيخ بن محمد بن شيخ الجفري، من علماء صوفية حضرموت، رحل إلى الحجاز واستقر بالهند. من مؤلفاته: كنز البراهين الكسبية، ومجموع الهفوات الصادات من الخيالات =

وقد سُرح راتب الحداد كذلك بشروح كثيرة أكبرها شرح علوي بن أحمد بن حسن الحداد^(١)، وشرح آخر لعبد الله باسودان^(٢) بعنوان: (ذخيرة المعاد بشرح راتب القطب الحداد).

الفصل الثاني

الصوفية في حضرموت في القرون المتأخرة

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أعلام صوفية حضرموت في القرون الثلاثة الأخيرة ودورهم في نشر التصوف.
- المبحث الثاني: انتشار الصوفية وأماكن وجودها.

= الواردات، ومفاتيح الأسرار. توفي سنة ١٢٢٢هـ بمليبار. انظر: عقد اليواقيت الجوهريّة (١/ ١٢٢)؛ ونيل الوطر (١٣/٢).

- (١) طبع عام ١٤١٤هـ بمطبعة كرجاي بسنغافورة، ونشره مقام الحداد بتريم.
- (٢) هو عبد الله بن أحمد باسودان: ولد سنة ١١٧٨هـ ونشأ بقرية الخريبة من دوعن بحضرموت وكان من أكابر الصوفية، أخذ عن جماعة من أكابر عصره ورحل إلى مكة. له عدة مؤلفات منها: زيتونة الإلقاح شرح ضوء المصباح في أحكام النكاح، ولوامع الأسرار بشرح رشفات الأبرار، وذخيرة المعاد شرح راتب القطب الحداد، وغيرها. توفي سنة ١٢٦٦هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٧٥/٣)؛ وعقد اليواقيت (٣٢/٢).

المبحث الأول

أعلام صوفية حضرموت في القرون الثلاثة الأخيرة
ودورهم في نشر التصوف

المطلب الأول:

أعلام الصوفية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين
ودورهم في نشر التصوف

« ١ - شيخ بن محمد الجفري (ت ١٢٢٢هـ):

ولد بتريم، ثم أقام بعد ذلك «بكاليكوت» بإقليم مليبار^(١) من بلاد الهند، وكان له هناك جاه كبير وتلاميذ، ويعد من كبار المتصوفة الحضارمة في القرن الثالث عشر، ويعتبر عبد الله بن أحمد باسودان صاحب المؤلفات الكثيرة في التصوف من أشهر تلاميذه^(٢).

ويقول ابن عبيد الله عنه: «فقد وصل الحاوي^(٣) سنة ١١٨٧هـ وأخذ عن العلامة حسن بن عبد الله الحداد^(٤)، وبدأ به في الأرجوزة التي نظمها في

(١) تقع مليبار في غربي الهند الجنوبية، وتعرف الآن باسم كيرالا. انظر: أولياء الشرق البعيد (أساطير مجهولة في أفاصي المعمورة - رواية تاريخية في كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو - (ص ٢٢٣)، تأليف: د. بشار الجعفري.

(٢) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٧٦/٣).

(٣) الحاوي: قرية صغيرة في شرقي تريم، كانت منفصلة عنها، ولكنها أدخلت في سورها الذي بناه الأمير سالم بن عبود الكثيري سنة ١٣٣٠هـ. إدام القوت (ص ٩٣٦)، ط المنهاج.

(٤) هو حسن بن عبد الله الحداد، ولد سنة ١٠٩٩هـ بالحاوي، وتوفي سنة ١١٨٨هـ. انظر: كتاب المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن، لحفيده علوي بن أحمد بن حسن الحداد؛ وكتاب الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، لمصطفى البدوي (ص ١٧٦ - ١٧٧).

الإسناد، وشرحها بكتابه المسمى (كنز البراهين)^(١).

ولشيخ الجفري مؤلفات كثيرة في التصوف منها: كنز البراهين الكسبية والأسرار الغيبية لسادات مشائخ الطريقة الحدادية العلوية^(٢)، و«برهان سلطان مشائخ الطريقة العيدروسية القادرية»، والمسلك السوي من المشرع الروي، وله شرح منظومة في رجال التصوف، طبعت بالهند سنة ١٢٨١هـ^(٣).

وهو من الذين يستدلون بأقوال غلاة الصوفية، يقول في كتابه كنز البراهين عند كلامه على الحقيقة: «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد فليس عنده في الوجود إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله؛ لأنه عرف توحيده من النظر في شفعيه، فيرى كل ما سوى الحق لا يصح له الانفراد بنفسه، وأنه مفتقر إلى غيره، فهو مركب من عينه ومن اتصافه بالوجود الذي لم يكن له من حيث عينه^(٤)».

ونقل في كتابه (كنز البراهين الكسبية) أقوالاً منحرفة لابن عربي مقررأ لها في سياق التدليل على كلامه على الحقيقة فقال: «قال سيدي محيي الدين ابن عربي في هذا المعنى: اعلم إن كل ما يتصور المتصور فهو عينه لا غيره فإنه ليس بخارج عنه^(٥)».

وكان من المتبركين بآثار سلفه العلويين، وداعياً لذلك كما في قصيدة له

(١) إدام القوت (ص ٥٣١).

(٢) وهو كتاب كبير يحتوي على ذكر كبار الصوفية المعتمدين عندهم، وذكر أقوالهم، وذكر الكرامات وتقربها، والكتاب كذلك مليء بالتوسلات الشركية، وكذا التبرك بالأولياء والصالحين، والغلو فيهم، وذكر الكرامات انظر: بعض تلك الانحرافات في الكتاب المذكور (ص ١٠ - ١١، ٢٦، ٢٩، ٢٩٣).

(٣) انظر مؤلفاته: شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين عليه السلام، لعبد الرحمن بن محمد المشهور (٤٠٨/٢). تحقيق وتعليق: محمد ضياء شهاب، ط ١، ١٤٠٤هـ، عالم المعرفة - جدة. وانظر: معجم المؤلفين (١/ ٨٢٢)؛ والروض الأغن (٢٠٦/١).

(٤) كنز البراهين (ص ١٩٣).

(٥) المصدر السابق (ص ١٨٩). وهذا كلام أهل الوحدة، وفي ذلك تقرير شيخ الجفري لهذا الكلام الذي هو غاية غلاة المتصوفة.

تحدث فيها عن تبركه بقطعة من مصلى عبد الله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ وقد خاطها في مصلاه على موضع سجوده بقصد التبرك^(١)، وكانت وفاته بمدينة كاليكوت سنة ١٢٢٢هـ وعلى ضريحه قبة عظيمة كثيرة الازدحام بالزائرين المستمرين^(٢).

٢ - علوي بن أحمد بن حسن الحداد (ت ١٢٣٢هـ):

هو علوي بن أحمد بن حسن الحداد: ولد بقرية الحاوي من ضواحي تريم سنة ١١٦٢هـ، وتولى قضاء شبام، ورحل إلى الحرمين وعمان، وعاد إلى حضرموت، وهو من أشد أعداء دعوة التوحيد، له ردود على الدعوة السلفية. من مؤلفاته: المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن حسن، وكشف الجلي فيما جاء من أخبار النجدي، ومصباح الأنام في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٣)، ويعتبر علوي الحداد من الصوفية الذي نافحوا عن عقيدة المتصوفة بقوة، وحاربوا دعاة الهدى، وقد أُلّف كُتُباً في التصوف^(٤) منها: الحكايات الباهرات والكرامات البيئات، ومصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام^(٥).

(١) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/ ٢٢٢ - ٢٢٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٢٠).

(٣) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ٤٣)؛ والأعلام (٤/ ٢٤٩)؛ ونيل الوطر (٢/ ١٠٤).

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤٥/٣؛ والتعليقات على شمس الظهيرة (٢/ ٥٧١ - ٥٧٢)؛ والروض الأغن (٢/ ١٠٢).

(٥) كتاب مصباح الأنام مطبوع بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٢٥هـ. وهو عبارة عن رد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية المباركة، والذي يسميه الحداد بالبدعي النجدي؛ هكذا يسميه! فيقال: إن الافتراءات لا تغير الحقائق، فالإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد لما اندرس من معالم التوحيد في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر لا كما يصّفه الحداد، وقد قيّض الله تعالى لدحض افتراءات الحداد العلامة سليمان بن سحمان النجدي (ت ١٣٤٩هـ) فرد على كتابه المذكور بكتاب متين، زلزل به عروش وأحلام وخرافات هذا الصوفي وأضرابه، فأتى عليها وأبطلها وبيّن التوحيد الحق وما يضاده من الشرك والمخالفات التي يجهلها الحداد وأمثاله، والكتاب بعنوان «الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد» وقد طبع طبعين، وكانت الطبعة الثانية سنة ١٣٧٦هـ بمطابع الرياض بأمر الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

وله كتاب آخر سماه: (السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر) رد فيه على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية^(١)، واتهمها بأنها دعوة تبغض الرسول ﷺ، والأولياء، وأن الشيخ وأتباعه خوارج يكفرون المسلمين وغير ذلك من افتراءاته التي سيسأل عنها غداً بين يدي الله تعالى^(٢).

وهو من الذين يدعون الناس إلى الرجوع لكتب ومؤلفات أهل البدع والضلال خصوم الدعوة السلفية كمحمد بن فيروز^(٣)، وعبد الله بن داود^(٤)، ودعا كذلك للرجوع لكل المخالفين للعقيدة الصحيحة والذين سماهم العلماء الأكابر - عنده - في الحرمين الشريفين والإحساء والبصرة وبغداد وحلب واليمن وبلدان الإسلام الذين ردوا على الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية المناوئة للخرافيين^(٥).

وكان علوي الحداد من المولعين والمتعلقين بالأضرحة والقبور في مناطق حضرموت المختلفة ومنها زيارة قبر هود عليه السلام^(٦).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤٥/٣. وكتاب السيف الباتر، لعلوي الحداد من الكتب التي يفخر بها كثيراً، ويحيل إليه في ثنايا كتابه مصباح الأنام - متيحاً - بأنه فصل الرد على شبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، ويظن الحداد أنه على شيء، ولا يدري أنه سود أوراقه بمثل هذه الخرافات التي أبانت عن جهله بالتوحيد الذي يعرفه صغار طلبة أهل السنة؛ بل يعلمه عوام الموحدين لكون التوحيد فطر الله تعالى العباد عليه، وما ذكره الحداد لا يعدو أن تكون شبهاً يتداولها القوم خلف عن سلف، لا تنطلي إلا على الجهال والمخدوعين، ولا تكاد تعلو لأن رجال التوحيد لها بالمرصاد يزهقونها بسيف الحق.

(٢) انظر هذه الافتراءات: مصباح الأنام (ص ٣، ٥، ١٣، ١٧، ١٨، ٢٢، ٥٣، ٦٠).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن فيروز، من خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو نجدي الأصل، ولد في الإحساء سنة ١١٤٢هـ، مهر في عدة فنون، وله عدد من الشيوخ والتلاميذ، توفي بالبصرة سنة ١٢١٦هـ. انظر: السحب الوابلة (ص ٧٢١)؛ وعلماء نجد (٣/ ٨٨٢).

(٤) هو عبد الله بن داود الزبيري، من خصوم الدعوة السلفية النجدية، ولد في الزبير، ورحل إلى الإحساء وتعلم بها، له مؤلفات ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منها: الصواعق والرعود. توفي سنة ١٢٢٥هـ. انظر: السحب الوابلة (ص ٦٧٨)؛ وعلماء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام (٢/ ٥٣٩). الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مكتبة النهضة الحديثة.

(٥) انظر: مصباح الأنام (ص ٣، ٤، ٦٠، ٧٩).

(٦) تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤٥/٣.

ويعتبر علوي الحداد من متصوفة حضرموت الذين قرروا في مؤلفاتهم فعل الشرك الأكبر؛ وذلك بصرف الدعاء والتوسل والاستغاثة واللجوء لغير الله تعالى من الأحياء والأموات بحجة أن الفاعل للأشياء حقيقة هو الله تعالى، بل دعا الناس لإظهار الاستغاثة الشركية^(١).

كما قرر أن أفعال الرب تعالى مثل الإحياء والإماتة قد يفعلها الولي من باب الكرامة^(٢).

كما أنه من الساعين لفتح الباب لأهل الشرك بحجة أن من قال: لا إله إلا الله يدخل الجنة وإن ترك التوحيد وفعل ما يناقضه^(٣).

وهذا الرجل كذلك من الدعاة لبناء القباب على الأضرحة، ورفع القبور، والنذر لها وأكثر من دعوته لشد الرحل لزيارتها، ودعا للغلو في أوليائهم واعتبر الوقوف عندهم - أحياء وأمواتاً - من أفضل العبادات^(٤).

كما قرر البدع العملية من أذكار وموالد ونحوها^(٥). وتوفي بقرية الحاوي سنة ١٢٣٢هـ.

٢ - عبد الله بن أحمد باسودان الدوعني الحضرمي (ت ١٢٦٦هـ):

ولد بإحدى بوادي دوعن بمكان يعرف بالصوت سنة ١١٧٨هـ، وكانت نشأته بمدينة الخريبة^(٦)، وكان من كبار علماء الصوفية في وقته.

قال فيه عبد الله السقاف: «من كبار الزعماء الصوفيين ذوي الآثار

(١) مصباح الأنام (ص ٥، ٦٠). (٢) المصدر السابق (ص ١٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٣). وهذا الكلام نشأ عن اعتقادهم بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة والاستدلال بأحاديث لم يفقهوا معناها، ولم يلتفتوا لكلام السلف والأئمة فيها، وإنما هو الهوى والتحكم وسيأتي بيان ذلك في مباحث قولهم في توحيد الألوهية - إن شاء الله تعالى -.

(٤) مصباح الأنام (ص ٤٣، ٤٤، ٧٣). (٥) المصدر السابق (ص ٤٨، ٤٩، ٥٠).

(٦) الخريبة: من أرض دوعن، ومن المدن التاريخية القديمة، وسميت على اسم مكان بالبصرة، وهي من البلدان التي سارع أهلها بدخول الإسلام، ثم أقامت بها طائفة الإباضية مدة من الزمن على يد يحيى بن عبد الله الكندي حتى تم القضاء عليها من قبل بني أمية. انظر: إدام القوت (ص ٣١٤)، ط المنهاج.

البارزة الخالدة^(١).

ويعد باسودان من المغالين في محبة العلويين حتى كانوا يسمونه سلمان أهل البيت^(٢).

ومن غلوه فيهم ما ذكره عنه عبد الله السقاف حيث قال: «وهل تنطلق بنا إلى مشاهدة نفسياته كما يتجلى فيها من غلاة الشيعة المتفانين في محبة أهل البيت النبوي، وبالأخص السادة العلويين حتى كان متجاوز الحدود المعقولة في الإجلال والتوقير لكبيرهم وصغيرهم ذكورهم وإناثهم إلى درجة أنه يرى أعمالهم وأفعالهم كلها حسنات، كما يرى طهارتهم حساً ومعنى حتى الفضلات كمتفق مع ابن العربي^(٣) في مذهبه كما استفاض عنهما^(٤).

وكان من المكثرين من التأليف لا سيما في التصوف وذلك بشروح أشعار القوم، وروايتهم، وما يتعلق بالمناقب وشرح طريقة صوفية حضرموت وغير ذلك من الموضوعات الصوفية، ومن مؤلفاته: ذخيرة المعاد شرح راتب الحداد، ولوامع الأنوار بشرح رشقات السادة الأبرار في مجلدين، وبهجة النفوس في ترجمة الشيخ محمد بامشموس، وجواهر الأنفاس في مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس، وله أيضاً: الفتوحات العرشية بشرح الأبيات الحبشية، وفيض الأسرار واقتباس الأنوار بشرح سلسلة شيخه عمر بن عبد الرحمن البار في مجلدين ضخمين^(٥).

وهو من الذين يقسمون الدين إلى شريعة للعوام، وحقيقة للخواص ويكثر من ذكر ذلك وتقريره في مؤلفاته^(٦)، وهو كذلك من القائلين بالفناء الصوفي

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٧٦/٣). (٢) انظر: كتاب لوامع النور (٢٠٨/١).

(٣) أي ابن عربي الطائي القائل بعقيدة وحدة الوجود.

(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (٧٨/٣).

(٥) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين: ٨٠/٣؛ ومعجم المؤلفين (٢٢٥/٢)؛ والروض الأغن (٤٩/٢).

(٦) مطالع الأنوار (ص ١٢٤ - ١٢٥). وانظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢٨، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٣هـ، (ص ١٥).

وتقريره في كتبه^(١).

توفي في مدينة الخريبة سنة ١٢٦٦هـ وعلى جدته بتربتها تابوت عليه قبة عظيمة تفد إليها الوفود لزيارتها^(٢).

٤ - الحسن بن صالح البحر (ت ١٢٧٣هـ):

ولد في خَلْع راشد (الحوطة)^(٣) سنة ١١٩١هـ، ثم اتخذ ذي أصبح^(٤) موطناً عام ١٢١٣هـ فكانت له فيها زعامة كبرى^(٥). ورحل إلى مكة سنة ١٢٢٣هـ، ثم عاد إلى بلده واستقر بقرية ذي أصبح. من آثاره: ديوان شعر أغلبه في الصوفيات، وله مجموع كلام ووصايا ومكاتبات^(٦).

ووصفه عبد الله السقاف بأنه من الأقطاب في العصر الحديث^(٧)، ويقول أيضاً: «وأما تلاميذه وما أدراك ما تلاميذه، فقد ملأوا الدنيا مبعثرين في مشارقها، ومغاربها ينشرون ما تلقوا عنه من علوم ودينيات وصوفيات، وحسبك علمك عن مقدارهم أن ما من عالم أو متعلم أو متصوف بحضرموت في عصره إلا ما كان تلميذاً له»^(٨).

ومما يدل على تعمقه في التصوف ما ذكره عنه عبد الله السقاف حيث يقول: «لولا اكتساح التصوف نفسياته حتى صار مغموراً في تيارات أمواجه

(١) مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢٨، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٣هـ، (ص ١٦).

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين (٧٩/٣).

(٣) خلع راشد (الحوطة): مدينة وادي بن علي، وهي من قدامى البلدان، وكانت قاعدة ملك بني سعد، وتسمى الآن الحوطة، وكانت قديماً تسمى خلع راشد لأنها كانت منطقة زراعية وبها نخيل خلعه السلطان راشد بن شجعنه من سلاطين العهد الراشدي بحضرموت، المتوفى سنة ٥٩٣هـ، وتبعد عن سيئون عشرة كيلا. انظر: إدام القوت (ص ٥٧٧)، ط المنهاج.

(٤) ذي أصبح: وهي من بلدان حضرموت القديمة، وسميت بذلك نسبة لأحد أفيال حمير. وكان يسكنها كثير من الإباضية. وتبع ذي أصبح بمديرية سيئون بحضرموت الداخل. انظر: إدام القوت (ص ٥٨٧) والحاشية رقم (١)، ط المنهاج.

(٥) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٤٩/٣).

(٦) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٢٥/٣)؛ وعقد اليواقيت (٩٩/١ - ١٠٣).

(٧) تاريخ الشعراء الحضرميين (٦٠/٤).

(٨) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٤٨/٣).

كان في علومه الظاهرة من الأفاذاذ إنتاجاً ومحصولاً»^(١).

ويقول عنه أبو بكر المشهور: «وبرز الحبيب الحسن بن صالح في مجتمع بلاد حضرموت بروزاً ملحوظاً في كافة الجوانب، بل لم يكن له نظير في المتأخرين إلى أن قال: وقد تخرج به عدد لا يحصى من التلامذة والمريدين أشارت إلى تعددهم وكثرتهم كتب التراجم»^(٢).

وقال فيه علي بن محمد الحبشي: «رأيت الأخ علي بن سالم ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال لي: إن فوق العرش رتبة، يترأها أهل العرش كما يترأى النجوم أهل الدنيا، فسألت لمن هذه الرتبة؟، فقل لي: هذه رتبة حسن بن صالح البحر»^(٣).

ومن هذه النقول تتضح أهمية هذا الرجل عند القوم وكثرة تلاميذه الذين درسوا التصوف على يديه في بلاد حضرموت، والذي كان لهم الأثر في نشر التصوف في البلدان المختلفة.

ومن تصانيفه: (مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر الجفري) احتوى على عبارات كثيرة له في التصوف وغيره، وفي بعضها ما يشبه عبارات أهل وحدة الوجود^(٤).

وهو من القائلين بالفناء الصوفي^(٥).

ومن تعظيم القوم للبحر أن جعلوا على ضريحه تابوتاً بمدينة ذي أصبح بحضرموت، ويلاحظ كثرة الزائرين لقبره^(٦).

٥ - محمد بن سعيد بابصيل (ت ١٣٣٠هـ):

هو محمد بن سعيد سالم بن أحمد بن سعيد بن عوض بابصيل، ولد بالخريبة من حضرموت سنة ١٢٤٩هـ، وطلب العلم ببلده، ثم رحل إلى

(١) المصدر السابق (١٤٩/٣).

(٢) تذكير الناس (ص ٢٢٣).

(٣) مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر الجفري (ص ١٢).

(٤) المصدر السابق (ص ١٦).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٥٢/٣).

الحجاز، وجاور بمكة. من مؤلفاته: إسعاد الرقيق وبغية الصديق بحل سلم التوفيق، ورسالة في البعث والنشور وغيرها^(١). وأصل أسرته من بلاد الهجرين بحضرموت هاجرت إلى مكة، ودرس بابصيل في مكة على أيدي كبار صوفيتها، لذا يعد من أكبر تلاميذ الصوفي الكبير أحمد بن زيني دحلان، وكان دحلان يبالغ في بابصيل حتى قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الشيخ محمد سعيد»^(٢).

وقد كان بابصيل من المتصوفة المتعصبة، وله ردود على أتباع العقيدة الصحيحة منها: (القول المجدي في الرد على عبد الله بن عبد الرحمن السندي)، والذي رد فيه على عبد الله بن عبد الرحمن السندي^(٣) من أهل العقيدة الصحيحة، ونصر بابصيل عقيدة المتصوفة في هذا الكتاب^(٤).

ونقل أبو بكر المشهور من كتاب «الرحلة المكية» لأحمد بن حسن العطاس التي جمعها تلميذه محمد بن عوض بافضل - قول العطاس: «ولا يزال في كل عصر مائة وعشرون ألف ولي، وكل ولي وارث نبي - حد داري بنفسه وحد ما هو داري، والشيخ محمد سعيد هذا منهم - ولا هو داري بنفسه»^(٥).

٦ - علي بن محمد الحبشي: (ت ١٣٣٣هـ):

من كبار صوفية حضرموت، ولد سنة ١٢٥٩هـ، ببلدة قسم^(٦)، وسافر إلى

(١) انظر: معجم المطبوعات العربية (ص ٥٠٤)؛ ولوامع النور (٢٧٦/١)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٢٩٩).

(٢) لوامع النور (٢٧٧/١).

(٣) ذكر الدكتور أحمد خان مؤلف كتاب (معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول المطبعة إليها حتى عام ١٩٨٠م) (ص ٢٧١) أن السندي هذا هو الشيخ محمد بشير السهسواني. وانظر: كتب حذر منها العلماء لمشهور حسن سلمان (٥٨/١) حاشية (٣). انظر ترجمة السهسواني (ص ٤٥٩) من هذا البحث.

(٤) انظر: القول المجدي (ص ٧، ١٣، ١٥، ١٩، ٢٦، ٢٧).

(٥) لوامع النور (٢٧٧/١).

(٦) قَسَم: قرية تقع شرقي العجز وشرقي تريم، وهي أرض واسعة اشتراها علي بن علوي العلوي وسماها باسم أرض كانت لأهله بالبصرة، وغرسها نخيلاً، وبنى بها داراً ثم صارت قرية، ولذا سمي بخالغ قسم. انظر: إدام القوت (ص ٩٩٣)، ط المنهاج.

مكة سنة ١٢٧٦هـ، ودرس فيها على شيخ الصوفية أحمد بن زيني دحلان وغيره، ثم عاد إلى حضرموت، فبنى مسجد الرياض عام ١٢٩٦هـ وكذا أسس رباطاً للصوفية بسيئون، فتكاثر الطلاب على هذا الرباط، وكان الحبشي يعينهم على نفقته الخاصة، ويعتبر أول رباط يبنى في حضرموت خلال القرون الأخيرة، وقد اشتهر علي الحبشي بالمواعظ والتي جمعها تلميذه محمد بن سقاف مولى خيلة في خمسة مجلدات^(١).

قال فيه أبو بكر المشهور: «إمام العلويين في زمانه وشيخ الشيوخ في عصره وأوانه»^(٢).

ومن مؤلفاته: (ديوان في مجلد مطبوع يحتوي على التصوف)، وله كتاب مشهور عند القوم في المولد النبوي بعنوان: (الدرر في أخبار مولد خير البشر)، و(الفتوحات الإلهية في الصلاة على خير البرية)، و(نبذة في كرامات شيخه أبي بكر بن عبد الله بن طالب العطاس، وله وصايا^(٣)). وله ديوان شعر حميني في مجلدين طبع بجاوة، وديوان حكيمي^(٤).

ومن آثاره في حضرموت: السماع الصوفي الذي يقيمه في مسجده، حتى قال عبد الله السقاف: «ومن يعرفه شخصياً يدره من المغرمين بالأغاني، والمشغفين بالسماع تشجيه أصوات القصب والطيران والدفوف والطبول»^(٥) كصوفي ذائق ندر مثله في أذواقه ومشاربه^(٦).

(١) انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/٤٦٥)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٤/١٤٢)؛ والعدة المفيدة (٢/٣٧٩)؛ ولوامع النور (١/١٩٩).

(٢) لوامع النور (نخبة من أعلام حضرموت) من خلال ترجمة حياة السيد العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٤١هـ)؛ لأبي بكر العدني بن علي المشهور (١/١٩٧)، طبعة دار المهاجر - صنعاء، ودار المعالي - لبنان. بدون تاريخ.

(٣) انظر مؤلفاته: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/٤٦٥)؛ ومعجم المؤلفين (٢/٥٠١).

(٤) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/١٢٨)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٤٦٣).

(٥) هذه من الآلات الموسيقية التي يستخدمها المتصوفة في حضراتهم واحتفالاتهم في المساجد وغيرها.

(٦) تاريخ الشعراء الحضرميين: ١٣٨/٤.

وهو كذلك من القائلين بالعشق الصوفي الذي أكثر منه في ديوانه لا سيما العشق النبوي الذي أدى به إلى الغلو، ومن أبياته في ذلك قوله في ديوانه^(١):

والله إني على العشقة مقيم لا ملت عنها ولا ملت انقلاب
في ميم حامي ميم دال اللزيم وقد رأيناه في يديك كتاب
وقد وقع له الاصطلام الصوفي - الذي وقع لجده الفقيه المقدم - واستمر
به مدة تسعين يوماً^(٢).

توفي سنة ١٣٣٣هـ. «وضريحه غربي مسجد الرياض بقبته المفتوحة بالليل والنهار للزائرين بمثابة محج للعالمين»^(٣). ويقام حول^(٤) للحبشي بستيون عند قبته يحضره الزوار من مختلف الأماكن، وتنتشر بسببه الشراكيات والمنكرات إلى يومنا هذا، والله المستعان.

< ٧ - أحمد بن حسن العطاس: (ت: ١٣٣٤هـ):

ولد في مدينة حريضة بحضرموت، وهو من كبار دعاة الصوفية في حضرموت في وقته، وقد ألف علوي بن طاهر الحداد فيما يتعلق بشخصية العطاس كتاباً سماه (عقود الألماس في مناقب أحمد بن حسن العطاس)، وألف محمد بن عوض بافضل كتاباً بعنوان: (تنوير الأغلاس بذكر أنفاس الحبيب العارف بالله الإمام أحمد بن حسن العطاس)^(٥).

(١) وانظر: غلوه في ديوانه المسمى (الجواهر المكنون والسر المصون) (ص: ١٩، ٣٧، ٧٠ - ٧١، ٧٣، ٢٢٨).

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين: ١٤٠/٤.

(٣) المصدر السابق (١٤٠/٤).

(٤) وهي المناسبة التي تقام كل عام لزيارة قبر الحبشي فيحضرها كثير من الناس من مختلف جهات بلاد حضرموت، وهذه الزيارات تشتمل على الشرك والبدع والمنكرات، وفي الآونة الأخيرة ضعف الزيارة عن ذي قبل، فلوحظ قلة الزائرين بسبب النهضة الدينية التي عمت بلاد اليمن ومنها حضرموت نسأل الله المزيد من فضله.

(٥) وهذا الكتاب من الكتب المليئة بالشرك والبدع، وهو من الكتب المتداولة عند صوفية =

قال فيه عبد الله السقاف: «شيخنا وشيخ مشائخنا، أكثر شيوخ الإسلام علوماً واتساعاً، وأسمى الأئمة قدراً وارتفاعاً، وأبعد المرشدين صيتاً مذاعاً، وأوفر المصلحين إصلاحاً مستطاعاً»^(١).

وقد تولى أحمد العطاس منصبه آل العطاس بحريضة^(٢)، وكانت له صلة قوية بمشايخ التصوف في الحجاز ومنهم شيخه أحمد بن زيني دحلان وكبار مشايخ الصوفية في مكة^(٣).

ومن انحرافات: تقريره اطلاع الولي على ما في النفس، وعلمه للغيب، واعتقاد التصرف في الناس ودخول سرائرهم، ودعا العطاس الناس للالتجاء بالموتى ودعائهم من دون الله تعالى عند الشدائد^(٤).

وأما البدع العملية ودعوته لها فكثيرة جداً؛ كالمولد، واعتقاد حضور الموتى إليه، وكذا دعوته للبناء على القبور، والتي أدت لدعاء الموتى من دون الله تعالى^(٥).

توفي بحريضة سنة ١٣٣٤هـ.

< ٨ - علوي بن عبد الرحمن المشهور: ت: ١٣٤١هـ:

وقد ترجم له حفيده أبو بكر بن علي المشهور بترجمة واسعة في كتاب كبير سماه: (لوامع النور - نخبة من علماء حضرموت - من خلال ترجمة السيد العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور المتوفى سنة ١٣٤١هـ) وبين في هذه الترجمة دوره في نشر التصوف في حضرموت وخارجها. فقد كان لعلوي المشهور رحلات إلى الهند وسيلان وغيرها.

= حضرموت إلى يومنا هذا، وقد اختصره أبو بكر عطاس الحبشي بكتاب سماه (تذكير الناس) شحنه بالخرافات والشرك كما سيأتي النقل عنه في مباحث هذه الرسالة - إن شاء الله تعالى -.

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٠١/٤).

(٢) انظر ترجمته بتوسع: تاج الأعراس (٧١٣/١).

(٣) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٠٢/٤ - ١٠٣)؛ ولوامع النور (٢٢١/١).

(٤) تذكير الناس (ص: ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٨٠، ١٢٩، ١٣٧، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٧١).

(٥) تذكير الناس (ص: ١٤٩، ١٩٤، ٢٠٣).

وكان له اتصال بأصحاب الطرق الصوفية الأخرى^(١).

ومن آثاره: دعوته للتوسل بالنبي ﷺ ودعائه من دون الله تعالى عند حلول المصائب لما له من منزلة عند الله تعالى، وقد دون ذلك في أشعاره الكثيرة^(٢)، وهو كذلك من دعاة الاستغاثة الشريفة، فقد دعا للاستغاثة بعمر المحضار المتوفى سنة ٨٣٣هـ حيث استغاث به في كثير من أشعاره؛ لدفع الملمات، وتفريج الضائقات التي مرت بها حضرموت في وقته^(٣).

ومن استغاثاته بالمحضار:

وسيلتي في الخطوب النائبات فتى شجاع دين الإله محضار
ادعوك يا عمر المحضار تدركني فإنني سيدي في حيكم جار
ولهذا السبب فقد دعا للسكنى قرب قبر عمر المحضار المدفون بمدينة
تريم لما له من التصرف والمدد - بزعمه -، حيث قال في ذلك:

يا من حضر يسمع صلوا على المختار والله ما يندم من جاور المحضار^(٤)

وقد كان علوي المشهور إماماً لمسجد المحضار أربعين عاماً وادعوا أنه حصل له بذلك القرب من المحضار الفتوحات والاتصالات الروحية^(٥).

ولا يزال الاعتقاد بعمر المحضار إلى يومنا هذا، ويجري ذكره على السنة بعضهم للاستعانة به والتوكل عليه من دون الله تعالى، وكان في مقدمة من فتح هذا الباب علماء المتصوفة في حضرموت^(٦)، والله المستعان.، ويعتبر علوي المشهور من المشاركين في بناء رباط تريم، وشارك في التدريس فيه عند

(١) لوامع النور (٨٥/١).

(٢) المصدر السابق (١١٧/١).

(٣) المصدر السابق (١٣٥/١ - ١٣٦).

(٤) لوامع النور (٣٧/١). وهكذا أغلب أشعاره تدور حول موضوع الاستغاثة بالمخلوقين، وصدق الالتجاء إليهم عند الملمات. وانظر بعض هذه القصائد: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢٠٨ - ٢٠٥/٤).

(٥) انظر: لوامع النور (٤٢/١ - ٤٨).

(٦) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢٦٣).

افتتاحه^(١).

ولعلوي المشهور تلاميذ كثير، يقول عبد الله السقاف: «وأما تلاميذه وما أدراكم ما هم كمتناثرين في بقاع الدنيا فمن مشاهير التريبيين: العلامة السيد عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري^(٢)، والعلامة السيد حسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف^(٣)، والعلامة السيد عبد الباري بن شيخ العيدروس^(٤)... إلخ^(٥)».

ومن آثاره خارج حضرموت: رحلاته للدعوة إلى التصوف في بلاد سيلان، وإنشائه بها زوايا ومدارس صوفية^(٦)، وله مشاركات في الاحتفالات الصوفية هنالك، واهتمامه بالدعوة إلى اجتماع هذه الطرق ورفع الحواجز والخلافات التي بينها^(٧).

وفي عمله هذا تأييد لهذه الطرق وتقوية لشوكتها في تلك البلدان لا سيما من شخص يعتقدون فيه أنه عالم ومن سلالة النبي ﷺ.

(١) لوامع النور: ٣٢/١ - ٣٣.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن أحمد الشاطري، ولد بتريم سنة ١٢٩٠هـ، ورحل إلى مكة فتلقى عن علمائها ثم عاد إلى حضرموت، وصار مرجعاً في الفقه والفتوى. له أرجوزة في النهي عن بيع التبغ، وكتاب (إتحاف الخلف بسيرة السلف)، توفي سنة ١٣٦١هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٤٠/٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٠٤).

(٣) هو حسين بن أحمد الكاف: ولد بتريم، وأخذ عن شيوخها ومنهم عبد الرحمن المشهور، وعن والده أحمد بن محمد الكاف وعن أحمد بن حسن العطاس وغيرهم. توفي بتريم سنة ١٣٣٣هـ. انظر: لوامع النور (١٧٠/٢).

(٤) هو عبد الباري بن شيخ العيدروس العلوي، ولد بتريم ١٢٩٠هـ، ودرس على مشايخها. وتوفي بتريم سنة ١٣٥٨هـ. وقد جمع تلميذه محمد بن سقاف الهادي مجموعاً سماه (بهجة النفوس) اشتمل على نبذة من مواعظه وترجمته، وجمع حفيده يحيى جزءاً في ترجمته. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١١٠/١)؛ والخبيا في الزوايا (ص ٦٠ - ٦١)؛ وقبسات النور (ص ٤٦ - ٥٠).

(٥) تاريخ الشعراء الحضرميين (٤٠٣/٤).

(٦) انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٢٠٣/٤).

(٧) انظر: لوامع النور (٨٥/١، ٨٩).

وله رحلات للدعوة إلى التصوف في جاوا وكذلك إلى أفريقيا الشرقية^(١).

✽ المطلب الثاني ✽

أعلام صوفية حضرموت في القرن الخامس عشر ودورهم في نشر التصوف

١ - زين بن إبراهيم بن سميط العلوي:

هو زين بن إبراهيم بن سميط العلوي، من صوفية حضرموت المعاصرين، ولد في جاوه من بلاد أندونيسيا سنة ١٣٦١هـ، وسافر إلى حضرموت لتلقي العلم في تريم سنة ١٣٧٧هـ، ودرس على كثير من علماء الصوفية بها وأهم شيوخه: محمد بن سالم بن حفيظ. ويقيم حالياً بالمدينة النبوية، ويقوم على رباط هناك يسمى رباط الجفري. من مؤلفاته: الأصول الخمسة لطريق السادة العلويين، والأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية، ومؤلف في التفسيرات الإشارية للأسلاف للحديث النبوي وغيرها^(٢). وقد بدأ دوره في نشر التصوف في اليمن، حيث سافر إلى مدينة البيضاء^(٣) باليمن للتدريس في رباطها؛ الذي كان يقوم عليه آنذاك محمد بن عبد الله الهدار^(٤) المتوفى سنة ١٤١٨هـ، ومكث ابن سميط أكثر من عشرين سنة يدرس في هذا

(١) انظر: المصدر السابق (٩٠/١ - ٩٤).

(٢) انظر: قبسات النور حيث ترجم له بتوسع (ص ١٨٩ - ١٩٦).

(٣) البيضاء: إحدى مدن اليمن الكبيرة، وتقع بأرض الظاهر، وتقع في الشرق الجنوبي من صنعاء على بعد ست مراحل عن طريق ذمار فرداع. والبيضاء تعد إحدى محافظات اليمن في التقسيم الإداري الجديد. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (١/١٣٤)؛ ومخالف اليمن، للقاضي إسماعيل الأكوخ (ص ٨٦). الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المجموع الثقافي - أبو ظبي.

(٤) هو محمد بن عبد الله الهدار (مفتي البيضاء)، ولد بقرية عزة من أعمال مدينة البيضاء سنة ١٣٤٠هـ، وهو من أسرة شهيرة نزحت من عينات إلى البيضاء اليمنية في القرن الحادي عشر تقريباً. رحل إلى حضرموت للتلقي على مشايخها والتحق برباط تريم، ثم عاد إلى البيضاء سنة ١٣٩١هـ فافتتح رباط الهدار في البيضاء. توفي سنة ١٤١٨هـ بمكة. انظر: قبسات النور (٢٢٨ - ٢٣١). وأفرد ترجمته ولده حسين بكتاب سماه (هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد بن عبد الله الهدار).

الرباط، وتلقى عنه التصوف طلاب كثيرون، رجعوا بعد ذلك إلى مدنهم وقراهم لنشر التصوف بها^(١).

ثم سافر بعد إحدى وعشرين سنة من إقامته في رباط البيضاء إلى المدينة النبوية للتدريس في رباطها الذي شارك محمد الهدار وغيره في دعمه واستمراره، ولا يزال ابن سميط قائماً على هذا الرباط المسمى بـ(رباط الجفري) إلى يومنا هذا.

ولابن سميط منزلة كبيرة عند القوم في هذا الزمان^(٢) لما يكتبه من شبه، يحسبون أنها تنفعهم في إحياء طريقتهم، وما يقوم به من زيارات إلى حضرموت لتثبيت الشرك والبدع^(٣)، ومن تلك الألقاب التي أضفوها عليه ما قاله عنه أبو بكر بن علي المشهور: «هو العالم الفقيه حافظ المذاهب النحوي المشارك في شتى العلوم العارف بالله الدال عليه بمواعظه ورقائقه الصوفية، ذو الطلعة العلوية السلفية، الحبيب زين العابدين بن إبراهيم بن سميط، الذي انتهت إليه المرجعية في الفقه والفتوى في البلاد الحجازية»^(٤).

ويقول أيضاً: «ومع أن الله قد يسر للمترجم له ما لم ييسره لأحد غيره من الاستقرار في المدينة المنورة عند الحبيب صلى الله عليه وعلى آله^(٥)،

(١) ومن هؤلاء الذين درسوا عليه وقاموا بنشر التصوف في مناطقهم: عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ القائم على دار المصطفى بتريم من أكبر دعاة التصوف في حضرموت في هذا الزمان، وكذلك منصور اليافعي، وعبد الرب اليافعي - من بلاد يافع باليمن -، وكذلك شخص يدعى محمود بن عبد الباري الصومالي من دعاة التصوف في أفريقيا، وغيرهم من التلاميذ. انظر: قبسات النور (ص ١٩١ - ١٩٢).

(٢) حتى لقبوه بفقيه العلويين. انظر مقدمة كتابه: منهاج الطالبين، ولُقّب بالقباب أخرى سيأتي ذكرها.

(٣) انظر: زيارته إلى حضرموت وعقده للمحاضرات في مناطق شتى من حضرموت، ومشاركته في زيارة هود الشريكية والبدعية ولقاءه بكبار المتصوفة، وسعيه في إضلال العوام والجهال بدعوته للتصوف الذي يقود أتباعه إلى الهاوية - والعباد بالله - . انظر: مجلة أنوار التلاقي (العدد ٢٧).

(٤) قبسات النور (ص ١٨٩).

(٥) هذا هو غاية القوم، وهو التعلق بالقبور أينما وجدت، فلم يجد المشهور ما يمدح به عالمهم =

ووجود الطلبة المتفرغين له، والراجلين إليه، ووجودهم في رباط المترجم الرباط السلفي العلوي، الذي يضمهم جميعاً في جو روحي علمي بهيج، ومع كثرة طلبته وتزايدهم وانشغاله بتدريسهم مع كبر في السن - لم يكتف نفعنا الله بعلمه - بالتدريس، بل واصل رحلة الطلب وأخذ يثني الركب عند علماء المدينة وصلحاتها^(١).

فَمَنْ هؤلاء العلماء والصلحاء الذين أشار المشهور إلى تلقي ابن سميط عنهم؟. فهذا دأب القوم لترويج الباطل بالثناء على أهله، وهؤلاء العلماء والصلحاء الذين أشار إليهم المشهور على نفس الشاكلة^(٢)، وأما علماء الحق والمنهج السليم فقد حَرَمَ القوم أنفسهم من أخذ العلم عنهم.

ويقول أبو بكر المشهور: «ويعتبر المترجم له الآن من أكبر شيوخ المرحلة، وقد يَسَّرَ الله له الكثير من الطلبة المتفرغين لنهل العلم من معينه، وصار مظهراً من مظاهر الطريقة العلوية والعلوم السلفية في عصره»^(٣).

وأما آثاره: فقد ألف كُتُباً في بيان طريقتهم العلوية بحضرموت، منها: «الأصول الخمسة لطريق السادة العلويين، والأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية»^(٤) الذي ملأه بتقرير الشرك الأكبر: من دعاء وتوسل واستغاثة بغير الله

= هذا سوى أنه رحل للمدينة لمجاورة قبر النبي ﷺ. ثم دندنتهم بعبارة الحبيب في وصف النبي ﷺ عبارة فيها تقصير، فالنبي ﷺ يوصف بصفة الخلّة وهي أعلى درجات المحبة كما قال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» الحديث أخرجه مسلم في صحيحه. انظر: كتاب المناهي اللفظية، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٦٢ - ١٦٣).

(١) قيسات النور (ص ١٩٣).

(٢) وقد ذكر أسماءهم المشهور نفسه بعد هذه المقدمة البراقة، انظر: قيسات النور (ص ١٩٤).

(٣) المصدر السابق (ص ١٩٦).

(٤) ذكر أبو بكر المشهور أنه من مؤلفات ابن سميط. انظر: قيسات النور (ص ١٩٥)، وكذلك ذكر اسم الكتاب على غلاف كتاب آخر لابن سميط بعنوان (الخطب المنبرية) حيث ذكر الناشر ترجمة مختصرة له على طرة الكتاب وذكر مؤلفات ابن سميط ومنها كتاب الأجوبة الغالية. وكتاب الأجوبة الغالية طبعته دار الفقيه بتريم، وكتب على الغلاف تأليف: العلامة الداعي إلى الله الحبيب: زين العابدين العلوي. هكذا، ولا يدري ما السبب الذي دعا المؤلف أو الذي طبعه إلى عدم التصريح باسم المؤلف، لا سيما وقد وُضِفَ بأنه العالم =

تعالى؛ باسم تعظيم ومحبة الأولياء بالغلو فيهم ودعوته للشرك والبدع وتقريرها^(١).

وهو من الكتب المعتمدة عند القوم في العصر الحاضر، لذا يوجد بكثرة في مكتباتهم العامة والخاصة.

وأما تقريره للبدع العملية التي قررها فكثيرة جداً منها: تقسيمه البدع إلى حسنة وسيئة، ودعوته إلى شد الرحل لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، وتجسيص القبور والبناء عليها، والاحتفال بالمولد النبوي، وإقامة الحضرات الصوفية، والدعوة إلى مجاهدات الصوفية ورياضاتهم البدعية^(٢).

< ٢ - سالم بن عبد الله الشاطري:

سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري: ولد بتريم سنة ١٣٥٨هـ ونشأ بها ثم رحل إلى مكة وتلمذ على علوي بن عباس المالكي، ثم عاد إلى اليمن ودرس في عدن، ثم انتقل للتدريس في رباط المدينة مع زين بن سميط. وهو الآن يعمل مدرساً في رباط تريم. وقد ذكر حسين بن محمد الهدار أن صوفية حضرموت أطلقوا عليه لقب سلطان العلماء^(٣). ويعتبر من مشايخ الصوفية في

= الفقيه، حافظ المذهب، إليه المرجعية في الفقه والفتوى في البلاد الحجازية!، ويخفي شخصه في مثل هذا الكتاب المهم عند القوم، والذي يتحدث عن مسألة عظيمة، وهي عقيدة الفرقة الناجية، التي من تمسك بها نجا وأفلح في الدنيا والآخرة، ومن تركها أو عارضها فإنه ضال من الخوارج أو نحو ذلك، وهذا يدلنا أن القوم أما أنهم جبناء، كاتمون الحق عن الناس وعدم إظهار حقيقتهم لهم، وسلوك طريق السرية الباطنية، أو أنهم يعلمون باطلهم في قرارة أنفسهم بحكم الفطرة - إن بقي منها شيء سلم من لؤثة التصوف - ولذا لا يصرحون، وكما يتضح في هذه الأيام إخفاهم لبعض كتبهم المنحرفة، وعدم بيعها، أو إظهارها للباحثين، وهذا من الأدلة الكثيرة جداً على بطلان مذهب التصوف الذي ابتلي به أهل حضرموت كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، يسر الله نصر السنة وأهلها، ورد ضال المسلمين إلى الحق رداً جميلاً. اللهم آمين.

(١) انظر: الأجوبة الغالية (ص ٤٣). وانظر: هذه الانحرافات والمخالفات العقدية: المصدر السابق (ص ٣٥ - ٣٦، ٤٢، ٤٧، ٥٠، ٥٢ - ٦٤، ٧٠ - ٧٢، ٨٥، ٨٧، ٩٢ - ٩٣، ١٠٠ - ١٠٩).

(٢) انظر: قيسات النور (ص ١٩٢).

(٣) انظر: قيسات النور (ص ٢١٢ - ٢١٣)؛ وهداية الأخيار (ص ١٣١).

حضرموت الذين لهم منزلة كبيرة عند القوم، وقد امتلأت تسجيلات القوم في مختلف مناطق حضرموت وغيرها بأشروته، من دروس، ومحاضرات، وجلسات وغيرها، وهو من الذي يميلون للتدريس فليس له من المؤلفات إلا القليل.

وقد درّس الشاطري في رباط المدينة ما يقارب من اثنتي عشرة سنة مع زين بن سميث^(١).

وعمل معلماً وإماماً وخطيباً بمسجد أبي بكر بن عبد الله العيدروس بعدن^(٢).

ومن مؤلفاته: كتاب مطبوع بعنوان: (نيل المقصود في زيارة نبي الله هود) قرر فيه مشروعية زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام التي تقام بحضرموت سنوياً، وأخرج كل ما في جعبته من الأقوال والأدلة الواهية لإثبات وجود القبر في ذلك المكان، ومن ثم دعوته الناس للزيارة الشريكة والبدعية للقبر المزعوم^(٣).

يقول في معرض نصائحه لزوار القبر المزعوم: «كما أنه ينبغي أن يكون في زيارته دائم الخشوع، والحضور للزيارات كلها، ورُبَّ شخصٍ يترك زيارة تكون خسارته للمدد الرباني كبيرة»^(٤).

وقرر في كتابه شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، جامعاً - كعادة القوم - ما هب ودب من الأقوال، بل والتكثّر بأقوال المخالفين، والذين هم على شاكلته في هذه المسائل، وذلك لتأييد عقيدة القوم المخالفة للنصوص الشرعية القائمة على فهم سلف الأمة لا فهم الخلف^(٥).

وأكثر في كتابه من التأويل لأقوال سلفه وعلمائه في الغلو في زيارة القبر

(١) قيسات النور (ص ١٩٢).

(٢) قيسات النور (ص ٢١١).

(٣) انظر: نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود عليه السلام، لسالم بن عبد الله الشاطري (ص ٧٢٩ - ٢٩٠). وانظر: الرد على زعمهم بوجود قبر نبي الله هود عليه السلام بحضرموت (ص ٩٣٥) من هذه الرسالة.

(٤) نيل المقصود (ص ٧٣).

(٥) المصدر السابق (ص ٤٢ - ٤٣).

المزعوم، والتكلف لإخراجها عن الظاهر بلا دليل، وتأويله للخرافات والأساطير التي جعلت لهذا القبر المزعوم لينخدع بذلك الجهال وأشباههم، كقولهم بوجود نهر من أنهار الجنة عند قبر نبي الله هود عليه السلام^(١).

وللشاطري جولات في مناطق اليمن وخارجها لنشر التصوف، من ذلك سفره إلى بعض الدول الإسلامية للدعوة للتصوف^(٢).

وله مشاركات في الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي ونشاط عبر وسائل الأعلام، وإلقاء البرامج والدورات والمحاضرات للشباب في فروع دار المصطفى^(٣)، ويلاحظ امتلاء تسجيلات الصوفية بأشروته من محاضرات، ودروس، وجلسات في بعض الأيام وفي المناسبات.

ومن آثاره أيضاً: المشاركة في إعادة التعليم في رباط تريم، الذي فتح للطلاب الذين جاءوا من مناطق مختلفة^(٤) سواء من داخل اليمن أو من خارجها خاصة بلدان جنوب شرق آسيا، وبلدان شرق أفريقيا لا يزال هذا الرباط قائماً إلى يومنا هذا.

٣ - عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ العلوي - معاصر :-

هو عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ بن أبي بكر بن سالم العلوي، ولد بتريم، وأخذ عن مشايخها ومنهم أخوه الأكبر علي المشهور، وعن عبد الرحمن بافضل - مفتي تريم - وغيرهما، ثم التحق برباط الهدار في البيضاء وبقي به عشر سنوات ثم عاد إلى تريم سنة ١٤١٠هـ وأسس دار المصطفى الذي يعتبر

(١) المصدر السابق (ص ٣٤ - ٥٣).

(٢) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٩ - السنة الثالثة - رجب ١٤٢٠هـ (ص ٤٣).

(٣) المصدر السابق: العدد ٣٣، ربيع أول - ربيع الآخر ١٤٢٤هـ (ص ٤٢).

(٤) قيسات النور (ص ٢١٢). وقد ساعد سالما الشاطري أخوه حسن في بناء رباط تريم. يقول أبو بكر المشهور عن حسن هذا في كتابه: قيسات النور (ص ٢١٣): «وهو اليوم من أكبر شيوخ المرحلة في تريم الذين تدور عليهم مهمة التربية والدعوة على منهج السلف». وقد توفي حسن الشاطري في الحادي عشر من ربيع الأول عام ١٤٢٥هـ في مدينة أبو ظبي بدولة الإمارات، ونقل إلى تريم ودفن في مقبرة زنبيل؛ مقبرة سلفه العلويين.

أكبر مراكز الصوفية بتريم^(١). ويعمل عميداً لدار المصطفى بتريم الذي يتولى كبر نشر التصوف في هذه الأيام، ويقوم بإدارة أمور هذه الدار مع أخيه علي المشهور الأكبر.

ويعتبر علي أكبر سنّاً من أخيه عمر، لكن نشاطه أقل من أخيه^(٢).

وعمر بن حفيظ لا يعرف بالتأليف كغيره من المتصوفة المعاصرين، وإنما يعرف بكثرة المحاضرات والمقالات في الصحف والمجلات، واللقاءات والجلسات، وشرح بعض كتب التصوف، وتم تسجيل كل ذلك على الأشرطة وأسطوانات الحاسوب، كما جمع له طلابه بعض محاضراته وخطب الجمعة ونحوها ثم طبعها بعد ذلك.

ومن آثاره: إصداره مجلة تسمى (أنوار التلاقي) والتي تمثل دار المصطفى حيث تصدر كل شهرين وتكتب فيها مقالات الصوفية، والردود على أهل الحق من كبارهم ومحبيهم من المتبوعين، ولابن حفيظ زاوية في تلك المجلة ينشر فيها كلامه في التفسير، وكذلك تنشر أخباره وجولاته الدعوية وفتاويه، ومشاركته في الاحتفالات والزيارات البدعية في داخل اليمن وخارجها.

ولابن حفيظ منزلة كبيرة عند المتصوفة في العصر الحاضر، حتى يرى

(١) انظر: هداية الأخيار (ص ٥٤٨).

(٢) وهذه الشخصية على قدمها في انتهاج التصوف؛ إلا أنها أقل حركة ودعوة وشهرة بين الناس من أخيه عمر، ويعد علي المشهور من الدعاة إلى زيارة القبر المزعوم لهود عليه السلام حيث يرى أن الزيارة إلى شغب هود عليه السلام كالغيث لا تدري البركة في أوله أو في وسطه أو في آخره فطالب المدد الكبير عليه بالتعرض لهذه البركة المزعومة، وطالب الدولة والمواطنين بإصلاح الطريق المؤدي للقبر المزعوم حتى تيسر الزيارة للناس، وقد تم لهم ذلك مؤخراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انظر: مجلة أنوار التلاقي: عدد (١١) شهر صفر - شعبان، سنة ١٤١٧هـ، (ص ٧).

ويقول عنه أبو بكر المشهور في كتابه: قبسات النور (ص ١٤٥): «قام الحبيب مشهور مع إخوته بإعادة كل مظاهر السلف وزياراتهم وعاداتهم على أفضل ما يرام وقام معهم أعيان تريم، كما يياشر اليوم مهمات التدريس في رباط تريم المبارك».

الزائر لحضرموت لا سيما تريم، مظاهر الغلو في هذا الشخص، حيث علقت صورته في كثير من المحلات، والأماكن في تريم، وفي معاهدهم، وجامعاتهم، ومكتباتهم وفي غرف الطلاب بسكنهم الداخلي، فجعلوا له هبة في قلوب الضعاف من الخلق.

يقول حسين الهدار^(١) مترجماً لابن حفيظ وذلك عند ذكر الأريطة الصوفية في اليمن ومؤسسيها، ومنها دار المصطفى بتريم حيث قال المؤلف عن مؤسسه: «هو العالم الداعي إلى الله عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولد في تريم إلى أن قال: انتقل إلى البيضاء وتلقاه سيدي الوالد محمد بن عبد الله الهدار الذي قرّبه وأحبه كثيراً، وشاهد فيه محيا والده العالم الشهيد، وانتظم ضمن طلاب رباط الهدار للعلوم الشرعية، وبه استقر نحواً من عشر سنوات يكرّج من معين ذلك الرباط ويأخذ عن مدرسيه، وبعد تمام الوحدة اليمنية ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) عاد إلى موطنه تريم وبها استقر وأسس دار المصطفى^(٢)، وساعده في ذلك أرباب المال من المحسنين وتبادر الطلاب للانضمام في سلكه»^(٣).

وقال عنه المشهور: «حفظ الله بهمته روح الدعوة وسر الطريق المباركة، وخاصة في تلك الحقبة المظلمة في تاريخ حضرموت، والتف حوله المتعلقون بمنهج السلف، وصبر على نشر الدعوة في داخل وخارج تريم إلى أن قال:

(١) هو حسين بن محمد بن عبد الله الهدار، من صوفية البيضاء، من مواليد البيضاء عام ١٣٧٠هـ. يشغل رئيس فرع جمعية علماء اليمن بمحافظة البيضاء، ومفتيها، ومدير رباط الصوفية بالبيضاء، له عدة مؤلفات منها: الدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير، هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، ورحلة في ديوان الحداد، وتاريخ ابن شهاب وغيرها. وهو لا يزال حياً. انظر ترجمته: على غلاف كتابه (هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار).

(٢) تشكل هذه الدار مركزاً للصوفية في العصر الحاضر حيث يأتون بالطلاب من داخل اليمن وخارجها كما سيأتي.

(٣) هداية الأخيار (ص ٥٤٨).

وقد أبدع في استخدام كافة الوسائل المناسبة للزمان لجذب قلوب الناشئة، فكان بذلك خيراً كبيراً للبلاد^(١).

وذكر المشهور وسائل دعوة ابن حفيظ في هذا الزمان لدعوة الناس إلى التصوف، سواء بربطهم بالمدرسة العلوية، أو بمشايعهم، أو بالطرق العصرية للدعوة^(٢).

وأشأ ابن حفيظ دار المصطفى بترميم عام ١٤١٧هـ، وجعل له منهجاً يسير عليه في دعوته لمنهج أسلافه، وكذا فتح كثيراً من الأريطة كرباط الشحر، ورباط عينات^(٣)، واستخدام الوسائل الإعلامية، ونشر بواسطة الأجهزة البصرية والسمعية، وكذلك قيامه برحلات إلى العديد من بلدان العالم للدعوة إلى طريقتهم، واستقطاب العديد من الطلبة من داخل اليمن وخارجها للدراسة في تلك الدار، والمشاركة في البرامج التلفازية المحلية والخارجية في نشر دعوة التصوف^(٤).

وبعد أن ساق المشهور هذه الجهود لشيخهم ابن حفيظ في نشر التصوف ختم حديثه عنه فقال: «وبالجملة فالسيد عمر بن محمد بن حفيظ يعد في مرحلتنا المعاصرة أحد الأعمدة العلمية والعملية للنهج العلوي المتجدد بروح الزمان والمكان دون إفراط ولا تفريط»^(٥).

(١) قيسات النور (ص ١٤٥).

(٢) قيسات النور (ص ١٤٥).

(٣) عينات: من أشهر قرى حضرموت، وتقع شرقي تريم على مسافة ثمانية كيلات تقريباً، وأول من اختطها آل كثير سنة ٦٢٩هـ. ثم خربت عينات سنة ٧٨٧هـ. وقد أخربت في فترات من الزمن، وأما عينات الجديدة فبناها أبو بكر بن سالم العلوي المتوفى سنة ٩٩٢هـ وهي لا تزال بآثارها إلى اليوم. انظر: إدام القوت (ص ٩٧٤ - ٩٧٥)، ط المنهاج.

(٤) انظر: قيسات النور (ص ١٤٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٤٦). وقولهم بأن دعوتهم لا إفراط فيها ولا تفريط، وقولهم بالوسطية والاعتدال إنما ذلك من العبارات البراقة التي قد يتخذ بها من لا معرفه له بمذهبهم، وهذه من العبارات التي يتكرر ذكرهم لها في مؤلفاتهم ومحاضراتهم، وهي في الحقيقة سراب لا حقيقة تحتها، فهم الدعاة إلى الشرك والبدع، وهم أهل الغلو في القبور، وفي الأولياء والمشايخ، والانحراف عن طريق النبي ﷺ العلمي والعملية - كما مر وسيأتي في ثنايا مباحث هذه الرسالة - إن شاء الله تعالى -، فكيف يقال بعد هذا أن دعوتهم لا إفراط =

وقام ابن حفيظ بدور كبير في تمكين تلك الدار وبث الدعاية لها، وذلك بدعوة المسؤولين لزيارتها، وزيارة بعض أربطة ودور المتصوفة في حضرموت^(١).

ويذكر القوم بأن من أعظم أهداف دار المصطفى الحرص على صيغ الكبار والصغار بالأخلاق النبوية الشريفة وإبعادهم عن العادات والأفعال الرذيلة^(٢).

ونشط القوم في السنوات الأخيرة في إقامة الدورات العلمية الصيفية التي تقام في دار المصطفى ويحضرها الطلاب من داخل اليمن وخارجها^(٣).

كما قام ابن حفيظ بفتح فروع لدار المصطفى في مختلف أنحاء اليمن، وروج الدار الدعايات الكثيرة لهذه الدار حتى زارها على سبيل المثال عدد من مشايخ القبائل كمشايع من أعيان قبيلة همدان اليمنية المعروفة، وأطلعهم ومن معه على دار المصطفى، ومنهجها وطريقة التدريس فيها، وطلبوا منه افتتاح فرعاً للدار في بلادهم ووعدهم بذلك^(٤). ولابن حفيظ جولات للدعوة إلى مذهبه منها: زيارته لمصر للمشاركة في الاحتفال بوصول رأس الحسين، ومشاركته بإلقاء عدة محاضرات في مختلف مناطق مصر^(٥).

وكذا رحلاته مع بعض المتصوفة للمشاركة في مؤتمر عقد بسيرلانكا بعنوان (ركيزة الإسلام عقيدة وسلوكاً) التقى فيه مع كبار المتصوفة المنتشرين في البلدان العربية، وألقى محاضرات هناك، ودعا مع غيره من المتصوفة إلى التعايش مع الآخرين من الفرق والطوائف، والمحافظة على آثار أسلافهم^(٦).

ومن آثاره إقامة الدورات الصيفية بدار المصطفى التي تستمر لمدة أربعين

= فيها ولا تفريط، وكما قيل: الدعاوى إذا لم يكن عليها بينات أهلها أدياء.

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: عدد شعبان، ١٤١٨هـ (ص ٦٣).

(٢) المصدر السابق: العدد ٢، ربيع الأول ١٤١٩هـ (ص ١٧).

(٣) مجلة أنوار التلاقي، العدد ٢٨، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٣هـ، (ص ٣٤).

(٤) المصدر السابق، العدد ٣٦، محرم - صفر ١٤٢٥هـ، (ص ٣١ - ٣٢).

(٥) المصدر السابق، العدد: ٧، السنة الثالثة، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (ص ٣١).

(٦) المصدر السابق: العدد ٢٧، رمضان - شوال - ١٤٢٣هـ، (ص ٢١ - ٢٢).

يوماً، يشارك فيها كثير من الطلاب من داخل حضرموت وخارجها، وشارك كذلك في افتتاح مجمع الشمائل النبوية التي تقام بمدينة الشحر لمدة أربعين يوماً، وتنتشر بين جميع مساجد المدينة^(١).

وله جلسة تقام كل يوم اثنين بترميم يحضرها كثير من الناس، ويهتم القوم بعقد هذه الجلسة وبث الدعاية لها ونشرها في صفوف طبقات المجتمع المختلفة^(٢)، ومن آثاره كذلك تدريس بعض الكتب المنحرفة في دار المصطفى وحفظ بعض المتون في العقيدة، والكتب المقررة في ذلك: عقيدة العوام، ودروس التوحيد لمحمد بن حفيظ، وعقيدة الإسلام للحداد، وجوهرة التوحيد للباجوري^{(٣)(٤)}.

وكذا فتح أربطة للصوفية في المكلا والحامي ومناطق أخرى^(٥)، ودعا للوقوف على قبور الأنبياء والصالحين والتعلق بقبورهم^(٦).

ومن آثاره دعوته المتكررة للتعلق بالقبور وإقامة المحاضرات والجلسات عندها مثل: جلساته عند القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام، وكذا محاضراته قرب مقبرة العلويين المسماة زنبيل داعياً الناس أن يتعلقوا بهم^(٧)، وبالجملة فإن لهذا الرجل نشاطاً واضحاً في الإعلام المرئي والمسموع^(٨).

(١) المصدر السابق: العدد ٢٧، رمضان - شوال - ١٤٢٣هـ، (ص ٣٦، ٤٢). وانظر: العدد ٣٣ (ص ٤١). وانظر عن تنظيم دار المصطفى للدورات الصيفية: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢٧، رمضان - شوال - ١٤٢٣هـ، (ص ٢١ - ٢٢).

(٢) المصدر السابق: عدد شعبان، ١٤١٨هـ، (ص ٤٢)، والعدد ٢، ربيع الأول ١٤١٩هـ، (ص ٤٥).

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي المصري، ولد بباجور في مصر سنة ١١٩٨هـ، وتولى مشيخة الأزهر، من آثاره: شرح جوهرة التوحيد. توفي سنة ١٢٧٧هـ. انظر: الأعلام (٦٦/١ - ٦٧)، ط ٣، ١٣٨٩هـ - بيروت؛ ومعجم المؤلفين (٥٧/١).

(٤) مجلة أنوار التلاقي: العدد ٢، ربيع الأول ١٤١٩هـ، (ص ١٨).

(٥) المصدر السابق: العدد ٣، شعبان ١٤١٩هـ (ص ٣٤).

(٦) المصدر السابق: العدد ٢٨، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٣هـ، (ص ٣).

(٧) المصدر السابق: العدد ٣٤، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٤هـ، (ص ٢).

(٨) المصدر السابق: العدد ٣٠، رمضان - شوال - ١٤٢٣هـ، (ص ٤١).

٤ - أبو بكر العدني بن علي المشهور:

من عائلة آل باعلوي الحضرمية، هاجر أهله إلى مدينة أحور - إحدى مناطق محافظة أبين - ولد سنة ١٣٦٦هـ، وتخرج من كلية الآداب بجامعة عدن ثم رحل إلى الحجاز وأخذ عن علماء الصوفية هناك، وعمل إماماً بأحد مساجد مدينة جدة حتى عاد إلى اليمن سنة ١٤١٢هـ، وقد ساهم في فتح عدد من الأربطة الصوفية، ومراكزها وكذا إقامة الدورات الصيفية في عموم بلاد اليمن^(١).

ويعتبر أبو بكر المشهور من الصوفية المعاصرين الذين سلكوا مسلك المتكلمين، وطرق المستشرقين في التأليف، وأسلوب الصحفيين المتكلف، وكثرة نبزه لمخالفه بشتى أنواع الشتائم والسب التي لا تليق بالمسلم^(٢).

ويعد من المكثرين من التأليف في هذا الزمان، وأكثر مؤلفاته تدور حول مناقب أسلافه العلويين، أو تراجم لأشخاص من الصوفية، أو ردود على أهل السنة والجماعة الذين يحاربون الخرافات والانحرافات العقدية عند الفرق.

ومن مؤلفاته: كتاب (لوامع النور في ترجمة العلامة الجد عبد الرحمن المشهور)، وكتاب (قبسات النور في إيضاح حياة سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور)، و(جني القطاف في مناقب الحبيب عبد القادر السقاف - صاحب جدة -)، و(جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن - أبي بكر العيدروس)^(٣).

(١) انظر هذه الترجمة: في كتابه الإحاطة والاحتياط. وهذه الترجمة يضعها المؤلف على أغلب كتبه المطبوعة، فيجعلها في نهاية طرة الكتاب مرفقة بصورة له، والله المستعان.

(٢) انظر: على سبيل المثال كتاباً واحداً من كتبه الكثيرة التي اعتدى فيها على أهل السنة والجماعة؛ دعاة التوحيد والسنة، وكيه السب والشتم عليهم، ورميهم بما هم براء منه (شروط الاتصاف لمن يريد مطالعة كتب الأسلاف كالمرجع، والغفر، والترياق، والجوهر الشفاف) (ص ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ٧٩، ١٠٧).

(٣) انظر: أسماء مؤلفاته نهاية كتابه الأبنية الفكرية الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية.

وله أشرطة صوتية كثيرة ما بين محاضرات، وندوات، وإلقاء كلمات في مناسبات الصوفية الكثيرة، وجلها ضحلة يتضح لمن سمعها ضعف علمية هذا الرجل وتميزه بكثرة الشوائب لمخالفه، وإيراد الشبه، والاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويتضح روغانه في كثير من أشرطة حيث يقرر الباطل، ثم يبيح عن المخارج لهذا الباطل فيأتي بمخارج بعيدة، ويحيد كثيراً عن الإجابة عما يورده من إزمات مخالفيه^(١).

ومن آثاره: نشر أذكار وأوراد العلويين في بعض المساجد، وقراءة الكتب المليئة بالغلو والأحاديث الموضوعة^(٢).

وسعى المشهور لإقامة الدورات الصوفية حيث أوصل عدد الدورات الصيفية التي تقيمها إدارة الأربطة والتربية في عدن برئاسته في عام ١٤٢٥هـ إلى (٥١ دورة) موزعة على كثير من مساجد اليمن، وبلغ عدد الطلاب الملتحقين بها (٩٨٩٤ طالباً)^(٣).

كما دعا المشهور الناس لإلحاق أولادهم بالأربطة التي يصفها بأنها: «مواقع علمية وظيفتها الجانب الأخلاقي، والمحافظة عليه؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٤)»^(٥).

وسعى كذلك لفتح أكبر قدر ممكن من الأربطة الصوفية في مختلف

(١) انظر على سبيل المثال أشرطة التالية: ١ - علاقة الأمة بأولياء الله الصالحين ٢ - وفيات الرجال مرقى من مراقي المعرفة في الأجيال ٣ - مناسباتنا وذكرياتنا بين التاريخ والديانة، وهذا الشريط من أكثر أشرطة ضلالاً وتديلاً.

(٢) انظر هذه الآثار: مجلة الموعظة، الصادرة من رباط أحور، العدد ٢٣، السنة الثانية، شهر رمضان ١٤٢٣هـ، (ص ٢٣).

(٣) مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٧، السنة الثالثة، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ، (ص ٣١ - ٣٢). وانظر: العدد: ٣٥، شوال - ذي القعدة - ذي الحجة ١٤٢٤هـ، (ص ٣٦ - ٣٧)، والعدد ٣٦، محرم - صفر ١٤٢٥هـ، (ص ٢٧)، والعدد ٢٩، رجب - شعبان ١٤٢٣هـ، (ص ٣٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٨١/٢)؛ والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣)؛ والحاكم في المستدرک (٦١٣/٢) عن أبي هريرة مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٢/١) برقم (٤٥).

(٥) مجلة أنوار التلاقي: عدد شعبان سنة ١٤١٨هـ، (ص ٨).

مناطق اليمن لأداء الرسالة الأبوية التي يسعى لها، فقد نشرت مجلة أنوار التلاقي التي تصدرها دار المصطفى نشاط المشهور في فتح بعض الأربطة في اليمن، وبيان وضعها فقد ذكروا أربطة ومدارس للصوفية بلغت (١٤ رباطاً ومدرسة)، والتعريف بنشاطها، والتي تحتوي على أقسام داخلية للطلاب، وسعى كذلك لفتح أقسام داخلية لبعضها ليلتحق بها عدد أكبر من الطلاب^(١).

وقد انتشرت مؤلفات هذا الرجل بكثرة في حضرموت وعدن ورغم كثرة تلك المؤلفات إلا أنه من يقرأها يلاحظ شدة مكر هذا الرجل في كتاباته لا سيما تطرقه في أكثر حديثه للدعوة لعدم التطرق للأمور الخلافية، ويقصد مسائل التوسل والتبرك والاستغاثة التي هي لب العبادة^(٢).

ومما قرره في كتبه أن جعل كتب غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج لأهل الحقائق، ودعا للتجاوز عن شطحاتهم لعدم علم من يقرأ كلامهم بمقاصدهم^(٣).

ومما قرره في كتبه عقيدة علم الأولياء للغيب واتصافهم بصفات الرب تعالى^(٤).

كما قرر البدع بأحاديث لا تصح مثل تقرير الخرقه الصوفية، وتجويزه الذكر الجماعي، والإلباس ومجاهدات الصوفية للوصول للعلم اللدني، ويقرر أن القرآن والحديث يدل على طرقهم المبتدعة^(٥)، لذا يقسم العلم إلى ظاهر وباطن، وحقيقة وشريعة، واعتماد الذوق كمصدر لتلقي الشرع^(٦).

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٠، رمضان - شوال - ١٤٢٣هـ، (ص ٨ - ٩).

(٢) المصدر السابق: الصادر في شعبان، ١٤١٨هـ، (ص ٩).

(٣) جلاء الهم والحزن (ص ٢٠ - ٢١). وانظر: كتابه المسمى (الشيخ عمر المحضار) (ص ١٥)؛ شروط الاتصاف (ص ٨٤، ٨٦).

(٤) جلاء الهم والحزن (ص ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٧٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٣٩)، المزن الشجاع (ص ٧، ٨)؛ وشروط الاتصاف (ص ٦٩)؛ والشيخ المحضار (ص ١٩، ٢٠).

(٦) جلاء الهم والحزن (ص ٤٣، ٩٢)؛ والشيخ عمر المحضار (ص ١٥، ١٦)؛ وشروط الاتصاف (ص ٧١، ٧٤).

وأكثر المشهور من التعرض لمخالفه ونبزه لمن يخالف الطريقة العلوية في حضرموت أنه متأمر على أهل البيت وعلى المنهج الصوفي^(١).

ويكرر في كثير من مؤلفاته بأن التصوف مستهدف ومظلوم من قبل الحكام وأعداء الإسلام، وساهم معهم شباب المسلمين المخدوعون لتطاولهم على كتب تراجم الصوفية بالنقد والتقييم كما يزعم^(٢).

ويدعو كذلك لاعتماد التأويلات في كتب تراجمهم - التي ينكرها صاحب الفطرة السليمة - وإن تلك إشكالات لها أسباب فلا بد من الإعذار فيها، حيث أول قول الفقيه المقدم: «أنا الله». قال: إنما قال الفقيه المقدم ذلك للتعجب!^(٣).

وأكثر من الدندنة في كثير من كتبه بأن منهج أهل البيت بحضرموت هو المنهج المعتدل^(٤).

وقرر أبو بكر المشهور كرامات الصوفية المخالفة محاولاً تسويغها وإنها مناسبة لمستوى فهم الناس وثقافتهم آنذاك وإنها رويت من غير تمحيص كالترياق^(٥).

وقوله بأن مقامات وأحوال الصوفية موجودة في منهج النبي ﷺ^(٦)، والدعوة إلى تقديس المشايخ وإن التسليم لهم يثمر في القلب الكثير^(٧).

ودعا لقراءة الكتب الخرافية في حضرموت كالمشروع الروي، والجوهر الشفاف لمعرفة أصل طريقة آل باعلوي وذلك بالنقل عن علماء صوفية حضرموت الذين يحثون الناس على قراءتها^(٨).

وبالجملة فهذا الرجل أشد المتصوفة مكرراً في هذا الزمان، ومن الدعاة لفتح باب التأويل والتدليس على العامة لتسويغ الشرك والبدع بمسميات جديدة لا تغير من الحقائق شيئاً.

- (١) التنصيص المشبوت (ص ١٣، ١٤). (٢) شروط الاتصاف (ص ٧، ٨). (٣) المصدر السابق (ص ٢٥ - ٢٦، ٥٤، ٥٦). (٤) المصدر السابق (ص ٤٥، ٤٦). (٥) المصدر السابق (ص ٥٦). (٦) المصدر السابق (ص ٧٠). (٧) المصدر السابق (ص ٧٧). (٨) الأبنية الفكرية (ص ٦٢).

وقد ذكرت نماذج من ضلالات هذا الرجل ودوره في نشر التصوف في العصر الحالي، ولم أذكر كل انحرافاته التي دونتها يده والتي وقع في شركها كثير من الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

« ٥ - علي بن عبد الرحمن الجفري (زين العابدين):

من متصوفة حضرموت الذي ظهر نشاطهم في الآونة الأخيرة، وله تحركات في نشر التصوف داخل اليمن وخارجها سواء بالمحاضرات، أو اللقاءات مع شيوخ المتصوفة المنتشرين في كثير من بلدان العالم الإسلامي^(١)، وهذا الشخص لا يعرف بالعلم، بل ولا بتلقي التصوف بأصوله المعروفة عندهم، ولا يعرف بالتأليف لا في التصوف ولا في غيره من العلوم، وأكثر ما تميز به هذا الرجل في نشر التصوف في هذا الزمان كثرة محاضراته وجلساته ولقاءاته التي تسجل على الأشرطة، وكذا أقراص الحاسوب، وتظهر لقاءاته ومقابلاته على القنوات الفضائية، وشبكات الأنترنت.

وله أشرطة كثيرة صوتية في نشر التصوف ومنها شريطان انتشرا مؤخراً عبارة عن لقاء مع شباب من آل باسودان قرر فيهما الشرك الأكبر: من استغاثة وتوسل بالأولياء، واعتقاد تصرفهم في الكون^(٢).

ومن آثاره: تقرير البدع، كالمولد النبوي الذي يدعو إليه بما فيه من غلو وشركيات وبدع، بل بلغ به الإفراط وعدم التمييز بين السنة والبدعة أن اعتبر المولد النبوي سنة مؤكدة^(٣).

(١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٤، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٤هـ، (ص ٣٥). وانظر جولات هذا الرجل لبعض بلدان الدول العربية والأوربية للدعوة إلى التصوف باسم منهج أهل البيت، منهج الوسطية والاعتدال وغيرها من الشعارات الزائفة: مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٣٥، شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٤هـ، (ص ٤٠): العدد ٢٨، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٣هـ، (ص ٤٢).

(٢) وقد رد على هذين الشريطين الشيخ أحمد بن حسن المعلم الحضرمي في مجلة الفرقان، العدد ١٢٩٥، الاثنين الموافق ١٢ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ (ص ١٤ - ١٧).

(٣) شريط بعنوان (مقاصد المؤمنة وقدرتها في الحياة). وقد رد عليه أحد طلبة العلم في الرياض يسمى عادل الفريدان بكتيب سماه (الرد على الجفري)، وقدم لهذا الرد فضيلة العلامة =

ويركز الجفري في محاضراته ولقاءاته على الواقعة في مخالفته؛ أهل العقيدة الصحيحة ويصفهم بأهل الغلو والتطرف، وعلل نشؤ ذلك بأن سببه البيت والمدرسة والمسجد ولا بد من مقاومته^(١)، وتهتم مجلة أنوار التلاقي التي تصدرها دار المصطفى بترميم بأخبار هذا الرجل الدعوية، وتركز على تشويه الدعوة السلفية بنقل كلامه في ذلك، والإحالة إلى أشرطته في هذا الموضوع.

وأما لقاءاته عبر التلفاز والقنوات الفضائية فهي كثيرة جداً، لما أعطي من أسلوب براق أغرى كثير من الناس فأوقعهم في المخالفات^(٢)، مع العلم أن هذا الرجل يقيم أكثر وقته خارج حضرموت لكثرة تنقله بين دول العالم وعقده الجلسات والمحاضرات في تلك الدول للدعوة لمذهبه الصوفي.

- = صالح بن فوزان الفوزان. وانظر تقرير هذا الرجل للمولد والدعوة لذلك: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٣، ربيع الأول - ربيع الآخر ١٤٢٤هـ، (ص ٩).
- (١) انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٤، جمادى الأول - جمادى الآخرة - ١٤٢٤هـ، (ص ٢٤).
- (٢) انظر ذكر لقاءاته بهذه القنوات: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٦، محرم - صفر ١٤٢٥هـ، (ص ٢٨).

المبحث الثاني

انتشار الصوفية وأماكن وجودها

منذ إن ظهرت نحلة الصوفية في حضرموت وهي تتخذ لها أماكن لتستقر فيها بعيدة عن الاضطرابات والفتن القائمة بسبب الحروب، والمعارك القبلية التي شهدتها حضرموت في بعض الأزمنة، وبعد أن استقرت سعت جادة لبث فكرها بكل الوسائل وحسب الظروف المناسبة لها، فهي تتحين الفرص لنشر دعوتها، لذا يكثر تواجد الصوفية في حضرموت الداخل (الوادي) أكثر من تواجدها في المناطق الساحلية، وأكثر المدن كثافة بالصوفية هي مدينة تريم وما حولها؛ أي حيث يتواجد ما يسمون بالروحانيين من العلويين والمشايخ، فالتصوف يكون فيها أكثر وأوضح من الجهات الأخرى، وتعتبر تريم أكبر مركز لتجمع الصوفية منذ ظهورها إلى اليوم.

وهذه هي المدينة التي نشأ فيها التصوف وترعرع منذ عهد الفقيه المقدم وأتباعه، وانتشر في الأماكن التي هاجر إليها المتصوفة، ويظهر الأثر فيها بحسب نشاط الأتباع، وتمكنهم في التصوف، ووجود الجهل الذي هو المدخل الذي يبت فيه القوم فكرهم، ويساعدهم على ذلك فتح الأربطة الصوفية، التي يرحل إليها الطلاب من مناطق شتى لتعلم التصوف، ولكترة المتصوفة في تريم فقد ذكر الخطيب في جواهره طبقاتهم وجعلها ثلاث طبقات، الطبقة الأولى: ابتدأها بعلي بن علوي خالع قسم^(١)، وولده محمد، وسالم بن بصري وغيرهم.

(١) هو علي بن علوي بن محمد الشهير بخالع قسم، ولد ببيت جبير بحضرموت، بنى أرضاً بقرية قسم وغرس بها نخلاً فلقب بخالع قسم، أدعى له القوم كرامات وذكروا عنه عبارات منحرفة، توفي بتريم سنة ٥٢٧هـ. انظر: المشرق الروي (٢/ ٢٣٠ - ٢٣١).

والطبقة الثانية: ابتدأها بعلي بن علوي بن الفقيه المقدم^(١)، أما الطبقة الثالثة: فإنها قليلة؛ لأن المنية عاجلت المؤلف أثناء القرن التاسع^(٢).

وكانت حضرموت المكان المناسب والفرصة السانحة للعلويين لتوطيد نفوذهم الروحي الذي فشلوا في تحقيقه في العراق، فاتخذوا مدينة تريم مركزاً لهم لنشر تصوفهم ليحل محل العلم والفقه الذي كانت تزخر به هذه المدينة وتفخر برجالها الفقهاء، ولم يقتصر التصوف على تريم بل نشره القوم إلى البلدان الأخرى، وقد بين المؤرخ الحضرمي صلاح البكري إن العلويين أخذوا يبنون القباب الضخمة على قبور آبائهم؛ ليتبرك بهم الناس، ويدعون الناس إلى تلك المقابر والتوسل بها، وذلك ليجدوا لهم مركزاً أساسه السلطة الروحية، والذي ساقهم إلى ذلك ما شاهدوه في كثير من الحضارم من السذاجة وحسن النية وسلامة الطوية، فصاروا يقدسون آل باعلوي الأحياء منهم والأموات^(٣).

والسبب الرئيس في جعل مدينة تريم مركزاً للتصوف في حضرموت هو قوة النفوذ العلوي الذي حارب الأباضية، لذا انتشرت فيها التكيات^(٤)، والزوايا، والأربطة وكثر فيها الأقطاب، والأوتاد منذ القرن الخامس وحتى القرن الثاني عشر، وكانت تلك القطبية والوتدية محصورة في العلويين من آل العيدروس، والحداد والسقاف وغيرهم ونادراً ما نال القطبية أحد من غير العلويين^(٥).

(١) هو علي بن علوي بن محمد بن علي الفقيه المقدم، من كبار الصوفية العلويين، وقد ادعت له الحكايات والكرامات، توفي بتريم سنة ٧٠٩ هـ. انظر: المشرع الروي (٢/٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) انظر: إدام القوت (ص ٥٠٢، ٥٠٤).

(٣) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، لصلاح البكري: ٧٧/١ - ٧٨، وانظر: كذلك ذكر بعض خرافاتهم التي نشرها في المجتمع الحضرمي المصدر السابق: ١١٩/٢.

(٤) التكيات جمع تكية: والتكية: كلمة تركية بمعنى المكان الذي يتفرغ فيه الصوفي للعبادة، وقد استعملت بدلا عن الخانقاة. انظر: المعجم الوسيط (١/٨٩) ط ٣؛ والخطط للمقريزي (٢/٤١٤).

(٥) انظر: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية السياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري، للدكتور أحمد عبد الله عارف (ص ٣٢ - ٣٣)، ط ١، ١٤١١ هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت.

وكان الاهتمام بتريم أكثر من غيرها وذلك لشهرتها، ومكانتها العلمية القديمة، فقد وجد بها الكثير من العلماء والفقهاء في أوقات مختلفة، زمن الازدهار العلمي، والاهتمام بالعلوم الشرعية وترك ما عداها، حتى ربما بلغ في مدينة تريم وفي عصر واحد ثلاثمائة مفت كما تقدم.

وذكر ابن عبيد الله السقاف عن الفقيه محمد بن أبي بكر عباد أنه قال: «بلغ الصف الأول في جامع تريم أن أهله كلهم فقهاء من كثرة فقهاها»^(١). ويتواجد الصوفية بكثرة حيث محل النشأة، وهي مدينة تريم ولم يسكن العلويون تريم ولا شبام في بداية الأمر بسبب التنافس المذهبي^(٢).

وجاء في كتاب (حضرموت) تحت عنوان الحركة العلمية الدينية: «وتعتبر تريم المركز والمقام الأول في هذا الباب، يقصدها الناس للعلم الإسلامي، ولطلب الفتاوى الفقهية من جميع مناطق حضرموت، ومن اليمن، وعدن، والهند إلى أن قال: ثم هاجر إليها العلويون فمالوا بحركتها العلمية ناحية التصوف»^(٣).

وقد نشر القوم الفضائل لهذه المدينة في مؤلفاتهم، ومن تلك الفضائل المزعومة ادعائهم أن أبا بكر الصديق عليه السلام دعا لها بدعوات فتحققت، وأنها كانت تسمى مدينة أبي بكر، وروجوا الدعايات لمقبرتها بأن فيها سبعين صحابياً قتلوا أيام حروب الردة بحضرموت^(٤)، كما ذكروا أن مقبرة تريم مشهورة بالبركة وادعوا الفضائل والمميزات الكثيرة لها^(٥).

وقد أطنب الشلي في مدحها، ومدح آثارها ومواطن الصالحين فيها وقبور أوليائها^(٦).

(١) إدام القوت (ص ٥٠٠). (٢) إدام القوت (ص ٤٩٢).

(٣) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص ٣٧).

(٤) انظر: المشرع الروي (١/١٤٦) وقد ذكر الشلي أن السقاف حدد قبورهم وأنها شرقي قبر الفقيه المقدم بنحو رمية حجر.

(٥) انظر: الغرر (ص ١٩٨)؛ وتاريخ النور السافر (ص ٤٢٧)؛ والمشرع الروي (١/١٤٦ - ١٤٨، ١٤٩، ١٨٦، ١٠/٢ - ١١، ٢٩، ٤٧، ١١٥، ١٧٧، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥)؛ وشرح العينية (ص ١٩٥)؛ وتاج الأعراس (١/٢٠٩).

(٦) انظر: المشرع الروي: ١/١٢٩ وما بعدها.

وكثر التصوف بترميم بسبب كثرة المتصوفة بها، لا سيما زمن الفقيه المقدم الذي ألبس الخرقة الصوفية وحُكِّم هو وسعيد بن عيسى العمودي، وباعمر، وباحمران من قبل عبد الله الصالح المغربي مندوب أبي مدين المغربي، وهذا يدل على وجود أنصار للتصوف بحضرموت وذلك منذ عهد الفقيه المقدم، الذين فتحوا الباب على مصراعيه لدخول كثير من أهل تلك المناطق في التصوف، وكما يكثر المتصوفة بوادي دوعن بعد أن أدخل سعيد بن عيسى العمودي التصوف إليها، وذلك بعد تحكمه على مندوب أبي مدين التلمساني^(١).

وباستقرار المتصوفة في بعض المدن نجد مسارعتهم في نشر أفكارهم ومعتقداتهم وبدعهم المختلفة في تلك المناطق، بل وإلى بلدان العالم الإسلامي التي يسافرون إليها.

كما يكثر المتصوفة في مدينة عينات، وسيئون، ووادي دوعن حيث مركز آل عمودي، وكذا بمدينة شبام والغرفة وما حولها.

ويتواجد الصوفية في مدينة حريضة، وأشهر العائلات فيها عائلة العطاس التي ترعى التصوف إلى يومنا هذا، حيث يحتفظ القوم بمكتبة كبيرة في مدينة حريضة جمعت كثيراً من المخطوطات والمطبوعات.

ومن آثار انتشار الصوفية ما ذكره المؤرخ صلاح البكري من توجيه العلويين: «نفوذهم إلى القبائل الكبيرة ليتصرفوا فيهم كما يبتغون، ويسخروهم في أغراضهم الشخصية، فاتجه آل الشيخ أبي بكر بن سالم إلى يافع، وآل عيديروس إلى آل كثير، والعطاس إلى الجعدة وتدخلوا في شئونهم السياسية»^(٢).

وأثر القوم كذلك على بعض الحكام بحكم قريبهم منهم فقد كان عبد الله بن

(١) انظر: حول مصادر التاريخ الحضرمي، مقالات: د. آر. بي سارجنت (ص ٢٤). ترجمة سعيد عبد الخير النوبان.

(٢) تاريخ حضرموت السياسي (١١٨/٢).

عمر بامخرمة^(١) مستشاراً للسلطان بدر بو طويرق^(٢)، وكذلك فإن السلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري؛ حاكم شبام تأثر بالتصوف حيث كان من مستشاريه الصوفي معروف باجمال الذي كان له أكبر الأثر في ذلك^(٣).

والسادة العلويون كما ذكر ابن عبيد الله ثلاث طبقات، طبقة من المهاجر إلى الفقيه المقدم، وطبقة من عصر الفقيه وأولاده وينتهي بالعيدروس ويقول عنه القوم أنهم أشبه بالملائكة. وأما الطبقة الثالثة فمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر^(٤).

وأما أوائل القرن الرابع عشر فقد كان بناء رباط تريم وكان من أكبر القائمين عليه عبد القادر بن أحمد الحداد، وأحمد سقاف الجنيد، ومحمد بن سالم السري ومحمد بن عمر عرفان من أهل مدينة تريم.

وذكر ابن عبيد الله أن هذا الرباط كان يجتمع فيه ممثلاً طالب داخليون، وكان أغلب الملحقين بالرباط من تريم ودوعن والبيضاء وغيرها^(٥).

ومن الأمور التي وطدت للتصوف في تريم وما حولها ما زعموه من وجود قبر نبي الله هود عليه السلام بشعب هود - الذي يبعد ثمانين كيلو متر عن تريم -

(١) هو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة: ولد سنة ٩٠٧ هـ من العلماء المتبحرين في علوم كثيرة، درس في حضرموت والشحر وزيد وعدن وتعز وولي قضاء الشحر سنة ٩٣٤ هـ. من مؤلفاته: أسنى المطالب على أسنى المطالب للشيخ زكريا الأنصاري، والروضة الزهية شرح الرحبية في الفرائض، حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد في تكفير طائفة أهل وحدة الوجود والاتحاد (في الرد على ابن عربي)، رشف الزلال في التكميل والتذليل على طبقات الأسنوي (ذيل طبقات الشافعية). توفي بعدن ٩٧٢ هـ. انظر: النور الساهر (ص ٢٧٨)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٥٧)؛ والأعلام (٣/ ٢٤٩)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣١٥، ٣٣٨، ٥٠٤، ٥٧٩، ٥٦٨، ٥٦٩).

(٢) هو السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله الكثيري، أحد حكام الدولة الكثيرة، امتد سلطانه إلى العوالق غرباً وسيحوت شرقاً، والسواحل الجنوبية جنوباً، والرمال شمالاً. ولم يدم النصر بل دبّت الاضطرابات مع جماعته فآلقوا القبض عليه. توفي محبوساً في حصن مريمة سنة ٩٧٧ هـ. انظر: تاريخ الدولة الكثيرة (٥٦ - ٧٩).

(٣) انظر: أدوار التاريخ الحضرمي (٢/ ٢٤٠، ٢٤٣)؛ وتاريخ الدولة الكثيرة (ص ٧٦).

(٤) انظر: إدام القوت (ص ٥٠٦، ٥٠٨). (٥) انظر: المصدر السابق (ص ٥٠٩).

الذي اتخذوه وسيلة لفرض الزعامة الروحية التي سعى لها سلفهم فيما مضى، فكانت هذه الزيارة التي تقام سنوياً ويجتمع لها من مختلف المناطق والبلدان، ويتقدم العلويون - المنظمون والقائمون على الزيارة - الزوار الذين ينظرون إلى العلويين بإكبار وتعظيم لمنزلتهم في المجتمع الحضرمي وترفعهم على الناس لما لهم من النسب والجاه الكبير في حضرموت.

وبث القوم الدعايات لمساجدهم المنتشرة بكثرة في تريم وضواحيها، ومنها مسجد بروعة لمحمد جمل الليل حيث يزعمون أنه مشهور بإجابة الدعاء، وكذا مسجد العجز وأنه مشهور بالبركة، وإن الأيمان تغلظ فيه فتعجل عقوبة الكاذب^(١).

كذلك فقد غلا القوم في كبارهم كأبي بكر بن سالم - صاحب عينات - والذي شكل مركزاً روحياً كبيراً للصوفية حيث زعم لنفسه: أنه يستطيع أن يشفع في الكفار فتجانب شفاعته^(٢).

وكان لوجود المناصب في تريم وغيرها دور هام في الالتفاف والاجتماع حول القوم لما جعلوه لهم من التبجيل والتعظيم والبركة، حيث قالوا في أحمد بن علي^(٣) - منصب عينات -: «أنه صاحب الوقت له الحق في أموال المسلمين»^(٤).

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار التصوف بما فيه من مظاهر الغلو انتشار الحووط التي كان ينشئها كبار الصوفية لتكون مركزاً روحياً لهم، وتكون آمنة لمن دخلها، وقد كانت هناك حووط منها: حوطة أحمد بن زين بالغرفة، وحوطة سلطنة وغيرهما.

- (١) انظر: المصدر السابق (ص ٥٤٩، ٥٧٠). (٢) انظر: المصدر السابق (ص ٥٥٥).
(٣) هو أحمد بن علي بن أحمد بن أبي بكر بن سالم، خلف والده بعد وفاته في منصبة عينات، توفي سنة ١١٧٧ هـ. انظر: إدام القوت مع الحاشية (ص ٩٨٢)، ط المنهاج. وهناك ترجمة موسعة له في كتاب: بستان العجائب (ص ٣٨ - ٧٦).
(٤) انظر: إدام القوت (ص ٥٦٠).

وأما في العصور المتأخرة فتقام المحافل الأسبوعية في الأربطة والمساجد حيث يقرأ فيها كثير من كتب أسلاف العلويين، ويتولى إدارة هذه المحافل والخطابة بعض المشايخ من العلويين، ومن أشهرهم: علوي بن عبد الله بن شهاب الدين^(١) في تريم^(٢).

كما كان لوجود المكتبات الكبيرة دور في نشر التصوف بما تحمله من أفكار منحرفة، ومن أشهر المكتبات الكبيرة التي تحتوي الكثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة: المكتبة السلطانية في المكلا، ومكتبة السادة آل الكاف في كل من تريم، وسيئون.

وهناك مكتبات ذات قيمة أثرية، كمكتبة السادة آل يحيى في تريم والمسيلة، ومكتبة آل بن سهل في تريم، ومكتبة أحمد بن حسن العطاس في مدينة حريضة، وتليها مكتبة سعيد بن عيسى العمودي في وادي دوعن^(٣).

وجاء في تعليقات محمد ضياء بن شهاب على كتاب (المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى): «وفي مجلة البعث الإسلامي الهندية من مقال (العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري) جاء فيه «ذكر انتشار العلم والتصوف عاماً في أقطار العالم الإسلامي، ومنها: اليمن وحضرموت، وتعز^(٤)، وصنعاء، والشحر، وتريم، وسيئون وأن بها مراكز كبيرة للعلماء والصوفية، وأن الأسرة العلوية العيدروسية ذات شهرة وقبول في الناس ومعرفة بالفضل والعلم، وأن مدينة تريم مركز أشرف آل باعلوي»^(٥).

- (١) هو علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين، ولد بتريم سنة ١٣٠٣ هـ، وتوفي بها سنة ١٣٨٦ هـ. انظر ترجمته: في الكتاب الذي أفرد له عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢ هـ) بعنوان (تحفة الأحباب في ترجمة الحبيب علوي بن شهاب).
(٢) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص ٣٨). (٣) المصدر السابق (ص ٣٨).
(٤) تعز: بالفتح وكسر العين المهملة ثم زاي معجمة، إقليم في اليمن، يسمى دمشق اليمن لما فيه من الثمار والأنهار والأزهار والنزهة، وتقع في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ثمانية مراحل، وهي بالقرب من الجند في سفح جبل صبر غربي الجند. انظر: النسبة إلى المواضع والبلدان، لبامخرمة (ص ١٥٨)؛ ومجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (١/ ١٤٥).
(٥) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص ٢٣٨).

نشر القوم التصوف داخل اليمن وخارجها، حيث نشره في عدن منذ أيام أبي بكر العدني بن عبد الله العيدروس المتوفى بها سنة ٩١٤هـ، واستمر الأثر إلى يومنا هذا حيث جعل له مقام، وقبره يزار سنوياً حيث يفد إليه الزوار من داخل اليمن وخارجها، في احتفال رسمي كبير، ويعلن للزيارة في الصحف الرسمية، وكذا في صحف المتصوفة في أكثر أنحاء اليمن.

ويضم مسجد العيدروس رباطاً كبيراً يدرس فيه التصوف، كما يحتوي على سكن داخلي للطلاب القادمين من المناطق البعيدة، بالإضافة إلى الطلاب من أهالي عدن وما جاورها.

وهناك مركز لدراساتهم ونشر مجلاتهم التي تدعو إلى منهج التصوف، منها: مجلة الجذوة وهي مجلة دورية فصلية يصدرها مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث التابع لأربطة التربية ومراكزها التعليمية والمهنية.

وفي محافظة لحج انتشرت أربطة الصوفية منذ زمن، حيث هاجر إليها عدد من عائلات آل باعلوي منذ القديم، ولا تزال إلى يومنا هذا محافظة على طقوس الصوفية يظهر ذلك في المداومة على عمل الموالد، وقراءة الأوراد والحضرات الأسبوعية، وقراءة رواتب سلفهم، كراتب العطاس، والحداد، والعيدروس وغيرهم.

وفي محافظة البيضاء انتشر التصوف بقوة، ففي هذه المحافظة يوجد رباط الهدار الذي يضم عدداً كبيراً من الطلاب من مختلف المناطق، وفيه سكن للطلاب القادمين من المناطق البعيدة، ويقوم على الرباط حالياً حسين بن محمد الهدار بعد موت والده محمد.

أما نشرهم التصوف خارج اليمن، فقد بثوه في بلدان كثيرة، وكان نشاطهم متفاوتاً في تلك البلدان حيث يقوى في بعضها دون البعض الآخر.

ومن البلدان نشرت صوفية حضرموت فكرها بها: جزر الملايو، وأفريقيا، والهند، وبورما وغيرها من الأصقاع التي استوطنها متصوفة حضرموت.

ويظهر أثر القوم على تلك البلدان من خلال نقلهم وبالأخص العلويون خرافات التصوف إلى البلدان التي هاجروا إليها واستقروا بها، ومن تلك البلدان مرباط من بلاد عمان، حيث نشر التصوف فيها محمد بن علي الشهير بصاحب مرباط^(١) الذي تحول إلى ظفار، وانتشر صيته هناك وأخذ الكثير في ذلك الصقع عنه، وقبره بمرباط يزار وعليه قبة^(٢).

وقد نشر صاحب مرباط التصوف هناك ومع ذلك يزعم الشاطري أنه نشر المذهب الشافعي بمرباط^(٣)، والمعروف أن محمد بن علي القلعي^(٤) هو الذي نشر المذهب الشافعي هناك^(٥)، الذي يعد من علماء الشافعية البارزين، وقد نقل كثيراً من أقواله الإمام النووي في كتابه (المجموع شرح المذهب) في غير موضع^(٦).

وأما مكة فقد نقل صوفية حضرموت التصوف إليها بصورته المتشعّذة، كما يصفهم المقبلي^(٧) وما أحدثوه من مناظر واجتماعات حول ضريح

(١) هو محمد بن علي بن علوي بن محمد صاحب مرباط، من صوفية حضرموت الذين نشروا التصوف في بلاد مرباط بعمان، ولد بمدينة تريم، وتخرج عليه: علي بامروان، والقاضي أحمد باعيسى، وعلي بن محمد الخطيب وغيرهم. كانت وفاته سنة ٥٥٦هـ بمدينة مرباط المعروفة بظفار القديمة. انظر: المشرح الروي (١/١٩٨ - ١٩٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/١٩٩)؛ وتاريخ حضرموت، للحامد: (٢/٤٦٤، ٤٦٧).

(٣) أدوار التاريخ الحضرمي: (١/١٩٢).

(٤) هو محمد بن علي القلعي، يقال: إنه انتقل من الشام إلى اليمن وكان فقيهاً جليلاً انتفع بكتبه أهل ظفار، وحضرموت وعنه انتشر الفقه في تلك النواحي، توفي بمدينة مرباط بظفار سنة ٦٣٠هـ. من مؤلفاته: احتراز المذهب، وأحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر، وكنز الحفاظ في غرائب الألفاظ (ألفاظ المذهب في الفقه)، ولطائف الأنوار في فضائل الصحابة الأبرار. توفي بمدينة مرباط بظفار سنة ٦٣٠هـ. انظر: السلوك (١/٤٥٤)؛ وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/٣٢٤)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ١٩٩).

(٥) انظر: السلوك (١/٤٥٤).

(٦) انظر تلك النقولات في كتاب: (المجموع شرح المذهب للإمام النووي) الأجزاء والصفحات التالية: (١/٤١٦، ٤١٧، ٣٨٥/٢، ٣٢١/٣، ٩١/٤، ٢٨٢، ٤٥٣، ٥٢/٥، ٣٤٢، ٣٥١، ٤٢٣، ٣٥٦/٦، ١٠٧/٧، ٢٢٢، ٢٦١، ٢٧٠، ١٨٨/٩، ١٨٩، ١٩١).

(٧) هو العلامة صالح بن مهدي المقبلي، ولد بقرية المقبل من أعمال كوكبان سنة ١٠٤٠هـ، ثم =

علي زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس المتوفى سنة ١٠٤١هـ، والمقبور بمكة، يقول المقبل في بيان بدعهم التي أحدثوها في مكة: «فمنها أنهم ابتدعوا وقتاً في ذي القعدة أول أربعاء منه يسمونه عيد العيدروس، يجتمع فيه الرجال والنساء حتى أن أهل المروآت يخرجون وتخرج نساؤهم، ثم يعكفون على هذا اللعب عند قبره مع صنع طعام وغيره، ويتناول العكوف في بعضهم ليالي وأياماً.

وقلت لبعضهم: ما لهذا الاجتماع والله الكثير يختص هذا المكان؟

قال: قالوا كان العيدروس يميل إلى اللهو، فيرون أنه ينبغي بعض فسحة وإيناس في هذا الوقت والمحل المختص به»^(١).

وللعلويين نفوذ على الأشراف الذين حكموا مكة، حتى كان الأشراف يحيلون القضايا التي تحدث بينهم إلى شيخ العلويين، للفصل فيها وإذا أراد المظلوم منهم رفع قضيته لأمير مكة أحاله هذا إلى شيخ العلويين، فيحكم فيها هذا الشيخ بما تمليه عليه نفسه، ولا بد من تنفيذ الحكم، فاضطر الحضارمة هناك للتذلل والخضوع للعلويين^(٢).

وسعى الصوفية العلويون في البلاد التي هاجروا فيها إلى تشويه دعاة التوحيد فقد أرسلوا من أندونيسيا إلى حكومة الحجاز من الأشراف أنذاك لمنع

= انتقل إلى كوكبان وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها سنة ١٠٧٧هـ، وكان يجهر بالحق، بقوة نفس وشجاعة لم تبال بأذية الناس، حتى أدى به الأمر إلى الرحلة من اليمن، فرحل إلى مكة سنة ١٠٨٠هـ، وتوفي بها سنة ١١٠٨هـ. وله مؤلفات كثيرة منها: العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ، والأبحاث المسددة في فنون متعددة. وبحث في حديث الافتراق، وبحث في التعبد بشرع من قبلنا. انظر: البدر الطالع، للشوكاني (٢٨٨ - ٢٩٢)؛ ومعجم المؤلفين، لكحالة (٨٣٥/١)؛ والروض الأغن (٢٠٩/١ - ٢١٠)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ١٥٢ - ١٥٣)، ط المجمع الثقافي - أبو ظبي.

(١) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ تأليف: العلامة: صالح بن مهدي المقبل اليمني (ص ٤٦٩).

(٢) تاريخ حضرموت السياسي (٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦).

الإرشاديين من الحج بزعمهم أنهم يبغضون الرسول ﷺ وأهل بيته، وأنهم معادون لحكومة الحجاز، ووصفوه بأنهم خوارج، بل بلغ بهم الأمر إلى اتهام أصحاب جمعية الإرشاد بأنهم شيوعيون، ومبشرون للنصاري^(١).

ونشر القوم التصوف في بورما على شكل طرق صوفية تفرعت من الطريقة العلوية بحضرموت مثل: الطريقة العطاسية.

يقول مصطفى بن عبد الرحمن العطاس عن هذه الطريقة: «حملت راية الدعوة إلى الله في مناطق عديدة في بلاد الهند وبورما مدة تزيد عن المائة عام»^(٢).

وهكذا استمر القوم في نشر طريقتهم العطاسية بإرسال دعائهم إلى تلك البلاد، ونشر الزوايا، وبت المخالفات العقيدية والعملية، وانتشر التصوف في الهند بواسطة كثير من العائلات العلوية التي هاجرت إليها، ومن أشهر تلك العائلات: عائلة العيدروس، الذين نشروا التصوف عبر طريقتهم المسماة بالطريقة العيدروسية^(٣).

يقول علي بن عقيل^(٤) عند كلامه عن المجتمع الحضرمي: «ويتاجر العلويون في المهجر كما يسافر بعضهم للتبشير والإرشاد الديني في الهند الغربية والشرقية وأفريقيا»^(٥).

وفي الهند انتشرت صوفية حضرموت في بلاد دكن الهند، فهي من أقدم مهاجر الحضارمة، وتكاد تكون إمارة حيدر آباد الهندية أكثر الأماكن نشاطاً

(١) انظر: عبد العزيز الرشيد، سيرة حياته (ص ٢٨٦)؛ وتاريخ حضرموت السياسي (٢/ ٢٨٤، ٢٨٧).

(٢) الغاية الأساس (ص ٨).

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص ٣٦٣).

(٤) هو علي بن عقيل بن عثمان بن يحيى العلوي، ترأس البعثات العلمية التريمية إلى العراق، ثم إلى سوريا، كان من البارزين في حكومة الأتاسي، ثم عاد إلى حضرموت وأصبح مسؤولاً عن إدارة التراث اليمني في حكومة اليمن الجنوبي - سابقاً. من آثاره كتاب (حضرموت). انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص ٣١٨).

(٥) حضرموت، لعلي بن عقيل (ص ٣٣)، مطبعة سوريا بدمشق، سنة ١٩٤٩م.

لهجرتهم بالنسبة إلى الهند كلها^(١).

كما قام العلويون بنشر التصوف في جنوب شرق آسيا، وقام بذلك الدور بعض الأسر التي تنحدر من أصول علوية فمن تلك الأسر: آل عظمة خان في الهند، وفي الصين، وفي أندونيسيا، وفي الفلبين وممالكهم في تلك النواحي، «وقد كان العرب الحضارمة وفي مقدمتهم السادة الأشراف العلويون، لهم ترددات إلى مليبار، وكجرات، وكاليكوت وغيرها من البلاد الهندية، ولهم بها مراكز تجارية ودينية، وقد كان لكثير من العلويين رباطات مفتوحة لطالبي العلم، وكانت السفن تذهب من ساحل حضرموت قاصدة إلى مليبار، ثم تأخذ شرقاً إلى السواحل الهندية ومنها إلى سومطرا، وبلاد آتشيه، ومنها فليمباغ فإلى جاوه»^(٢).

وذكر محمد ضياء شهاب^(٣) في تعليقاته على المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى أن هناك أبحاثاً تدل على أثر أسرة زين العابدين بن شيخ العيدروس في ترنقانو، حيث يوجد ضريح لأحد أعضاء هذه الأسرة في جابانغ تيكا القريبة من ترنقانو هو ضريح محمد مصطفى العيدروس المتوفى عام ١٢٠٧هـ أو ١٢٠٩هـ وهو الملقب (تكومقام لام)^(٤).

(١) انظر: المصدر السابق (ص ٦٣).

(٢) حاضر العالم الإسلامي: لوثرروب ستورد - شكيب أرسلان (١٧٥/٣). وانظر: أشراف حضرموت ودورهم في نشر الإسلام بجنوب شرق آسيا، لمحمد حسن العيدروس (ص ٣٨، ٣٩ - ٤٠). وانظر أسماء العائلات العلوية التي هاجرت لبلاد الهند وجنوب شرق آسيا تعليقات ابن شهاب على كتاب: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى، لعلوي بن طاهر الحداد (ص ١٣١)، ترتيب وتحقيق وتعليق محمد ضياء شهاب.

(٣) هو محمد ضياء بن علي بن محمد بن عبد الله بن شهاب الدين. عمل في التحرير بجريدة حضرموت التي كانت تصدر بسورابايا عاصمة جاوة الشرقية. وعمل في مجال الصحافة والإعلام مدة طويلة في وظائف مختلفة، وله مؤلفات كثيرة منها: التعليقات على شمس الظهيرة، والمهاجر أحمد بن عيسى، وتاريخ أندونيسيا وترجم كتباً كثيرة للعربية منها: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، وترجمة مؤلفات بنت الشاطئ وغير ذلك. انظر ترجمته لنفسه في كتابه: التعليقات على شمس الظهيرة (١٧٩ - ١٨٠).

(٤) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص ١٥٤).

كما ذكر أن هذه الأبحاث بينت: «أن ثلاثة إخوة من آل العيدروس سافروا من حضرموت إلى الشرق، فأقام أحدهم في جاوا، والآخر في ترنقانو والثالث في فطاني للتجارة ونشر الإسلام إلى أن قال: وفي هذه الأسرة في عهد سلاطين ترنقانو عدد من العلماء وذوو الرتب المرموقة، ومستشار السلطان هو السيد العالم مصطفى عضو مجلس الشورى، ولهؤلاء صلات بالشعب كصلاتهم بالسلطين لما يتمتع معظمهم بالأخلاق الفاضلة، والنسك، والدعوة إلى الله، والعلوم. وكان الطلبة يتلقون عنهم حتى السلطان نفسه كان من الطلبة»^(١).

وأما بلاد أندونيسيا، فتعتبر البلاد الثانية للحضارمة، حيث كثر فيها المهاجرون من بلاد حضرموت، يقول علي بن عقيل في كتابه (حضرموت) تحت عنوان (الهجرة إلى الهند الشرقية): «أصبحت جاوه وما يجاورها من الجزر، كسومطرا، وسليبي، وبورنيو، وملافا مهجراً ذا مجال حيوي للحضارمة حتى كادت أن تكون وطناً ثانياً لهم، ولعب الحضارمة في تاريخها الديني والسياسي دوراً مهماً خطيراً، فرضوا فيه عليها دينهم، وعاداتهم وما زالت أقدامهم بعيدة راسخة قوية، تملأ سمع تلك الجزر وبصرها»^(٢).

ويقول محمد ضياء شهاب عن دور هؤلاء الصوفية: «كان العلماء يدرسون في أوقات معلومة يومياً في المساجد، أو المصليات، وما زالوا كذلك وهم غالباً صوفية، والأهالي يميلون إلى مثل هؤلاء العلماء فلمهم مقام محترم في المجتمع في ملايا، وسومطرا، وجاوا وغيرها»^(٣).

وقد نشط العلويون في أندونيسيا وكونوا ما يسمى بالرابطة العلوية فنشروا الخرافات هناك، وقد تصدى لها مجموعة من رجال حضرموت، أصحاب العقيدة الصحيحة الذين حاربوا خرافات العلويين التي نشروها في

(١) المصدر السابق (ص ١٥٤).

(٢) حضرموت، لعلوي بن عقيل (ص ٥٩ - ٦٠).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٣٨).

حضر موت، ثم بعد ذلك في مدن ومناطق أندونيسيا وغيرها، وقد كوّن مجموعة من الدعاة إلى التوحيد في أندونيسيا ما يسمى بـ: «جمعية الإرشاد» ولقبوا بالإرشاديين، وهم من المهاجرين الحضارمة الذين استوطنوا تلك البلاد، حيث قاموا بإصدار عدداً من المجلات والصحف التي تحارب فكر العلويين الداعي إلى نشر الشريكات والبدع والترويج لذلك في بلاد أندونيسيا وما جاورها، وكذا دعوة العلويين للتوسل بالأموات والاستعانة بهم في قضاء الحاجات ودفع الشرور والاعتراف بالكرامات والنذور والأضرحة والقباب وتقبيل الأيدي ومسألة تلقين الميت بعد دفنه، ومسألة التهليل وبعض صنوف الأذكار^(١).

وأسس القوم كذلك جمعية سموها (جمعية خير) ومركزها في بتافيا العاصمة، وبعد سنتين أنشأت هذه الجمعية أول مدرسة لها بأندونيسيا^(٢)، يقول الشيخ عبد العزيز الرشيد^(٣) في كلام له عن العلويين الحضارمة: «كما برز منهم علماء دينيون وسياسيون لعبوا دوراً لا يستهان به في حضرموت وخارجها، وبخاصة في الهند وسنغافورة وجزائر الهند الشرقية (أندونيسيا). وحمل هؤلاء العلويون سلطتهم الروحية والاجتماعية وتقاليدهم معهم إلى المهجر إسوة ببقية الحضارم، فأصبحت لهم السلطة الروحية والمزايا التي كانوا يتمتعون بها في

(١) انظر: بحث مقدم للندوة المنعقدة في جاكرتا - أندونيسيا خلال الفترة من ٢٩ نوفمبر - ١ ديسمبر، ١٩٩٩م، تحت رعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان (الملك عبد العزيز ورعاية الحركة الإسلامية السلفية في أندونيسيا) للدكتور: عمر بن عبد الله بامحسون (ص ١٢).

(٢) الشيخ عبد العزيز الرشيد (سيرة حياته)، د. يعقوب يوسف الحجري: ٢٤٣.

(٣) هو عبد العزيز بن أحمد الرشيد البdach، ولد في الكويت سنة ١٨٨٧م، فالتحق بالكتاتيب، وتعلم الكتابة والحساب، ثم سافر إلى بغداد سنة ١٩١١م للدراسة على علمائها، فدرس على العلامة محمود الألوسي. من مؤلفاته رسالة بعنوان (تحذير المسلمين من اتباع غير المسلمين)، ورسالة (درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص) ورسالة: الدلائل البينات في حكم تعلم اللغات وغيرها. توفي سن ١٩٣٨هـ في مهجره بجواه. انظر: كتاب (الشيخ عبد العزيز الرشيد سيرة حياته)، تأليف: د. يعقوب بن يوسف الحجري. الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مركز البحوث والدراسات الكويتية - الكويت.

حضر موت^(١)»^(٢).

وقام عيدروس بن سالم الجفري^(٣) (ت ١٣٨٤هـ) الذي تفرغ منذ شبابه لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية حيث هاجر إلى أندونيسيا وبنى عدداً من المدارس حيث فتح ٣٦٠ مدرسة، وتخرج الطلاب على يديه وأكملوا من بعده فتح المدارس بأندونيسيا حيث بلغت خمسمائة مدرسة^(٤).

وفي سيلان قام العلويون بدور كبير في نشر طريقتهم الصوفية في تلك البلاد، ومن هؤلاء علوي بن عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٤١هـ) حيث نشر الطريقة العلوية هناك وربط بينها وبين الطريقة القادرية^(٥).

وكان لرحلات القوم أثر بارز في انتشار طريقتهم الصوفية في البلدان التي سافروا إليها لغرض الدعوة، فقد قام علوي المشهور بزيارات للدعوة لطريقتهم الصوفية إلى أفريقيا الشرقية وملايا وأندونيسيا وسيلان^(٦).

وكان لرباط تريم دور في نشر التصوف وذلك في جلب الطلاب من بلدان شتى كبلدان شرق آسيا وشرق أفريقيا فضلاً عن بلدان جنوب جزيرة العرب وغيرها، وكان لهذا الأثر دوره الواضح على أولئك الطلاب الذين يعودون إلى أوطانهم دعاة للتصوف الذي تلقوه في الرباط^(٧).

(١) ومن تلك الامتيازات إطلاق لقب السيد والحبیب علیهم، وتقبيل أيديهم من غيرهم، وعدم تزويجهم لغير العلوي أما رجالهم فيتزوجون ما يشاءون من نساءهم ومن نساء غيرهم لما يرونه من المنزلة العالية - وهي النسب - التي فضلوا بها على غيرهم ويجهلون أو يتجاهلون أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح.

(٢) عبد العزيز الرشيد (سيرة حياته) (ص ٢٤٤).

(٣) هو عیدروس بن سالم بن علوي الجفري العلوي الحضرمي: أديب، ولد بقرية تريس ونشأ بها ثم هاجر إلى أندونيسيا. وتوفي بأحد جزرها وتسمى فالو وذلك سنة ١٣٨٤هـ. انظر: الجامع، لبامطرف (ص ٤٢٧).

(٤) انظر: الجامع، لبامطرف (ص ٤٢٧).

(٥) لوامع النور: ٣٣٤/١.

(٦) الخبايا في الزوايا (ص ٣٩).

(٧) انظر: الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية، لعبد الله بن حسن بلقفيه (ص ٩٦).

كما نشرت صوفية حضرموت تعاليمها في الفلبين والصين الهندية^(١)، حيث وصلوا إلى مراتب عليا في بعض الدول التي هاجروا إليها، فقد تولى عيسى بن محمد بن سميطة العلوي^(٢) منصب مفتي سنغافورا^(٣).

ولا شك أن لهذا أثراً في بث التصوف في صفوف المسلمين هناك، ولا سيما والجهل منتشر في تلك البقاع لقلّة أو لندرة علماء أهل السّنة.

وكان للقوم دور واضح في نشر التصوف في سنغافورة، عن طريق بعض العائلات الحضرمية المستوطنة بها، ومن تلك العائلات التي وجدت لها مكانة اجتماعية وسياسية في تلك البلاد أسرة آل الجنيد العلوية، التي قامت بدور كبير في نشر التصوف هناك، وقد أفرد في ذلك كتاب بعنوان «العقود العسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية»^(٤) - مطبوع - وهو كتاب كبير سرد فيه أفراد العائلة الجنيدية وبيّن أثرهم في البلدان التي هاجروا إليها، سواء بالتدريس أو ببناء المساجد والأربطة والمدارس الإسلامية.

ويوجد بسنغافورة مدارس للعلويين كـ (مدرسة السقاف)، و (مدرسة الجنيد)، والمعارف الإسلامية والدينية^(٥).

ومن آثارهم ما ذكره عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد عن عمر بن علي الجنيد في كلام له عن حياته بسنغافورة: «فألقي عصا التسيار بسنغافورة، وأقام بها علماً من الأعلام وزعيماً من الزعماء ومصلحاً اجتماعياً، ودينياً كبيراً، يحتل مكان الصدارة والزعامة الروحية بكل معناها، له الصيت الذائع، والشهرة

(١) عقود الألماس (ص ٩٨).

(٢) هو عيسى بن محمد بن سميطة، تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، له فتاوى وأبحاث ودراسات، وله كتاب عن الإسلام في سنغافورة، والدعوة وأثرها. انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص ٩٩).

(٣) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص ٩٨)؛ والعقود العسجدية (ص ٥٤٠).

(٤) انظر تلك الآثار: العقود العسجدية (ص ٨١، ١٠٧، ١١٩، ١٢٠، ١٦٧).

(٥) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص ١٠٠).

الضاربة في الملايو (الآن مليسيا) كلها»^(١).

ومن آثارهم بناء القرب على موتاهم في البلدان التي هاجروا إليها، فقد جاء عند ذكر وفاة عمر بن علي بن هارون الجنيد بسنغافورة: «فانتقل إلى جوار ربه، راضياً مرضياً، في شهر محرم الحرام سنة ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م بسنغافورة ودفن بها، وبنيت على قبره قبة كبيرة»^(٢)، وهكذا استمر هذا الأثر لأفراد هذه الأسرة حيث يدفنون موتاهم في هذه القبة التي بنيت على قبر عمر بن علي الجنيد^(٣).

وقام عبد الرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد^(٤) بتأسيس مدرسة في سنغافورة سنة ١٣٤٦هـ، سماها: (مدرسة الجنيد الإسلامية)^(٥). وكذلك وجدت عائلات علوية كثيرة في ماليزيا^(٦) حيث أسست بها (المدرسة العطاسية) في جهور، وتعتبر مدرسة رسمية^(٧)، كما وطد للصوفية في البلاد التي هاجروا إليها علاقاتهم بحكام تلك البلدان، ففي الهند كان السلطان خرم متصلاً بأبي بكر حسين بن عبد الرحمن - من آل أحمد بن الفقيه المقدم -، واتصل بهذا الرجل سلطان بيغافور السلطان محمود شاه بن السلطان عادل شاه، وكذلك فقد كان علي بن علوي بن محمد الحداد مرشداً ومستشاراً للملك عنبر، وكذلك فإن جعفر الصادق بن علي زين العابدين العيدروس^(٨) المتوفى سنة ١٠٦٤هـ في

(١) العقود العسجدية (ص ١٧٥). (٢) المصدر السابق (ص ١٨٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٤٧٥، ٥١٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد، ولد بسنغافورة سنة ١٢٩١هـ، ونشأ بها وأخذ عن مشايخه العلويين، وأسس المدرسة الجنيدية بسنغافورة سنة ١٣٤٦هـ. وكان يتردد بين حضرموت ومهجره. توفي بالمدينة النبوية سنة ١٣٦٩هـ. انظر: العقود العسجدية (ص ٢٦١ - ٣٩١).

(٥) انظر: العقود العسجدية (ص ٢٦٣).

(٦) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص ١٥٧).

(٧) المصدر السابق (ص ١٥٩).

(٨) هو جعفر الصادق بن علي زين العابدين، من صوفية تريم، سافر إلى الهند إلى عمه محمد بن عبد الله العيدروس بمدينة سورت، وقربه سلاطين تلك البلاد، ونشر التصوف في دكن على طريقة أسلافه العلويين. توفي سنة ١٠٦٤هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/ ١١٧ - ١١٨).

دولة أباد قد تصدر للتدريس في دكن ودرس اللغة الفارسية وترجم إليها كتاب العقد النبوي^(١).

وكان له كذلك اتصال بالسلطان برهان نظام شاه حيث أثر عليه بأفكاره الصوفية^(٢).

وقد حكم بعض العلويين الحضارمة جزر القمر، فقاموا بنشر التصوف هناك^(٣)، كما تولى بعضهم رئاسة البرلمان، وبعضهم رئاسة الحكومة وغيرها^(٤).

يقول شكيب أرسلان^(٥): «إن السلاطين الفاتحين لجزيرة مدغشقر (مدغشقر) وجزائر القمر إنما كانوا من السادة العلويين الحسينيين الحضرميين المعروفة أنسابهم وأسماءهم وأخبارهم وأنباؤهم وكذلك الحبشة وزنجبار»^(٦)، كما استوطنت كثير من الأسر العلوية الشرق الأفريقي منها: آل الشاطري، وآل

(١) وهو كتاب كبير يقع في جزئين، ويعد من الكتب المنحرفة حيث شحنته مؤلفه بالتوسلات والاستغاثات الشوكية فهو موضوع الكتاب، فهو عبارة عن شرح أبيات للمؤلف نفسه يتوسل فيها بالنبي ﷺ وبفاطمة وابنيها الحسن والحسين وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وبآل باعلوي، وذكر الفضائل والكرامات لهم، والغلو في الأولياء بإعطائهم صفات الرب تعالى، والكتاب تنداوله صوفية حضرموت إلى يومنا هذا. انظر: على سبيل المثال بعض هذه الانحرافات في الكتاب المذكور (١/١٩٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٩٦، ٤٣١).

(٢) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص ١٣٠). انظر أسماء العائلات المهاجرة لبلاد الهند: المصدر السابق (ص ١٣٠ - ١٣١)؛ وانظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/١١٧).

(٣) انظر: الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا، تأليف: ر. هارتمان (ص ٢٠)، ترجمة د. برهان شاوي، مراجعة وتقديم: د. أحمد بن عبد الرحمن السقاف.

(٤) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص ١٧٣).

(٥) هو شكيب بن حمود بن يونس أرسلان. كاتب، شاعر، مؤرخ، سياسي. ولد بأشوفيات بليمان سنة ١٢٨٦هـ ونشأ بها. لازم محمد عبده المصري وغيره. من تصانيفه: الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية، والقول الفصل في رد العامي إلى الأصل، وديوان شعر. توفي ببيروت سنة ١٣٦٦هـ. انظر: معجم المؤلفين، لكحالة (١/٨١٨ - ٨١٩).

(٦) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٣/١٥٧ - ١٨٣).

السقاف، وآل جمل الليل، وآل بافقيه، وآل خرد، وآل بعبود، وآل بن سميث وغيرهم وكان لنشاطهم الديني بالغ الأثر في كل أنحاء الشرق الأفريقي وتذكر المصادر التاريخية أن أربعين داعية منهم وصلوا إلى ميناء بربرة بالصومال عام ٨٣٥هـ ثم تفرقوا في إقليم الصومال والحبشة لنشر الدعوة وكان منهم الشيخ علي أبو زرباي المتوفى بهر من بلاد أفريقيا، وقبره معروف بها إلى اليوم^(١)، وكان قد مهد لانتشار صيت العلويين في أفريقيا منذ قرون زيارة أبي بكر بن عبد الله العيدروس (ت ٩١٤هـ) لمدينة زَيْلَع^(٢)، وهكذا استمرت هجرة العلويين في القرون التالية، خصوصاً إلى كينيا، وأوغندا، وتنزانيا ومن أبرز دعائهم المتأخرين أحمد مشهور بن طه الحداد^(٤) (ت ١٤١٦هـ)^(٥).

وقد وجد دعاة كثيرون من الحضارمة وغالبهم من العلويين قاموا بالدعوة في أفريقيا الشرقية وأدخلوا التصوف لتلك البلدان^(٦).

وفي كينيا وعلى ساحلها لأمو خرج إليه دعاة من صوفية حضرموت وبنوا بها معهداً سموه (الرياض)^(٧) ويأتيه الطلاب من أنحاء أفريقيا الشرقية^(٨).

- (١) الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا (ص ٢١ - ٢٢).
- (٢) زَيْلَع: جزيرة في البحر ما بين أرض اليمن وبلاد الحبشة ينسب إليها جماعة من العلماء منهم الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي صاحب اللحية. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري (٢/٤٠٠).
- (٣) انظر: تاريخ النور السافر (ص ٧٩ - ٨٠).
- (٤) هو أحمد مشهور بن طه الحداد، من دعاة صوفية حضرموت في القرن الخامس عشر، ولد بمدينة قيدون في حضرموت، عام ١٣٢٩هـ ونشأ بها، وهاجر في شبابه إلى جاوه بأندونيسيا، ثم عاد إلى بلاده، وهاجر ثانية إلى شرق أفريقيا للدعوة، واستقر بكينيا. من مؤلفاته: مفتاح الجنة، والسبحة الثمينة في نظم مسائل السفينة وله ديوان. توفي سنة ١٤١٦هـ ودفن بمكة. انظر ترجمته: المقدمة التي كتبها ابنه محمد على كتاب مفتاح الجنة؛ وقبسات النور لأبي بكر المشهور (ص ١٧٨ - ١٨٢).
- (٥) الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من أفريقيا (ص ٢٣). وانظر أثرهم في كينيا: مجلة أنوار التلاقي، العدد: ٧، السنة الثالثة، جمادى الأول ١٤٢٠هـ، (ص ٨).
- (٦) انظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص ١٧١ - ١٧٢).
- (٧) نسبة لمسجد الرياض في سيئون بحضرموت، يقوم المتصوفة بنشر البدع والمخالفات فيه، ويلاحظ على القوم شدة تمسكهم بآثار سلفهم حتى في تسمية أماكنهم ومعاهدهم ونحوها الداعية لتعظيم تلك الآثار.
- (٨) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى (ص ١٧٤).

وقد نشرت جريدة المدينة مقالاً عن هجرة العرب الحضارمة إلى الساحل الشرقي الأفريقي يتحدث عن الأثر الديني للحضارمة جاء فيه: «ولكنهم لعبوا دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية وقاموا بتدريس الدين فأنشأوا المدارس الدينية، وتمكنوا من تحويل معظم الساحل من المذهب الإباضي إلى المذهب السني^(١)... أما في شمال كينيا وفي منطقة لامو بالتحديد حيث يغلب التعليم الديني التقليدي وسيطر على المجتمع مجموعة الأشراف (السادة) فقد فشلت في المحاولات في فتح مدرسة حديثة في الفترة ١٩٢٨ - ١٩٣١م»^(٢).

ومما تقدم يتضح أن الصوفية قد وجدت بأرض حضرموت كمنهج له طريقته وطقوسه منذ قدوم العلويين إليها الذين سعوا للحصول على المكانة الروحية والزعامة التي فقدوها في العراق، فكانت حضرموت أرضاً خصبة لوضع هذه البذرة، والأمل في حصول ثمارها في مجتمع ساهه الجهل، والظروف التي مرت عليه من قبل الدول المختلفة المتنازعة، مع ما بثه القوم من ترويجهم لمسألة النسب لكي يلتف الناس حول سلالة رسول الله ﷺ، وكذا دعوتهم للسلم حيث يدندنون على كسر جدهم محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم سيفه إعلاناً للسلم، وكذلك ما يروجونه من الدعوة للزهد، والآن يدعون الوسطية والاعتدال^(٣) والدعوة إلى الأخلاق ومد اليد للجميع من أجل التسامح المزعوم مع جميع الطوائف والفرق إلى غير ذلك من العبارات التي لا تنطلي إلا على من لا يعرف حقيقة مذهبهم.

(١) والمذهب السني الذي يذكر عن الحضارمة المهاجرين غير صحيح، فالقوم يأخذون بمذهب الإمام الشافعي رحمه الله في الفقه أما في الاعتقاد فهم على المذهب الأشعري في نفي الصفات والتأويل والتفويض وغير ذلك، وهم كذلك صوفية في طريقتهم وسلوكهم، فلا يغتر بما يذكره بعض المؤرخين والكتاب بأن مذهبهم سني فهم كما ذكرت.

(٢) جريدة المدينة في عددها ٤٣١٧ السنة ٤١ بتاريخ، ٩ رجب ١٣٩٨هـ. وانظر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى (ص ١٧٦).

(٣) ولابن حفيظ محاضرة في هذا بعنوان (الوسطية في الإسلام). انظر: مجلة أنوار التلاقي: العدد ٣٤، جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤٢٤هـ، (ص ٤٠).

ويحاول القوم بدندنتهم حول كلمة الاعتدال تبرئة سلفهم من مذهب الإمامية الطموح للسيطرة والزعامة الدينية، باسم أهل البيت حتى قال الشاطري عن جدهم أحمد بن عيسى المهاجر - المعروف بإماميته - بأن مذهب شافعي سني، وجعل تشيعه كالشافعي الذي وجد في نشره ونظمه تشيعاً معتدلاً لأهل البيت وهذا لا يخرجهم عن سنيته^(١).

هكذا يستعمل القوم هذه الأساليب لترويج مذهبهم ومذهب آبائهم وذلك بربطه بالحق تارة، وبأهل الحق تارة أخرى، فيتحيلون على الناس بهذه الأكاذيب، وهذه الحيل في الحقيقة لا تجدي شيئاً فقد قيل: من عاش في الحيلة مات فقيراً.

ولا يفهم من انتشار القوم وكثرتهم في بعض الجهات الحضرمية أو في غيرها إنهم المسيطرون على الوضع، بل ولا هم الأغلبية؛ فإن أهل السنة - والله الحمد - منتشرون في أكثر مناطق حضرموت، وخارجها، بل إنهم أكثر عدداً، وعدة؛ إذ عدتهم العلم الشرعي، وكذلك فإن كثيراً من العوام والمغمر بهم قد عادوا إلى السنة وتركوا ما كانوا عليه من البدع والخرافات.

(١) أدوار التاريخ الحضرمي (١/١٦٠). وقول الشاطري بتشيع الإمام الشافعي لأهل البيت - كما يصوره الشاطري - كلام غير صحيح، ولم يذكر أي دليل على ما ادعاه، وهذا دأبهم، يطلقون العبارات ولا يلتزموا بالآراء، وهدفهم في ذلك نشر بدعهم ومخالفاتهم، ولو بالكذب على الأئمة الثقات، بل قد كذب بعض أوليائهم ومشايخهم على الله تعالى وعلى رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - كما سيأتي في مباحث الرسالة - إن شاء الله تعالى - فكذبهم على أئمة الهدى الذين عن سنة المصطفى - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - كالإمام الشافعي وغيره من الأئمة أمر لا يستغرب من صوفية حضرموت، لأن دين متصوفة حضرموت قائم على الكذب حيث بنوه على: تقرير الكرامات والأساطير الخيالية، والغلو في أوليائهم ومشايخهم حتى أعطوهم صفات الرب تعالى، فعبدهم من دون الله تعالى - وإن لم يسموا ذلك عبادة -، وعمدوا إلى تفسير النصوص بأهوائهم، والقول على الله تعالى بلا علم فأبى كذب بعد ذلك أعظم من هذا الافتراء؟ - والله المستعان -.

بل إن مدينة تريم التي تعد أكبر مركز لتجمع الصوفية منذ ظهورها يوجد بها عدد كثير من أهل السنة، بل ولهم أكثر من مسجد يدرسون فيه، ويأتيهم أهل العلم من مختلف الأماكن لإقامة المحاضرات، وبيان العقيدة الصحيحة - كثرهم الله وبارك فيهم.

الباب الثاني

أبرز عقائد الصوفية في حضرموت ومناقشتهم فيها وبيان أثرها

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: مصادر التلقي عند صوفية حضرموت
ومناقشتهم فيها.

الفصل الثاني: قولهم في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء
والصفات ومناقشتهم فيه.

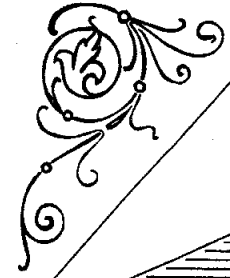
الفصل الثالث: قولهم في توحيد الألوهية ومناقشتهم فيه.

الفصل الرابع: قولهم في النبوة ومناقشتهم فيه.

الفصل الخامس: قولهم في القدر ومناقشتهم فيه.

الفصل السادس: قولهم في اليوم الآخر ومناقشتهم فيه.

الفصل السابع: أثر الصوفية في حضرموت وجهود أهل
العلم وبعض الولاة في مواجهة الآثار السلبية
لصوفية حضرموت.



الفصل الأول

مصادر التلقي عند صوفية حضرموت ومناقشتهم فيها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منزلة الكتاب والسنة في الاستدلال عندهم.

المبحث الثاني: الكشف.

المبحث الثالث: الرؤى والمنامات.

المبحث الرابع: الكتب المعتمدة في التلقي عند صوفية حضرموت.

تمهيد

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة:

والمقصود من مصادر التلقي الطريق الذي يؤخذ منه الدين، وتلقي العلم معناه استقباله وأخذه بحرص^(١)، وليس للمسلم سوى الأخذ بالكتاب والسنة^{(٢)(٣)} دون ما سواها، والإجماع في العقيدة يكون على فهم النص على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لا كإجماع الأصوليين.

وأما القياس الأصولي^(٤) فلا يصح في مسائل الاعتقاد. والقياس المستعمل في العقيدة إنما هو قياس الأولى^(٥)، لا القياس الأصولي

(١) معجم لغة الفقهاء، للدكتور: محمد رواس قلعة جي (ص ١٢٤).

(٢) الكتاب هو القرآن العظيم الذي أنزل على محمد ﷺ. وأما السنة فقد كثرت تعريفاتها عند الفقهاء والمحدثين والأصوليين، ولعل أجمع تعريف لها ما عرفها به المحدثون بأنها: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة. انظر: قواعد التحديث، للقاسمي (ص ٣٥ - ٣٨)؛ وتوجيه النظر، لطاهر الجزائري (ص ٢).

(٣) عرف الأصوليون الإجماع أنه: اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور. انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (ص ٧١)؛ وحاشية المحلي على جمع الجوامع (١٧٦/٢) مطبوع بهامش تقرير الشيخ عبد الرحمن الشريبي.

(٤) القياس عند الأصوليين هو (رد الفرع إلى أصل بعلة جامعة بينهما). أي أن القياس طريقة في الاستدلال عند الأصوليين بأن يستدل المجتهد بعلة الحكم الثابت بالنص أو الإجماع على حكم أمر غير معلوم الحكم، فيلحق الأمر المسكوت في الشرع عن حكمه، بالحكم المنصوص على حكمه، إذا اشتركا في علة الحكم. رسالة في أصول الفقه، للعلامة الحسن بن شهاب الحسن العكبري الحنبلي (ت ٤٢٨هـ) (ص ٦٥). وانظر: الواضح في أصول الفقه، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر (ص ٢١٤).

(٥) قياس الأولى هو (كل كمال لا نقص فيه بوجه فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه). تيسير العزيز الحميد (ص ٥١٠)، ط ٣، وانظر: شرح الأصفهانية (ص ٧٤)، ط ١؛ والصواعق المرسله، لابن القيم (٣/ ١٠٣٠ - ١٠٣٢)، ط ١.

والمنطقي^(١)، والعقل والفطرة هي آلات التلقي وخطابات الكتاب والسنة متوجهة إليها.

وقد جاءت النصوص الكثيرة التي تبين أن المسلم ملزم بالأخذ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن النصوص التي تأمر بمتابعة النبي الكريم ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحجرات: ١].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وأمرنا تعالى بالتحاكم إلى كتابه فقال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُذَكِّرَ بِهِ مِمَّن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فكل من بلغه هذا القرآن فقد أُنذر به وقامت عليه حجة الله به»^(٢).

والسنة كذلك حجة فهي وحي من الله تعالى كما دلَّ على ذلك القرآن الكريم، يقول تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]. وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» الحديث^(٣).

وقال ﷺ: «نُصِّرَ الله امرءاً سمع منا شيئاً، فبلغه كما سمع، فرب مُبْلَغٌ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧). (٢) الصواعق المرسله (٢/ ٧٣٥)، ط ٣.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٣)، ط دار صادر - بيروت، وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، (ص ٥٠٣) برقم (٤٦٠٤)؛ وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٧ - ٥٨) ط ٢؛ وصحيح الجامع (٢/ ٣٧٥) برقم (٢٦٤٠)، ط ٤.

أوعى من سامع»^(١).

يقول الإمام الشافعي عن هذا الحديث: «فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها، وأدائها امرأاً يؤديها، والأمرؤ واحد: دلّ على أنه لا يأمر، أن يؤدى عنه، إلا ما تقوم به الحجة على من أدّى إليه؛ لأنه إنما يؤدى عنه حلال، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَا مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سُنَّة رسول الله.

وهذا يشبه ما قال، والله أعلم؛ لأن القرآن ذكر وأُتبعته الحكمة. وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز - والله أعلم - أن يقال: الحكمة، ها هنا إلا سُنَّة رسول الله»^(٣).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن تدبر كلامه الذي تكلم به والقرآن الذي بلغه عن الله وأخبر أن الله تكلم به وجد التفاضل بين كلامه هو

(١) رواه أحمد في المسند (٩٦/٦)، ط ٣ ١٣٧٤هـ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف - مصر. والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (ص ٤٣٠) برقم (٢٦٥٧)، ورواه بنحوه ابن ماجه في سننه: كتاب المقدمة، باب من بلغ علماً، (ص ٤٠) برقم (٢٣٢). والحديث له عدة طرق عن عدة من الصحابة، وقد ورد الحديث بروايات مختصرة ومطولة، وقد جمع العلامة عبد المحسن بن حمد العباد طرق الحديث وتوسع في الكلام عن هذا الحديث رواية ودراية في جزء مستقل بعنوان (دراسة حديث: نضر الله امرأ سمع مقالتي... رواية ودراية) وقد طبع بمطابع الرشيد بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

(٢) الرسالة (ص ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٣) الرسالة، للإمام الشافعي (ص ٧٨). المكتبة العلمية - بيروت، بدون تاريخ..

وكلام غيره من البشر ثم من المعلوم بالاضطرار من حاله أنه كان أحرص الناس على هدى أمته وتعليمهم والبيان لهم فاجتمع في حقه كمال القدرة وكمال الداعي وكمال العلم، فهو أعلم الناس بما يدعو إليه وأقدرهم على أسباب الدعوة وأعظمهم رغبة وأتمهم نصيحة فإذا كان من هو دونه بمراتب لا تحصى في كل صفة من هذه الصفات قد بين مراده بلفظه كان هو صلوات الله وسلامه عليه أحق وأولى من كل وجه»^(١). ويقول رحمه الله: «فلو كان كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين والعلم والعقل معارض له، فأى حجة تكون قد قامت على المكلفين بالكتاب والرسول، وهل هذا القول إلا مناقض لإقامة حجة الله بكتابه من كل وجه»^(٢).

فهذه بعض الأدلة على حجية الكتاب والسنة، وبيان وجوب الانقياد لهما دون ما سواهما من المصادر المبتدعة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «العلم أعم مما يدرك بالعقل والسمع والفطرة وأخص منه الهدى الذي لا يدرك إلا من جهة الرسل، وأخص منه الكتاب الذي أنزله الله على رسوله فإن الهدى قد يكون كتاباً وقد يكون سُنَّة»^(٣).

وأما الإجماع فقد دلّ عليه الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّاهُ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقد استدلل الإمام الشافعي بهذه الآية على كون الإجماع حجة، ووجه الاستدلال بهذه الآية أنه تعالى جمع بين مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين مباح، فثبت أن متبع غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى تخالف قولهم، أو فتواهم، وإذا كانت تلك محظورة وجب أن تكون متابعة

(١) الصواعق المرسلة (٢/٦٥٢)، ط ٣.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (١/٧٦)، ط ١٤٠٥هـ، دار الندوة الجديدة - بيروت.

(٣) الصواعق المرسلة (٣/١٠٨٧).

قولهم وفتواهم واجبة^(١). وكذلك دل على حجية الإجماع ما جاء في الأحاديث من عصمة اجتماع أمة محمد ﷺ على ضلالة كقوله ﷺ: «إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة»^(٢).

وقد خالفت صوفية حضرموت سبيل الحق والهدى فاعتمدت مصادر مبتدعة قدمتها على نصوص الشرع سواء ابتداء، أو عند وهم التعارض، سالكين مسالك أهل البدع في تقديم الآراء والأهواء على نصوص الوحي وإيهام الناس بعبارات براقية - لا حقيقة تحتها - أن علومهم مقيدة بالكتاب والسنة، والواقع يُكذِّب ذلك، كما سيأتي من نصوصهم الدالة على ما قلناه، بل زعموا استغناؤهم عن الأخذ بالسنة لأن ذلك أخذ هالك عن هالك، بينما هم يأخذون مباشرة عن الحي الذي لا يموت^(٣): «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» [الكهف: ٥].

فدين الصوفية قائم على الجهل بشرع الله تعالى، فلا يستغرب تخبط القوم في مصادر تلقي الشرع، وتلقيهم من غير الكتاب والسنة كما سيأتي في مباحث هذا الفصل - إن شاء الله تعالى -.

(١) انظر: الإبهاج شرح المنهاج على منهاج الوصول في معرفة إلى علم الأصول، للفاضل البيضاوي، تأليف: علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (٣٩٤/٢)؛ وإرشاد الفحول (ص ٧٤).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٨٨/١) برقم (٨٣)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، تحقيق: د. فيصل الجوابرة، ط دار الصميعي - الرياض. وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لطرق الحديث: «فالحديث بمجموع هذه الطرق حسن». السلسلة الصحيحة (٣/٣١٩ - ٣٢٠) برقم (١٣٣١)، ط ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف - الرياض. وانظر كلام الإمام الشافعي في حجية الإجماع: الرسالة (ص ٤٧٥ - ٤٧٦).

(٣) انظر: كتاب الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/٦٢).

المبحث الأول

منزلة الكتاب والسنة في الاستدلال عندهم

تمهيد

الكتاب والسنة هما المصدران الرئيسان للذان عول عليهما السلف ومن جاء بعدهم ولزم طريقهم ممن أراد الله به الخير في الدنيا والآخرة، بخلاف أهل الأهواء البدع الذين جعلوا النصوص الشرعية وراءهم ظهيراً، ومن أولئك المخالفين صوفية حضرموت حيث لم يلتزموا بالنصوص الشرعية وما دلت عليه، فلم يعرفوا منها سوى التبرك بذكرها تارة، وتأويلها لتتفق مع باطلهم، أو تفسيرها تفسيراً غريباً لم يعرفه سلف الأمة وأئمتها، بل وقد يفسرون النصوص تفسيرات باطنية اقتداء بفرق الباطنية^(١) الضلال ومن سلك سبيلهم من أهل البدع والضلالات، كما ستأتي نصوصهم في ذلك.

ومنهج صوفية حضرموت في الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة كسائر أهل البدع وفرق الضلال منهج مخالف لمنهج السلف الصالح: «فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإذا استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرّفوه بالتأويلات البعيدة

(١) الباطنية: لقب عام تندرج تحته طوائف عديدة تجتمع في تأويل النصوص وأن لها معان باطنة، ويستعملون الرموز والإشارات في ذلك، مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية. وهم يسمون الإسماعيلية والخرمية، والبابكية والسبعية، والتعليمية وغير ذلك. يقول الشهرستاني: «وأشهر ألقابهم الباطنية وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلاً». الملل والنحل، للشهرستاني (١/١٩٢). تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط ١٤٠٤هـ، دار المعرفة - بيروت. وانظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، لمحمد أحمد الجيلي (ص ٢٦٥ الحاشية)، ط ١٤٠٨هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.

والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم»^(١).

بخلاف أهل السنة والجماعة الذين جعلوا: «الكتاب والسنة أمامهم، وطلبوا الدين من قبيلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق»^(٢).

وسأبين في هذا المبحث منزلة الاستدلال بالكتاب والسنة عند صوفية حضرموت ومنهجهم المخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك، مدلاً على ذلك بأقوال علمائهم.

المطلب الأول *

دعوى التلقي عن الله تعالى مباشرة

لم تسلك صوفية حضرموت مسلك سلف الأمة في تلقي علوم الشرع، وابتعدوا عن المذهب النقي، فاعتمدوا مسالك ومشارب مخالفة للحق، بل بلغ بهم الانحراف إلى تركهم التلقي من الكتاب والسنة، وادعوا الأخذ مباشرة من رب العزة جل وعلا، وقد قرر هذه العقيدة المنحرفة كبار علمائهم كأبي بكر بن سالم العلوي - الملقب عندهم بفخر الوجود - فقد جاء في كتاب (الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر) أنه قال: «ونحن نقول والله أعلم: علمنا من قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وهم أخذوا العلم ميتاً عن ميت

(١) الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني النيمي (٢/٢٢٤). تحقيق: محمد أبو رحيم.

(٢) المصدر السابق.

... ونحن أخذنا علمنا من الله ﷻ الحي الذي لا يموت»^(١).

هكذا يقرر هذا الرجل هذه العقيدة، متنقصاً علم الإسناد، الذي قال فيه ابن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»^(٢)، ويظن القوم أنهم بذلك قد بلغوا الغاية التي لم يبلغها سلف الأمة، وهو أخذهم عن الله تعالى مباشرة، والاستشهاد بالآية في تقرير العلم اللدني عند الصوفية استشهاد باطل، فهذه الآية في قصة الخضر، وقد كان عبداً صالحاً أوحى الله تعالى إليه فعل تلك الأمور المذكورة في سورة الكهف من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار.

وقد اتبع موسى ﷺ الخضر في هذا العلم الذي أعطاه الله تعالى للخضر ﷺ^(٣).

ثم إن الآية لا تدل على قصدهم فقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِزِّنَا وَعِلْمَةً مِّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

فمن هذه النصوص يتضح أن العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى للخضر ﷺ من رحمة الله تعالى وفضله لهذا العبد الصالح، وهو علم من عند الله، فهل يزعم صوفية حضرموت أنه يوحى إليهم، وتحصيلهم العلوم كالعلم الذي أعطاه الله للخضر ﷺ؟

ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في (كتاب تذكير الناس): «وسئل أحمد الرملي عن مسألة وهو راكب على بغلته، فأطرق، وطأ رأسه إلى الأرض والتفت يمنة ويسرة ثم رفع رأسه وأجاب السائل. فسأله ذلك السائل عما صنع، فقال له: إنك لما سألتني لم يكن لي علم بها، فتصفحت كتب المشرق والمغرب فلم أظفر بها ثم نظرت اللوح المحفوظ فلم أجدها، ثم أخبرني قلبي عن ربي، أو قال نزل بها ملك»^(٤).

(١) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر: (١/٦٢).

(٢) مقدمة صحيح الإمام مسلم (ص ٢٥) برقم (٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/١٠٧ - ١٠٨)، ط مكتبة دار السلام.

(٤) تذكير الناس (ص ٢٥).

هكذا ينقل القوم هذا الكلام عن الرملي، وينسبونه إليه - والله اعلم - هل قال ذلك أم لا؟ والذي يهمننا هو تقرير القوم لمثل هذا الاعتقاد المنحرف، حيث يرون أن بعضهم يتلقى الفتوى عما يسأل عنه إما بالنظر إلى اللوح المحفوظ، أو تحديث قلوبهم عن الله تعالى مباشرة، أو قد ينزل ملك بالجواب عن تلك المسألة.

والشاهد قوله: أخبرني قلبي عن ربي.

بل يتمادون في غيهم ويذهبون إلى أكثر من ذلك حتى يعتقدوا منازل الله لهم وكلامه لهم وهم في الدنيا - تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً -.

فقد جاء في كتاب (تذكير الناس): عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر^(١) وذكر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوة يعين له فيها مجلساً خاصاً، ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه؛ فوجده مالي الخلوة فرجع ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه وسأله عن حاله تلك، فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتم من الدخول علي؟ فقال له: قد وقعنا فيها، وأخبرني بما جرى لك فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك علي ما شئت فقلت: يا رب أسألك أن تشفعني في أهل بيتي فقال: شفعتك فيهم فقلت: يا رب لي أصحاب وأحباب متعلقون بي أسألك أن تشفعني فيهم فقال: شفعتك فيهم فقلت له: ومن يحضر مجالسي من أهل البلد ونواحيها فقال: قد شفعتك فيهم فقلت له: وأهل حضرموت ومن سمع بي واعتقد فيّ فقال: قد شفعتك فيهم فقلت: يا رب ولم لا تشفعني في أهل عصري كلهم؟ فقال: قد شفعتك فيهم»^(٢).

(١) هو عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي: ولد بمدينة تريم سنة ١١٩١هـ ورحل إلى الحجاز ثم عاد إلى حضرموت واشتغل بالإصلاح الاجتماعي من مؤلفاته: سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق في الفقه وغيره، وصلة الأهل والأقربين بتعلم الدين. توفي سنة ١٢٧٢هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٦٢/٣ - ١٧١)؛ وعقد اليواقيت (١٠٢/١).

(٢) تذكير الناس (ص ٢١٧). وانظر دعواهم التلقي من فوق (أي من الله تعالى مباشرة): الجوهر الشفاف (١٨٨/٢). وكذا زعمهم التلقي بالإشارة عن الله تعالى: تاريخ الحامد (ص ٧٩٠).

وذكر هذا الكلام فقط يبين ضلال قائله ويبعده عن الحق والهدى، وضلال من أقر مثل هذا الكلام المنحرف ولكن القوم ألغوا عقولهم فدونا مثل هذه الخرافات في كتبهم، وجعلوها من المناقب التي يفتخرون بها. وادعوا تلقيهم من اللوح المحفوظ مباشرة^(١) لاستغنائهم عن طريق المسلمين الذي يتلقون منه دينهم وهو الكتاب والسنة.

المطلب الثاني

طرق القوم في تفسير النصوص الشرعية

لم يعول القوم على كتب السلف، ولا سيما كتب علماء التفسير وشرّاح الحديث الذين نقلوا التفسير الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، وإنما سلكوا طرقاً مبتدعة في تفسير بعض النصوص الشرعية، بما يوافق اعتقادهم، واستعمال لغة الإشارات التي يتداولونها دون الناس على طريقة الباطنية الذي يبدو أثرها واضحاً في منهج الصوفية في حضرموت؛ وذلك في تفسيرهم للنصوص بأهوائهم دون الرجوع لمذهب السلف الصالح.

أ - التفسير الباطني عند صوفية حضرموت:

من نصوص صوفية حضرموت التي تدل على استعمالهم التفسير الباطني في مؤلفاتهم ما ذكره أبو بكر بن سالم العلوي الذي سلك مسلك الباطنية في تفسير أمور الغيب، وأمور الآخرة، وكذا بعض أحكام القرآن الكريم، حيث جاء في كتاب (الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر) تحت عنوان: (كثيب^(٢) الشيخ أبي بكر بعينات): اسم الكثيب عرف من عهد صاحب الترجمة أطلق عليه الاسم ونوّه به الشعراء، قال الإمام العلامة المحقق الحبيب علي بن محمد الحبشي: لما قربت وفاة الشيخ أبي بكر أخذه السيد يوسف بن

(١) انظر: مبحث قولهم في اللوح المحفوظ (ص ٧٠٣) من هذا البحث.

(٢) - الكثيب هو التل من الرمل. القاموس المحيط (ص ١٢٩ مادة الكشب).

عابد المغربي^(١) وطرح رأسه على فخذه وجعل يكرر هذه الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. بغا^(٢) الشيخ يقول: زوجها كما يعني بها خلافته فقال له: يا يوسف لي معك مناً يكفيك بأننا سِرْنَا ما عاد بانخرج به عرض^(٣) عينات إذا ما لحقنا حد متأهل^(٤) من أولادنا بانطرحه في كتيب عينات. انتهى كلام الحبيب علي وقد أشاد الشعراء به وهو ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعقدة، وقد جرب وشوهد وتجربته أكبر برهان^(٥).

هكذا يفسر الآية بالخلافة التي يخلفها هذا الشيخ للمغربي. وفيه بيان سلوك القوم لطريقة الباطنية، حيث أن هناك سرأ يكتمه أبو بكر بن سالم على الناس استدلال عليه بالآية الكريمة، وهذا السر لا يعرفه إلا خواص تلاميذه. هذه هي طريقتهم في استخدام لغة الرموز والإشارات والأسرار ولا يظهرونها للناس، وإلا فالدين لا بد من إظهاره ونشره بين الناس ليعم الخير ولا تبرى عهدة العالم إلا بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ لَئِنَّ آيَاتِنَا فِي الْكِتَابِ لَأُوتِيَنَّكَ اللَّهُ وَلَيُعْذِبُنَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»^(٦).

(١) هو يوسف بن عابد الفاسي المغربي، من أهل المغرب، ولد ببلدة الفيضية - بالفاء أو الغين - بالمغرب، من بلاد أنقاد الواقعة بين فاس وتلمسان، رحل إلى مكة ومنها توجه إلى حضرموت للأخذ عن صوفيتها ومنهم أبي بكر بن سالم - صاحب عينات - المتوفى سنة ٩٩٢هـ. من مؤلفاته: رحلة الشيخ يوسف بن عابد. عاش أغلب حياته بمدينة مريمة بحضرموت حتى توفي بها سنة ١٠٤٤هـ. انظر: جواهر تاريخ الأحقاف (٢/٢١٧)؛ وإدام القوات (ص ٧٥٢) الحاشية. ط المنهاج.

(٢) أي أراد.

(٣) بمعنى جهة.

(٤) حد بمعنى أحد، حيث تحذف الهمزة في لهجة أهل حضرموت، ومعنى الكلام: إذا لحقنا معه أهله سوف نضعه في كتيب عينات.

(٥) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر (١/١١٧).

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٩٥)؛ وأبو داود في سننه: كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، (ص ٤٠٤) برقم (٣٦٥٨)؛ والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، (ص ٤٢٩) برقم (٢٦٤٩)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب =

ثم إن تفسير الآية بما ذكره هذا الرجل قول على الله تعالى بلا علم، وهو من أعظم المحرمات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وأما تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ فقد ذكر أهل التفسير أن معنى الآية: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ يقول: زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه^(١).

ويتبين بذلك أن للقوم منهج مبتدع في تفسير وتوضيح النصوص الشرعية، فهم لا يعولون على تفسير علماء السلف الصالح - كما أسلفنا - وإنما يعولون على تفسير سلفهم من العلويين أو من بقية مشايخ الصوفية وهذا من أسباب انحرافهم في هذا الباب وفي كثير من أبواب الاعتقاد.

يقول علي بن أبي بكر السكران: «قال الله تعالى: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]. ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى الفناء إشارة إلى البقاء، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إشارة إلى الصحو بعد المحو^(٢) (٣).

هذا هو التفسير الباطني، لا تفسير السلف الصالح، أما التفسير الصحيح للآية فهو تفسير أهل العلم والهدى، يقول العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من الأقدار، ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ ما يشاء

= المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، (ص ٤٤) برقم (٢٦٤، ٢٦٦). وانظر: حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة، للشيخ الألباني (ص ٥).

(١) جامع البيان (١٩/٢٢).

(٢) انظر معنى الفناء (ص ٨٦٨ وما بعدها) من هذا البحث، وأما معنى البقاء عند الصوفية هو: أن يفنى العبد عما له ويبقى بما لله، والباقي هو العبد تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً. انظر: المعجم الصوفي، للحنفي (ص ٤٤ - ٤٥). والصحو: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد الغيبة، وعكسه السكر وهو غيبة بوارد قوي انظر: المصدر السابق (ص ١٤٣).

(٣) العقد النبوي (١/٣٠٢ - ٣٠٣).

منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير؛ لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسباباً، ولمحوها أسباباً، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سبباً لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سبباً للسلامة، وجعل التعرض لذلك سبباً للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ^(١).

وجاء في كتاب (العقد النبوي) عند تفسير علي بن أبي بكر لبعض الآيات القرآنية: «والنفس إذا صفت استحالت صفاتها وهي الأمانة والسؤال واللومة إلى صفة المظمتة فهنا تضحل رسوم الخيالات بالإشارات، وتنظمس البدايات في النهايات وهذا هو الموت الحقيقي لا موت الكفن واللحد، فإن هذا الموت موت مجازي؛ لأن بعده حياة، وأما موت نفوس العشاق في الدنيا وهو قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]^(٢).

ويقول أحمد بن حسن العطاس: «وأهل الإشارة يقولون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: ١٤٩]؛ أي: من عالم كان؛ لأن العوالم كثيرة إلى أن قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ فهاء الضمير هاء الهوية عائدة على الله تعالى لا على الظاهر وفي الظاهر إلى الكعبة^(٣).

وقال: «ثم قال: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠]. وهذه حيثية من الطريق وإذا بلغ الحضرة ثم قال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ أي: سواء كنت واقفاً أم متحركاً شاهداً أم مشاهداً مخاطباً أم مخاطباً والسلف قالوا: كلها حضرة^(١).

ويقول أيضاً: «في كلام العارفين على الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به» إلى آخر الحديث^(٢) تضيق العبارة في مثل هذا لأن الولي يصير يسمع بكلياته وجزئياته ويصير كذلك بجزئياته وكلياته جميعها وشعره وبشره كذلك؛ لأنه إذا صفا قلبه عن الكدورات وورقت بشريته وأحرقها بنار المجاهدة صار كالزجاج لا يحجب روحه جسمه ولا جسمه روحه^(٣).

وذكر هذه التفسيرات الباطنية كافٍ في بيان بُعد صوفية حضرموت عن الطريق الحق والمنيع الصافي الذي تفسر به النصوص، والتي بينها أهل العلم وهي أن يفسر القرآن بالقرآن، أو بالسنة الصحيحة، أو بكلام الصحابة عليهم السلام لا سيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير، أو بكلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة عليهم السلام، أو بما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق^(٤).

وقد رد الإمام ابن الجوزي رحمته الله في كتابه القيم (تلبيس إبليس) على الصوفية في تفسيرهم النصوص بتفسيرات غريبة، وبيّن أنها جرأة عظيمة على كتاب الله تعالى، وإن تتبع تفسيراتهم وحكاياتهم في ذلك ضياع للزمان في شيء بين الكفر والخطأ والهذيان^(٥)، وبيّن كذلك رحمته الله أن أقوال الصوفية ناتجة من قلة العلم وسوء الفهم^(٦).

(١) المصدر السابق (ص ٦٨ - ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع، (ص ١٢٤٧) برقم (٦٥٠٢).

(٣) تذكير الناس (ص ٣٧٧).

(٤) انظر: أصول في التفسير، للعلامة محمد بن صالح العثيمين (ص ٢٥ - ٢٨). الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ. المكتبة الإسلامية - القاهرة.

(٥) انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص ٢٠٢، ٢٠٤).

(٦) المصدر السابق (ص ٤٠٧).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص ٣٧٤).

(٢) العقد النبوي (١/٣٠٤). (٣) تذكير الناس (ص ٦٨ - ٦٩).

بل ادعى القوم أن لكلامهم المنحرف معنى باطناً يخالف المعنى الظاهر، حيث جاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية قول علي الحبشي: «ومرة كنا نحن والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في طريق نبي الله هود وكان الذين يسرون قبلنا يشلون رجلاً ويقولون: إني مُحَنِيَّةٌ^(١) وشم عيني. فاستحييت من قولهم هذا الكلام والحبيب عيدروس يسمع وبعد قلت للحبيب: كيف الإشارة في هذا الكلام فقال الحبيب: الملمح فيه بعيد جم^(٢) فقلت له: باندري^(٣) به ولو هو بعيد، فقال: هذا نداء من الحضرة الأحديّة تقول: إني مُحَنِيَّةٌ يعني ما يدخلني إلا من انحنى وخضع وتواضع ولم يبق واقفاً مع هواه وغرضه ونفسه وأشم عيني أشم بمعنى انظر وعيون الحق أنبياءه وأولياؤه وأصفياءه والواسطة بينه وبين خلقه»^(٤).

ب - تأويل النصوص وتحريفها عن وجهها:

اعتمد صوفية حضرموت تأويل النصوص وإخراجها عن ظاهرها المراد بها لتتوافق مع أهوائهم، ومع مصادرهم التي اتخذوها من عند أنفسهم كالكشف وغيره، وقد سلكوا مذهب الأشاعرة في تأويل نصوص الصفات، لموافقته لمذهبهم.

وأول القوم النصوص التي تثبت صفة العلو، وكذا صفة الاستواء لله تعالى على عرشه^(٥). وأولوا كذلك صفة العين لله تعالى^(٦). واضطربوا في صفة الكلام لله تعالى، فأولوا النصوص واتبعوا الأقوال المبتدعة لإنكار تكلم الله تعالى كيف شاء متى شاء مع من شاء جلّ في علاه^(٧).

(١) معنى محنية: أي مختنبة بالحناء، والكلام هنا بصيغة المتكلمة الأنثى، ومع ذلك فله معنى باطني عندهم.

(٢) أي بعيد جداً.

(٣) «با» بمعنى «سوف» في لغة أهل حضرموت.

(٤) كنوز السعادة الأبدية (ص ٣٠١).

(٥) الحديقة الأنيقة، لمحمد بحرق (ص ١٣٠).

(٦) المصدر السابق (ص ١٣٣).

(٧) المصدر السابق (ص ١٣٤ - ١٣٥).

جاء في كتاب نيل المرام: «فمذهب السلف وبعض الخلف التفويض وهو صرف اللفظ المتبادر للذهن مع عدم التعرض لبيان المعنى بل يُفَوِّضُ أمر علمه إلى الله تعالى بأن يقال: (الله أعلم بمراده) ومذهب الخلف وبعض السلف في ذلك التأويل وهو حمل النصوص المتشابهة على خلاف ظاهرها المتبادر مع بيان المعنى المراد فقد أولوا اليد في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، بالقوة وأولوا الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. بالشدة؛ أي: يكشف عن شدة، وأولوا المجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: وجاء أمر ربك»^(١).

ووقع متصوفة حضرموت في التأويل تبعاً لمنهج الأشاعرة، حيث أولوا بعض نصوص الصفات بحجة أن العقل لم يدل عليها وأولوا أعظم نصوص القرآن وهي النصوص المتعلقة بذات الله تعالى من صفات الكمال والجلال، من تلك الصفات التي فوضها القوم المجيء والنزول^(٢)، والتي جاءت الأدلة الشرعية بإثباتها لله تعالى كما يليق بالله تعالى، كقوله تعالى مبيناً مجيئه جلّ في علاه يوم القيامة للفصل بين العباد: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]..

وأول القوم صفة الرحمة لله تعالى^(٣)، وصفة الغضب^(٤) بالإرادة، وغيرها من النصوص الدالة على إثبات الصفات لله تعالى كما يليق به سبحانه.

وأولوا صفة الرحمة بإرادة الخير والفضل والإحسان؛ لأن صفة الإرادة من الصفات السبع التي يشتونها، والذي جرهم لمغبة التأويل المبتدع هو التشبيه أولاً، ومن ثم التعطيل، فلم يعرفوا من الرحمة إلا صفة المخلوق، وهي الرقة، ولو أنهم عظموا الله تعالى حق تعظيمه وقدره حق قدره لما وقعوا في

(١) نيل المرام (ص ٢٥).

(٢) الحديقة الأنيقة (ص ١٣٠).

(٣) انظر: كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي، لأحمد بن زين الحبشي: (ق ٦).

(٤) انظر: المختصر في تفسير قصار السور، لعبد الله سالم باخرصة (ص ٦).

هذه المحاذير من التأويل وغير ذلك، ويقال لهم أيضاً: تأويلكم الرحمة بأنها إرادة الإحسان ونحو ذلك، يقال: إن الإرادة ميل، وهذه صفة المخلوق فما أجابوا عليه فهو جوابنا عليهم.

وهذا التأويل - كما سبق - مبني على تشبيههم صفات الله تعالى بصفات المخلوق، فهم أرادوا الفرار من التشبيه فوقعوا في التعطيل: «ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرّت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً فشبهت أولاً وعطلت ثانياً وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه»^(١). وهذه الصفات تثبت لله تعالى كما يليق به سبحانه^(٢)، كسائر صفاته سبحانه الدالة على كماله وعظمته وسيأتي مزيد بيان لذلك في مبحث مستقل - إن شاء الله تعالى -.

ج - اعتماد صوفية حضرموت على الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التلقي:

زهدت صوفية حضرموت في علم الحديث والإسناد فهدموه، واستغنوا عن رواية السنة والآثار النبوية، ونفروا الناس عن ذلك، وجعلوا الأذواق والمكاشفات أساس القبول والرد، ولذا لا يفرق كبارهم بين الصحيح والضعيف والموضوع، فبضاعتهم في علم الحديث مزجاة.

ونسوق عدة أحاديث من كتبهم ليتبين من خلالها أن القوم خطّاب ليل، يدونون في كتبهم كل ما هبّ ودبّ من الأحاديث وإن كانت لا تصح عن رسول الله ﷺ، وغرضهم في ذلك إثبات عقائدهم - المخالفة لمذهب السلف الصالح - بأي طريقة كانت، ومن تلك الأحاديث على سبيل المثال لا للحصر:

(١) مدارج السالكين (٣/٣٦٠).

(٢) انظر الرد على من نفى الصفات الفعلية والاختيارية عن الله تعالى: منهاج السنة (١/٢٩٨) وما بعدها؛ ومجموع الفتاوى (٣/١٣٨ - ١٣٩، ٥/١٣٤، ٦/١١٩، ١٦/٤٠٩) والاستقامة (١/٢١٥، ٣١٤).

- «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»^(١).

- «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك»^(٢).

- «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»^(٣).

- «إذا أعتيكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»^(٤).

- «عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان»^(٥).

- «أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»^(٦).

- «كنت كترًا مخفياً»^(٧) (٨).

كما يعتقد القوم أن أبوي الرسول ﷺ مؤمنان، يقول الشلي: «وقال جمع من الحفاظ وغيرهم أن الله تعالى أحيا أبويه ﷺ حتى آمنّا»^(٩).

ومن يطالع كتب صوفية حضرموت يجدها مشحونة بالأحاديث الضعيفة

(١) ضعيف. انظر: كشف الخفاء، للعجلوني (٢/١٦٩)؛ السلسلة الضعيفة والموضوعة للعلامة

الألباني رحمه الله (٢/١١٥) رقم (٦٦١)، ط ٥، ١٤١٢ هـ.

(٢) موضوع: المصدر السابق (١/٤٥٠) رقم (٢٨٢)، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.

(٣) لا أصل له: المصدر السابق. (١/٧٦) رقم (٢٢).

(٤) سفينة البضائع (ص ١١٦)، والحديث موضوع باتفاق العلماء. انظر: مجموع الفتاوى (١/

٣٥٦ - ٣٥٧) (١١/٢٩٣)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٦)؛ وإغاثة اللهفان (١/

٣٠٨)؛ والسلسلة الضعيفة برقم (٢٥).

(٥) موضوع: انظر: السلسلة الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني رحمه الله (١/٢٠٦) رقم (٩٠)،

ط ١، ١٤١٢ هـ.

(٦) ضعيف: المصدر السابق (٢/٩) رقم (٥١٧)، ط ٥، ١٤١٢ هـ.

(٧) انظر: صلوات بعض أهل البيت الملحق بالنفحات القريبة في الصلاة على خير البرية،

لعلمي بن محمد بن طاهر الحداد (ص ٩)؛ والنفحة المدنية في الطريقة العيدروسية، لعبد

الرحمن بن مصطفى العيدروس (ص ٤) وقال عن الحديث: فقد صححه كشف الشيخ الأكبر

قدس الله سره في الفتوحات المكية.

(٨) قال العجلوني في كشف الخفاء (ص ١٣٢): «قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا

يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي

وغيرهم».

(٩) المشرع الروي (١/١٠٦).

والموضوعة^(١)، وقد ذكرنا أمثلة لبعض الأحاديث التي لا تصح عن رسول الله ﷺ التي يروجها المتصوفة في كتبهم، لتصحيح عقائدهم المخالفة للعقيدة الصحيحة، وهم كسلفهم من الصوفية لا عناية لهم بعلم الحديث، ولا غرو أن نجد القوم قد بنوا أكثر معتقداتهم على هذه الأحاديث، بل وآلفوا في الدعوة لهذه العقائد المخالفة.

ومن المعلوم أن علم الحديث من أشرف العلوم، وقد ذكر العلماء فضل هذا العلم وشرف منزلته ومنزلة أهله، وأثنى أهل العلم قديماً حديثاً على هذا العلم نظماً ونثراً، ويثبتون فضله وشرف أهله فمن ذلك ما قاله الحافظ أبو طاهر السلفي^(٢) رحمه الله:

إن علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع
فإن جنّ ليلهم كتبوه وإذا أصبحوا غدوا للسمع^(٣)
ويقول أيضاً:

دين الرسول وشرعه أخباره وأجلّ علم يقتفى آثاره
من كان مشتغلاً بها وبنشرها بين البرية لا عفت آثاره^(٤)

ويرى الشليّ العمل بالحديث الموضوع اقتداءً بالصوفية مع معرفته لحكم العلماء فيه، حيث قال في مشرعه: «ولكن قال الحافظ ابن حجر أن الخبر

(١) انظر بعض تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتبهم: قرة العين (ص ١٥٧)؛ ومصباح الظلام (ص ١٨)؛ ولمعة النور (ص ٣١)؛ والجهاد والصوفية (ص ٣٩).

(٢) هو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني، اشتهر بالسلفي - بكسر السين المهملة وفتح اللام وكسر الفاء - نسبة إلى جد جده إبراهيم - كما رجح ذلك ابن خلكان، والحافظ ابن كثير، ولد سنة ٤٧٥هـ، ومن أبرز شيوخه الكيا الهراسي الشافعي، وأبو بكر الشاشي، وأشهر تلاميذه عبد الغني المقدسي. من آثاره: معجم أصبهان (لشيوخه الأصبهانيين فقط)؛ والأربعون البلدانية، ومعجم السفر (في التاريخ والأدب) وغيرها. توفي سنة ٥٧٦هـ. انظر في ترجمته: السير (٥/٢١ - ٣٩)؛ والبداية والنهاية (١٢/٣٠٧)؛ وطبقات الشافعية الكبرى (٣٢/٦)؛ ووفيات الأعيان (١/٣٢٥).

(٣) السير (٣٦/٢١).

(٤) كتاب الأنساب، عبد الكريم السمعاني، تقديم: محمد أحمد حلاق (٤٣/٣).

المذكور وهو: «من قال لا إله إلا الله سبعين ألفاً فقد اشترى نفسه من النار» باطل موضوع، قال الحافظ النجم الغيطي^(١): لكن ينبغي للشيخ أن يفعل ذلك اقتداءً بالسادة الصوفية وامثالاً لقول من أوصى به وتبركاً بأفعالهم^(٢).

انظر كيف يقدم القوم أهواءهم فيعملون بالحديث الموضوع في أمر توقيفي وهو الذكر الذي هو أجلّ العبادات، والعبادات توقيفية - كما هو معلوم - يتوقف إثباتها على النقل ولا دخل للعقل والهوى والعاطفة فيها، ويذهبون يمنة ويسرة للبحث عما يوافق أهواءهم، حيث جعلوا القدوة هو عمل الصوفية، ولم يجعلوا القدوة بعد رسول الله ﷺ هم سلف هذه الأمة وهم القرون المفضلة.

كما صرح القوم بأنهم لا يتقيدون إلا بمذهب سلفهم العلويين^(٣)، لذا فلا غرو أن لا يعولوا على مذهب سلف الأمة، لا في الاعتقاد، ولا في معرفة الحديث ولا غير ذلك من مسائل هذا الدين العظيم.

وقد حذر الأئمة من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، يقول الإمام الموفق ابن قدامة رحمه الله: «أما الأحاديث الموضوعة التي وضعها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام أو الأحاديث الضعيفة، إما لضعف روايتها، أو جهالتهم، أو لعله فيها - فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها، وما وضعته الزنادقة، فهو كقولهم أضافوه إلى أنفسهم»^(٤).

ويتضح من كلام هذا الإمام رحمه الله أن الزنادقة وضعوا الأحاديث الموضوعة لغرض التلبيس، لا سيما في أعظم الأمور وهي أمور الاعتقاد التي يتوقف إيمان الشخص عليها وتحقيق معانيها، ولكن لا عبرة ولا معول على ما

(١) هو نجم الدين، محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغيطي، أخذ عن زكريا الأنصاري عدة علوم. له عدة مؤلفات منها: الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج، وله مؤلف في البسملة سماه الفوائد المفضلة في بعض علوم البسملة. توفي سنة ٩٨٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٨/٤٠٦، ٤٠٧)؛ والسناء الباهر، للشلي (ص ٥٤١ - ٥٤٢)؛ ومعجم المؤلفين (٨٣/٣).

(٢) المشرح الروي (٢٢/٢). (٣) انظر: تذكير الناس (ص ٢١).

(٤) ذم التأويل، لابن قدامة (ص ٤٧).

لم يصح عن النبي ﷺ، وهذه الأحاديث التي وضعها الزنادقة هي في الحقيقة قولهم صاغوه في قالب حديثي لترويج سلعتهم الكاسدة، وأنى لهم وليوث الحديث وجهابذته لهم بالمرصاد يغربلون ما أدخلوه في الحديث كما يغربل الدقيق، لينظف من الشوائب، فلله در أهل الحديث ما أعظم أثرهم على الناس.

فلذا يطالب الصوفية في حضرموت بالدليل على ما هم فيه من المخالفات والبدع، لا سيما ما يستدلون به من السنة وآثار السلف، وإلا فكل مخالف قد يستدل لبدعته بالغث والسمين، يقول العلامة يحيى بن أبي الخير العمراني^(١) رحمه الله: «فكل مدّع للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف علم أنه محدث مبتدع زائف لا يستحق أن يصغى إليه»^(٢).

المطلب الثالث *

العلم الوهبي (اللدني) عند صوفية حضرموت

اهتمت صوفية حضرموت بما يسمونه العلم اللدني فجعلوه من أوثق مصادر التلقي عندهم ويمكن بيان ذلك في الآتي:

(١) هو العلامة الفقيه يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد العمراني: ولد في مصنعة سير من بلاد اليمن سنة ٤٨٩هـ، وأخذ عن علماء عصره، وفي سنة ٥٢١هـ رحل إلى مكة وأخذ من علمائها، وكان جل اهتمامه بالتصنيف والتدريس، وكان عصره مليء بالفتن فقد ظهر ابن مهدي ففر الإمام العمراني إلى ذي سفال باليمن. للعمراني عدة مؤلفات منها: البيان - وهو من أشهر كتب الشافعية -، وكتاب الانتصار في الرد على القدرية الأشرار، وكتاب مشكلات المذهب وغيرها. وتوفي بذي سفال سنة ٥٥٨هـ. انظر في ترجمته: طبقات الشافعية، للسبكي (٣٢٤/٤)؛ وطبقات الشافعية، للأسنوي (٢١٢/١)؛ ومرآة الجنان، للياضي (٣١٨/٣).

(٢) الانتصار (١٠٩/١). هذا النص بحروفه ورد من كلام أبي نصر السجزي رحمه الله في كتابه (الرد على من أنكر الحرف والصوت) (ص ١٤٦)، ط ٢، وهو متقدم على العمراني حيث توفي سنة ٤٤٤هـ، فعله نقله عنه ولم يعزه إليه. والله أعلم.

أ - القول على الله بلا علم:

من سمات صوفية حضرموت رفعهم للجهال الذين لا علم عندهم بالعقيدة الصحيحة واعتقاد ولايتهم؛ لأن العلم الشرعي لا أهمية له عندهم، فالاعتبار عندهم هو كون الشخص على طريقة الصوفية، ويتكلم بلسان الحقيقة، وبالرموز والإشارات، ولا سيما إن كان علويًا، لما للعلوي من الميزة والمنزلة على غيره من فئات المجتمع الحضرمي، ونسوق بعض الشواهد لكبارهم ليتبين إعراضهم عن تعلم العلم الشرعي، ومع هذه البلية تجده يتكلم في مسائل الشرع من التفسير والأحكام بغير علم ولا هدى.

جاء في كتاب المشرع الروي في ترجمة محمد بن علي بن علوي الشهير بمولى الدويلة^(١) (ت ٩٦٥هـ): «ولم ينقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا بعلم الكتابة والرسم ولكن كان كلما علم شيئاً من الشريعة عمل به»^(٢).

وقال عبد القادر العبدروس عن محمد مولى الدويلة هذا أنه كان: «أمياً، فإن الشيخ ما نقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا قرأ شيئاً من الكتب»^(٣).

وذكروا عن هذا الرجل الأمي الذي لم يعنى بتحصيل العلم الشرعي: «وإذا ورد عليه حال تكلم على مسائل في الشريعة والحقيقة وخاض من العلوم في بحار عميقة»^(٤).

وقال أحمد بن حسن العطاس أثناء ذكره لمن يدرّس المسائل الشرعية: «وقال رحمه الله: إن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس وأمثاله من العارفين بالله ما يعولون على مثل هذه العلوم الظاهرة المتعلقة بالأقوال والجدال، ولو رأوها مثل هذه الجبال لعبروا عليها لأنهم بلغوا المطلوب والمقصود»^(٥).

(١) هو محمد بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم الشهير بمولى الدويلة: من صوفية حضرموت الأميين الذين يعظمهم القوم ويتبركون بهم، ذكروا عنه شطحات كثيرة. توفي سنة ٩٦٥هـ. انظر: الجوهر الشفاف (١٥٢/١)؛ والغرر (ص ١٨٧، ٣٩٣)؛ والمشرع

الروي (١٩٩/١ - ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق (٢٠١/١).

(٣) المشرع الروي (٢٠٠/١).

(٤) تذكير الناس (ص ٣٥٣).

(٥) المصدر السابق (٢٠٠/١).

وهذا شهادة أحد كبارهم بأنهم لا يعولون على علوم الشرع؛ لأنها علوم ظاهرة، وإنما الاهتمام عندهم بالعلوم الباطنة وهي علوم الحقيقة، فهم مستغنون عن هذه العلوم لأنهم بلغوا مقصودهم، ولا يدري ما هو المقصود الذي بلغوه مع جهلهم بالشرع؟ هل من يجهل توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، بل وبلغ بهم أن جهلوا توحيد الربوبية - الذي أقر به المشركون - فقضوه وذلك بإعطاء أوليائهم بعض صفات الرب تعالى، فهل بعد هذا كله يقال عن هذا حاله أنه بلغ مقصوده ونال مطلوبه؟ نسأل الله الهداية.

ومن نصوص القوم في اعتمادهم العلم الوهبي - المزعوم - بدلاً عن العلم الشرعي ما جاء في كتاب المشرع الروي في ترجمة محمد مولى الدولة: «وحكي أنه أراد أن يؤم القوم في مسجد بني علوي المشهور فمنعوه وقالوا له: أنت بدوي ولا تصلح للإمامة، فلما صلوا جلس يتكلم على سورة من القرآن بكلام عظيم، فعلموا أن هذا من العلم الوهبي»^(١).

وكذلك فإن قطبهم سعيد بن عيسى العمودي كان بدوياً أُمياً قال عنه أبو بكر المشهور: «فالشيخ سعيد بن عيسى العمودي كما تصفه كتب التراجم أنه كان أُمياً، لا يعرف القراءة ولا الكتابة إلى أن قال: فالشيخ سعيد بن عيسى أُمي من حيث التدرج في طلب العلم تحت يد العلماء آنذاك، عالم بكل ما يلزم علمه من الدين، إلا أنه أثر الخمول والعزلة والبعد عن نشاط الحياة الفكرية، ومن خلال هذا الخمول كان يتعلم ويستفيد ويزداد نوراً على نور، وقد برز هذا النور جلياً عندما قدح علم التصوف في ذهنه قوادح الحكمة...»^(٢).

ومع ذلك لُقّب العمودي هذا باللقاب كبيرة^(٣)، كما هو شأن الصوفية في الغلو في أوليائهم ورغم جهله فقد جعل لنفسه طريقة تسمى الطريقة العمودية

(١) المشرع الروي (١/٢٠١).

(٢) سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ سعيد بن عيسى العمودي) (ص ٢٢ - ٢٣).

(٣) انظر: مقدمة كتاب عرائس الوجود.

ووجد لها اتباع في بلدان كثيرة^(١).

وبناء على هذا العلم الوهبي المزعوم فقد تجرأوا على تفسير نصوص الشرع بالرأي المحض لتقرير اعتقادهم وفكرهم المخالف لمذهب أهل السنة والجماعة دون إنكار من الأتباع، فقد جاء في كتاب: (تذكير الناس): «وأما الرزق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]. فليس هو في تلك الجهة»^(٢).

وأكثر القوم من تفسير النصوص القرآنية بأهوائهم وآرائهم^(٤) دون رجوع إلى كتب التفسير المعروفة عند أهل السنة والجماعة، لعدم حاجتهم لذلك، لذا يقولون عن تفسيراتهم المنحرفة: «ومثل هذه الأشياء والاستنباطات لا تعرفها إلا القلوب»^(٥).

ب - اعتماد أقوال وأفعال مشايخهم في تلقي علوم الشرع:

تعتبر صوفية حضرموت أقوال وأفعال مشايخها من أرقى مناهج الاستدلال، فاعتنوا بتدوين كثير من أخبارهم في مؤلفاتهم، وتوارثوا ذلك جيلاً بعد جيل، وجعلوها المنبع الصافي الذي تستقى منه المعلومات والمعارف الدينية والدينية، ورفعوا مشايخهم في بعض الأحيان إلى مرتبة الرب جلّ وعلا، يقول الدباغ: «إن تصريفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني» وكان يقول لمريده: «إن كنت تعتقد أنّ البسّ^(٦) في جميع

(١) انظر: الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، لأبي بكر بن علي المشهور (ص ١٥).

(٢) يقصد أن هذه الآية لا تشمل أهل جهة حضرموت.

(٣) انظر كذلك على سبيل المثال تفسيرهم النصوص بالآراء والأهواء: الكبريت الأحمر (ص ٧٦)؛ المشرع الروي (١/١٥٦، ٢٠١)؛ وتذكير الناس (ص ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٦١، ٢٧٧، ٣١٤، ٣٨٤).

(٤) انظر: مصباح الأنام، لعلوي الحداد (ص ٦).

(٥) تذكير الناس (ص ١٩٦).

(٦) وتعني الهرة الأهلية باللهجة الحضرمية، وهي فصيحة إلا أنها بفتح الباء والعامة تكسرهما، والواحدة منها: بهاء. انظر: القاموس المحيط (ص ٥٣٣).

أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي»، ثم عقب الحبشي على ذلك فقال: «انظر إلى هذا الفناء العظيم، وأين اليوم هذا الاعتقاد لوما أعجبت المرید كلمة من الشيخ تغير اعتقاده»^(١). ففي هذا الكلام من الحبشي تقرير لقول الدباغ أنه يتصرف في الكون والجنان والدواب، وهذا اعتقاد أخذوه عن مشايخهم ومرييهم.

وكذلك ملئت كتب القوم بتقرير كلام مشايخهم في مختلف المسائل، فقد أخذوا كلام مشايخهم في عقيدة القطبية والتصرف في الكون، وجواز التوسل الشركي والبدعي، وكذا بقية العبادات من أذكار وغيرها.

ولا يرون الإنكار على الشيخ بل يجب أخذ كلامه على علّاته، ويجعلونه الشيخ الواسطة بين الله ومريديه كما سيأتي.

فكما يتلقون علومهم من مشايخهم الأحياء، فكذلك يتلقون من مشايخهم الأموات^(٢).

وهم على طريقة سلفهم من أهل الباطل فإن تعظيم الآباء والشيخ والاعتراض بهم على الأنبياء سنة أهل الباطل، فقد ذكر الله تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

وكذلك اعترض المشركون على النبي ﷺ وقدموا أهواءهم على دينه القويم، وهديه المستقيم، فاتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم، وفضلوا طريقهم على مسلك الحق، قال تعالى مخاطباً نبيه مبيناً له حال هؤلاء المشركين: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقد انتقد علماء اليمن كتب متصوفة حضرموت لما ملئت به من الغلو في الأشياخ، وجعلهم مصدراً لتلقي الشرع^(٣).

(١) كنوز السعادة الأبدية (ص ١٧٩).

(٢) انظر: المشرع الروي (١/١٠٥، ١٩٥)؛ وتذكير الناس (ص ٥٧، ٨٥، ٩٢).

(٣) وقد انتقد العلماء المؤلفات الخرافية لصوفية حضرموت، كالمشرع الروي الذي انتقده الشيخ =

ولم يتورع صوفية حضرموت في نقل كل ما هب ودب من القصص والحكايات الغريبة والمنكرة التي تخالف الشرع، وهم بذلك يسيئون لمشايخهم من حيث لا يشعرون، فالمعاييب ينبغي سترها لا التبجح بها، ولكن ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن يَحْدِلَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وهذا سببه الإعراض عن اتباع النبي ﷺ والتزام سنته، واستبدال متابعتة ﷺ باتباع ما قاله الأولياء والمتبوعون وإن كان مخالفاً لهذا الشرع المطهر، بل وتقديم الهوى وأماني الشيطان على شرع الله تعالى، لذا قال قوام السنة إسماعيل التيمي^(١) رَحِمَهُ اللهُ: «قال علماء أهل السنة: ليس في الدنيا مبتدع إلا وقد نزع حلاوة الحديث من قلبه»^(٢).

وقال أيضاً: «وقد قص الله علينا أن ننتهي إلى سنة نبيه، وليس لنا معها من الأمر شيء إلا الإتيان والتسليم، ولا تعرض على قياس ولا على شيء غيرها، وكل ما سواها من قول الآدميين تبع لها»^(٣).

وقال الإمام البغوي^(٤) رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

= البيحاني وتمنى أنها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان ﷺ. انظر: التعليق على هداية المرید (ص ٣٣). وذكر الشيخ صالح بن هلابي أن هناك مؤلف لأحد علماء إب في القرن الحادي عشر يسمى الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الإبي في ثلاثة مجلدات كبار سماه: المنهج السوي في الرد على المشرع الغوي، وهذا الكتاب مفقود. انظر: دخول الإسلام إلى حضرموت، لابن هلابي (ص ١١٥).

(١) هو الإمام العلامة الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، أبو القاسم الأصبهاني، يلقب بقوام السنة. من مؤلفاته: الحجة في بيان المحجة، والترغيب والترهيب، ودلائل النبوة. توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: السير (٢٠/٨٠)؛ والوافي بالوفيات (٩/٢١١)، ط ١٤٠١ - ١٤٠٤هـ - بيروت.

(٢) الحجة في بيان المحجة: (٢/٥١٠)، تحقيق: محمد أبو رحيم. وانظر: ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل الهروي (٢/١٥٨) برقم (٢٣٧)، ط مكتبة الغرباء الأثرية؛ وتذكرة الحفاظ (٢/٥٢١)؛ وطبقات الشافعية، للسبكي (٢/٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٣٠٦) تحقيق محمد أبو رحيم.

(٤) هو الإمام الحافظ المفسر الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (البغوي) الشافعي. من مؤلفاته: معالم التنزيل في التفسير، ومصابيح السنة، وشرح السنة، والتهديب في الفقه الشافعي. توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/٤٣٩)؛ والبداية والنهاية (١٢/٢٠٦).

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]؛ «أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حياً، وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسيبيله الاجتهاد»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة»^(٢).

✽ المطلب الرابع ✽

تقسيم صوفية حضرموت الدين إلى شريعة وحقيقة

ومن الأمور المبتدعة عند صوفية حضرموت تقسيمهم الدين إلى شريعة وهذه للعوام، وحقيقة وهذه للخواص، وزعمت أن نصوص الشريعة لها ظاهر وباطن، فالظاهر للعوام، والباطن هو لب الدين ومقصد الشارع، فلا يدركه إلا أولياؤهم وأقطابهم العارفون بالله تعالى دون غيرهم، مما أدى بغلاتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة.

وبهذا التقسيم فتحوا الباب لإسقاط التكاليف الشرعية عن كبارهم، وزعم أن التزام التكاليف إنما هو للعوام بينما هم قد وصلوا للحقيقة التي ينشدها كل صوفي، فأدى ذلك إلى نقض عرى الإسلام ومبادئه العظام بتقسيمات الصوفية هذه، وهذا التقسيم وفق منهج متقدميهم من الصوفية^(٣).

وقد عرّف الصوفية الحقيقة بأنها: «سلب آثار أو صافك عنك بأوصافه»^(٤)، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت»^(٥)، فمعناه عند القوم مشاهدة الربوبية^(٦).

أما الشريعة فيعنون بها: التزام العبودية مما ورد به التكليف في الأمر

(١) تفسير البغوي (٢/٢٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/١٦٤).

(٣) وقد رد أهل العلم على الصوفية وبيان بطلان هذا التقسيم، انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص ٣٠٨).

(٤) يعني الله تعالى.

(٥) المعجم الصوفي، للحفني (ص ٧٨).

(٦) انظر: الرسالة القشيرية (ص ١٥٥)؛ والمعجم الصوفي للحفني (ص ٧٩).

والنهي، والإباحة والحظر^(١).

والحقيقة عند القوم تكون بلا واسطة عن طريق الكشف والإلهام، ونتيجة لهذا التقسيم فقد خصوا أنفسهم بأنهم أهل الحقيقة، مما جعلهم يعظمون علومهم ويحفظون من علوم الشرع التي هي - في نظرهم - أخذ هالك عن هالك، أما هم فيأخذون العلم مباشرة من الحي الذي لا يموت كما قال ذلك أبو بكر بن سالم - مولى عينات -^(٢).

وقد قال الجنيد - الملقب عند الصوفية بسيد الطائفة -: «المريد الصادق غني عن العلم والعلماء»^(٣).

وهذا من أقوى الأدلة على عدم تعويل الصوفية؛ متقدميهم ومتأخريهم على الكتاب والسنة، فهذا كلام مقدمهم الجنيد الذي ادعى كبار صوفية حضرموت وهو علوي ابن الفقيه المقدم أنه في منزلته^(٤).

وقد أجاب عبد الله العيدروس - الملقب بالقطب شمس الشموس - عن سؤال ورد له عن الفرق بين الشريعة والحقيقة ومما جاء في الجواب: «فالعلم المتجلي عن الجسم علم ظاهر، وهو علم الشريعة، والعلم المتجلي بالقلب علم باطن، وهو علم الحقيقة، فأقام ظاهر الإسلام على أركان القائم بها جوارح الأبدان، وأقام حقيقة الإيمان والإحسان على يقين وبيان، القائم بها تصميم الجنان، ولكن لما خفي عن الأسماع الحسية ما بالقلب جعل لها ترجمان، وهو اللسان، فارتبطت الشريعة بالحقيقة، والحقيقة بالشريعة، إلى أن ذكر قول أهل الجمع من أرباب الدعوة الذين فصلوا القول بين أهل الشريعة والحقيقة: «فناداهم أهل الجمع من أرباب الدعوة: أما سمعتم شاووش التوفيق على قارعة الطريق ينادي: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فالاجتهاد هو

(١) انظر: الرسالة القشيرية (ص ١٥٥)؛ والتعريفات للجرجاني (ص ١٦٧).

(٢) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/٦٢).

(٣) الطبقات الكبرى، للشعراني (٢/١٧٥)، ط دار الفكر العربي.

(٤) انظر: شرح العينية (ص ١٧٣).

الشريعة، وهو تعاطي أقوال الشريعة بالأعمال ليهديه سبله وهو الحقيقة...^(١).
فالقوم يقسمون الدين إلى شريعة وحقيقة، أو إلى علم الظاهر وعلم
الباطن ويفسرون نصوص الوحي بما يناسب هذا التقسيم دون الرجوع لكلام
المفسرين، فلا سلف لهم إلا عقولهم وأهواؤهم، والكلام في شرع الله بلا
علم من كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وجاء في كتاب المشرع الروي ترجمة محمد بن علوي بن محمد^(٢)
(ت ١٠٧١هـ): «وهو أحد مشايخي في علم الشريعة والطريقة ومن أجل
مشايخي في علم الحقيقة...»^(٣).
وجاء في ترجمة أبي بكر العيدروس العدني: «جمع الله فيه علم الحقيقة
والشريعة...»^(٤).

وبهذا التقرير وتقسيمهم للدين إلى شريعة وحقيقة، شحنا كتبهم بالثناء
على علم الحقيقة، وجعلوه الغاية فتراهم إذا ذكروا أحد مشايخهم أو أوليائهم
قالوا بأنه: ينظر بعين الحقيقة، وأن فلاناً أخذ عنه علم الحقيقة، أو أن له قدماً
في علم الحقيقة^(٥).

ولم تعرف هذه التقاسيم عند الصحابة، فلم يثنِ ﷺ إلا على علم الكتاب
والسنة كما قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين»^(٦)، فالخير كل الخير

(١) المجموعة العيدروسية (ص ١٧٧).

(٢) هو محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر العلوي، من متصوفة حضرموت، نزيل الحرمين،
رحل إلى الهند وأخذ عن صوفيته من آل العيدروس هناك، وذكروا له عدداً من الكرامات.
توفي بمكة سنة ١٠٧١هـ. انظر: المشرع الروي (١/١٩٢ - ١٩٣).

(٣) المصدر السابق (١/١٩٣). (٤) المصدر السابق (٢/٣٧).

(٥) انظر: الغرر (ص ١٤٦)؛ والمشرع الروي (٢/٥٤، ٨٩)؛ وتذكير الناس (ص ١٥٠، ٢٢٠،
٢٧٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
(ص ٣٩) برقم (٧١)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (ص ٣٩٨)
برقم (١٠٣٧). من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

في التفقه في دين الله تعالى وذلك بتعلم العقيدة الصحيحة، ومعرفة أحكام
الشرع العملية وتطبيق ذلك قولاً وعملاً وسلوكاً، والبعد عن مسالك هذه الطرق
البدعية التي سلكها المتصوفة، والتي ما أنزل الله بها من سلطان ولا عرفها
سلف الأمة وأئمتها، فكما قيل:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف
فالطرق عند صوفية حضرموت ثلاث: الشريعة والطريقة والحقيقة. يقول
عبد الله بن أبي بكر العيدروس عن هذه الطرق وترتيبها عندهم: «وعند القوم:
الشريعة كالسفينه، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر، فمن أراد الدر ركب
السفينه، ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدر»^(١).

بل وصرحوا بأن غايتهم علم الحقيقة، فقد جاء في ذكر مناقب سالم بن
أحمد بن شيخان العلوي^(٢): «ولا يرى من العلوم إلا علم الحقيقة، وربما
قال: لا فائدة في علم الطريقة»^(٣).

وزهد القوم في علم الشريعة والطريقة وجعلوها وسيلة، وإنما الغاية
عندهم علم الحقيقة، ويبين عبد الله العيدروس الحقيقة التي ينشدها صوفية
حضرموت بقوله: «وأما الحقيقة فهي الوصول إلى المقصد، ومشاهدة نور
التجلي»^(٤).

كما احتقر القوم علم الشريعة الذي يسمونه علم الظاهر ورفعوا علومهم
فوقه، يقول الشلي عند ذكر مناقب عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة
(السقاف) موصياً ولده بعلومهم دون التعويل على علم الشرع: «وذكر في بعض
الأيام في درسه فضل الفقه فعزم ولده عمر أن يفني عمره في الفقه ويترك غيره

(١) الكبريت الأحمر (ص ٧٢).

(٢) هو سالم بن أحمد شيخان العلوي، من صوفية حضرموت، أخذ عن علماء مكة. من
مصنفاته: بلغة المريد وبغية المستفيد، شرح فيها أبيات للعفيف التلمساني، وشرح الجواهر
الرابع والخامس من كتاب محمد غوث الله بن خطير الدين الصوفي؛ ومصباح السر اللامع
بمفتاح الجفر الجامع. توفي بمكة سنة ١٠٤٦هـ. انظر: المشرع الروي (٢/١٠٤ - ١١١).

(٣) المصدر السابق (٢/١١٠). (٤) الكبريت الأحمر (ص ٧٢).

من العلوم فلما انقضى المجلس ناداه وقال له: يا عمر اجتهد في أعمال القلوب إن الفقهاء معهم قيس ومع الصوفية جذوة وأوقية من عمل الباطن تعدل بهاراً^(١) من عمل الظاهر^(٢)، ويتضح مما تقدم أن القوم بهذا التقسيم المبتدع للدين قد سوّلت لهم أنفسهم تحقير علم الشرع وهو علم الكتاب والسنة حيث وصفوه بأنه كالسفينة، أي وسيلة للوصول إلى غايتهم المنشودة وهي مشاهدة نور التجلي المزعوم، وقد يعبرون عن هذا التقسيم بعلم الظاهر والباطن، ويجعلون علم الباطن أشرف من علم الظاهر^(٣).

وقد ردّ أهل العلم تقسيم صوفية حضرموت الدين إلى حقيقة وشرعية ومنهم الشيخ محمد بن علي بافضل^(٤) رحمه الله حيث قال: «أما التفريق الذي جرى على السنة الصوفية ومن شايعهم وسار بسيرهم، من أن الشريعة غير الحقيقة فغير مسلم به؛ لأنه لم يرد في كتاب الله، ولم يجر على لسان رسول الله، ولا على السنة الخلفاء والصحابة ومن تبعهم بإحسان. كيف وربنا يقول: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]»^(٥).

(١) البهار مقدار من الوزن يستخدم في حضرموت قديماً، وتقدر كميته بـ ٣٠٠ رطل. انظر: كتاب (كلمات في الدارحة بمدينة تريم) (ص ١٤).

(٢) المشرح الروي (١٤٢/٢).

(٣) انظر تصريحهم بهذه التقسيمات: كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية (ص ٣٤)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١١٨/١) وذكره لرسالة أبي بكر العيدروس في الفرق بين الشريعة والحقيقة؛ وكتاب المناصرة والموازرة لأبي بكر المشهور (ص ٦٠)؛ وكتابه الآخر: «الشيخ عمر المحضار أبو عائشة» (ص ١٥ - ١٦).

(٤) هو الشيخ العلامة محمد بن علي بافضل، ذكر بعضهم أن ترجم لنفسه بترجمة بعنوان (حياتي) - لم أقت عليها -.

وقد كانت دراسته الأولى في رباط تريم على يد عبد الله بن عمر الشاطري، ثم هاجر إلى الصومال ومكث هناك ردهاً من الزمن، والتقى ببعض المصريين من أنصار السنة وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية. ومن أشهر آثاره كتابه: دعوة الخلف إلى طريقة السلف. وقد توفي رحمه الله سنة ١٤٠٤ هـ. انظر: مقدمة كتاب (دعوة الخلف إلى طريقة السلف).

(٥) دعوة الخلف إلى طريقة السلف، للشيخ محمد بن علي بافضل (ص ٢٥٦). وانظر أيضاً: =

هكذا يقسم القوم دين الله تعالى إلى حقيقة وشرعية، مستهدين بذلك نقض الدين - شعروا أم لم يشعروا - وأرادوا بهذا التفريق أن يبنوا على ما يسمونه الحقيقة أوهامهم السخيفة وآراءهم الممقوتة الباطلة، وادعاءاتهم الكاذبة. وهذا التفريق مبتدع لا غير. عادوا به - كسلفهم من أهل الضلال - علماء الشريعة وسموهم بأهل الظاهر، وأما علماؤهم فسموهم بعلماء الحقيقة وعلماء الباطن^(١).

هكذا ضلّوا وأضلّوا بهذه التقسيمات المبتدعة والغايات المزعومة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْتَرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [النقص: ٥٠].

ومن آثار هذا التقسيم المنحرف: إسقاط التكاليف عنهم مثل ترك صلاة الجماعة^(٢)، بل ترك الصلاة^(٣)، وترك الطاعات، بزعم أن صوفيتهم لا ذنوب عندهم، والمعصية لم تقترب من الشيخ ولا هو من أهلها^(٤).

بل وترك الولي العبادات كالصلاة بدعوى أن هذا الولي يتجزأ إلى تسع صور كلها صلت في الهواء على صورة الولي^(٥).

ولا يؤاخذ القوم شيوخيهم في ارتكاب المنكرات، كما كان يفعل أحمد الهدار^(٦) الذي كان يمس أجساد النساء، بزعمه أنه بهذا العمل المنكر يخرج

= إلزام المؤلف لصوفية حضرموت بلوازم لهذا التقسيم؛ وبيان عدم الدليل على تفريقهم بين الشريعة والحقيقة: المصدر السابق (ص ٢٥٨).

(١) انظر: دعوة الخلف إلى طريقة السلف (ص ١٥٧). وذكر الشيخ بافضل رحمه الله قصة له مع جماعة من المتصوفة تنقصوا علم الشريعة وعلماءها وشبهوهم بالعميان، بينما أهل الحقيقة بزعمهم هم المبصرون لحقائق الأمور، فقال الشيخ عقب هذه القصة: «هذا مبلغ تندرهم بالفقهاء الذين أخذوا علمهم من كتاب الله وسنة رسوله - ألا قاتل الله الجهل».

(٢) انظر: العقود العسجدية (ص ١٩١). (٣) المصدر السابق (ص ٣١٤).

(٤) انظر: كنوز السعادة الأبدية (ص ٥١). (٥) المصدر السابق (ص ٥٥).

(٦) هو أحمد بن محسن الهدار - صاحب المكلا، من صوفية حضرموت. من آثاره: صلوات على النبي ﷺ طبع في حياته تحت اسم (روض الأنوار ومختصر كنز الأسرار)؛ والعقد الفريد. توفي بالمكلا سنة ١٣٥٧ هـ. انظر: قياسات النور (ص ١٧٥ - ١٧٨).

شهوة الزنا منهم^(١).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالمداومة على العبادة حتى الموت، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ١٩٩].

فهذا أشرف خلق الله تعالى مأمور بالعبادة طيلة حياته، ولا تسقط عنه التكاليف بحال، وكذا لم يدع أتباعه سقوط التكاليف عنهم، بل إن العز والرفعة في طاعة الله تعالى، والنقص والضلal في الانحراف عن ذلك.

وقد ردّ أهل العلم على الصوفية في إسقاط التكاليف، فقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ الذي يدّعي صوفية حضرموت أنه من العلماء الذين يجلبونهم ويأخذون بأقوالهم: «ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد بحال من الأحوال»^(٢).

والله تعالى قد خلق العباد لعبادته فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦].

وصوفية حضرموت على طريق سلفها من المتصوفة الذين ادعوا سقوط التكاليف عن أنفسهم بإشارات وعبارات غريبة، لذا قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في آخر ترجمة الحكيم الترمذي «نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الإلحادية، فواحنائه على غربة الإسلام والسنة»^(٣).

وبطلان هذا الفكر معلوم عند كل من له مسكة من العقل أو نصيب من العلم بدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومن آثار هذا التقسيم تصحيح كتب الزندقة، مثل كتب الحلاج فقد قال عبد الرحمن السقاف في معرض كشوفاته وهو يتكلم بلسان الحقيقة - كما يقول الشلي -: «اطلعنا على الحلاج وظننا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر»^(٤).

(١) انظر: القصة في كنوز السعادة الأبدية (ص ٢٣٧). وهناك قصص كثيرة في ذلك بحجة الولاية. انظر: نور البصيرة (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠)؛ وعقود الألماس (ص ٨٦).

(٢) الفتح الرباني، للجيلاني (ص ٢٩). (٣) السير (١٠/٣٩).

(٤) المشرح الروي (٢/١٤٣).

المبحث الثاني

الكشف

تمهيد

الكشف لغة: الكاف والشين والفاء، أصل صحيح يدل على سَرَو الشيء عن الشيء، كالثوب الذي يُسَرَى على البدن يقال: كشفت الثوب وغيره أكشفه^(١).

والكشف رفعك الشيء عما يواريه ويغويه. وكشف الأمر يكشفه كشفاً: أظهره^(٢).

واصطلاحاً: الكشف في اصطلاح الصوفية: الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجوداً وشهوداً^(٣). وعُرف الكشف بأنه: «رفع الحجاب»^(٤).

وعرف الكاشاني^(٥) المكاشفة بأنها: «شهود الأعيان، وما فيها من الأحوال في عين الحق، فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية»^(٦).

وقال السراج^(٧): «الكشف: بيان ما يستتر عن الفهم، فيكشف عنه للعبد

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/١٨١ - ١٨٢). (٢) لسان العرب (١٢/١٠٢).

(٣) المعجم الصوفي، للحفني (ص ٢٠٨). (٤) كتاب التعريفات، للرجاني (ص ١٥١).

(٥) هو عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم القاشاني، أو الكاشاني، أو الكاشي، شارح كتب الصوفية، وأحد مشايخ الطريقة السهروردية، نسبته إلى قاشان (مدينة قرب أصفهان)، له مؤلفات منها: شرح منازل السائرين للهروي، وكشف الوجه الغر في شرح ابن الفارض، واصطلاحات الصوفية، توفي بشيراز سنة (٧٣٠هـ). انظر: الأعلام (٣/٣٥٠)؛ ومعجم المؤلفين (٥/٢٥١).

(٦) معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (ص ٣٤٦).

(٧) هو أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد السراج الطوسي، من مؤلفاته: اللمع. توفي سنة =

كأنه رأي العين»^(١).

فيتضح من هذه التعاريف أن معنى الكشف عند الصوفية يدور حول الإظهار، وعدم الستر، وهو بعبارة جامعة: الحقيقة المدركة من عالم الغيب يقظة^(٢).

ويقول الكاشاني أن المشاهدة: «في ولاية الذات، كما أن المكاشفة في ولاية النعت، فالمشاهدة شهود الحق بارتفاع الحجاب مطلقاً»^(٣).

ويعتبر الكشف من أعلى مصادر التلقي عند صوفية حضرموت، حيث زهدوا في العلوم الشرعية لاعتمادهم على علوم الكشف من الإلهام ونحوه، فكما أن القلب عند الصوفية يدرك حقائق الأشياء على ما هي عليه فكذلك فإن للبصر عندهم نصيباً في إدراك صور العوالم السفلية والعلوية عياناً؛ كرؤية الملائكة، والإطلاع على اللوح المحفوظ، ورؤية الأنبياء بعد موتهم يقظة، ولا يقتصر الكشف على الأمور الكونية بل يتعدى ذلك إلى معرفة الأمور الشرعية والأحكام، إما عن طريق الإلهام أو أخذها مشافهة من الرسول ﷺ، أو عن الخضر عليه السلام أو غيرها من الوسائل المعتمدة عند الصوفية^(٤).

ومن انحراف الصوفية القرآن والسنة على الكشف، فإن خالفهما أخذوا به، وأعرضوا عنهما فاعتمدوا على العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلم يحرصوا على دراسة العلم والتصنيف في فنونه.

فالكشف يعتبر مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف عند صوفية حضرموت، لذا فههدف الصوفية في عبادتهم كسلفهم من المتصوفة هو تحصيل المكاشفات والتأثيرات^(٥).

٣٧٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠هـ) (ص ٦٢٥ - ٦٢٦) الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ؛ وشذرات الذهب (٤١٣/٤). تحقيق وتخريج: عبد القادر الأرناؤوط وابنه محمود، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن كثير - دمشق.

(١) اللمع (٢٤٩).

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص ٣٤٧).

(٣) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، لصادق سليم صادق (ص ٢٠٨ - ٢٠٩).

(٤) انظر: كتاب الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٣٥)، ط ٢، مكتبة ابن تيمية - مصر.

والكشف عند الصوفية يكون في الأمور الكونية والشرعية، ويدخل تحت مسماه أنواع كثيرة: كالرؤية في اليقظة للأنبياء والأولياء بعد موتهم، والرؤية المنامية ورؤية الخضر عليه السلام والإطلاع على المغيبات إما بعين البصر أو البصيرة وغيرها من الأنواع، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الأنواع ودخولها تحت مسمى الكشف أو المكاشفة فقال: «فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره: يقظة ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره: وحيّاً وإلهاماً أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة. ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات: فالسمع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة أي كشف له عنه»^(١).

النصوص الدالة على قول صوفية حضرموت بالكشف:

ومن نصوص القوم في اعتماد هذا المصدر ما قاله علي بن أبي بكر السكران: «أدركت أكثر الماضيين من آل أبي علوي ما أحد منهم يحمم شاربه - أي يثبت - إلا وهو مكاشف»^(٢).

وغلا القوم في مشايخهم المعتمدين الكشف مصدراً أساسياً في تلقي العلوم فقالوا: «قال بعضهم: الشيخ عبارة عن علم من الله علماً لدنياً كاشفاً للحقائق والدقائق، فارقاً بالسبق في العوالم والمعالم، والعلويات والسفليات، والجزئيات والكلديات، بين الحق والحقيقة، والوهم والخيال، وما وجب وما أمكن وما استحال، وما بين إلقاء الملك والشیطان، والهمة واللمة، والنفث في الروح والإلهام والخطرات والنزعات...»^(٣).

ويرى القوم إن إلياس عبد الله الصالح المغربي الخرقه لمؤسس طريقتهم العلوية محمد بن علي الفقيه المقدم كان: «بإذن رباني يقظة وكشفاً، مع بشارات عظيمة»^(٤).

(٢) كتاب مصباح الظلام (ص ٥١).

(٤) شرح العينية (ص ١١٣).

(١) مجموع الفتاوى (١١/٣١٣).

(٣) ظهور الحقائق (ص ٣٦).

واعتمد القوم في الكشف على القلب كأداة للمعرفة، فعلومهم لدنية ذوقية، لا تعتمد على العقل واستدلالاته، ولا على المعرفة الحسية المباشرة، ولا على التجربة والمشاهدة، إنما هي من قبيل العرفان المباشر.

يقول علوي الحداد في كلام له عن الكرامات وما اختص به الأولياء دون غيرهم: «ومن جملة الخصوصيات علم الكشف وعلم الإلهام، أما الكشف فقد كشف الله ﷻ لعمر بن الخطاب عن سارية وهو على المنبر يخطب حتى قال: يا سارية الجبل^(١) محذراً له من العدو وسارية بأرض العجم فسمع صوت عمر من مسيرة شهر وفي الخبر الصحيح: «إن في أمتي ملهَمون أو مُحدَثون ومنهم عمر»^(٢) وورد أيضاً: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(٣)، وأما الأسرار الإلهية فلو لم يرد في إثباتها إلا الحديث القدسي وهو قوله تعالى: «الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي»^(٤) لكفى به دليلاً فلا ينكر أسرار أولياء الله إلا المحرومون»^(٥).

ويردّ عليه بأن قصة سارية لا دليل له فيها لأن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر ﷻ لأنه محدث كما تقدم -، ولكن ليس في الأثر

(١) روى هذه القصة البيهقي في دلائل النبوة (٣٧٠/٦)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٠٩/٧ - ١٤١٠) برقم (٢٥٣٧)؛ وابن كثير في البداية والنهاية (١٣١/٧) وساق إسنادها وقال (وهذا إسناد جيد) وذكر لها عدة طرق ثم قال: فهذه طرق يشذ بعضها بعضاً. وانظر: السلسلة الصحيحة (١٠١/٣ - ١٠٤) برقم (١١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، (ص ٦٦٨) برقم (٣٤٦٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضائل عمر بن الخطاب ﷻ، (ص ٩٧٦) برقم (٢٣٩٨). ولفظ الحديث: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب».

(٣) ضعيف. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر (ص ٤٩٧) برقم (٣١٢٧)؛ وأبو نعيم في الحلية (٢٨١/١٠)؛ والخطيب في تاريخه (٢٤٢/٧)؛ وغيرهم. انظر: السلسلة الضعيفة (٢٩٩/٤) برقم (١٨٢١).

(٤) هذا من الأحاديث الموضوعة التي يروجها المتصوفة ويوردونها في مؤلفاتهم بلا زمام ولا خطام.

(٥) كتاب مصباح الأنام (ص ١٩).

أن عمر كشف له حال الجيش وأنه رآهم بعينه كما يستدل بذلك المتصوفة على ما يسمونه بالكشف للأولياء وعلى إمكان إطلاعهم على ما في القلوب فإن ذلك من أبطل الباطل؛ لأن تلك صفة الرب تعالى عالم الغيب والشهادة، وكذلك فهؤلاء الأولياء ليسوا رسلاً لله تعالى حتى يقال أن الله تعالى يطلعهم على بعض الغيوب، ثم لو صح تسمية ما وقع لعمر ﷻ كشفاً فهو من الأمور الخارقة للعادة، التي قد تقع للمؤمن وللكافر، ولذا يقول العلماء أن الخارق للعادة إذا صدر من مسلم فهو كرامة، وإلا فهو استدراج، وما وقع لعمر من الكرامة التي أكرمها الله بها لإنقاذ جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به هو من باب الإلهام في عرف الشرع، أو التخاطر في عرف العصر الحاضر ولقد أحسن من قال:

إذا رأيت شخصاً يطير فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف على حدود الشرع فإنه مستدرج وبدعي^(١)

المشاهدة عند صوفية حضرموت:

والمشاهدة: تعني المحاضرة والمداناة، وقيل هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة، كأنه رآه بالعين^(٢).

فالمشاهدة عند القوم تعتبر فلسفة صوفية، قائمة على ادعاء علم الغيب، ويتلقون بها تعاليمهم المختلفة^(٣).

يبدأ الكشف بالمحاضرة وهي حضور القلب مع الحق في الاستفاضة من أسمائه سبحانه وقيل الرؤية قبل رفع الحجاب. وقيل: المحاضرة ابتداء، ثم المكاشفة، ثم المشاهدة، فالمحاضرة حضور القلب، وقد يكون بتواتر البرهان، وهو بُعد وراء الستر، وإن كان حاضراً باستيلاء الذكر^(٤).

ويزعم صوفية حضرموت مشاهدة الحق تعالى بالعين الباصرة في الدنيا،

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (١٠٢/٣ - ١٠٤).

(٢) المعجم الصوفي، للحفني (ص ٢٣٢).

(٣) انظر: الفكر والمجتمع في حضرموت (ص ٢١٣).

(٤) انظر: الرسالة القشيرية (ص ٤٠)؛ ومعجم المصطلحات الصوفية للحفني (ص ٢٣٧).

والتلقي منه مباشرة، وهكذا تدرج بهم الشيطان حتى زعموا لأوليائهم رؤية الله تعالى ونزوله لأوليائهم كرامة لهم وعرض عليهم فضله عليهم وإجابته لما يريدون - تعالى الله وتقدس عما يقولون علواً كبيراً - فقد جاء في كتاب تذكير الناس عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر وذُكر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوة يعين له فيها مجلساً خاصاً ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه فوجده مالي الخلوة فرجع ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه وسأله عن حالته تلك فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتكم من الدخول علي. فقال له قد وقعنا فيها: وأخبرني بما جرى لك فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك علي ما شئت...»^(١).

وفي هذا النص بيان ادعاء القوم مشاهدتهم العنصرية حقيقة لله تعالى، وليس كما يقول الصوفية في تعريف الكشف كما تقدم.

ومن مشاهدات القوم رؤيتهم للملائكة عياناً؛ فقد جاء في كتاب (منهل الورد): «ومن أجل الكرامات وأعظمها ما يقع لخواص الأولياء من الاجتماع بالنبي ﷺ وسؤالهم إياه عما أشكل عليهم ما صرح به غير واحد إذ هو حي في قبره»^(٢)، وليس ذلك بعيد كمشاهدة أبواب القلوب الزكية في يقظتهم الملائكة وأرواح الأنبياء أو سماعهم منهم أصواتاً، واقتباسهم منهم فرائد وليس ذلك ببعيد»^(٣).

ويقول أحمد بن زين الحبشي عن علي بن محمد بن علوي خالع قسم: «له الحظ الوافر في الكشف والمشاهدة...»^(٤).

وجاء في كتاب البرقة المشيقة: عند ذكر محمد بن علي الفقيه المقدم:

(١) تذكير الناس (ص ٢١٧).

(٢) ستأتي مناقشة قولهم بحياة النبي ﷺ في قبره كحياته في الدنيا وبيان بطلان هذا الاعتقاد، إن شاء الله تعالى، انظر: (ص ٢٧١ و ٤٩٩) وما بعدها من هذا البحث.

(٣) منهل الورد (ص ٢٤٧)، ط العصرية ١٣٩١ هـ.

(٤) شرح العينية بهامش كتاب منهل الورد (ص ٢٤٧). المطبعة الميرية.

«كان له حضرات وحضورات ومشاهد مشهورة ومجالس مشهورة يحضرها الملائكة والأنبياء...»^(١).

كما يزعمون أن المشاهدة تكون للقلوب^(٢)، لذا فقد أكثر صوفية حضرموت من ذكر المشاهدات القلبية في مصنفاتها، والتطلع للغيوب وما تكنه الضمائر، فمن هذه النصوص ما ذكره الشلي عند ذكر كرامات محمد بن علوي بن محمد (ت ١٠٧١ هـ): «ومنها: أني عند الملاقة خطر بالبال والذكر أن يلقيني الذكر فما استتم خاطري إلا وقد نظر إلي وأقبل بوجهه علي ولقني الذكر الذي خطر في نفسي»^(٣).

وادعوا شهرة بعض أوليائهم بمكاشفة الناس عما في خواطرهم^(٤)، ومعرفة مصير الإنسان في مستقبله، كما ذكر الشلي أن أهل الكشف كانوا يسمون أبا بكر بن عبد الله العيدروس بالعديني قبل دخوله عدن واستقراره بها وموته فيها^(٥).

وأقوالهم في هذه المسألة كثيرة جداً فقد ملثوا كتبهم بأقوال أهل الكشف في الإخبار عن مسائل دينهم ودنياهم.

ويدعون المشاهدات الروحية لعلمائهم، وأن هذا الشيء سر لا يدركه أي أحد، فقد جاء في كتاب الجواهر: «قال العلامة المتفنن سيدنا الإمام أحمد بن حسن العطاس: أن سيدنا الشيخ أبا بكر مخاطباته وتجلياته وترقياته ومشاهداته كلها روحية نبوية، ما يتكلم بلسانه إنما يتكلم بلسان النبي ﷺ وهذه الأشياء مكنونة ما يحسن الخوض فيها لأنها من علوم الأرواح»^(٦).

واستخدم القوم أنواعاً من الكشف ويمكن بيانه في الآتي:

(١) البرقة المشيقة (١٠٥ - ١٠٦). وانظر ادعائهم رؤية الملائكة: المشرع الروي (٣٢/٢).

(٢) انظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي (ص ٣٦٨).

(٣) المشرع الروي (١٩٣/١). (٤) المصدر السابق (٢٨/٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٧/٢).

(٦) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (٩٥/١).

دعوى رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الرسول ﷺ لا يرى يقظة بعد موته^(١)، ومن زعم ذلك فإنما هو من إضلال الشيطان له وتليسه.

ومسألة التلقي عن الرسول ﷺ يقظة بعد موته من أهم وأوثق المصادر عند صوفية حضرموت التي يأخذون منها علومهم ومعارفهم.

وقد طفحت كتب تراجم القوم ك(الجوهر الشفاف)، (والمشرع الروي)، (وشرح العينية)، (والغرر) وغيرها بقصص كثيرة لإثبات هذه العقيدة المنحرفة التي أولع بها القوم، ودعوا إلى اعتقادها في قصص وحكايات اخترعوها لإثبات وقوع التقاء أوليائهم ومشايخهم بالنبي ﷺ - بزعمهم - وطرح الأسئلة عليه ومباحثته في بعض شئونهم وغير ذلك لأخذ العلوم المتعلقة بدينهم ودنياهم.

ومن الذين قرروا هذه العقيدة علوي بن أحمد الحداد حيث قال: «فلا اجتماع بالنبي ﷺ لبعض الأولياء من قبيل الخصوصية»^(٢).

وجاء في كتاب الأجوبة الغالية: «رؤيته ﷺ في اليقظة ممكنة وواقعة، فقد ذكر العلماء نفع الله بهم كثيراً من العارفين بالله رأوه في المنام ثم رأوه في اليقظة وسألوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم»^(٣).

فالتلقي عن النبي ﷺ وأخذ علومهم - بزعمهم - منه ﷺ من الموضوعات التي يدعون تلقيها من النبي ﷺ عند رؤيته يقظة، وهي المسائل التي لها تعلق بمصالحهم ومآربهم فيدخل في هذه المصالح الأمور الدينية والدنيوية، وبناء على هذا الاعتقاد ساقوا القصص والحكايات التي تدل على تلقي أوليائهم ومشايخهم من النبي ﷺ مختلف العلوم والمعارف الدينية والدنيوية مباشرة وفي اليقظة.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٩٣/٢٧)؛ وفتح الباري (٤٠٠/١٢ - ٤٠١).

(٢) كتاب مصباح الظلام (ص ٢٨).

(٣) الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية (ص ١٠٠).

وهذا التقرير من القوم باطل، ترده النصوص الشرعية وكذا العقل، وما بني على هذا الباطل فإنه باطل مثله كما سيأتي.

ونذكر بعض النصوص الشرعية لإبطال زعم التلقي من الرسول ﷺ يقظة بعد وفاته، مع ذكر كلام أهل العلم في ذلك لبيان الحق، فأما المعرض عن الحق، ومن لا ينقاد له بعد تبينه ووضوحه فلا حيلة فيه، ولا تزيده كثرة الأدلة إلا عتواً وضلالاً.

قال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

والشاهد قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: أن بين البعث وهذه الدنيا؛ البرزخ الذي يستقر فيه الموتى، وهي المقابر، فلا هم في الدنيا ولا في الآخرة وإنما هم مقيمون في هذه القبور إلى يوم يبعثون^(١). وقولهم بخروج النبي ﷺ بجسده وروحه قبل وقت البعث مخالف لنص الآية.

وكذلك يرد زعمهم الفاسد وهو رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته^(٢) بأن النبي ﷺ لم يخرج من قبره لخواص أصحابه مع وجود الضرورة لذلك، فلم يخرج ليحل الخصومة التي جرت بين أبي بكر وفاطمة بنت رسول الله ﷺ لما سألته ميراث أبيها، وقصة أصحاب معركة الجمل، وفيهم زوجه عائشة رضي الله عنها، ولم يخرج كذلك ليحل النزاع الذي حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وغير ذلك من الحوادث التي كانت بحاجة إلى إشارة منه ﷺ لتنتهي، ومع ذلك لم يحصل من ذلك شيء.

وكذلك فإن النبي ﷺ خُيِّرَ بين الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة^(٣).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٨٢/٣).

(٢) انظر: موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، لعلي بن السيد الوصيفي (ص ١٥٣) وما بعدها. وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٤٦/٢ - ٤٧).

(٣) كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خير =

وفارق أحب الناس إليه وهي زوجته عائشة عليها السلام، وأصحابه الكرام فكيف يتولى عن الدنيا وعن أحب الناس إليه فيها ثم يحضر عند الصوفية ليشاركهم في بدعهم وضلالاتهم، بل يلزم من ذلك اتهامه عليه السلام بعدم الحكمة حيث دونت صوفية حضرموت حضوره عليه السلام في صغار الأمور كمعرفة المسافة لبلد ما، أو معرفة نسب فلان^(١)، بل واتهموه عليه السلام بصرف الناس عن الحج وأمرهم بالعودة لبلادهم حضرموت لأن بقاءهم هناك أنفع لهم^(٢)، فأى جرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم من هذا الكلام الذي دونه القوم في مصنفاتهم.

ويرد عليهم أيضاً بأن هذا الأمر عظيم تستدعي الحاجة لنقله ومع ذلك لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة، ولا من أقوال الصحابة ولا سلف الأمة، ولم يعرفه إلا المتصوفة دون بقية المسلمين، فكيف يكون ذلك معتقداً للمسلمين؟!.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة لما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»^(٣) وفي رواية: «فإن صلاتكم معروضة عليّ»^(٤).

= عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: «يا أبا بكر لا تبك إن آمن الناس عليّ في صحبتته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر» أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، (ص ١١٠) برقم (٤٦٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، (ص ٩٧١) برقم (٢٣٨٢).

(١) انظر: تذكير الناس (١٢٥، ١٨٦، ٢٧٤).

(٢) انظر: المشرح الروي (١٤١/٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك، باب زيارة القبور (ص ٢٣٢) برقم (٢٠٤١)، وحسنه الشيخ الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود: برقم (١٧٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، (ص ١٣٠) =

فإذاً من أين للصوفية دعوى تنقله عليه السلام إلى من هو دونه من الناس، ودعوى أنه عليه السلام يخرج ويرتحل مع أن النصوص دلت على أن الله تعالى وكَّل ملكاً ينقل إليه السلام من أمته^(١).

وأخبر عليه السلام بأنه أول من يخرج من قبره، ولن تشق عنه الأرض إلا يوم القيامة^(٢).

وإخباره عليه السلام أصحابه بأن الدجال إذا خرج فسيكفيهم عليه الصلاة والسلام بمفرده وإقامة الحجة عليه^(٣)، فإذا كانت فتنة الدجال أعظم فتنة في الأرض، فإن كان غائباً عنها فغيبته عن غيرها أكد وأعظم، ثم إنه عليه السلام ودَّع أصحابه في حجة الوداع بقوله: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»^(٤).

يقول أبو الثناء الألوسي^(٥): «وكون الإحياء بعد الإمامة والإرجاع إلى

= برقم (١٠٤٧، ١٥٣١)؛ والنسائي في سننه: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة، (ص ١٦٢) برقم (١٣٧٤)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة، (ص ١٢٢) برقم (١٠٨٥).

(١) والحديث أخرجه أحمد في المسند (١/٤٤١، ٤٥٢)؛ والنسائي في سننه، كتاب السهو، باب السلام التسليم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ص ١٥١) برقم (١٢٨٢)؛ وابن حبان (١٣٩٢)؛ والحاكم (٤٢١/٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: السلسلة الصحيحة (٦/٨٤٢) برقم (٢٨٥٣).

(٢) كما في المسند (٣/١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إني لأول من تشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر...» الحديث. وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث: «وسنده جيد، رجاله رجال الشيخين». السلسلة الصحيحة (٤/١٠٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (ص ١١٧٧ - ١١٧٨) برقم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمره العقبة يوم النحر ركباً وبيان قوله عليه السلام: «لتأخذوا مناسككم»، (ص ٥١٢) برقم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) هو أبو الثناء محمود شهاب الدين بن عبد الله الألوسي البغدادي، مفسر وأديب، تقلد الإفتاء في بلده ثم عُزل فانقطع للعلم. من مؤلفاته: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وحاشية على القطر في النحو، والأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية. توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام (٧/١٧٦)، ط ١٩٨٩م؛ ومعجم المؤلفين (٣/٨١٥ - ٨١٦).

الدنيا من الأمور المقدورة له ﷺ؛ مما لا ينتطح فيه كبشان إلا أن الكلام في وقوعه، وأهل السنة ومن وافقهم لا يقولون به»^(١).

ومما يوضح عدم الرجعة إلى الدنيا بعد الموت ما ثبت في المسند عن جابر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر! أما علمت أن الله ﷻ أحيا أباك، فقال له: تمنّ عليّ، فقال: أرد إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى! فقال: إني قضيت الحكم: أنهم إليها لا يرجعون»^(٢).

كما أن اعتقاد حياة النبي ﷺ ومقابلته يقظة في الدنيا بعد موته مخالف للإجماع، قال ابن حزم^(٣) رحمه الله: «واتفقوا أن محمداً ﷺ وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس»^(٤).

وكذلك يلزم الصوفية بادعائهم رؤيته ﷺ يقظة في الدنيا لوازم منها: أنه يُرى ﷺ في أكثر من مكان في وقت واحد فإن: «بعض من اعتقد هذا أو صدّق من قال إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة، وخالف صريح المعقول»^(٥).

ومن اللوازم أيضاً: عدم انقطاع التشريع وأن الناس لا يزالون يتلقون الأحكام منه ﷺ، فتبطل النصوص الدالة على أن الله تعالى قد أكمل لنا الدين كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) روح المعاني (٢٠/٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٣٦١)؛ والحاكم (٢/١١٩ - ١٢٠) وقال: صحيح الإسناد. وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لشواهد ومتابعات لهذا الحديث: «وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه المتابعات والشواهد». السلسلة الصحيحة (٧/٨٥٥ - ٨٥٨) برقم (٣٢٩٠).

(٣) هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ولد عام ٣٨٤هـ بقرطبة، وسمع من كثير من العلماء، ثم اجتهد في نصرة المذهب الظاهري الذي ينسب إلى داود بن علي وهو الأخذ بظواهر النصوص. من مؤلفاته: المحلى، والفصل في الملل والنحل. توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر ترجمته: السير (١٨/١٨٦ - ٢١٢)؛ والبداية والنهاية (١٢/٩١ - ٩٢)، ط المعارف.

(٤) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ص ١٧٦).

(٥) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص ٤٤).

وقول الصوفية في هذه المسألة فتح لباب البدع والمخالفات التي حذر منها ﷺ أمته بقوله: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»^(١).

ويلزمهم أيضاً: أن من رآه ﷺ يكون صحابياً، قال الحافظ في الفتح: «ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء إلى أن قال: وهذا مشكل جداً، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحابة إلى يوم القيامة»^(٢).

ولا إشكال في ذلك فإن الذي يتمثل لهؤلاء الصوفية إبليس أو جنوده من مردة الجن، ومن المعلوم أن الشيطان لا يتمثل في صورة النبي ﷺ: «فهذا في رؤية المنام؛ لأن الرؤية في المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان فيمنعه أن يتمثل به في المنام، وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان»^(٣).

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة أو أنه يحضر المولد أو ما أشبه ذلك فقد غلط أوجب الغلط، ولبس عليه غاية التلبس ووقع في خطأ عظيم وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، كما قال ﷺ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ﴾

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٢٦، ١٢٧)؛ وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (ص ٥٠٤) برقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (ص ٤٣٣) برقم (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (ص ٢٢) برقم (٤٢)؛ والأجري في الشريعة (٤٦، ٤٧)؛ والدارمي في سننه (١/٤٤، ٤٥)؛ وابن حبان في صحيحه (١/١٣٩)؛ والحاكم في المستدرک (١/٩٦) وصححه ووافقه الذهبي؛ وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/٥٨) برقم (١٦٥).

(٢) الفتح (١٢/٤٠٢).

(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (ص ٤٤).

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُنْعَمُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٥ - ١٦]. فأخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذباً بيناً، أو غالط مُلبس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح، ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان^(١).

والقول بحضور النبي ﷺ ومقابلته يقظة كما يرده الشرع فإنه يرده العقل؛ فإن كل أحد يرى الميت بعد موته يدفن ويهال عليه التراب، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ عند موته فقد دفنه الصحابة رضي الله عنهم في حجرة عائشة رضي الله عنها وهذا خاص بالأنبياء حيث يدفنون حيث يموتون^(٢)، ولا يشاركونهم في هذه الخصيصة أحد من الخلق.

وعن أنس قال: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»^(٣).

وشاهد الصحابة النبي ﷺ حين مات وشاركوا في دفنه، وصار الخليفة بعده أبو بكر رضي الله عنه ولو كان يأتيهم يقظة لما جعلوا خليفة من بعده يرجع إليه ويفوضونه الأمر في تنظيم شئونهم الدينية والدنيوية.

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض^(٤) قوله: «وشد بعض

(١) التحذير من البدع، للإمام ابن باز (ص ١٨).

(٢) كما ثبت في سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب: حدثنا أبو كريب (ص ١٨٢) برقم (١٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيت قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه» فدفنوه في موضع فراشه. انظر: صحيح سنن الترمذي (٢٩٨/١)؛ وأحكام الجنائز وبدعها (ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، (ص ٨٤٣) برقم (٤٤٦٢).

(٤) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، محدث من فقهاء المالكية، أندلسي الأصل ولد بسبته بالمغرب، سنة ٤٧٦هـ، وتعلم بالمغرب الأندلس ثم ولي قضاء سبته مدة طويلة، =

الصالحين فزعم أنها^(١) تقع بعين الرأس حقيقة. فقوله: شد بعض الصالحين: إشارة إلى مخالفة الإجماع القائم على عدم رجوعه ﷺ وعدم رؤيته. إلى أن قال: إن جمعاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يختلف^(٢).

وبناء على اعتقاد صوفية حضرموت في رؤيته ﷺ يقظة بعد موته فإننا نذكر بعض الشواهد لكبارهم التي تؤكد اعتقادهم رؤية النبي ﷺ، وتدوين هذا الاعتقاد في مؤلفاتهم:

فقد جاء في كتاب الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر: «ونقل الفقيه محمد بن عبد الرحمن باجمال قال: إنه سمع الشيخ أبا بكر رضي الله عنه، يقول: ما زرت سيدي الشيخ معروفاً - نفع الله به - حتى أمرني رسول الله ﷺ. قلت: هذا يؤيد اجتماع الشيخ أبي بكر بالرسول عليه الصلاة والسلام يقظة في أول سلوكه»^(٣).

وهذا النص يبين اعتقاد القوم حضور النبي ﷺ وأذنه لهم في أدنى الأمور وهو زيارة مشايخهم، وادعائهم رضا رسول ﷺ بذلك.

وجاء في كتاب تاج الأعراس عند وصف المؤلف لقطبهم صالح بن عبد الله العطاس: «وفي الدوران حول حياته الدينية لا يدري الواصف كيف يصفها؛ لارتفاعها عن الأوصاف والصفات ومتى استطعت أن تفهم حياة الأنبياء والمرسلين والملائكة فافهمها، وكيف لا يكون في تلك الصفة وقد

= حُمدت سيرته فيها، ثم ولي قضاء غرناطة له مؤلفات منها: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، والإكمال في شرح صحيح مسلم وجامع التاريخ توفي بمراكش سنة (٥٤٤هـ). انظر: السير (٢٠/٢١٢)؛ والعبر (٢/٤٦٧)؛ والأعلام (٥/٩٩)؛ ومعجم المؤلفين (٨/١٦).

(١) أي رؤيته ﷺ يقظة.

(٢) الفتح (١٢/٣٨٥)؛ وللتوسع انظر: الفتح (١٢/٢٨٣)؛ وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، للدكتور محمد لوح: (٢/١٤) وما بعدها.

(٣) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر (١/٤٤).

أدرك تلقياً من الحضرة المحمدية مباشرة يقظة»^(١).

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «قالوا إن الشيخة سلطنة بنت علي الزبيدي لازمت ذكر الحبيب ﷺ وصارت تلهج به حتى وصلت بسببه إلى مقام شريف وهو مقام المكاملة، فسمعت النداء من الحق يقول لها في سرها: يا سلطانه اطلبي ما تريدن، فرحلت إلى قَسَم إلى عند الشيخ محمد بن حكم باقشير^(٢) وأخبرته بذلك وقالت له: أبغي رتبة عظيمة وليس فوقها شيء من المراتب. فقال لها: إن رؤية الحبيب ﷺ ما فوقها شيء من المراتب، فقالت: يا رب أبغي الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة فأعطاها الله ذلك حتى أنه يأتي إليها الآتي من أهل عصرها ويقول لها: قولي للنبي ﷺ كذا وكذا. فيأتي إليها النبي وتخبره بذلك فيقول لها: قولي له يفعل كذا وكذا أو لا يفعله»^(٣).

وقال الشواف^(٤) في شأن سلطنة هذه في قصيدته الطويلة المسماة (قصعة العسل):

سلطنة أم العسكر لها مناقب تشهر
مثل المشائخ وأكبر فيها وقع سر الله
إذا بغت علم أخبار جأها النبي وسط الدار
تشوفه الأبصار يحكي لها شيء الله^(٥)

ويتبين من هذه النصوص غلو القوم في أوليائهم ومشايخهم، فهذا مؤلف

(١) تاج الأعراس (١/١١٣).

(٢) هو محمد بن حكم باقشير الحضرمي، من صوفية قسم في القرن التاسع، درس عليه كثير من الصوفية بما فيهم العلويون أمثال: محمد بن علي صاحب عديد، وحسن المعلم، وعبد الرحمن السقاف وغيرهم. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (ص ١٠٥، ٤٤٦، ٥١٥، ٥٣٦).

(٣) كنوز السعادة الأبدية (ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٤) هو سعيد بن سالم الشواف: ولد بهين من حضرموت سنة ٩٢٥هـ، وعاش حياة صوفية، من مؤلفاته: شوارق الأنوار في ذكر مشايخ الصوفية وهي أرجوزة طويلة في فضائل رجال التصوف عرفت بـ(قصعة العسل)، توفي سنة ٩٩٠هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٧٧)؛ وجواهر تاريخ الأحقاف (٢/ ٣٠٤)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٥٠٥).

(٥) قصيدة سعيد بن سالم الشواف المسماة قصعة العسل (ص ١٨٨).

كتاب تاج الأعراس يصف حياة صالح بن عبد الله العطاس بأنها حياة الأنبياء بل حياة الملائكة، وكل هذه المقدمة عن هذا الشخص لتقرير دعوى أخذه عن النبي ﷺ مباشرة.

وكذلك ادعت سلطنة الزبيدي رؤية النبي ﷺ في المنام والأخذ عنه، ثم تطور الأمر بها حتى رآته يقظة يزورها في دارها وتأخذ منه أحكام الشرع، بل وتطلب منه أن يفتي الناس عما يأتيها من الأسئلة فتعرضها على النبي ﷺ فيجيب على تلك الأسئلة والاستفتاءات.

ولا شك أن هذا فتح باب شر على الأمة الإسلامية، فتنتشر بسببه المخالفات الشرعية، حيث يرد أحدهم إذا انتقد قائلاً: تلقيت هذا من النبي ﷺ مباشرة.

ويقول أبو بكر الحبشي: «قال سيدي ﷺ: وجاءت إلي شريفة من الصالحات من دوعن وقالت: دعني أقبل رأسك؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ يقول: من أراد الخير والبركة فليقبل رأس السيد أحمد بن حسن العطاس. فلم أرض ذلك. ثم جاء رجل آخر من الصالحين المحبين لأهل البيت؛ وقص مثل الرؤيا السابقة؛ وطلب من سيدي ﷺ تحقيق الرؤيا؛ فتركه سيدي ﷺ وما أراد من تقبيل رأسه الشريف»^(١).

وجاء في كتاب منهل الورد: «ومن أجل الكرامات وأعظمها ما يقع لخواص الأولياء من الاجتماع بالنبي ﷺ وسؤالهم إياه عما أشكل عليهم ما صرح به غير واحد إذ هو حي في قبره، وليس ذلك بعيد كمشاهدة أرباب القلوب الزكية في يقظتهم الملائكة وأرواح الأنبياء، أو سماعهم منهم أصواتاً واقتباسهم منهم فوائد وليس ذلك ببعيد»^(٢).

وجاء في المشرح الروي في ترجمة علي بن علوي بن خالغ قسم: «وكان ﷺ يرى النبي ﷺ ويسأله عن أمور تشكل عليه فيبينها له ويوضحها»^(٣).

(٢) منهل الورد (ص ٢٤٧)، ط العصرية.

(١) تذكير الناس (ص ١٠٨).

(٣) المشرح الروي (٢/ ٢٣٠).

وجاء في كتاب مطالع الأنوار:

إلى طريق الفيض والمزيد يرشد كل صادق مريد
قوله: «إلى طريق الفيض والمزيد»؛ أي: لهذا العارف الإيصال بإذن الله تعالى وإرادته إلى طريق الفيض والمزيد؛ أي: فيض الأنوار ومزيد الأسرار بواسطة النبي المختار فهو يتلقى الأنوار والأسرار من حضرته ﷺ ثم يفيضها على المريدين فيسيرون بها إلى حضرة رب العالمين فإذا وصلوا إلى ذلك المقام كانوا من المسلكين المقربين فيتأهلون لأحوال ومقامات الشيوخ المربين^(١).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «قال الشيخ إسماعيل الحضرمي: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له من أولياء الله؟ فقال: دَرَسَةُ التَّوْبَةِ والمهذب»^(٢).

ومن ذلك ما جاء في كتاب تذكير الناس ادعاء القوم حضور النبي ﷺ لرفع الخلاف بين الصوفية ومن يعارضهم في بعض مسائل الشرع، كمسألة حكم استخدام البرك^(٣) كماء يتطهر به في المساجد: «لما بنى سيدنا عبد الرحمن السقايف مسجده بتريم ووضع هذه الجوابي^(٤) المعروفة بالجهة، وهو أول من أشار بوضعها وقال: أسست مسجدي هذا والنبي ﷺ واقف في محرابه والأئمة الأربعة كل واحد على ركن من أركانه ارتفع الخلاف»^(٥).

ومن هذا النص يتضح لنا اعتقاد القوم حضور النبي ﷺ إليهم بجسده لا بروحه فقط، وإن حضوره ﷺ يرفع الخلاف في المسائل المتنازع فيها عندهم، وهذا تشريع جديد، وإن الوحي لم ينقطع - بزعمهم -، وهذا فتح باب للشر، والإحداث في دين الله تعالى، بحجة أن النبي ﷺ هو الذي أفتاهم أو أقر قولهم أو فعلهم، وإن كان ذلك مخالفاً لدين الله تعالى.

(١) مطالع الأنوار (ص ٣١٧).

(٢) تذكير الناس (ص ٣٩).

(٣) جمع بركة وهو ما يوضع فيه الماء.

(٤) جمع جابية وهي البركة التي يحبس فيها الماء. انظر: كلمات في الداريجة الحضرمية (ص ٢٢). وهي عربية.

(٥) تذكير الناس (ص ٥١).

وجاء في كتاب النفحة الشذية من الديار الحضرمية: ذكر المؤلف قول علوي بن عبد الرحمن المشهور في مسألة فقهية فسل: «هذا اختيار الحبيب عبد الله بن الحداد أم سبق إليه؟ فقال: الله أعلم، ونحن إذا قال الحبيب عبد الله الحداد ما عاد نلتفت إلى قول غيره لأنه قال: إذا أشكل علينا شيء أخذناه من النبي ﷺ يقظة»^(١).

وجاء في كتاب «بشائر وطوالع سعود رحلة إلى هود» عند ذكر مناقب معروف باجمال: «قيل أنه رأى النبي ﷺ يخاطبه ويقول له: لكل زمان واحد يقتدى به وهذا زمان أنت لا شك واحده قيل أنه: أمره أن يزور تريم»^(٢).

وفي هذا النص مخالفة للقرآن حيث وصف الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]. يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية: «يقول الله مخبراً عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علّمه الشعر وما (ينبغي له) أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته. ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه ولم يتمه»^(٣).

وجاء في كتاب (ظهور الحقائق) ما يدل على ادعائهم التلقي من النبي ﷺ: «ومن ذلك ما روى بعض الثقات عن السيدة المكاشفة سلطنة بنت علي الزبيدي قالت: قال رسول الله ﷺ: آل أبي علوي عندنا من خيار أصحابنا، قالت: كان يحبهم وتمد صوتها تشير إلى المحبة العظيمة قالت: كان يسألني عن خواصهم»^(٤).

ويقول أبو بكر الحبشي^(٥) في وصف أحمد بن حسن العطاس: «المشهور

(١) النفحة الشذية من الديار الحضرمية (ص ٥٧).

(٢) بشائر وطوالع سعود رحلة إلى هود قام بها أحمد بن حسن العطاس: جمعها: علوي بن طاهر الحداد (ص ٦٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٣٦). (٤) كتاب (ظهور الحقائق) (ص ١٤٦).

(٥) هو أبو بكر بن عبد الله الحبشي الملقب (عطاس)، من صوفية حضرموت المهتمين بجمع =

لدى الخاص والعام بالولاية الكبرى والكشف الجلي والكرامات العظام، والاتصال التام بالحضرة المحمدية في اليقظة والنام...»^(١).

وقال أيضاً: «وذكر عليه السلام عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس^(٢)؛ أنه قال: كان السيد أحمد بن علي بحر القديمي يجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله يقظة، فقال: يا رسول الله أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسطة. فقال له صلى الله عليه وآله: أحدثك بثلاثة أحاديث: الأول ما زال ربح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة، الثاني: من اتخذ سبحة ليدكر الله بها كتب من الذاكرين الله كثيراً إن ذكر بها أو لم يذكر، الثالث: من وقف بين يدي ولي الله حي أو ميت فكأنما عبد الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرباً إرباً»^(٣).

ويقول أحمد بن حسن العطاس: «وذكرت البسملة، وكون الحنفية لا يبسمون، في مجلس بيت سيدي الحبيب حسين بن محمد الحبشي^(٤) بمكة حضره كثير من العلماء، منهم السيد محمد جعفر الكتاني^(٥)، فقال الحبيب

= المناقب والكرامات لمشايخهم، ولد ببلدة ثبي من ضواحي تريم سنة ١٣٢٨هـ. هاجر إلى مكة واستوطنها. من آثاره تذكير الناس في مناقب أحمد بن حسن العطاس. توفي سنة ١٤١٦هـ. انظر: هداية الأخيار (ص ١٢٧ - ١٢٨).

(١) تذكير الناس (ص ٧).

(٢) هو أبو بكر بن عبد الله بن طالب العطاس، ولد بحريضة سنة ١٢١٦هـ، أخذ عن شيوخ الصوفية بحريضة، ثم رحل للأخذ عن الصوفي الكبير عبد الله بن أحمد باسودان وغيره. توفي بحريضة سنة ١٢٨١هـ ودفن في قبة جده عمر بن عبد الرحمن العطاس. انظر: لوامع النور (١/ ١٨٧ - ١٨٨). وجمع حفيده سالم بن عبد الله بن أبي بكر مناقبه في كتاب سماه (حلاوة القرطاس في مناقب الحبيب أبي بكر العطاس).

(٣) تذكير الناس (ص ١١٩).

(٤) هو حسين بن محمد بن حسين الحبشي، من صوفية حضرموت، ولد بمدينة سيئون بحضرموت سنة ١٢٥٨هـ، ورحل إلى مكة وتولى بها منصب الإفتاء بعد وفاة والده فكان يفتي بها على مذهب الشافعي، من مؤلفاته: فتح القوي ثبت أملاء على تلميذه عبد الله المغازي يحتوي على أسانيده ومروياته، توفي بمكة سنة ١٣٣٠هـ انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١١٠، ١٢٢)؛ وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ٢٣٥).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الزمزمي الكتاني، محدث، راوية، مؤرخ، فقيه. ولد بفاس سنة ١٢٧٤هـ، ورحل إلى المشرق وسكن المدينة، وسافر إلى بيروت ودمشق. من =

حسين: إن السيد أحمد دحلان كان في نفسه شيء من ذلك، حتى رأى النبي صلى الله عليه وآله يصلي في مقام الحنفي فابتدأ بالحمد لله رب العالمين. فقال السيد محمد بن جعفر: إن بعض الحاضرين من أهل المغرب رأى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هل البسملة آية من الفاتحة؟ فقال: نعم، هي آية منها، ولكن لا تبطلوا صلاة تاركها»^(١).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقال صلى الله عليه وآله: دخل الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس إلى المدينة هو والحبيب شيخ بن محمد الجفري، والحبيب أبو بكر بلفقيه، وتعاهدوا على العمل بما في بداية الهداية؛ وعملوا به: ثم ورد لهم الإذن من الحضرة المحمدية بالتفرق؛ فأما الحبيب شيخ بن محمد الجفري، فأمره صلى الله عليه وآله بالتوجه إلى مليبار؛ وأما الحبيب أبو بكر بلفقيه؛ فأمره بالتوجه إلى أشي جزيرة من جزائر جاوه؛ وأما الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى فأمره بالتوجه إلى مصر، فقال لجده صلى الله عليه وآله: إن مصر ملانة^(٢) من العلماء، فقال له: إذا أشكل إليك شيء فراجعه في الدشته^(٣) تجده، والدشته هي لصاحب الحزم عبد الرحمن بن محمد العيدروس»^(٤).

وجاء في تذكير الناس ما يبين اجتماع أحمد بن حسن العطاس بأهل البرزخ: «فبينما أنا جالس إذ بورقة تدار على الحاضرين إذا قرأها أحد؛ أعطاه الذي يليه، حتى بلغت عندي فقرأتها فإذا فيها مكتوب؛ عبد الرحمن بن حامد؛ رأى النبي صلى الله عليه وآله يقول: علي الحبشي؛ أعماله وأعمال أصحابه مقبولة، فقال سيدي أحمد صلى الله عليه وآله: حينئذ أنا من أصحابك؛ فقال سيدي علي: كلكم من أصحابي؛ ثم قال لي: أتريد أن تجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم، فدخلت إلى

= تصانيفه: الأزهار العاطرة، والرسالة المستطرفة، ونظم المتناثر من حديث المتواتر. توفي بفاس سنة ١٣٤٥هـ. الأعلام (٦/ ٣٠٠)؛ ومعجم المؤلفين (٣/ ١٩٢).

(١) تذكير الناس (ص ١١٠).

(٢) بمعنى ملينة.

(٣) الدشته: عبارة عن كتاب لعبد الرحمن بن محمد العيدروس - كما تقدم - ويحتوي على متنوعات العلوم وشتى المسائل وحوادث سياسية واجتماعية، وتصوف.

(٤) تذكير الناس (ص ١٣٠ - ١٣١).

مكان فيه جماعة؛ فسألتهم أين الحبيب ﷺ فقليل: سيأتي فجلسنا؛ ثم دخل الحبيب ﷺ فقمنا فصافحناه؛ فجلس ولم يتكلم هو ولا أحد بكلمة ثم أخذ الحبيب ﷺ يتكلم في علوم الذات الأحدية، بلسانٍ محمدية أحمدية، تلاشت عندها الصور الجسمانية. وشرع سيدي ﷺ يتكلم وأتى بما يحير العقول فقال سيدي ﷺ: كأني أسمع أحداً من السقف يقول: اكتم اكتم، وقد سمع هذا الهاتف بعض السادة الحاضرين، قال سيدي علي ثم تكلم الحبيب ﷺ في علوم الصفات، وسكت... (١).

فهذه بعض النصوص التي شحن القوم بها كتبهم لتقرير عقيدة رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته وأخذهم منه أحكام دينهم ودنياهم، فهم كسلفهم الصوفية القدامى الذين قرروا هذا الاعتقاد المنحرف، ويتبين بطلانه لكل مسلم، وقد سقنا بعض الأدلة التي تبين بطلان هذا الاعتقاد.

دعوى الاجتماع بالخضر ﷺ والأخذ عنه:

قضية الخضر ﷺ من القضايا الكبرى عند صوفية حضرموت حيث شغل الكلام عنها حيزاً كبيراً من مؤلفاتهم، فهم يعتقدون حياته ﷺ إلى الآن، وأنه ولي يتلقون عنه أمور دينهم ودنياهم، وكذا عقد الأخوة معه ونحو ذلك فمن نصوصهم:

يقول عبد الرحمن الخطيب في جوهره عند ذكره لعبد الرحمن السقاف: «وأخبرني بعض السادة من آل باعلوي قال: قلت للشيخ عبد الرحمن أود أن ألقى الخضر وأعقد بيني وبينه الأخوة، فقال: سوف تنال ذلك من حيث لا تدري، قال: فلقيني الخضر في صورة بدوي كانت بيني وبينه معرفة، وعقد بيني وبينه الأخوة، ثم غاب ففاحت منه رائحة المسك، فعجبت من ذلك فأخبرت الشيخ بذلك فقال: إنما ذلك الخضر. ثم لقيت صاحبني البدوي فقال لي: لم أكن أتيتك أصلاً» (٢).

(١) تذكير الناس (ص ٢١١).

(٢) مواهب القدوس (ص ٤٠).

ويعتقد القوم أن الخضر ﷺ صحابي يقول عبد الرحمن بلفقيه: «ومنه الخضر الباقي الصحابي لا لقمان والبر ذو القرنين بل فضلاً» (١) ورجح بعضهم أن الخضر ﷺ نبي حيث قال: «والأصح أن الخضر نبي دون لقمان وذو القرنين» (٢). واضطرب القوم في شخصية الخضر ﷺ هل هو نبي أم لا؟ مع اتفاقهم على حياته وحضوره عندهم والأخذ منه.

وتكرر اعتقادهم في أن الخضر يأتي إليهم في صورة بدوي، أو شخص متواضع يبدو عليه أثر الفقر (٣) لتقرير مبدأ التصوف الذي يزعمون أنه قائم على الفقر والفاقة، وهكذا يؤلفون القصص والأساطير حول شخصية الخضر ﷺ، حتى صارت من الأمور المسلمة عند الأتباع.

وكذلك يدعي القوم الاستفادة من علوم الخضر ﷺ عند الالتقاء به، فقد ذكر محمد بحرق (٤) عن شيخه أبي بكر العيدروس أنه قال: «ولقيت الخضر مراراً فاستفدتُ منه فوائد كثيرة» (٥)، وأكثروا من تلك الدعاوى في مؤلفاتهم (٦). ويضيفون أحياناً الاجتماع بالخضر والياس ﷺ والأخذ عنهما (٧).

والله تعالى قد أغنى هذه الأمة بالقرآن والسنة في تلقي أمور دينها، كما

(١) عمدة المحقق: ق ٣. (٢) صفوة العقيدة الأشعرية: ق ٦.

(٣) انظر: المشرع الروي (١٠/٢).

(٤) هو محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي الحميري الشهير ببقرق، ولد بحضرموت سنة ٨٦٩هـ، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى مكة سنة ٨٩٤هـ، ثم رحل لزبيد وتلقى بها التصوف. وأخيراً رحل إلى الهند ووفد على سلطانها فأكرمه وقربه إليه. من مؤلفاته: عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر، والعقيدة الشافعية في شرح العقيدة اليافعية، والحسام المسلول على منتقص أصحاب الرسول وغيرها. توفي سنة ٩٣٠هـ. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٥٣/٨)؛ وتاريخ النور السافر (ص ١٤٣)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٩٥/١).

(٥) مواهب القدوس (ص ٥٥)؛ والمشرع الروي (٧٢/٢، ١٤٥/٢).

(٦) انظر دعاوى اجتماع صالحهم بالخضر ﷺ: المشرع الروي (١٤١/١)، (٧٢/٢، ٢/١٤٥).

(٧) المصدر السابق: ٢٨/٢.

قال سبحانه: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وأكمل الله تعالى هذا الدين فلا يحتاج إلى زيادة من أحد كائن من كان، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه، وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد رضى الله فلا يسخطه أبداً»^(٢).

قال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء، إلا ذكرنا منه علماً»^(٣).

والقوم ليس معهم في دعواهم أدلة نقلية من الكتاب ولا من السنة، والكلام في ذلك قول في دين الله تعالى بلا علم، وهو من المحرمات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ويمكن إجمال انحراف صوفية حضرموت في قضية الخضر ﷺ وإلزام القوم باعتقادهم فيه في الآتي:

- إن غاية ما يتمسكون به حكايات عن مشايخهم، لا زمام لها، ولا خطام.

- أن الخضر فارق موسى ﷺ فكيف يفارقه ويجتمع بجهلة الصوفية.

- عدم مجيئة للنبي ﷺ ومبايعته لو كان حياً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، (ص ٦٧٩) برقم (٣٥٣٤، ٣٥٣٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، (ص ٩٣٨) برقم (٢٢٨٦، ٢٢٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١٥/٢). (٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢١/٧).

- ولو كان حياً لجاهد الكفار ولحضر الجمعة والجماعات، ولرآه، وباعه وغير ذلك من الأمور التي تلزم المؤمنين فضلاً عن الخضر ﷺ^(١).

وقد ملئت كتب القوم بذكر الخضر ﷺ ودعوى الالتقاء به، والأخذ منه ما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم، وهذه الخرافة هي ديدن الصوفية جميعاً، فقد جعلوا الخضر ﷺ مصدراً للوحي والإلهام والعقائد والتشريع، ونسبوا كثيراً من علومهم المبتدعة إليه.

وأما اعتقاد أهل السنة والجماعة في قصته مع موسى ﷺ فيعتقدون أن ما فعله هو وحي من الله تعالى، وليس إلهاماً أو خيالاً لأنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: أنه فعله عن أمر الله ﷻ، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تُعرف به أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله تعالى، لا سيما قتل النفس البريئة في ظاهر الأمر وتعييب سفن الناس وأموالهم، وقد حصر الله تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]. وإنما صيغة حصر، فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام فيجواب: إن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به، ولوجود دليل على عدم الاستدلال به^(٢).

ويعتقد صوفية حضرموت حياة الخضر ﷺ إلى الآن، والتلقي عنه ما يشكل عليهم من أمورهم الدينية والدنيوية.

(١) وقد بين أهل العلم القول الحق في الخضر وأنه قد مات، ولا حقيقة لتهرات الصوفية التي يتعلقون بها وبينون بها أحلامهم المنحرفة. انظر: تفسير روح المعاني للألوسي (٣٢٠/١٥) - (٣٢١) - دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ، وكلام الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: في أضواء البيان على تنفيذ القول بحياة الخضر ﷺ إلى الآن (١٧٧/٤ - ١٩٢). وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/١٠٠ - ١٠٢).

وضعف أبو الخطاب بن دحية الأحاديث الواردة في حياة الخضر ﷺ: «الزهر النضر في نبأ الخضر» (٢/٢٣٤، ٣٠٢)؛ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في ذلك: البداية والنهاية (١/٣٣٦)، ط دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢) انظر: أضواء البيان (١٧٣/٤).

والصحيح الذي لا مرية فيه أن الخضر عليه السلام ليس بحي إلى الآن، يقول أبو حيان الغرناطي^(١): «والجمهور على أن الخضر قد مات وممن ذهب إلى موت الخضر وعدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الفضل المرسى فقد قال: أما خضر موسى بن عمران فليس بحي؛ لأنه لو كان حياً للزمه المجيء إلى النبي، والإيمان به...»^(٢).

والقول بحياة الخضر قول بغير علم وذلك محرم بنص القرآن الكريم، وقد استدلل العلامة محمد الأمين الشنقيطي^(٣) على موت الخضر عليه السلام بأدلة كثيرة منها ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر أو نحو ذلك: «ما من نفس منقوسة، اليوم تأتي عليها مائة سنة، وهي حية يومئذ»^(٤) فهذا الذي رواه جابر فيه تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا تبقى نفس منقوسة ممن كانت حية بعد مائة سنة، وساق نصوصاً كثيرة في ذلك من النقل ومن العقل ثم قال: «وبهذا كله يتبين أن النصوص الدالة على موت كل إنسان على وجه الأرض في ظرف تلك المائة، ونفي الخلد عن كل بشر قبله تتناول بطواهرها الخضر، ولم يخرجها منها نص صالح للتخصيص كما رأيت. والعلم عند الله تعالى»^(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن حياة الخضر عليه السلام: «والصواب

(١) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، أديب، نحوي، لغوي، مفسر، ولد بقرطبة. وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/٧٨٤).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان (٦/١٤٧)، نشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض.

(٣) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: ولد عام (١٣٢٥هـ)، في مورتانيا، كان على علم غزير في التفسير والعقيدة والفقه وأصوله، واللغة. ومن مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم المسمى: أضواء البيان؛ وكتاب منع المجاز، وغيرها. سكن المدينة النبوية، ودرس بالجامعة الإسلامية، توفي رحمه الله سنة (١٣٩٣هـ). انظر: ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمة أضواء البيان، وكتاب علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ص (١٧١)، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، عالم المعرفة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منقوسة»، (ص ١٠٣٢) برقم (٢٥٣٨).

(٥) انظر: كلام الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بتوسع في هذه المسألة: أضواء البيان (٤/١٧٧ - ١٩٢).

الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به، ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم؛ فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم الذي علمهم الكتاب والحكمة إلى أن قال: وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قط، ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون، وقول القائل: إنه نقيب الأولياء فيقال له: من ولّاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيهم الخضر وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل مثل: شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال: أنه الخضر كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعى ذلك وروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر: من أحالك على غائب فما أنصفك، وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان»^(١).

والشيطان قد يتصور لهؤلاء القوم في صورة يظنونها الخضر ليلبس عليهم ويضلهم عن سواء السبيل: «وقد يرى الخضر على صور مختلفة وعلى صورة هائلة، وأمثال ذلك، وذلك لأن هذا الذي يقول: إنه الخضر، هو جنّي بل هو شيطان يظهر لمن يرى أنه يضلّه»^(٢).

ثم ما المقصود بأهل الغيب هل هم الذين يزعمون علم الغيب وقد ماتوا وانقرضوا ثم يسألون النصر على الأعداء؟، فيقال لمثل هؤلاء: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يَنْبَغُ لَكُمْ مِثْلُ خَيْرِ﴾ [فاطر: ١٤].

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/١٠٠ - ١٠٢). (٢) منهاج السنة النبوية (١/١٠٤).

ومما تقدم يتبين لنا أن الصوفية قد لبس عليهم الشيطان فجعلهم يعتقدون أن ما يرونه في بعض الأوقات هو الخضر عليه السلام، والحق الذي لا ريب فيه أن الخضر عليه السلام قد مات، ولو كان حياً للزمه اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والمشاركة معه ومع أصحابه في نصر دين الإسلام، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه أخبر بشؤون الخضر إلا بما أخبر به القرآن.

وبين شيخ الإسلام رحمته الله على افتراض حياة الخضر - أن المسلمين في غنى عنه وعن غيره من الخلق في تلقي أمور الدين؛ لأن الدين قد جاء به كاملاً سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فلا حاجة بالمسلمين للالتفات إلى غير شرعه صلى الله عليه وسلم.

ومن النصوص التي توضح اهتمام صوفية حضرموت بقضية حياة الخضر عليه السلام والتلقي عنه ما جاء في ترجمة أحمد بن علوي باجحدب (ت ٩٧٣هـ) أنه: «كان كثير الاجتماع بالخضر عليه السلام وطلب منه تلميذه عوض بامختار^(١) أن يجمع بينه وبين الخضر فقال له: ستجتمع به ولا تقدر عليه فاجتمع به في الجبل المشهور بالمعجاز وهو في صورة بدوي فلم يعرفه فلما بُعد عنه ناداه، وقال له: السلام عليك يا عوض بامختار، ستقضى حاجتك، وسلم على شيخك؛ الشيخ أحمد فقال له عوض: قف لي حتى أسألك، فقال له: ما قال لك الشيخ أحمد ما تقدر عليه ثم غاب عنه فلم يره»^(٢).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وذكر سيدي عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس أن الشيخ علي بن عمر الشاذلي^(٣) صاحب المخا^(٤)، تولى

(١) هو عوض بن عبد الله بامختار، ولد بالغرفة سنة ٩١٣هـ، وكان صوفياً آمياً، وتوفي بالغرفة سنة ٩٧٨هـ. انظر: السناء الباهر للشلي (ص ٥٢٥) تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، مكتبة الإرشاد - صنعاء؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (١/١٦٦).

(٢) المشرح الروي: ٧٢/٢.

(٣) هو علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد دعسين الشاذلي، من شيوخ الصوفية بزبيد، استوطن قرية المخا، وله فيها زاوية صوفية وأصحاب، وأشهر الطريقة الشاذلية ونشر فكرها بتلك الجهة. توفي سنة ٨٢١هـ بالمخا. انظر: طبقات الخواص (ص ٢٣٣).

(٤) المخا: موضع باليمن بين زيد وعدن بساحل البحر وهو مقصور، ويقع شمال باب المنذب، وهو من أعمال تعز، كان مشهوراً بتصدير البن. انظر: البلدان اليمنية عند ياقوت =

الخطابة وكثرت في وقته أذية الجن للإنس، فشكا ذلك إلى الخضر»^(١). وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقيل له: هل أجازكم الخضر في شيء مخصوص؟ فقال: لا أذكر شيئاً ولي منه إجازات عامة، واجتماعات كثيرة»^(٢).

وجاء في كتاب المشرح الروي في مناقب علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمته الله أنه: «كان حزينا متفكراً إذ دخل عليه رجل حسن الثياب طيب الرائحة فقال له: ما لي أراك حزينا أعلى الدنيا تحزن؟! فهي رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر. فقال: ما عليها أحزن وإنها كما تقول، فقال: علامَ حزنك؟ فقال: أتخوف من فتنة ابن الزبير^(٣) قال: فضحك، ثم قال: يا علي هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه، قال: لا، رأيت أحداً سأله فلم يعطه؟ قال: لا، فاختفى عنه، وإذا قائل يقول ولا يرى شخصه: هذا الخضر عليه السلام»^(٤).

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد»^(٥).

فالأحاديث التي قد يستند عليها صوفية حضرموت في حياة الخضر عليه السلام لا يثبت منها شيء، وعمدتهم وأقوى ما يستدلون به ما روي عن علي عليه السلام أنه قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وسجى بثوب، هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته شخصه: سلام الله وبركاته، السلام عليكم أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

= الحموي، للأكوع (ص ٢٥٦).

(١) تذكير الناس (ص ٥٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢٥). وانظر: أخذ الأحكام الشرعية عن الخضر: تاريخ الحامد (ص ٧٠٧).

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام، ولد عام الهجرة، وحكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له. بوجع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية فبقي ثمان سنوات حتى قتل في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة (٢/٣٠١ - ٣٠٣)، ط دار الكتاب العربي - بيروت.

(٤) المشرح الروي (٢/٤١).

(٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن القيم (ص ٦٧). تحقيق وتخريج: أبي غدة.

الْمَوْتِ الآية. إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودركاً من كل فائت، فبالله فتقوا، وإياه فأرجوا، فإن المصاب من حرم الثواب^(١) فكانوا يرون أن المتكلم هو الخضر عليه السلام^(٢).

وأكثر ما يستدلون به حكايات وقصص لا تثبت بها أحكام^(٣).

وبين أهل العلم بطلان ما استدلووا به من الأحاديث على حياة الخضر عليه السلام^(٤).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في الدين»^(٥).

وشحن القوم كتبهم بذكر لقاء مشايخهم وأوليائهم بالخضر عليه السلام، لتلقي بعض العلوم والمعارف عنه التي يبحث عنها الصوفية من المواهب والأسرار التي أكثرها ذكرها في مصنفاتهم، فقد ذكر الشلي مساجد تريم فقال: «ومنها مسجد سرجيس المشهور بالعبادة معمور اجتمع كثير من الصالحين بالخضر عليه السلام فيه»^(٦).

كما يرون أن البركة تنال باجتماعهم بالخضر عليه السلام^(٧)، ويدعون أنهم يرونه في صورة بدوي ويخبرهم بالمغيبات كانقضاء الحاجات التي لا يعلمها إلا

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٦٢/٢).

(٢) أضواء البيان (١٧٨/٤)، ط مكتبة ابن تيمية، وبين الشيخ أن الحديث لا يصح، ولم يثبت بسند صحيح، انظر: رد الشيخ على من قال بحياة الخضر عليه السلام (١٧٨/٤ - ١٨٩).

(٣) انظر بعض تلك القصص والحكايات: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي (ص ٥٤) تعليق: نعيم زرزور، ط ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، والموضوعات (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: الموضوعات، لابن الجوزي (١٩٥/١ - ١٩٧)، ط ٢، ١٤٠٧هـ تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، والمنار المنيف، لابن القيم (ص ٦٧) تحقيق: أبي غدة ١٤٠٢هـ.

(٥) البداية والنهاية، للإمام ابن كثير (٣١١/١).

(٦) المشرح الروي (١٤١/١).

(٧) المصدر السابق (٥٤/٢).

رب الأرض والسموات جلّ وعلا^(١).

وجاء في كتاب المشرح الروي عند ذكر كرامات عبد الرحمن السقاف (ت ٨١٩هـ): «وقال بعض تلاميذه: أود أن ألقى الخضر وأعقد معه الأخوة، فقال: سوف تنال ذلك قال: فلقيني الخضر في صورة بدوي كانت بينه وبينه معرفة وعقد معي الأخوة ثم غاب وشمت الرائحة الطيبة»^(٢).

وفي هذا النص يؤكد القوم لقاءهم بالخضر في صورة بدوي لاعتقادهم تشككه في الصور التي يعرفونها كي يأنسوا به، بل ويعقدون معه عقد الأخوة معه وذلك بإشارة السقاف للتلميذ وحصول مراده، ثم إنهم جعلوا من علامات الخضر طيب الرائحة عندما يولي عنهم مدبراً.

وحقيقة الأمر أن ذلك من تسويل الشيطان لهم وتمثله لهم، فيخبرهم أنه الخضر أو يلقي ذلك في قلوب مشايخ الصوفية ليضلوا ويضلوا غيرهم كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ومن الموضوعات المستفادة من دعوى القوم لقاء الخضر عليه السلام تصحيح بدعهم وترويجها، كبدعة الحضرة الصوفية وغيرها، فقد جاء في كتاب (ظهور الحقائق) عند ذكر الفقيه المقدم: «وكانت له قدس الله روحه حضرات محضورة، ومشاهد مشهورة، ومجالس مشهودة، ومحاضر معقودة يحضرها الملائكة والأنبياء ورجال الغيب والخضر والأولياء والصالحون والأصفياء الأحياء بأجسامهم والأموات بأرواحهم»^(٣).

الإلهام عند صوفية حضر موت:

تمهيد:

الإلهام في اللغة: هو ما يلقي في الروح، أو ما يلقيه الله في النفس من الأمور التي تبعث على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من

(١) المصدر السابق (٧٢/٢).

(٢) المشرح الروي (١٤٥/٢).

(٣) ظهور الحقائق (ص ٨٠ - ٨١).

يشاء من عباده^(١).

وجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَالْمُهَمَّا نُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ﴾ [الشمس: ٨].

وقال الراغب الأصفهاني^(٢) في مفرداته أن الإلهام هو: «إلقاء الشيء في الروح، يختص ذلك بما كان من جهة الله - تعالى - وجهة الملائكة الأعلى»^(٣).

وفي الاصطلاح: «إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، ويطمئن ويسكن من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، يخص به الله - تعالى - بعض أصفياه»^(٤).

وقد يسمى هذا الإلهام بالعلم اللدني، يقول ابن القيم رحمه الله: «والعلم اللدني: هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سمي لدنياً»^(٥).

سوف الصوفية مفاهيم الدين وعلومه على أساس الإلهام لينصروا مذهبهم المخالف، لذا ازدروا بسببه كل وسيلة أخرى توصل إلى الله تعالى.

والإلهام - كما سبق - ما يلقي في الروح من أمور تبعث على الفعل أو الترك، ولكن يقال: إن الملهم مهما أوتي من علوم فإن الله سبحانه لم يضمن له سلامتها كما ضمن لعباده حفظ الكتاب والسنة. وذهب أبو حامد الغزالي إلى التسوية بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء، ولم يثبت فرقاً إلا في مشاهدة الملقى الذي يتلقى منه العلم، فقال: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء بل في الملك المفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة»^(٦).

(١) انظر: لسان العرب (٥/١٢)، مادة: (لهم).

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني)، من أهل أصفهان، سكن بغداد. من تصانيفه: المفردات في غريب القرآن، ومحاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، وغيرها. توفي سنة (٥٠٢هـ). انظر: السير (١٨/١٢٠)؛ والأعلام (٢/٢٥٥).

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٤٥٥).

(٤) انظر: التعريفات، للرجزاني (ص ٣٤)؛ وشرح جمع الجوامع، للمحلي (٢/٣٥٦).

(٥) مدارج السالكين (٣/٤٣١). (٦) إحياء علوم الدين (٣/٢١).

وهذا كلام غير صحيح، ويظهر خطأه لكل من عرف الكتاب والسنة ومذهب سلف الأمة.

والإلهام عند أهل السنة والجماعة من جملة أصناف الوحي، ومراتب الهداية، والإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم وقربهم من الله تعالى.

أما الإلهام الخاص فهو التحديث، وهو الوحي إلى غير الأنبياء^(١) كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَلِّبْهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [القصص: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ هَارُونَ أَن مَّا نُوا فِي رَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١].

وقد يكون لغير مكلف، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَلَمَّا تَعْرِشُونَ ۝﴾ [النحل: ٦٨].

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «المقرر في علم الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء؛ لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به. بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض الصوفية من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره... كله باطل لا يعول عليه، لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان. وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات.

أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم، فليس كإلهام غيرهم؛ لأنهم معصومون بخلاف غيرهم. وبالجمل، فلا يخفى على من له إمام بمعرفة دين الإسلام، أن لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه من فعل وترك؛ إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني - في الوصول إلى ما يرضي ربه - عن الرسل وما جاءوا به، ولو في مسألة واحدة، فلا شك في زندقته»^(٢).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٤٤ - ٤٥). (٢) أضواء البيان: (١/١٥٩).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله منزلة الإلهام عند أهل السنة بكلام متين فقال رحمته الله: «ففي الجملة متى حصل ما يظن معه أن أحد الأمرين أحب إلى الله ورسوله كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الإلهام طريقاً على الإطلاق أخطأوا، كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق، ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحاً وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى، فإلهام مثل هذا دليل في حقه قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والأحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات^(١) الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه^(٢)».

ففي كلام شيخ الإسلام ما يبين أن الإلهام ليس دليلاً شرعياً مستقلاً، بل هو من جملة المرجحات عند تكافؤ الأدلة الثقلية، وعدم وجود المرجح، فمتى كان صاحبه ذا قلب تقي معمر بطاعة الله تعالى، فله حينئذ أن يرجح ما يلهمه في نفسه، ولا يتعدى هذا الترجيح إلى غيره.

ولا يتناقض الإلهام الحقيقي مع نصوص الشريعة، وينبغي أن يعرض الإلهام وغيره على نصوص الشرع؛ فإن كان حقاً قبل، وإن كان باطلاً رد.

والذوق يعتبر داخلاً في دائرة الإلهام وعمدته نصوص الكتاب والسنة، وقد أخبر الرسول ﷺ عن الأمور التي بها يذوق العبد طعم الإيمان، فقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسلاً»^(٣).

(١) الاستصحاب عند الأصوليين هو: استدامة إثبات ما كان ثابتاً. أو نفي ما كان منقياً أو هو بقاء الأمر على ما كان عليه ما لم يوجد ما يغيره. معجم مصطلحات أصول الفقه، تأليف: علاء الدين بن نجم (ص ٢٠). الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ. مكتبة الرشد - الرياض، والدار العثمانية - عمان.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٤٧٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسلاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر، (ص ٤٨) برقم (٣٤)، من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(١).

نصوص صوفية حضرموت الدالة على اعتماد الإلهام مصدراً للتلقي:

لم يجعل القوم الكتاب والسنة مصدرين لتلقي الشرع، إنما اعتمدوا على مصادر اختصوا بها عن سلف الأمة وأئمتها، ومن تلك المصادر الإلهام الذي جعلوه مصدراً أساسياً وحجة قوية في التلقي عندهم، يقول عبد الله بن علوي بن حسن العطاس: «وقد سئل سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، نفع الله به، عن قول سيدنا الشيخ سعيد^(٢): ولا يكون الشيخ شيخاً حتى يعلم بأصول الدين وفروعه» فأجاب بقوله: اعلم أن قول الشيخ هذا صحيح محقق فأما قوله ﷺ: «حتى يعلم بأصول الدين وفروعه» فمعناه لا بد أن يكون للشيخ الداعي علم بأصول الدين وفروعه على الإجمال أو على التفصيل من طريق الكسب والتعلم أو من طريق الوهب والإلهام كما وقع مثل ذلك لهذا الشيخ أعني الشيخ سعيد؛ فإنه كان أمياً وكذا جماعة من الأشياخ منهم الشيخ أحمد الصياد^(٣) والشيخ علي الأهدل^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ص ٢٦ - ٢٧) برقم (١٦)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (ص ٥٠) برقم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أي سعيد بن عيسى العمودي صاحب الضريح المعظم لديهم بدوعن.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد، أحد صوفية اليمن الكبار بزبيد، تصوف على إبراهيم الشلي، توفي سنة ٥٩٧ هـ، له سيرة مستقلة لأحد تلامذته. من مؤلفاته: السيرة الرضية والشهرة المروية، وتكملة كتاب مقالات ابن خمر طاش في طرائق الصوفية. انظر: طبقات الخواص (ص ٦٤)؛ وكشف الظنون (ص ١٠١٥)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٢١).

(٤) هو أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الأهدل، قدم جده من العراق هو وأبنا عم له على قدم التصوف، فسكن بناحية وادي سهام بزبيد، ونسب آل الأهدل يرجع إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وله شطحات وكوامات منحرفة ذكر كثيراً منها الشرجي في طبقاته. وكانت وفاته لنيف وستمئة وعمره يومئذ ثلاثون سنة. انظر: طبقات الخواص (ص ١٩٧ - ١٩٨).

والشيخ أبي الغيث وغيرهم^(١).

وفي هذا النص بيان واضح في جعل القوم الإلهام من المصادر التي يتلقون منها أصول الدين وفروعه.

وقد أكمل الله لنا الشرع فالاستغناء به دون غيره هو الواجب على المسلم، كما قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ففي هذه الآية بيان واضح من الله تعالى لعباده أن الدين كامل ولا يحتاج إلى محدث لإكماله ولا إلى غيره، ومن قال غير ذلك فقد خالف نص الآية وجانب الصراط المستقيم.

وقال ﷺ: «إنه كان من قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمر»^(٢).

ففي الحديث: إن يكن من أمتي محدثون. ولم يجزم ﷺ في ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وإذا كانت أمتنا مستغنية عن أن تأخذ من نبوة غير نبوة محمد ﷺ فاستغناؤها عن المحدثين أولى، ومن كانوا قبلنا كانوا محتاجين إلى الأنبياء، فكذلك ربما احتاجوا إلى المحدثين وما احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية فلا بد أن يكون محفوظاً معصوماً لتقوم به الحجة، ويحصل به مقصود الدعوة، وهذا مما دلّ على وجوب عصمة ما جاءت به الأنبياء، وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته فحفظ الله الذكر الذي أنزله وقد أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة هي السنة فحفظ الله هذا وهذا، والله الحمد والمِنَّة، ومن وجد من هذه الأمة محتاجاً إلى شيء غير ما جاء به الرسول فلضعف معرفته واتباعه لما جاء به الرسول، مثل كثير منهم من يقول: أنه يحتاج إلى الإسرائيليات وغيرها من أحوال أهل الكتاب وآخرون منهم من يقول: أنهم محتاجون إلى حكمة فارس والروم والهند واليونان وغيرهم من الأمم، وآخرون يقولون: أنهم محتاجون إلى ذوقهم أو عقلهم أو رأيهم بدون

اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا تجد من يقول أنه محتاج إلى غير آثار الرسول ﷺ إلا من هو ضعيف المعرفة والاتباع لآثاره وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخرين، وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمداً عما سواه^(١)، كما ردّ العلماء على إلهام الصوفية الذي جعلوه مصدراً لتلقي الشرع، يقول ابن أبي الخير العمراني ﷺ: «فمن قال: إن الخلق مستغنون عن الرسل، وأن معرفة الله لا يصح الأمر بها فقد خالف الكتاب وأبطله، ومن قال: إن معرفة الله بالإلهام أو بالطباع أو بغير كسب المأمور يلزمه أن يقول: أن الكفار الذين عاندوا الرسول ﷺ في زمانه وقتلهم أنهم مخلدون في الجنة؛ إذ لم يكن لهم طباع أو إلهام ولم يفطروا على المعرفة، إلى أن قال: ومن كان هذا مقتضى قوله فلا شك في كفره لمخالفته نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة»^(٢).

الهواتف عند صوفية حضرموت:

الهواتف لغة: الهتف والهتاف هو الصوت الجافي العالي، وقيل: الصوت الشديد. وقد هتف به هتافاً؛ أي: صاح به، وهتفتُ بفلان، أي دعوته، وهتفتُ بفلان؛ أي: مدحته. وسمعت هاتفاً يهتف إذا كنت تسمع الصوت، ولا تبصر أحداً^(٣).

واصطلاحاً: الهاتف في اصطلاح الصوفية عبّر عنه الغزالي بأنه: لفظ منظوم يقرع السمع لمن صفا قلبه في اليقظة^(٤).

وقد لبس الشيطان على صوفية حضرموت، فاتخذوا الهواتف مصدراً لتلقي أحكام دينهم ودنياهم، ومن قرأ في كتب القوم، وجدها مليئة بقولهم: هتف بي هاتف، سمعت هاتفاً ولم أرَ قائله... إلخ.

(١) الصفدية (١/٢٦٠).

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار، للعلامة يحيى بن أبي الخير العمراني (٣/٨١٤).

(٣) انظر: لسان العرب: (٩/٣٤٤)، مادة: (هتف).

(٤) إحياء علوم الدين: (٢/٢٦٨).

(١) غرر البهاء الضوي (ص٣٩٨)؛ وظهور الحقائق (ص٣٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٦٦) من هذا البحث.

والهواتف من سماع الأذن، لذا عظمت قيمتها عند القوم فهي ترشدهم إذا أخطأوا أو ترددوا في أمورهم، فتبين لهم الحق، وتردهم إلى الصواب، جعلوها أيضاً قريبة من حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يوحى إليهم إذا أخطأوا، أو احتاجوا لحل ما يعرض لهم ونحو ذلك، لعصمتهم بخلاف أولياء الصوفية فلا عصمة لهم.

وأحوال الهواتف عند القوم إما أن تكون في اليقظة، أو في المنام، أو في حالة بين اليقظة والمنام كما سيأتي.

ويستفيد الصوفية من هذه الهواتف أشياء منها: تصحيح الأحوال، والمعاملات، والتنبيه على الآداب المتعلقة بالعبودية، والإرشاد إلى الفضائل ومعالي الأخلاق^(١).

ومن النصوص التي تدل على اعتماد صوفية حضرموت الهواتف كمصدر للتلقي ما جاء في كتاب (ظهور الحقائق): عند ذكر الفقيه المقدم: «وقد كان سيدنا الفقيه المقدم يسمع الهواتف من جانب الحق جلّ وعلا تناديه فكان مما نودي به: يا فقيه، اترك ما أنت عليه من الظواهر وأقبل علينا نواصلك ونواليك؛ فإن لنا فيك مراداً ولك منا ازدياداً»^(٢).

وفي هذا النص اعتمد القوم على الهواتف في تصحيح الأحوال واعتقاد أنها من جانب الحق تعالى تنادي الفقيه المقدم أن يقبل على الله تعالى ويترك الظواهر، وإن الله تعالى مراداً في الفقيه المقدم، فما هو المراد المدعى لفقيههم؟، كما اعتمدوا الهواتف في بيان منزلة الشخص ومكانته عند الله تعالى حيث عدوا ذلك من المناقب.

يقول أبو بكر الحبشي: «جاء إلى سيدي ﷺ بعض أهل السر والنور من السادة آل العطاس، وقال له: سمعت وأنا بين النوم واليقظة هاتفاً يقول: أمانة كانت عند الحبيب علي بن محمد الحبشي، نريدها للحبيب أحمد بن حسن

(١) انظر: مصادر التقي عند الصوفية، لصديق سليم صادق (ص ٢٨٨).

(٢) ظهور الحقائق (ص ٨٠ - ٨١).

العطاس، قال: فصحت وبكيت وقلت: يكفيه ما هو معه الآن؛ لأنه متحمل أشياء ثقيلة فسمعت الهاتف يقول: هو يؤمن، وهو يُعين ثلاثاً فتبسم سيدي ﷺ وقرأ قوله تعالى: ﴿لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]^(١).

ومن أحوال القوم في تلقي الهواتف حال بين اليقظة والنوم، تأتيتهم ليحملوا أمانة وصلت إليهم، ولا يدري ما هذه الأمانة التي لم يفصح عنها هذا الرجل، وهذا كعادتهم من كتمان السر وعدم إظهاره لأي أحد.

وفيه أيضاً اعتماد الهاتف في معرفة منزلة الشخص وأنه يؤمن ويعان على تحمل هذه الأمانة التي كتموها، ويكرر الهاتف هذا الضمان ثلاثاً.

وجاء في ترجمة حسن بن عبد الرحمن السقاف^(٢) (ت ٨١٣ هـ) «وكان يجتمع هو وأصحابه يذكرون الله تعالى إلى نحو نصف الليل وربما استمروا إلى الفجر، وسمع بعض أهل الكشف وهو وأصحابه يذكرون الله تعالى منادياً ينادي: ألا إن الله قد غفر لكم»^(٣).

وفي هذا النص ادعاء معرفة مغفرة الله تعالى لذنوبهم عن طريق الهواتف، وترتيب المغفرة على ذكرهم الجماعي المخالف لسنة النبي ﷺ، ثم إن أكثر أذكارهم مبتدعة كما هو مدون في أكثر كتبهم في الأذكار والأوراد والحضرات، وقولهم بمغفرة الله ذنوبهم من الكذب، وهذا من أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٤].

(١) تذكير الناس (ص ٢١٠).

(٢) هو حسن بن عبد الرحمن بن محمد مولى الدولة السقاف العلوي: ولد ونشأ بتريم، وكانت له مجاهدات صوفية، وذكروا له كرامات غريبة وخيالية، وكان من أصحاب الشطح الصوفي. مات سنة ٨١٣ هـ قال عنه الشلي: «لو طالت حياته لبلغ رتبة القطبية». انظر: المشرع الروي (٨٨/٢ - ٨٩).

(٣) المشرع الروي (٨٩/٢).

وجاء في تذكير الناس ما يبين اجتماع أحمد بن حسن العطاس بأهل البرزخ: «فبينما أنا جالس إذ بورقة تدار على الحاضرين إذا قرأها أحدهم أعطاها الذي يليه، حتى بلغت عندي فقرأتها فإذا فيها مكتوب؛ عبد الرحمن بن حامد؛ رأى النبي ﷺ يقول: علي الحبشي؛ أعماله وأعمال أصحابه مقبولة، فقال سيدي أحمد ﷺ: حينئذ أنا من أصحابك؛ فقال سيدي علي: كلكم من أصحابي؛ ثم قال لي: أتريد أن تجتمع بالنبي ﷺ، فقلت: نعم، فدخلت إلى مكان فيه جماعة؛ فسألتهم أين الحبيب ﷺ فقيل: سيأتي فجلسنا؛ ثم دخل الحبيب ﷺ فقمنا فصافحناه؛ فجلس ولم يتكلم هو ولا أحد بكلمة ثم أخذ الحبيب ﷺ يتكلم في علوم الذات الأحدية، بلسانٍ محمدية أحمدية، تلاشت عندها الصور الجسمانية. وشرع سيدي ﷺ يتكلم وأتى بما يحير العقول فقال سيدي ﷺ: كأي أسمع أحداً من السقف يقول: اكتم اكتم، وقد سمع هذا الهاتف بعض السادة الحاضرين، قال سيدي علي ثم تكلم الحبيب ﷺ في علوم الصفات، وسكت...»^(١).

وقال أحمد بن حسن العطاس: «لما حج الشيخ عمر السهروردي قدر الله حج الشيخ عمر الفاراض في تلك السنة وهتف بالناس هاتف بلسان حال أهل الباطن: يا أهل الجمع، خذوا مناسككم عن السهروردي وهو إمام جمع الله له بين علمي الباطن والظاهر»^(٢).

كما اعتمد القوم الهواتف في مدح كتبهم المليئة بالمخالفات الشرعية، لتروج على الناس لا سيما إذا زكاها كبارهم، يقول أحمد بن حسن العطاس: «ولما جمع الولد عبد الله المذكور كتابه ظهور الحقائق»^(٣) تراءى لي، وأنا بين الغرفة وسيئون، أني سمعت هاتفاً يثني على ذلك الكتاب ويمدحه»^(٤).

(١) تذكير الناس (ص ٢١١).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٦٦).

(٣) وهذا الكتاب حشاه مؤلفه بالشركيات والبدع والمخالفات الكثيرة لمذهب السلف الصالح. انظر مثلاً: ادعائه معرفة الولي للغيب (ص ٣٢)؛ وكذلك اطلاع الشيخ على اللوح المحفوظ ومحو ما كتب فيه (ص ٣٣، ٣٧)؛ واعتماد التأويل الباطني للنصوص (ص ٣٤)؛ والتوسل الممنوع (ص ٤٠).

(٤) تذكير الناس (ص ٣٩٤).

واعتمد القوم الهواتف كمصدر لأفعالهم الدنيوية، حيث جاء في كتاب المشرع الروي أن محمد بن علي مولى الدولة: «سمع هاتفاً يقول له: ابن داراً عند العين فإنها من أنهار الجنة فتقدس بسكنى ذلك الوادي وأسبل بالتقوى ذلك النادي»^(١).

وهذا النص فيه دعوى اطلاع القوم على أمور الغيب، ومعرفة فضيلة المكان وأنه من أنهار الجنة بمجرد سماع الهواتف، وبالتالي ترتيب الفضائل عليه بهذا السماع الشيطاني، ومجرد ذكر هذا الكلام يكفي في بيان بطلانه، وضلال قائله.

كما اعتمدوا الهواتف في تنزيل النصوص الشرعية على أوليائهم يقول الشلي عند ذكر مناقب محمد بن حسن المعلم العلوي^(٢): «وقال ﷺ قرأت يوماً: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. فسمعت هاتفاً ولم أرَ شخصه يقول الفقيه محمد بن حكم^(٣) منهم وقرأ يوماً: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِينٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧]. وتفكر فيها فسمع هاتفاً يقول: إن أردت أن تنظر إلى حملة العرش فانظر إلى محمد بن علي المعروف بشيخ علي»^(٤).

هكذا يصل بهم الأمر عند ترك الحق، واعتماد هذه المصادر الغربية إلى التالي على الله والحكم لأوليائهم بالجنة، بل ورفع منزلتهم إلى أنهم من حملة العرش الثمانية الذين يحملون عرش الرحمن يوم القيامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاسراءات والمعاريج عند صوفية حضرموت:

الإسراء في اللغة هو: سير الليل عامته، وقيل كله.

(١) المشرع الروي (٢٠١/١).

(٢) هو محمد بن حسن المعلم بن محمد العلوي الملقب بالشية واشتهر بجمل الليل. من أصحاب الأحوال والسطحات الصوفية. توفي بترميم سنة ٨٤٥هـ. انظر: المشرع الروي (١/١٧٧ - ١٧٩).

(٣) هو باقشير وقد تقدمت ترجمته (ص ٢٧٨).

(٤) المشرع الروي (١/١٧٨).

والعروج: يقال عرج في السُّلَمِ يعرج عروجاً؛ أي: ارتقى وعرج في الشيء وَعَلِيَّه، والمعارج: مصاعد الدرج، والمعراج: شبه سُلَم، أو درجة، تعرج عليه الأرواح إذا قبضت^(١).

ومعنى الإسراءات والمعاريج عند الصوفية هو ما بيّنه الشعراني بقوله: «وقد صرح المحققون بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء بمثابة المنام يراه الناس. ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه، وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة، فكل مكان كشف له فيه الحجاب: حصل المقصود به، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل له ذلك في سماء الدنيا، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى، إلى الكرسي، إلى العرش»^(٢).

ومن نصوص القوم في اعتقاد حصول الإسراء والمعراج لأوليائهم ومشايخهم ما جاء في كتاب عقد اليواقيت الجوهريّة عند ذكر بعض أبيات لمحمد بن علي مولى الدولة قوله:

الحب حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً وغطست في بحر الهوى وغدى بي
لي تسعة وثلاثة مع سبعة والعقد لي وحدي وعاد نصيبي
ما تعلموا أنني مقدم في الملا ليلة سرى باليشربي سري بي^(٣)

هكذا يمدح هذا الرجل نفسه بهذه الأبيات بما حوته من عدم التأدب مع رسول الله ﷺ حيث يخاطبه باليشربي، وكذلك جعل هذا الشخص نفسه في منزلة الرسول ﷺ بدعوى أنه أسري به ليلة أسري بالنبي ﷺ، ومجرد ذكر هذا القول وقراءته يتضح بطلانه، وانحراف قائله عن الحق انحرافاً بعيداً.

(١) انظر: لسان العرب (١٤/٣٨١)، مادة (سراً) (٢/٣٢٠ - ٣٢٢)، مادة (عرج).

(٢) كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان، تأليف: عبد الوهاب الشعراني (ص ٥٢)، تحقيق: محمد عبد الله عبد الرزاق، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، مطبعة حجازي - القاهرة. نقلاً عن كتاب المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (ص ٢٩٢ - ٢٩٣).

(٣) عقد اليواقيت الجوهريّة (ص ٧)؛ وكنوز السعادة الأبدية (ص ٤٦٧).

ويقول عبد الرحمن الخطيب عند ذكر مراسلات الفقيه المقدم لبعض الصوفية: «ومن جملة ما كتب إليه^(١) شيخ شيوخنا الشيخ محمد بن علي بن أبي علوي أنه عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات في ليلة واحدة، وفي رواية: سبع وعشرين وفي رواية: سبعين مرة»^(٢).

وذكر الخطيب في جواهره أن رجلاً من الشام يدعى الفضل أتى للفقيه وأخبره أن عبد الرحمن المقعد رجل مكتسب وأن الفقيه صاحب نسبة فعليه أن يتحكم له: «فقال شيخ شيوخنا وما هذه النسبة؟ قال: سدرة المنتهى»^(٣).

هكذا يقرر القوم الإسراء بأوليائهم بذكر هذه القصص المكذوبة وتعدد رواياتها وكأنها أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، وهذه القصص والحكايات في دين الصوفية من المقطوع به ومن اليقينيات فلا يمكن للمريد ومن على شاكلته بعد أن ألغوا عقولهم أن يعارضوا هذا الكلام المنحرف فحالهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُضِلِّلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

الذوق عند صوفية حضرموت:

الذوق لغة: ذاق ذواقاً ومذاقاً، ومذاقة: اختبار طعمه، وتذوّقه ذاقه مرة بعد مرة، وتذاوقوا الرماح: تناولوها^(٤)، قال ابن فارس^(٥): الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعم^(٦).

واصطلاحاً: هو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه،

(١) أي ما كتب الفقيه المقدم لسعد بن علي في مراسلاته له.

(٢) الجواهر الشفاف (١/٧٩). (٣) المصدر السابق (١/٧٩).

(٤) انظر: القاموس المحيط (ص ٨٨٥).

(٥) هو أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، اللغوي الفقيه المالكي، له عدة تلاميذ من أشهرهم: بدیع الزمان الهمداني، أقام بهمدان، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: المجمل في اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، وأوجز السير في سيرة خير البشر، توفي بالري سنة ٣٩٥هـ. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباري (ص ٢٣٥)؛ والمستفاد في تاريخ بغداد، لابن النجار (ص ٦٥).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٢/٦٤).

ويفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره وأول التجليات الذوق^(١).

فالذوق عند القوم يعرف به الحق من الباطل بعيداً عن الكتاب والسنة، فهو أول التجليات ويزعمون أن ذلك النور الذي يجدونه سبب لتجلي الله لهم - تعالى عن قولهم علواً كبيراً - . فالذوق يقتصر عند القوم على نتائج التجليات الإلهية، فيستدلون به على كثير من الأحوال عندهم، كمن يستدل للسمع الصوفي بما يجده من أثر في نفسه.

اعتمدت صوفية حضرموت على الذوق فقدمته على الشريعة إذا تعارض معها، أو تأويل الشريعة على مقتضاه، وليس للذوق ضابط ولا حد، فكل شيخ له ذوق يتغير بتغير الظروف المحيطة والأعراف ومقامات الشيوخ، لذا يتبين الاختلاف في التفسيرات الصوفية بحسب أذواقهم ومواجيدهم المختلفة.

ويقولون في تفسير الحكمة الشرعية لأذكار الركوع: «وما هي الحكمة في كون ذكر الركوع: سبحان ربي العظيم، وذكر السجود: سبحان ربي الأعلى؟ فقال سيدي أحمد رحمته الله: هذا يا أخي شيء لا يدرك إلا بالذوق والمعرفة»^(٢).

والذوق وسيلة للمعرفة عند الصوفية فلا عجب في انقسامهم، واتباع كل منهم الخرافات التي يملئها عليهم شيوخهم، ومن اصطلاحاتهم المعروفة «من ذاق عرف»، فأن المعتزلة ضلوا لما حكموا العقل البشري القاصر عن إدراك جميع الأشياء، فكيف بمن حكم هواه في دين الله، فيقول أحدهم: حدثني قلبي عن ربي، ثم يفسرون القرآن بموجب أذواقهم وأهوائهم، قال تعالى فيمن اتبع ذوقه وهواه وجعله ديناً: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُبْعَثُ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصل: ٥٠].

(١) معجم مصطلحات الصوفية للحفني (ص ١٠٤)؛ وانظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٤٤).
(٢) تذكير الناس (ص ٩٥).

المبحث الثالث

الرؤى والمنامات

تمهيد

الرؤى لغة: جمع رؤية، والرؤية بالعين، وتتعدى إلى مفعول واحد، وتأتي بمعنى العلم فتتعدى إلى مفعولين، والرؤية: النظر بالعين، والقلب^(١). والرؤيا هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن «فعلى» وقد تسهل الهمزة.

وهي في الأصل مصدر كاليسرى، فلما جعلت اسماً لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء^(٢).

وأما في الاصطلاح: نقل الحافظ في الفتح عن القاضي أبي بكر بن العربي^(٣) أنه قال: «الرؤيا: إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك، أو شيطان، إما بأسمائها؛ أي: حقيقتها، وإما بكنائها؛ أي: بعبارتها. وإما تخليط ونظيرها في اليقظة الخواطر، فإنها قد تأتي على نسق في قصة، وقد تأتي مسترسلة غير محصلة»^(٤).

(١) لسان العرب (٨٤/٥)، مادة: (رأى).

(٢) الفتح (٣٥٢/١٢)، ط ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحج الدين الخطيب، دار المعرفة.

(٣) هو محمد بن عبد الله المالكي (ابن العربي)، محدث متكلم فقيه مالكي، ولد في أشبيلية سنة ٤٦٨هـ، وبرع في علوم الشريعة والأدب، وولي قضاء أشبيلية، وله عدة مؤلفات منها: العواصم من القواصم، وعارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي، وأحكام القرآن، وقانون التأويل، توفي قرب مدينة فاس سنة ٥٤٣هـ. انظر: السير (١٩٧/٢)؛ وشذرات الذهب (٤/١٤١)؛ وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٩٠)؛ والأعلام (٢٣٠/٦).

(٤) الفتح (٣٦٢/١٢).

والرؤيا كما ذكر أهل العلم ثلاثة أنواع:

- ١ - الرؤيا الصادقة: مثل رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم بندور وهذه الرؤيا تقع وفق ما وقعت في النوم.
- ٢ - الأضغاث: وهي أنواع فقد تكون من تلاعب الشيطان ليحزن الرائي، أو رؤية الملائكة تأمر بفعل المحرمات، وهذا من المحال.
- ٣ - أو يرى ما تحدثه به نفسه في اليقظة فيراه في المنام كما هو يسمى حديث النفس.

فيتضح لنا أن الرؤى ثلاث: رؤيا من الله، ورؤيا من حديث النفس، ورؤيا من الشيطان^(١).

وللرؤى المنامية منزلة كبيرة عند صوفية حضرموت، فقد عولوا عليها في مطالبهم الدينية والدنيوية، ويعملون بها عند تعارض أدلتهم التي يوردونها، وكذلك يستندون عليها في أمور أخرى يأتي ذكرها.

ولم يذكر القوم أدلتهم في ذلك إلا مجرد الوقوع، وهذا ليس بشيء، فإن كان بالرؤى والمنامات فهذا لا يؤخذ منه حكم شرعي، بل أن الكفار قد تصدق رؤيتهم إذا أولت كما في رؤية ملك مصر التي أولها له يوسف عليه السلام.

وقد بين أهل العلم استناد الصوفية عامة على المنامات، ومن ذلك ما ذكره الشاطبي^(٢) في كتابه الاعتصام حيث قال: «وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلاناً؛ الرجل الصالح. فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا.

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم:

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦١٢ - ٦١٣).

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، فقيه وأصولي لغوي محدث مفسر، من علماء المالكية. اشتهر بالورع والزهد واتباع السنة والدعوة إليها. من مؤلفاته: الاعتصام، والموافقات. توفي سنة ٧٩٠ هـ. انظر: الأعلام (١/١١٨)؛ ومعجم المؤلفين (٣/٧٧).

رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: كذا، وأمرني بكذا؛ فيعمل بها ويترك بها؛ فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة^(١).

النصوص الدالة على اعتماد صوفية حضرموت للرؤى والمنامات مصدراً للتلقي:

اعتمدت صوفية حضرموت الرؤى والمنامات في أمور كثيرة منها: أخذ الأحكام الشرعية والترجيح بين مسائلها وفي الفضائل، ومصير الشخص في الآخرة، ومعرفة الثواب والعقاب الذي يناله الشخص، وكذا أخذ النصوص وتصحيح المخالفات الشرعية، وكذلك معرفة أمورهم الدنيوية.

يقول أحمد بن حسن العطاس عند ذكر خلاف العلماء في حكم البسملة في الصلاة: «إن السيد أحمد دحلان كان في نفسه شيء من ذلك حتى رأى النبي ﷺ يصلي في المقام الحنفي فابتدأ بالحمد لله رب العالمين. فقال السيد محمد بن جعفر: إن بعض الصالحين من أهل المغرب رأى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل البسملة آية من الفاتحة؟ فقال: نعم، هي آية منها ولكن لا تبطلوا صلاة تاركها^(٢)، هكذا يقرر العطاس هذه المسألة بهذه الرؤيا غير معول على كلام أهل العلم في هذه المسألة.

وكثر كلامهم في الاعتماد على الأحلام في تلقي العقيدة^(٣)، وأخذ الأحاديث من الرسول ﷺ بواسطة هذه الأحلام^(٤)، وتقرير المناقب وفضائل الأشخاص والأماكن^(٥).

وكذلك اعتمد القوم على الرؤى والأحلام في نسخ الأحكام الشرعية من محرمة إلى مباحة^(٦)، والدعوة إلى الغلو في القبور وبيان فضائلها^(٧)، وتصحيح

(١) الاعتصام (١/٢٦٠). مطبعة السعادة بمصر، بدون تاريخ.

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: تذكير الناس (ص ٢٢٦، ٢٥٠ - ٢٥١، ٢٨٠).

(٣) تذكير الناس (ص ٢١١، ٤٠٩)؛ وفي تقرير عقيدة التوسل الشركي. انظر: مصباح الظلام (٦١).

(٤) مصباح الظلام (ص ٤٥ - ٤٦). (٥) تذكير الناس (٧٠ - ٧١، ١٠٨).

(٦) مواهب القديس (ص ١٤)؛ وتذكير الناس (ص ٧٩).

(٧) مصباح الأنام (ص ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٤٣، ٤٦، ٧٢، ٧٥).

البدع^(١) ومع هذه المخالفات فإنهم يعتمدون هذه الأحلام الشيطانية في قبول أعمالهم المخالفة لشرع الله تعالى^(٢).

وجاء في كتاب الغرر عند ذكر مناقب عبد الرحمن بن علوي وإحالة محمد بن سعيد كبن^(٣) له إلى جده الميت محمد بن علي ليمنحه الشفاء: «فقال عبد الرحمن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي:

«أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزيد وأزيد»^(٤) ونفع به^(٥).

وجاء في كتاب الجوهر الشفاف عند ذكر كرامات علي بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي حرمي^(٥) الذي مات غريقاً في البحر: «فلما توفي رأته سلطنة المذكورة فقال لها: أعطاني الله تعالى بموتة البحر شيئاً، وبنية المسير إلى الحج شيئاً وما تلقى روعي إلا الله تعالى ولم يكلها إلى ملك ولا إلى غيره»^(٦).

وجاء في كتاب (مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين): «وقد روي واشتهر عن الفقيه الكبير محمد بن الحسين البجلي اليمني^(٧)، رحمه الله، أنه رأى

(١) تذكير الناس (ص ١٨٢ - ١٨٣). (٢) انظر: المصدر السابق (ص ٢١١، ٢٧٣).

(٣) هو محمد بن سعيد كبن، أحد صوفية حضرموت، من مؤلفاته: وصف الطلب في كشف الكربة، وله نكت على الحاوي الصغير للقزويني وغير ذلك. توفي سنة ٨٤٢هـ. انظر: هدية العارفين (٤٩١/٢)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (٢٣٢)، ط أبو ظبي.

(٤) انظر: الغرر (ص ٣٩٨).

(٥) هو علي بن عبد الله بن إبراهيم باحرمي، من شيوخ صوفية حضرموت، تتلمذ على يديه بعض العلويين منهم حسن الورع. توفي سنة ٨٠٠هـ. انظر: كتاب تحقيقات تاريخية فيما لقبيلة آل أبي حرمي الحضرمية من أقدمية (ص ٥ - ٦).

(٦) الجواهر الشفاف (٧٦/١).

(٧) هو محمد بن حسين البجلي أخذ عن إبراهيم بن زكريا ثم تحول إلى التصوف وصحب محمد بن أحمد الحكمي حتى عرفا بصاحبي عواجة، من مؤلفاته: مجموع في التصوف، =

رسول الله ﷺ في منامه وقال: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال له: «وقوفك بين يدي وليّ الله تعالى كحلبة شاة، أو كشج بيضة أفضل من أن تعبد الله حتى تقطع إرباً إرباً». فقال: قلت يا رسول الله: حياً كان أو ميتاً؟ فقال: «حياً كان أو ميتاً». فانظر إلى هذه الفضيلة الجزيلة الحاصلة في زيارة عباد الله الصالحين، والوقوف عند مشاهدتهم ومقابرهم، والدخول تحت شمولهم التماساً لبركاتهم، ورجاء لنيل نفحاتهم»^(١).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وسئل^(٢) الله: هل لكل رؤيا يراها الإنسان حقيقة في عالم الشهادة؟ فقال: الرؤيا تختلف باختلاف الرائيين، أما أهل الأرواح المجردة النورانية فرؤياهم عين الكشف غالباً، وغيرهم تختلط عليهم»^(٣).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «ورأيت في المنام نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام يقول لي: وأذن في الناس في الحج، فسألته عن صاحب الوقت من هو؟ فقال: هو عوض باقلاقل ببلدة الخريبة من دوعن، فعزمت على السفر للحج والمرور على دوعن لزيارة الرجل المذكور، فلما وصلت بلده، ودخلت من باب الجامع قابلني وقال لي قبل أن أكلمه: استر استر، فقلت له: سترنا عليك، وأوصيناك الدعاء، وسافرت وأدركت الحج تلك السنة مع ضيق الوقت»^(٤).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وبلغنا أن شهر شوال ثبت في بعض السنين عند القاضي بتريم فاجتمع السادة أهل البلد لصلاة العيد وتأخر بعض أهل السادة من أهل العيدروس عن الخروج فسار الخطيب إلى بيته وسأله عن سبب تأخره، فقال الحبيب: إني رأيت النبي ﷺ البارحة وقلت له: هذه الليلة

= والمكاتبات والمراسلات، توفي سنة ٦٢١هـ. انظر: طبقات الخواص (ص ١١٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٢٢).

(١) مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين لمحمد بن عمر باجمال (ص ١٦٩ - ١٧٠).

(٢) أي أحمد بن حسن العطاس. (٣) تذكير الناس (ص ٢٢٤).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٣٠).

من ليالي شوال؟ قال: لا وأن لا أفطر هذا اليوم...»^(١).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «ورأيت سيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وحصلت بيني وبينه مذاكرة ومباحثة طويلة، ومن جملة ما قلته له: إن السيدة فاطمة؛ اختلف أهل العلم في دفنها، هل كان في الحجرة أو في البقيع؟ فقال لي: إنها في البقيع، وأنا دفنتها بنفسي في الليل، ثم قلت له: وكذلك أبو طالب اختلف العلماء فيه، هل مات على الإيمان أم لا؟ وأنت داري بالأشياء، فقال: مات على الإيمان^(٢)، والحمد لله على ذلك، قال سيدي ﷺ: وقد سمعت السيد أحمد دحلان في الحلقة يقول: إن الذي ندين الله به، أن أبا طالب مات على الإيمان، والذي قال بإيمانه أربعة عشر حافظاً، قال سيدي: ونحن والحمد لله، معنا شيء زائد على الناس؛ لأن علمنا ليس متلقفاً من الحروف، ولا من الكتب التي في الرفوف، بل متلقى من معدنه ومن أهله، وبعض الناس لما لم يعجبهم حق السلف خلفوا»^(٣).

وفي هذا النص تصريح واضح من أحد كبارهم في عدم التعويل على الكتب المعتمدة على علوم الشرع، وإنما الاعتماد على الأحلام والرؤى بما تحمله من مخالقات شرعية، ويزعمون كذلك أن تلك المخالقات متلقاة من المعدن ومن أهل العلم، فأَي معدن يقصدون، ومن أهل هذا المعدن الذين اتبع القوم سبيلهم؟ فالمعدن وأهله هو السبل الشيطانية التي قادتهم للانحراف عن مصادر المسلمين وهما الكتاب والسنة، وأردتهم في مهاوى الردى فتلقوا من غيرهما فأنحرفوا عن سواء السبيل.

وقال أحمد بن حسن العطاس: «ووقع لي مرة إني رأيت النبي ﷺ في رمضان فأمرني أن أحتجم، فقال لي الشيخ أحمد بلخير: لا تحتجم فإن الحجامه مكروهة في رمضان فتركها فمضت بعد الرؤيا فعرفت أنها عقوبة

(١) المصدر السابق (ص ٢٥٠).

(٢) انظر: الرد على قول من قال بإيمان أبي طالب (ص ٤٤١) من هذا البحث.

(٣) تذكير الناس (ص ٢٢٦ - ٢٢٧).

مخالفتي أمره ﷺ»^(١).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «قال سيدي أحمد ﷺ: وأنا وقع لي مرة تكلم السيد أحمد دحلان في الدرس في الأنساب وأطال في ذلك إلى أن قال: وما تدري ما تفعل النساء، فوقع في قلبي تحير واهتمام من ذلك فرأيت الخضر ﷺ أخذ بيدي وأتى بي إلى المواجهة ونادى: يا رسول الله أهذا ولدك؟ فقال ﷺ: هذا ولدي هذا محسن، ففرحت بذلك وزال ما في قلبي»^(٢).

وجاء في كتاب تذكير الناس قصة خطبة أحمد بن حسن العطاس لفاطمة بنت أبي بكر العطاس وفيها: «لما خطبتها من أبيها الحبيب أبي بكر في البرزخ، قال لي: العون^(٣) ومد صوته بها، واستشرت الشيابة^(٤) في ذلك، فأخبرني الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس بما سيقع كله ثم عرض من جهة أهلها شيء يوجب التوقف، فعرضت ذلك الأمر على النبي ﷺ واستشرته فحصلت الإشارة منه بذلك»^(٥).

وجاء في مناقب أبي بكر العيدروس (ت ٩١٤هـ): «قال العلامة عمر بحرق واعترضت بخاطري ولساني على سيدي في إلباسه غلمانه الثياب المخيطة بالذهب، فأجابني بأن قد قلدنا من يبيع ذلك من العلماء، ثم رأيت في النوم كأن النبي ﷺ أقبل من مكان في موكب عظيم والطبول والنقود بين يديه ﷺ فقيل لي: إنما فعله ليعلم أمته بجواز ذلك، فلما دنا مني رأيته في صورة الشيخ أبي بكر ركباً على بغلته وسمعت قائلاً يقول: يجب على الوارث للقطب المحمدي أن يعمل بكل مسألة قال بها عالم من علماء أمة محمد ﷺ ولو مرة واحدة لثلا يقع ذلك العالم في الحرج فعلمت بذلك إن سيدي هو القطب»^(٦).

(١) تذكير الناس (ص ٢٥١).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٨٠).

(٣) بمعنى طلب العون.

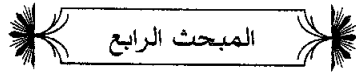
(٤) أي كبار السن.

(٥) تذكير الناس (ص ٣٠٨).

(٦) المشيع الروي (٣٨/٢). وانظر: اعتماد الرؤى في فضل كتاب ما، ومعرفة مصير الشخص ودخوله الجنة: تاريخ الحامد (ص ٧٠٣).

وقد بين أهل العلم أن الرؤى والمنامات لا يثبت بها حكم شرعي، قال القاضي عياض: «لا أنه يقطع بأمر المنام، ولا أن تبطل بسببه سنة تثبت، ولا تثبت به سنة لم تثبت، وهذا بإجماع العلماء»^(١).

ويقال لصوفية حضرموت أن رؤيته ﷺ في المنام: «صحيحة، وليست من أضغاث الأحلام، وتلييس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به»^(٢).



المبحث الرابع

الكتب التي تعتمد عليها صوفية حضرموت في التلقي

أخذ صوفية حضرموت العلوم من مصادر شتى كان لها الأثر في انحرافهم عن المصادر الصحيحة التي على المسلم أن يتلقى دينه منها، فاتخذوا الكشف بأنواعه وكذا الأحلام والرؤى مصادر لتلقي دينهم، وقد تقدم الكلام عليها، وبالإضافة لمصادرهم تلك فهناك كتب اتخذها القوم مصدراً مهماً يعتمدون عليه في تلقي هذا الدين، وهذه الكتب لبعض الصوفية الذين يعظمهم القوم ودعوا الناس لأخذ ما فيها من علوم منحرفة وجعلها مصدراً لتلقي علوم الدين، بل صرحوا بأنهم لا يقرأون كتاب فقه إلا ومعه كتاب تصوف^(١).

ويأتي في مقدمة كتب التصوف المعتمدة عندهم؛ كتب أبي حامد الغزالي، فقد غلوا في كتبه غلواً كبيراً، حتى جعلوا الهيبة لكتبه أعظم من كتب السنة لا سيما الصحيحين فقد قالوا عن كتابه المسمى بإحياء علوم الدين: «كاد الإحياء يكون قرآناً»^(٢).

الاهتمام بكتب الغزالي:

اهتم القوم بكتب الغزالي وبالغوا في الثناء على كتبه لا سيما الإحياء، حتى قال الشاطري: «وكان محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ مثلاًهم الأعلى وكتبه في التصوف وغيره هي كتبهم المفضلة خصوصاً الإحياء وقد قال قائلهم عنه: من لم يقرأ الإحياء ما فيه حياة»^(٣)، ولا غرو فإن القوم اعتبروا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٤/١)، تحقيق: مأمون شيجا، الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ، دار المعرفة - بيروت.

(٢) مقدمة صحيح مسلم (٧٥/١) مع الشرح، تحقيق: مأمون شيجا.

(١) انظر: تذكير الناس (٢٦٧). (٢) كنوز السعادة الأبدية (ص ٢٤٢).

(٣) أدوار التاريخ الحضرمي (٢/٢٥٨).

كتب الغزالي لا سيما الإحياء مصدراً هاماً يرجعون إليه لمعرفة دينهم الذي يتدينون لله به، ويتمثل اهتمامهم بكتبه في الآتي:

أ - أخذ العقيدة منها:

اعتمدت صوفية حضرموت عقيدة الغزالي التي أودعها في كتابه الإحياء دون التعويل على كتب السلف التي قررت العقيدة الصحيحة المستندة على نصوص الكتاب والسنة، فقد ذكر علوي بن طاهر الحداد كلام عبد الله الحداد المسمى بقطب الإرشاد عندهم وهو قوله: «ينبغي لكل مؤمن أن يحصن معتقده بحفظ من عقائد الأئمة المجمع على جلالتهم ورسوخهم في العلم، ولا أحسب مبتغي ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشبه، سالمة من الموهمة، مثل عقيدة الإمام الغزالي رحمه الله التي أوردها في الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من الإحياء، فعليك بها فإن تشوفت إلى مزيد فانظر في الرسالة القدسية التي أوردها في الفصل الثالث من الكتاب المذكور»^(١).

ويقرر علوي بن طاهر الحداد مصدر تلقي العقيدة عند صوفية حضرموت قائلاً: «فهم يأخذون في العقيدة بما ذكره الإمام الغزالي في كتاب قواعد العقائد»^(٢).

ويقول الشلي عند ترجمة أحمد بن أبي بكر بن أحمد العلوي^(٣) (ت ١٠٥٧هـ): «وحفظ الجزرية، والعقيدة الغزالية، والأربعين...»^(٤).

ويقول أبو بكر العيدروس: «عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة أعني الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية خصوصاً كتاب التوبة وكتاب رياضة النفس، ومن كلامه: عليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخرأ وباطناً وظاهراً واعتباراً

(١) عقود الألباس (١/٦٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٥٥).

(٣) هو أحمد بن أبي بكر بن أحمد العلوي أخو مؤلف كتاب المشرع الروي، ولد سنة ١٠١٩هـ بمدينة تريم، وأخذ عن مشايخها، ثم رحل إلى الهند ودرس على مشايخ العلويين هناك، ودرّس بها، ثم عاد إلى بلده. توفي بتريم سنة ١٠٥٧هـ. انظر: المشرع الروي (٢/٤٥ - ٤٧).

(٤) المصدر السابق (٢/٤٦).

واعتقاداً وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي، رحمته الله، ونفعنا الله به»^(١).

وهذا أعظم الانحراف حيث يترك الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ويعتمد على كتب الغزالي التي ملئت بالانحرافات العقدية الكثيرة^(٢)، مع أنه من المقرر عند المسلمين أن الحجة لا تكون إلا بالحق الذي تضمنه الوحي - الكتاب والسنة -، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

ومما يوضح سيطرة الهوى على هؤلاء، حتى أعمى بصائرهم عن الحق وأهله ما قاله الشاطري: «ومع هذا فيقول قائلهم: في الإحياء قولات لو استطعنا أن نمحوها بماء عيوننا لفعلنا»^(٣).

ب - كثرة قراءتها:

أكثر القوم من قراءة الإحياء؛ حتى عدوا ذلك من جملة مناقب مشايخهم فقد جاء في كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين عند ذكر مناقب علي بن أبي بكر السقاف: «وهذا الإحياء للعلامة الغزالي فقد تلاه خمساً وعشرون مرة، وتلي عليه مثلها»^(٤).

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: عند ذكر زيارة القبر المزعوم لنبي الله هود عليه السلام أن علي بن محمد الحبشي قال: «سبحان الله، خصلتان عَوَّل السلف عليهما... الأولى إحياء علوم الدين حتى قالوا: كاد الإحياء أن يكون قرآناً مع أنهم أهل ورع، والثانية: زيارة نبي الله هود»^(٥).

(١) مواهب القدوس (ص ٥١).

(٢) انظر بيان الانحرافات الموجودة في كتاب إحياء علوم الدين (أبو حامد الغزالي والتصوف: دراسة حول العديد من كتب الغزالي وخاصة كتابه إحياء علوم الدين)، لعبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية.

(٣) أدوار التاريخ الحضرمي (٢/٢٥٩). (٤) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٧٩).

(٥) كنوز السعادة الأبدية (ص ٢٤٢). وانظر اهتمامهم بكتب الغزالي والدعوة للاهتمام بها: مواهب القدوس (ص ١١)؛ والمشرع الروي (١/٥٤، ١٨٩، ١٨/٢، ٨١، ٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٨٠)؛ وتذكير الناس (ص ٣٩، ٣٦٥، ٣٦٦)؛ وتقليب الأرض الخاشعة لأبي بكر بن علي المشهور (ص ٤٦، ٥١، ٥٢)؛ والشيخ عمر المحضار، للمشهور (١٨).

ومن شدة تعلقهم بكتاب الإحياء، فقد ذكر الشلي أن محمد بن علوي بن علي الذي يعرف بالشاطري^(١): «وكان يحفظ إحياء علوم الدين عن ظهر قلب، يلقيه درساً من حفظه»^(٢).

هكذا بلغ بهم التعلق بكتاب الغزالي، وعدم التعويل على كتب السنة والاهتمام بحفظها، فلم يذكر الشلي في مشرعه المكون من جزئين أي شخص من علمائهم كان يحفظ كتاباً من كتب السنة، وهذا من الحرمان واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ج - ذكر فضل قراءتها:

واخترع القوم فضائل مزعومة لمن قرأ أو كتب كتاب الإحياء، فمن ذلك ما ذكره الشلي عند قراءة أبي بكر بن علوي الإحياء على شيخه عبد الرحمن السقاف: «وكان يقول يحصل بقراءة أبي بكر بن علوي ما لا يحصل بقراءة غيره من الأصحاب، ويتجلى لي رب العزة عند ختمه الكتاب»^(٣).

وضمنوا الجنة لمن كتب الإحياء بيده^(٤)، وادعوا أنه موضع نظر الله ورضاه^(٥)، والضمان لمن طالعه بمحبة الله تعالى^(٦).

وهكذا تعددت الفضائل المزعومة لكتاب الإحياء، حتى وقع من وقع في شراك التصوف بسبب هذه الكتب المليئة بالبدع والمخالفات الشرعية.

وآلف عبد القادر بن شيخ العيدروس كتاباً بعنوان «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء»^(٧).

(١) هو محمد بن علوي بن علي بن أحمد العلوي، عرف أبوه بالشاطري. كان من المولعين بالإحياء، وذكروا أنه كان يحفظه، واشتهر بالفقه، وله مشاركة في علم الحديث والعربية والتصوف، واستوطن عدن وأقام بها إلى أن توفي سنة ٨٩٧هـ. انظر: المشرع الروي (١/ ١٩١ - ١٩٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٩١ - ١٩٢). (٣) المصدر السابق (٢/ ٤٢).

(٤) انظر: تاريخ النور السافر (ص ١١٦). (٥) مواهب القدوس (ص ٥١).

(٦) المصدر السابق.

(٧) طبع الكتاب ملحقاً بالمجلد الخامس من كتاب «إحياء علوم الدين» طبعة دار الفكر.

وهذه الفضائل التي أعطيت لقارئ الإحياء فضائل مزعومة، لما احتواه هذا الكتاب من المخالفات العقدية الكثير، وتأثره بالفلاسفة حتى قال القاضي أبو بكر بن العربي: «شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر»^(١).

اعتماد كتب بقية الصوفية:

اهتم القوم بكتب الصوفية لا سيما كتب القائلين بوحدة الوجود، وكذا الحلول والاتحاد أمثال ابن عربي والحلاج وغيرهما، يقول علي بن حسن العطاس: «ذاكرت لبعض أبناء السادة في كتب ابن عربي، فقال لي: لا ينبغي قراءتها إلا لمن تحقق معرفة قصد مؤلفها؛ لأنه ربما عرف بعض الأشياء على غير ما هي عليه، وسمعته يبالغ في ذلك فقلت له: إنا نعتقدهم زيان، والزين لا ينطق إلا بالزين»^(٢).

وكان علي بن أبي بكر السكران يدرس كتاب الفتوحات لابن عربي في تريم للمريدين^(٣).

وفي ترجمة أبي بكر بن عبد الله العيدروس - صاحب عدن - «وكان كثير المطالعة لا يخلو منها في غالب أوقاته وخصوصاً مصنفات الإمام حجة الإسلام الغزالي، والشيخ محيي الدين محمد بن عربي، وكان إذا سئل عن مسألة غامضة أشكلت على غيره كشف ما فيها من غامض الأسرار، وأظهر من معانيها المخدرات الأكار بأدنى لمحة من بادي رأيه وهجسه، وأدل توجهه من غامض فهمه وحده، وكان يكشف المشكلات التي اشتمل عليها الفصوص لابن عربي وغيره من كتب القوم»^(٤).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٢٥٨).

(٢) عمر بامخرمة السباني حياته وتصوفه وشعره (ص ٤٣).

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد (٢/ ٧٦٨).

(٤) المشرع الروي: (٢/ ٣٥ - ٣٦). وانظر كذلك مدحهم لابن عربي الصوفي واعتماد كتبه: المشرع الروي: (٢/ ١٣٦، ١٥٤، ٢٦١)؛ ومواهب القدوس (ص ٩)؛ والنفائس العلوية، للحداد (ص ١٤٥)؛ وجلاء الهم والحزن في ترجمة صاحب عدن (ص ٢٠ - ٢١).

وذكر الشلي شعراً لأحدهم فيه مدح لأبي بكر العيدروس جاء فيه:

«فيا شيعي يا ابن العيدروس من له مقام به كل الرجال وقوف
شرحت لنا علم الحقيقة ظاهراً وأحييت محيي الدين وهو عريف
كلام ابن عربي وإن كان معلقاً وفي فهمه عسر وفيه عسوف
بتقريرك الميمون أوضحت لنا فصار لدينا معرب معروف

وقال في وصفه بهذا المعنى تلميذه العلامة محمد بن عمر بحرق رحمته:
«لله درك يا ابن طه أحمد ماذا حوت من المعاني والرتب
يا كاملاً في وصفه يا جامعاً علم والحقيقة والشريعة والأدب
أظهرت ما أخفى الفصوص وغيره من كل علم حار فيه من دأب
أوضحته من غامض السر الذي قد حزنه من غير كد أو تعب
فجزاك رب العرش خير جزائه فلقد رزقت مواهب لا تحتسب»^(١)

وجاء في كتاب المشرح الروي عند ذكر قول عبد الرحمن السقاف في معرض كشوفاته وهو يتكلم بلسان الحقيقة: «وكان يقول: اطلعنا على الحلاج وظننا أن بزاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر»^(٢).

ومدح القوم الحلاج وأثنوا عليه، بل وتمنى مشايخهم منزلته^(٣).

كما اهتمت صوفية حضرموت بكتب الشاذلية لارتباطها بطريقتهم وكونها شاذلية غزالية - كما تقدم -، يقول محمد بن عمر بحرق الحضرمي عن شيخه أبي بكر بن عبد الله العيدروس: «وكان مولعاً بكتاب الحكم للشيخ تاج الدين عطاء الله الشاذلي»^(٤).

(١) المشرح الروي (٣٦/٢).

(٢) المصدر السابق (١٤٣/٢).

(٣) المصدر السابق (١٤٢/٢). وانظر ثنائهم على الحلاج: سلسلة أعلام حضرموت (الشيخ عمر المحضار)؛ لأبي بكر المشهور (ص ١٥).

(٤) هو أحمد بن محمد عبد الكريم، ابن عطاء الله، الجذامي السكندري، من شيوخ الشاذلية، أخذ التصوف عن أبي العباس المرسي، وكان ابن عطاء من أشد خصوم معاصره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته. وله مؤلفات منها: الحكم العطائية، والتنوير في إسقاط التدبير، والقول المجرد في الاسم المفرد، توفي في القاهرة سنة ٧٠٩هـ. انظر: الدرر الكامنة (٢٧٣/١)، =

قدس الله روحه»^(١).

وقد شرح علي بن عبد الله باراس^(٢) (ت ١٠٥٤هـ) - أحد صوفية حضرموت - كتاب الحكم لابن عطاء الشاذلي بشرح موسع جداً بلغت أوراقه ٣٥٧ ورقة، ولا يزال مخطوطاً بمكتبة الأحقاف بتريم.

واهتم القوم بكتب التصوف الأخرى، وإن كان اهتمامهم أقل من سابقتها، ففي ترجمة أحمد بن علوي باجندب (ت ٩٧٣هـ) «وكان أكثر قراءته الإحياء، والرسالة، والعوارف»^(٣). وجاء في كتاب تذكير الناس: «وأثنى سيدي على كتاب العوارف للسهروردي، والرسالة القشيرية وقال: كان الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس لا يفارق هذين الكتابين حضراً ولا سفراً»^(٤) وكذا اهتم القوم بكتب عبد الوهاب الشعراني^(٥).

وكذا أوصى علماؤهم بكتب متصوفة حضرموت، يقول طاهر بن حسين بن طاهر عن المصادر المعتمدة لمناقب العلويين: «ومن أراد مناقبهم فليطالع كنز البراهين، والمشرح الروي»^(٦).

وجاء في كتاب تذكير الناس: «وقال رحمته: دخل الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس إلى المدينة هو والحبيب شيخ بن محمد الجفري، والحبيب أبو بكر بلفقيه، وتعاهدوا على العمل بما في بداية الهداية؛ وعملوا به: ثم ورد لهم الإذن من الحضرة المحمدية بالتفرق؛ فأما الحبيب شيخ بن محمد

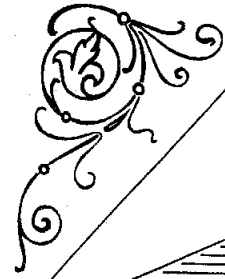
= ط دار الجيل - بيروت؛ والطبقات الكبرى، للشعراني (٢٠/٢)، ط ١٤٠٨هـ؛ دار الجيل - بيروت، والأعلام (٢٢١/١)، ط ١٩٨٤م.

(١) مواهب القدوس (ص ١١).

(٢) هو علي بن عبد الله باراس، ولد بحريضة من دوعن بحضرموت، وأخذ عن مشايخها منهم: عمر بن عبد الرحمن العطاس وغيره، وأقام بقرية الخريبة. من مؤلفاته: شفاء السقم شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، والروضة الخضراء والدة الزهراء في كشف معاني ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء. توفي بقرية الخريبة سنة ١٠٥٤هـ. انظر: خلاصة الأثر (١٧٣/٣)؛ وملحق البدر الطالع (ص ١٦٩)؛ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي (ص ١٥٦).

(٣) المشرح الروي (٧٠/٢). (٤) تذكير الناس (ص ٣٩٣).

(٥) المصدر السابق (٣٩٢). (٦) المسلك القريب (ص ١٢٧).



الفصل الثاني

قولهم في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ومناقشتهم فيه

وتحت مبحثان:

المبحث الأول: قولهم في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: قولهم في توحيد الأسماء والصفات.

الجفري، فأمره ﷺ بالتوجه إلى مليبار؛ وأما الحبيب أبو بكر بلفقيه؛ فأمره بالتوجه إلى آشي جزيرة من جزائر جاوه؛ وأما الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى فأمره بالتوجه إلى مصر، فقال لجده ﷺ: إن مصر ملانه^(١) من العلماء، فقال له: إذا أشكل إليك شيء فراجعه في الدشته تجده، والدشته هي لصاحب الحزم عبد الرحمن بن محمد العيدروس^(٢).

هكذا يروج القوم لعلوم صوفيتهم دون تعويل على علم الكتاب والسنة، فكتاب عبد الرحمن العيدروس - بزعمهم - يحتوي على كل علم فلا حاجة للالتفات إلى غيره.

وبهذا العرض لبعض الكتب التي اعتمدتها صوفية حضرموت في نهجها، وتقرير عقيدتها، يتضح عدم الغرابة في انحراف القوم في أغلب أبواب الاعتقاد، لانحراف المصادر التي يستقون منها دينهم، ولا غرابة أيضاً أن يوجد في صوفية حضرموت من يقول بوحدة الوجود لانتشار كتب ابن عربي والحلاج وابن الفارض وغيرهم من غلاة هذه النحلة الدخيلة على الإسلام والمسلمين، ويزيد الأمر انحرافاً عند القوم تدریس مشايخهم لهذه الكتب المنحرفة، والثناء على أصحابها كما تقدم، والله المستعان.

(١) بمعنى ملينة.

(٢) تذكير الناس (ص ١٣٠ - ١٣١).

شَيْءٌ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠]. فإنه لا يوجد أحد غير الله تعالى يتصرف في الكون بالرزق والاحياء والإماتة لا الأنبياء ولا الأولياء فضلاً عن غيرهم، فكلهم عبيد لله تعالى خاضعون له، وتحت تصرفه وقهره.

المطلب الأول *

انحراف صوفية حضرموت في توحيد الربوبية

انحرفت صوفية حضرموت في هذا التوحيد وذلك لجهلهم بالعقيدة الصحيحة، وبسبب الغلو في أوليائهم وصالحيههم متأسين في ذلك بالباطنية والرافضة الذين رفعوا مشايخهم إلى مرتبة الرب جلّ وعلا، يقول ابن خلدون بشأن تأثير الصوفية بغيرهم: «وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول والهيبة الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين»^(١).

وكما هو معلوم فإن المشركين في عهد النبي ﷺ كانوا مقرين لله تعالى بربوبيته كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَكُمْ قَوْلٌ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]. وأما الصوفية فيزعمون أن أولياءهم يشاركون الله تعالى في ربوبيته فادّعوا لهم علم الغيب، وإحياء الموتى، وتدبير أمر الكون وغير ذلك من صفات الرب جلّ وعلا وهذا يعتبر أشد شركاً من شرك الأولين، الذين كان شركهم في الألوهية ولم يكن في الربوبية.

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٧٣)، ط دار الفكر.

ولم يعرف القوم هذا التوحيد ومنزلته، لذا ملئوا كثيراً من كتبهم، بالغلو في أوليائهم، ومشايخهم، حتى أعطوهم خصائص الرب تعالى كما ستأتي.

الشواهد الدالة على قول غلاة صوفية حضرموت بعقيدة وحدة الوجود:

وحدة الوجود عقيدة كبرى عند الصوفية ومعناها عندهم: أن الله جلّ وعلا والعالم شيء واحد، وأن كل شيء هو الله، فلا رب ولا مريبوب، ولا خالق ولا مخلوق، وكل هذه الموجودات شيء واحد بل ذات واحدة تعددت وجوداتها، وتعددت أشكالها وألوانها وهي حقيقة واحدة - تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً -^(١).

وأما أصل هذه الفكرة فقد جاءت من الفكرة الهندية القائلة: إن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد، وكذا تأثرها بنظرية صدور الكائنات عن الله فيضاً وإشراقاً^(٢) وهذه نظرية يونانية، وكذلك تتضح العقيدة البرهمية^(٣) تمام الوضوح في عقيدة وحدة الوجود^(٤).

وهذه العقيدة أخطر العقائد عند الصوفية، والقول بها كفر أشد من كفر

(١) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ٢٦٦)، ط ٤، ١٤١٢ هـ. والصوفية معتقداً ومسلماً، د. صابر طعيمة (ص ٢٣٢) دار عالم الكتب - الرياض، بدون تاريخ.

(٢) الإشراق: هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على النفس عند تجردها، والإشراقية اسم مشترك لعدد من التيارات الفلسفية يجمع بينها القول بضرب من المعرفة التي تتجاوز المعرفة العقلية بمفهومها المنطقي التقليدي. انظر: شرح حكمة الإشراق، لقطب الدين الشيرازي (ص ١٢)، والموسوعة الصوفية، لعبد المنعم حفي (ص ٤٧)، مادة: (إشراق).

(٣) البراهمة: هم المنتسبون إلى رجل يدعى براهيم - من ملوك الفرس -، يقرون بالله ويحسدون الرسل، وهم فرق مختلفة. انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٥١)، تحقيق: كيلاني، ط البابي ١٣٨٧ هـ؛ والمنية والأمل في شرح الملل والنحل، لأحمد بن يحيى بن المرتضى (ص ٧٢). تحقيق: محمود جواد مشكور، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ، دار الفكر - بيروت.

(٤) انظر: فلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية: د. مقداد يالجن (ص ٨٦، ٨٩)، ط ٢، ١٤١٠ هـ، دار عالم الكتب - الرياض؛ والصوفية معتقداً ومسلماً، د. صابر طعيمة (ص ١٨١).

اليهود والنصارى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك قالوا أن الرب يتحد بعبد الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال العبد هو الرب وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

الثاني: من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كال المسيح وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والوسخ، وإذا كان الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]. فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون، والصبيان، والمجانين، والأتنان، وكل شيء...»^(١).

والقول بوحدة الوجود تعطيل الخالق عن أن يكون رب العالمين، لعدم تفريق الصوفية بين الخالق والمخلوق^(٢).

وتعتبر هذه العقيدة هي الغاية عند كثير من الصوفية قديماً وحديثاً، وإن تعددت مناهجها وأساليب السير والسلوك^(٣) لا سيما عند كبارهم الذين وصلوا إلى الحقيقة المزعومة، وذلك لاطلاعهم على كتب أصحاب وحدة الوجود، بل وشرحها للتلاميذ^(٤)، وإن كان هناك من هو جاهل بحقيقة مذهبهم ممن هو منتم إليهم؛ لأن هذه الغاية سرية لا يظهرونها لأي أحد، وإنما يظهرونها لخواصهم، ولمن تشرب هذا الفكر واقتنع به وألغى عقله، وصدق شيخه في كل ما يقول، وهكذا صفة أهل الباطل يكتمون باطلهم، حتى لا يُعرف فيحذر، وأسوتهم الباطنية الذين يكتمون مذهبهم القبيح.

وقد تأسست صوفية حضرموت بمن سبقها من ملاحدة الصوفية القائلين

(١) مجموع الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٥).

(٢) انظر: الدين الخالص (١/ ٣١٥).

(٣) انظر: حقائق عن التصوف، لعبد القادر عيسى (ص ٢٧٢)؛ والتعرف لمذهب التصوف، للكلاباذي (ص ١٢ - ١٣).

(٤) انظر: المشرح الروي (٢/ ٣٥ - ٣٦).

بهذه العقيدة الهدامة، فنصوص علمائهم فيها تقرير هذه العقيدة، ولا ريب أن لهذا أسباباً لعل أهمها: اهتمام القوم بكلام ملاحدة الصوفية كابن عربي الطائي، وابن سبعين، والحلاج وغيرهم وما سطره في كتبهم من تقرير هذه العقيدة، فعُظمت أقوالهم، وذلك لاعتقاد صوفية حضرموت أن هؤلاء الزنادقة ينظرون بعين الحقيقة المزعومة (وحدة الوجود)، هذا إضافة لجهل صوفية حضرموت بمذهب السلف، وقلة علماء التوحيد في تلك الجهة؛ هذا مع انتكاس فطر هؤلاء الصوفية، وإلا فجهال المسلمين بل وحتى الكفار بفطرتهم يفرقون بين الخالق والمخلوق.

وقد يظن ظان أنهم يعبرون بكلام لا يفهمونه، وهذا غير صحيح فالقوم أشربوا فكر ابن عربي الصوفي، حيث درسوا كتبهم للتلاميذ كما فعل أبو بكر العيدروس، ولا تزال كتب ابن عربي وغيره من زنادقة المتصوفة تباع في حضرموت في مكتبات الصوفية بكثرة، فحالهم يذكر بحال متصوفة زبيد وتسرب فكر ابن عربي إليهم، فظن بعض أهل العلم أنهم لا يفهمون مقالة ابن عربي الكفرية حتى نوقشوا وتبين فهمهم لهذه المقالات المنحرفة يقول الحافظ ابن حجر رحمته الله في بيانه لحال إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي (ت ٨٠٦هـ) الذي انتحل مقالة ابن عربي في زبيد: «كان محباً في مقالة ابن عربي، وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد، حتى اجتمعت به، فرأيت أنه يفهمه ويقرره ويدعو إليه، حتى صار من لم يحصل كتاب الفصوص من أصحابه لا يلتفت إليه»^(١).

وقد مهد القوم لهذه العقيدة الخطيرة، وقرروها بعبارات على طريقة المتصوفة القدامى، يقول أحمد مشهور الحداد: «الشهود هو الحضور والمعانية، وإنما يرتفع الحجاب عن العبد بالتحلي بالأوصاف الحميدة، بعد التخلي عن أضدادها الكثيفة، فتصل حينئذ إلى جمال الحق في محاسن أسمائه وصفاته، ويشهد معنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]»^(٢).

(١) إنباء الغمر، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٥/ ١٦٣).

(٢) مفتاح الجنة لأحمد مشهور الحداد (ص ٦١). باختصار.

ويقول عبد القادر العيدروس: «لم تفتني - بحمد الله سبحانه - إشارة صوفية، ولكني - مع ذلك - أظهر التجاهل في ذلك؛ لأن الكلام على إشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي للشخص أن يصفها إلا إذا كان متحققاً بها، ومع ذلك فلا يجوز أن يتكلم فيها مع غير أهلها»^(١).

ويقول عبد الله بن علوي الحداد:

إنه سر شريف ليس للأغيار يذكر
إنه معنى لطيف عن جميع الناس يستر^(٢)

وقد فسر أحمد بن حسن العطاس معنى لا مشهود إلا الله بأن معناه: «الأشياء كلها قائمة بذاته تعالى والعارفون يستدلون على الأشياء بالخالق، وأهل الظاهر يستدلون على الخالق بالأشياء»^(٣).

ومن أقوال علمائهم الذين نصوا على هذه العقيدة في مؤلفاتهم، ما قاله أبو بكر بن سالم العلوي (ت ٩٩٢هـ) الذي يصفونه بفخر الوجود، فقد قال عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية: (وقوله: بأنه (العليم الخبير) هذا بيان خلافة الحقيقة المحمدية وهي الجامعة للذات والعلم والصفات، وهو جامع الكمالات ﷺ وهو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الأحدية لأن جميع الحقائق عين ذاته حقيقة ولا يدركه غيره كما قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]»^(٤).

ويقول أيضاً: «واعلم أيها العبد أن من نسي نفسه في الوجود، لم يشهد إلا الموجود، ﷻ إذ لا موجود في الحقيقة إلا الله، وكل ما سواه فهو عدم إلا بموجده»^(٥).

(١) تاريخ النور السافر (ص ٣٠٢). (٢) الدر المنظوم (ص ٢٧٢).

(٣) تذكير الناس (ص ٣٨٤).

(٤) معراج الأرواح والمنهج الوضاح، لأبي بكر بن سالم (١/٢٣٠)؛ وهذا هو قول ابن عربي الطائفي، انظر: فصوص الحكم (ص ٢١٢ - ٢١٥).

(٥) مفتاح السرائر وكنز الذخائر، لأبي بكر بن سالم العلوي (ت ٩٩٢هـ) (ص ٣٥)، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٣٨٥هـ.

وجاء في (مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر): «وذاكر ﷻ في معنى: لا معبود إلا الله، لا مقصود إلا الله، لا مشهود إلا الله؛ أي: لا يستحق العبادة إلا من له الخلق، والأمر بيده، ويده النفع والضرر، خالق الموت والحياة هو الله ﷻ وإذا كان لا يستحق العبادة إلا الله، فلا ينبغي أن يقصد بكل علم وعمل ونية وفعل إلا الله، فلا مقصود ولا مشهود إلا الله إذ ليس في الوجود إلا ذاته تعالى وصفاته وإذا قلت: لا مشهود إلا الله صرت موحداً لنفسك مغنياً للخلق بشهود الحق، وإذا لا موجود إلا الله صرت مغنياً لنفسك وذكرك مع الخلق ووجود الخلق»^(١). ويقول الشلي في ذكر مناقب أحمد بن علوي باجحدب (ت ٩٧٣هـ): «وحصل له قرب انتقاله جذبة ربانية اندهش بها عن حسه، وتحير لُبّه عن نفسه، ومكث أربعة أيام لا يأكل ولا يشرب شيئاً ولا يضع جنبه على الأرض، وكان يقوم في تلك الحال إلى الصلاة بطريق العادة فيصلي وهو في غير شعوره، وربما صلى لغير القبلة، وذلك لما استولى عليه من سلطان الحقيقة، فتلاشت العبدية في كعبة العندية، ونودي بفناء الفناء في عالم البقاء، ورفعت القبلة وما بقي غير الله، فأينما تولوا فثم وجه الله»^(٢).

ويقول أبو بكر بن سالم العلوي: «فرغ قلبك عن الكون وأهله، ترّ الله ظاهراً فيه ليس خافياً، ومتى كانت الأكوان حتى تحجبك عن الله، وكان الله تعالى ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، اضمحلت الأكوان، إذا ذكر المكوّن غض بصرك عن الأكوان تشهد المكون فيها...»^(٣).

فمجرد تصور هذا المذهب كافٍ في بيان فساده، وبطلانه، ولا يحتاج مع ذلك التصور إلى دليل آخر^(٤)، ثم إن صدور هذا الكلام من كبارهم،

(١) مجموع كلام وديوان ووصايا الحبيب حسن بن صالح البحر (ص ١٢).

(٢) المشرح الروي (٧٣/٢). وفي هذا النص ادعاء سقوط العبودية عنه.

(٣) مفتاح السرائر (ص ٢٤). هذا يفسر اضطراب القوم وتناقضهم حتى في كلام أهل وحدة الوجود، لكنهم يجمعون في كلامهم على مقصد واحد وهو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق.

(٤) حقيقة مذهب الاتحاديين، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤).

واضح في القول بوحدة الوجود والاعتذار عنه مشاركته لقائله في الباطل الذي يسعى إليه.

قال الإمام الذهبي عن هذا المذهب الخبيث عند ذكر كتاب الفصوص لابن عربي فقال: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله»^(١).

ويلزم على القول بوحدة الوجود لوازم خطيرة منها: صدق فرعون لما قال: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وعدم تكفير النصارى بادعائهم أن المسيح ابن مريم هو الله تعالى، مع أن الله قال عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]. فكيف بمن قال: إن الله هو الوجود كله، بل قد قال بهذا اللازم ابن عربي الطائي الذي يعظمه صوفية حضرموت^(٢).

وأما قول أبي بكر بن سالم بالحقيقة المحمدية فأسوته في ذلك ابن عربي الذي تلقى هذه الفكرة من الفلاسفة الزنادقة، فالحقيقة المحمدية عند القوم تعتمد على معرفة عقيدتهم في الله تعالى وهي - كما تقدم - قولهم بوحدة الوجود؛ أي: أن الله والعبد شيء واحد - تعالى الله وتقدس عن قوله علواً كبيراً -.

ويقول أبو بكر بن سالم العلوي: «قال بعض الصوفية لمن رأوا السباع حوله متأديات وعجبوا من ذلك: لا تعجبوا انتم أصلحتم الظاهر فخفتم الأسد ونحن أصلحنا الباطن فخافنا الأسد».

قلت^(٣): لأنهم لا ينظرون إلى شيء إلا وشهدوا الله تعالى قبله أو بعده، والله تعالى لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ولكن ليس شيء خالياً عنه، فكيف تنظر غير الله تعالى فو الله ثم والله غير مكلف باليمين ولا مفتر: ما

(١) السير (٤٨/٢٣)، ط ١١، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: فصوص الحكم، لابن عربي (ص ٢١٠، ٢١١)، ط بيروت، تحقيق: أبو العلاء عفيفي.

(٣) والقاتل أبو بكر بن سالم العلوي.

شهدت ولا نظرت عيني شيئاً إلا شهدت الله تعالى فيه أو قبله أو بعده، وبعض العارفين لم يشهد غير الله تعالى ألبتة، والكون كله مطية للعارفين يتصرفون فيه بإذنه تعالى، وهم الملوك حقاً^(١).

وجاء في كتاب أفضل الصلوات للنبهاني - أحد الخرافيين المتصوفة والمعظمين لدى متصوفة حضرموت - حيث نقل هذا الرجل عن بعض صوفية حضرموت ما يأتي: «الصلاة السقافية لسيدي عبد الله السقاف: اللهم صل وسلم على سلم الأسرار الإلهية، المنطوية في الحروف القرآنية، مهبط الرقائق الربانية، النازلة في الحضرة العلية... صاحب اللطيفة القدسية المكسوة بالأكسية النورانية، السارية في المراتب المتكاملة بالأسماء والصفات الأزلية، والمفيضة أنوارها على الأرواح الملكوتية، المتوجهة في الحقائق الحقية، النافية لظلمات الأكوان العدمية المعنوية، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الكاشف عن المسمى بالوحدة الذاتية... صاحب الصورة المقدسة المنزلة من سماء قدس غيب الهوية الباطنة الفاتحة بمفتاحها الإلهي لأبواب الوجود القائم بها من مطلع ظهورها القديم إلى استواء إظهارها للكلمات التامات، اللهم صل وسلم على حقيقة الصلوات، وروح الكلمات، قوام المعاني الذاتية، وحقيقة الحروف القدسيات، وصور الحقائق الفرقانية التفصيليات... موصل الأرواح بعد عدمها إلى نهايات الغايات الوجود والنور»^(٢).

ويُعرف الصوفية الحقيقة المحمدية بقولهم: «هي الذات مع التعيين الأول، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم»^(٣).

(١) مفتاح السرائر وكنز الدخائر، لأبي بكر بن سالم العلوي (ص ٣٠). وهذا القول هو قول ابن عربي الطائي حيث يقول (العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء). فصوص الحكم لابن عربي بشرح القيصري (٣٨٥/٢).

(٢) أفضل الصلوات على سيد السادات، ليوسف بن إسماعيل النهاني (ص ١٥٥ وما بعدها). دار الفكر.

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص ٧٤)، ط ١، ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

والحقيقة المحمدية عند الصوفية هي مصدر الخلق كله، واعتقاد وجوده ﷺ قبل وجود الخلق، واستدلوا لذلك بأحاديث مكذوبة منها: أن وجوده ﷺ قديم وليس بحادث وعبروا عنه بالنور المحمدي وأن هذا النور ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، يقول الجيلي^(١): «ولهذا كان العقل الأول هو عبارة عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً لوجود العالم كله: عالم الأمر وعالم الخلق، فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل، والله منزّه أن يكون علة الوجود شيء»^(٢).

ويقول الحلاج: «أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور ولا أظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الحرم، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم»^(٣).

وذكر هذه الفكرة الدخيلة فقط كاف في بيان بطلانها، ومع ذلك فإن القرآن الكريم يبطلها ويبطل كل باطل إلى قيام الساعة، يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٣]. ومحمد ﷺ إنسان^(٤).

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي والجيلاني، نسبة إلى جيلان من بلاد فارس، وهو بغدادى الأصل، وقيل في نسبته الجيلي تمييزاً له عن الجيلاني. ولد سنة ٧٦٧هـ، وأخذ التصوف عن إسماعيل الجبرتي ثم رحل إلى كثير من البلدان وزار الهند واختلط بالبراهمة. من مؤلفاته: الإنسان الكامل، والمناظر الإلهية، والقاموس الأعظم وغيرها. توفي بزييد من بلاد اليمن سنة ٨٢٦هـ. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢/ ٢٠١ - ٢٠٢)، ط دار الفكر؛ والفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، ليوسف زيدان (ص ١٩ - ٦١) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار النهضة - بيروت.

(٢) الإرادة القديمة في حضرة العين وحيث لا أين لكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين، للجيلي: مخطوط: ق ٧ أ. نقلاً عن كتاب دعوى وحدة الأديان عند الصوفية والفلاسفة عرض ونقد، لسعيد بن معلوي (٢/ ٦٠٧).

(٣) الطواسين، طاسين السراج (ص ٤٣ - ٤٤)، ط دار الينايع.

(٤) انظر: لماذا يلحدون، للدكتور: سيد الجميلي (ص ٢٦٤)، ط ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

فكيف يُسَوَّى مالك الملك، الإله العظيم بالمخلوق الذي خلقه الله تعالى من العدم، ثم إن قوله: لا يخلو منه مكان فيه إشعار بفكرة الحلول - تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً -.

وكذلك فإن الواجب في حق الرسول ﷺ الجزم بأنه خاتم النبيين، وأنه عليه الصلاة والسلام بشر كغيره من البشر يأكل الطعام، ويعالج المعاش في الأرض، وليس له أي حق من حقوق الرب تعالى التي اختص بها سبحانه كالتصرف في الكون، وعلم الغيب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وسيرته عليه الصلاة والسلام معلومة لمن قرأها في كتب السنة الصحيحة، لا في كتب أهل الكذب والخرافة. بل إن النبي ﷺ نهى الصحابة  عن الغلو في تعظيمه بإعطائه حقاً من حقوق الله تعالى كالسجود كما في قصة معاذ ^(١)، بل نهى ﷺ أن يقام له عند مقدمه، عن أنس  قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ قال: وكانوا إن رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك»^(٢).

والقول بوحدة الوجود له آثار خطيرة على توحيد الربوبية، ونبين ضلال هذا المعتقد للزيادة في الحجة، ولعل الله تعالى يهدي من ضل عن الهدى إلى طريق الحق والصواب.

(١) أخرج أحمد في المسند في مواضع مختلفة عن بعض الصحابة (٤/ ٣٨١، ٥/ ٢٢٧ - ٢٢٨، ٦/ ٧٦)؛ وأبو داود في سننه: كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، (ص ٢٤٣) برقم (٢١٤٠)، والترمذي في سننه: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، (ص ٢٠٦) برقم (١١٥٩)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، (ص ٢٠١) برقم (١٨٥٣)؛ وابن حبان في صحيحه (موارد الظمان برقم ١٢٩٠)؛ والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٣٦) برقم (٥١١٦) عن زيد بن أرقم أن معاذاً قال: يا رسول الله! أرايت أهل الكتاب يسجدون لأسافقتهم وبطارقتهم أفلا نسجد لك؟ قال: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأة حق زوجها حتى لو سألها نفسها عن قتب لأعطته» وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١٠٩٩) برقم (٣٣٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، (ص ٤٤٤) برقم (٢٧٥٤). وصححه إسناده الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجه للمشكاة (٣/ ١٣٣١) برقم ٤٦٩٨.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته مؤدى القول بوحدة الوجود وآثاره المنحرفة فقال: «حقيقة قولهم: إن الله لم يخلق شيئاً، ولا أبدعه، ولا برأه، ولا صورته؛ لأنه لم يكن وجود إلا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه، أو بارتناً لذاته»^(١).

ونتيجة قولهم هو القول بقدّم العالم سواء كان ذلك تصريحاً أو لزوماً^(٢)، والقول بوحدة الوجود كفر وزندقة مأخوذ من الفلسفات القديمة من يونانية وهندية وغيرهما - كما تقدم -، وذكر هذا المذهب يكفي في بطلانه، وإنما ذكرناه لنبين ارتباط صوفية حضرموت بأسلافهم من الصوفية القائلين بهذا المعتقد الخبيث، الذي هو أشد من كفر اليهود والنصارى، وليتضح لصوفية حضرموت ولمن أراد الله هدايته ممن وقع في حبال المتصوفة أن أسلاف القوم كابن عربي وابن الفارض وأضرابهما كانوا زنادقة، أخذوا هذه الأفكار من الأمم الكافرة وأرادوا إفساد هذه الأمة، وليلبسوا عليهم دينهم «وقد تواتر نسبة ابن عربي وابن الفارض إلى الكفر تواتراً معنوياً وشاع ذلك على ألسنة المؤمنين الصادقين. وإذا كان الله سبحانه حكم بالكفر في كتابه الكريم على من قال: (إن الله هو المسيح)، فلم لا يحكم المسلمون على قطبي مذهب الحلول والاتحاد وكل منهما يقول: الله عين كل شيء»^(٣).

ونخلص إلى أن الفلسفة لعبت دوراً كبيراً في إضلال كبار المتصوفة، وبالتالي زرعوا الشر في هذه الأمة بهذه النظريات الكفرية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته موصياً بالتمسك بشرع الله تعالى ومحذراً من الفلسفة المشنومة: «أوليس أضل الشرك في العالم هو من بعض هؤلاء المتفلسفة، أوليس كل من كان أقرب إلى الشرائع ولو بدقيقة كان أقرب إلى العقل ومعرفة الحقيقة، وهل رأيت فيلسوفاً أقام مصلحة قرية من القرى فضلاً عن مدينة من المدن»^(٤).

وجميع الأدلة النقلية والعقلية، بل والفطر السليمة ترد هذه العقيدة، فمن

أدلة ربوبية الله تعالى الكثيرة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. فقد بين تعالى أنه خلق كل شيء، فما سوى الله تعالى مخلوق خلقه الله تعالى بعد إن لم يكن، ومنها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِسْنُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الذي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ] (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رُبُّكَ (٨) [الأنفطار: ٦ - ٨].

فهذه النصوص تدل على أن الله تعالى خالق باريء مصور، فلا يخلو؛ إما أن يكون تعالى خلق نفسه، أو خلق غيره، ولا يجوز أن يكون خلق نفسه؛ لأن نفسه المقدسة يستحيل أن تكون مخلوقة مربوبة، والشيء لا يخلق نفسه، فلم يبق إلا أن يكون خلق غيره، وهذا هو الحق فثبت أن الوجود ليس واحداً، بل فيه خالق ومخلوق، ورب ومربوب فبطل قول أهل الوحدة^(١).

كما يبطل القول بعقيدة وحدة الوجود توحيد العبادة، حيث تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عَبْدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ففي هذه النصوص إثبات عبد ومعبود، ولو كان الوجود واحداً، وهو وجود الله تعالى - كما يزعمون - لكان الله هو العبد، وهذا باطل فطرة وعقلاً، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالعبودية التي هي الذل والخضوع؛ لأنه تعالى القوي العزيز الذي خضع لجبروته وعزه كل شيء، ثم إنه من السفه أن يعبد الشيء نفسه، فهناك نصوص كثيرة تنهى عن الشرك كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. فدل ذلك على أن هناك غيراً، يجعله بعض الناس شريكاً لله تعالى، ولهذا أرسل الله تعالى الرسل لينهوا الناس عن الشرك ويردونهم إلى التوحيد، ولو كان الوجود واحداً لكان الشرك الأكبر هو عين

(١) انظر: حقيقة مذهب الاتحاديين، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٧)، ط ضياء السنة - فيصل آباد - باكستان.

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٤٨).

(٢) انظر: درء التعارض (٣/١٦٥).

(٣) مصرع التصوف، للبقاعي (ص ٢١٧).

(٤) درء التعارض (٥/٦٥).

التوحيد الخالص، ولكان المشركون ما عبدوا في الحقيقة إلا الله، ولا حاجة لنهي الرسل أقوامهم عن الشرك - تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً - .

كما يبطل هذه العقيدة ما جاء من أدلة توحيد الأسماء والصفات، فقد ثبت بالأدلة الشرعية أن الله تعالى منزّه عن مماثلة المخلوقات، وأنه جلّ وعلا منزّه عن كل نقص وعيب، متصف بكل كمال، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]. بيّن جلّ في علاه في هذه السورة أن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولكن لما ضل القوم عن معرفة إلههم العظيم اجتالهم الشياطين فأوقعتهم في أحوال عقيدة الوحدة والتي هي أخطر العقائد الكفرية - والعياذ بالله .

كما تبين بطلان عقيدة وحدة الوجود أدلة الفرق بين الله والعالم، والنصوص في ذلك كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝﴾ [الزمر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَيْتَهُ وَالَّذِمْ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]. فالآلهة التي يعبدونها المشركون ويذبحون لها، ويدعون الناس إلى عبادتها، ليست هي الله، بل هي غيره^(١).

وقد عرف خطورة عقيدة وحدة الوجود كل من له فطرة سليمة لم تتلوث بهذه العقيدة المهلكة، بل حتى الكفار عرفوا حقيقتها، يقول نيكلسون^(٢): «إن الإسلام يفقد كل معناه ويصبح اسماً على غير مسمى لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ«لا إله إلا الله» أصبح المراد: لا موجود على الحقيقة إلا الله.

(١) انظر: تفصيل الرد على فكرة وحدة الوجود كتاب عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، للدكتور: أحمد بن عبد العزيز القصير (ص ٥٨٦) وما بعدها.

(٢) هو رينولد ألين نيكلسون، مستشرق إنجليزي، ولد سنة ١٢٨٥هـ، عالم بالتصوف، تخرج من كمبردج، ودرس العربية والفارسية، ودرسها. من مؤلفاته: دراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه. انظر: الأعلام (٣/ ٣٩).

وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة؛ قضاء تام على معالم الدين المنزل، ومحو لهذه المعالم محواً كاملاً^(١).

ويرد على هؤلاء أن الأمور بيد الله تعالى لم يجعل شيئاً من خصائصه بيد أحد من خلقه، واعتقاد صوفية حضرموت أن للوجود: «قطب يدور عليه أمره، وبه ينزل المطر مطلقاً وبه يحصل الهدى مطلقاً، وبه يحصل النصر مطلقاً، فهذا لا يكون لمخلوق ألبتة، ولكن قد يكون من المخلوقين من يحصل به ما يحصل من نصر ورزق وهدى، كما قال النبي ﷺ: «وהל تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وإخلاصهم وصلاتهم»^(٢)»^(٣).

وهناك أدلة كثيرة تبطل قول أصحاب وحدة الوجود، وإنما اقتصرنا على بعضها، لأن هذه العقيدة بمجرد ذكرها يستنكرها من له فطرة سليمة، فكيف بمن وحّد الله تعالى وعظّم شرعه واتبع نبيه ﷺ.

✽ المطلب الثاني ✽

عقيدة صوفية حضرموت في القطب

عقيدة القطب من المعتقدات الكبيرة عند الصوفية، ولها مكانة عالية في الفكر الصوفي، فهي من الغايات العظيمة والمراتب العالية التي يسعى إليها الصوفي، ليُعطي تصرفات الرب - بزعمهم - .

ومعنى القطب في اللغة هو: ما عليه مدار الشيء، وملاكه ومنه قطب الرحى^(٤).

وأما معنى القطب في اصطلاح الصوفية فهو: «أكمل إنسان ممكن في مقام الفردية، أو هو الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، عليه تدور

(١) هذه هي الصوفية (ص ٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، (ص ٥٥٧) برقم (٢٨٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٧٩).

(٤) انظر: القاموس المحيط (ص ١٢٦).

أحوال الخلق، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل...»^(١).

وملخص اعتقادهم في القطب:

أولاً: أن القطب دائر في جهات الدنيا الأربعة (الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب).

ثانياً: أنه جامع لكل المقامات والأحوال.

ثالثاً: أن القطب يسمى غوثاً لكونه ملجأ الملهوفين.

رابعاً: أن للقطب مقامين:

أ - القطبانية الصغرى: ويعمل فيها في عالم الشهادة الحسي إذا غاب أو مات خلف مكانه أقرب بدل منه.

ب - القطبانية العظمى: وهذا يستغرق عالم الغيب والشهادة، ولا يقوم أحد مكانه، ويكون على باطن خاتم النبوة.

خامساً: أنه خليفة الله في ربوبيته، ونائبه في التصرفات الإلهية، فلا يصل إلى الخلق أي شيء إلا بحكمه وتولييه ونيايته.

سادساً: أن روحانية القطب سارية في كل ذرة من ذرات الوجود^(٢).

ويقول الحداد: «والقطب الغوث هو: إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم»^(٣).

وجاء في كتاب (منهل الورد) في تعريف القطب وتسميته بالغوث: «واعلم أن تسميته بالغوث فباعتبار التجاء الملهوف إليه، والقطبية الكبرى لا تكون إلا لواحد لكن قد يتوسعون في هذا الإطلاق، إذ القطب في العرف: كل من جمع الأحوال والمقامات، وانفرد به عن أبناء جنسه في البلد قطباً، فرجل

(١) التعرف على التصوف، لأحمد بن عبد الله بن شهاب (ص ٥٢).

(٢) انظر: التعرف على التصوف (ص ٥٢)؛ وانظر: هذه هي الصوفية، للشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص ١٢٤ - ١٢٦)، ط ٤، ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) النفائس العلوية في المسائل الصوفية (ص ١٤٨) لعبد الله بن علوي الحداد طبع دار الحاي

البلد قطب ذلك البلد، وقطب الجماعة قطب تلك الجماعة إلى أن قال: وهو موضع نظر الله تعالى في كل زمان إعطاء^(١) الله الطلسم الأعظم، قال العلماء: هو باطن نبوة محمد ﷺ فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه ﷺ بالأكمالية، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة، وقد قرر ذلك غير واحد ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن^(٢).

هذا هو معنى القطب و«لفظ الغوث والقطب في حق البشر لم ينطق به كتاب ولا سنة، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا المعنى، بل غياث المستغيثين على الإطلاق هو الله تعالى، كما قال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]^(٣).

وبناء على هذا التعريف للقطب، فقد جعلوا له وظائف وتصرفات هي من خصائص الرب جل في علاه، فجعلوها من صميم معتقداتهم.

الشواهد الدالة على اعتقاد صوفية حضرموت بالقطب:

بناء على ما تقدم من تعريف القطب عند الصوفية، فقد اعتمدت صوفية حضرموت هذه العقيدة، وذكروها في مؤلفاتهم، وادعوا لعدد من أوليائهم وعلمائهم.

وقضية القطبية واعتقادها عند صوفية حضرموت مبثوثة في كتبهم، فلا يكاد أحد من كبارهم ومُعظميهم إلا يوصف بها، فقد قال عبد الرحمن بن محمد السقاف باعلوي: «في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشرف ﷺ»^(٤).

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أعطاه.

(٢) منهل الورد، ط ١٣٩١هـ (ص ١٣٠). وقد أخذوا هذا التعريف من ابن عربي انظر: الفتوحات المكية (٣/ ٢٤٤) نقلاً عن مقدمة محقق جامع الرسائل (ص ١٤). وانظر: معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (ص ١٦٢)، تحقيق: د. عبد العال شاهين، ط ١، ١٤١٣هـ، دار المنار - القاهرة.

(٣) جامع المسائل، للشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٧٧)، تحقيق: محمد عزيز شمس، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار عالم الفوائد، مكة.

هكذا يدّعي هذا الرجل أن في مقابر تريم ثمانين قطباً أعطوا - كما سيأتي - صفات الربّ جلّ وعلا وأفعاله التي لا يشاركه فيها أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فإذا كان في تربة تريم ثمانون قطباً يشاركون الله تعالى في أفعاله، فكيف بغيرها من الأماكن؟ - تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً -.

ومن تلك الشواهد التي تدل على اعتقاد كبارهم هذه العقيدة ما جاء في كتاب تاج الأعراس: عند ذكر قول عبد الله الحداد الآتي: «قوموا واركبوا الغداء وخذوا في التسبيح والتهليل والتكبير والتوبة والاستغفار والأدب والانكسار فإنكم تواجهون صاحب الوقت فقاموا جميعاً وخرجوا يتلقونه إلى أن قال: رجعنا إلى إتمام القضية حول تشخيص مقام القطبية»^(١).

وفي هذا النص تسمية القطب بصاحب الوقت، وانظر كيف يُعظم هذا القطب بالانكسار والتسبيح والتهليل عند مواجهته والتي هي غاية الذل والعبودية التي لا ينبغي صرفها إلا لله العظيم - تعالى وتقدس -.

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية شاركهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شورايم، يقول أحمد بن حسن العطاس: «وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ورأيت الحبيب أبا بكر^(٢) ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبو بكر، ورأيت بالجانب البحري من القبة رجلاً فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأولياء بالقدس، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام القطبية ولا غيرها ويفرون منها، ومثالها مثال مَنْ قال لك: هذه البلدة ونفقة أهلها، وخرج^(٣) معاشهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟»^(٤).

(١) تاج الأعراس (١/٧٤).

(٢) يعني به أبا بكر بن عبد الله العطاس: تقدمت ترجمته (ص ٢٨١) من هذا البحث.

(٣) كذا في الأصل. ولعلها خراج. (٤) تذكير الناس (ص ٢٠٩).

ويقول أيضاً: «وفي ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبد الله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن وجلست أنا بالقرب منهم، وكان ذلك في جامع حريضة، فكان رئيس المجلس الشيخ عبد القادر الجيلاني فدعاني الشيخ عبد القادر فقلت له: أنا ما في طافة^(١) شيء إن معكم شيء لي اطرحوه في القرآن، فطلع أحد من الأولياء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام، بالقرب من العقاد^(٢)، وجعل الأمر بين اثنين واحد على المعالي وواحد على المسافل»^(٣).

هكذا يدّعون تصرف أوليائهم في حياتهم، وكذا بعد مماتهم، ويجعلون لهم رعاية أجزاء من الأرض والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّنِجِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَلْقَوْنَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُحْيِيهِ إِلَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

بل ادعى هذا المقام بعض أوليائهم لنفسه، فقد جاء في كتاب (الجوهر الشفاف) عند ذكر عبد الرحمن السقاف وهي الحكاية السادسة والتسعون من مناقبه: «أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبو الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا أيش مذهبك أخبرنا أنت شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له أيش مذهبك: فأيش أنت؟، فقال: جنداري من جنادة السلطان، ثم سكت الشيخ عبد الرحمن رحمته الله ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهوى وقال بأعلى صوته أنا جنداري من جنادة السلطان، قال عبد الرحيم: ثم بعد ذلك بأيام قلت للشيخ عبد الرحمن رحمته الله: وما جنداري السلطان؟ فقال: ما هذا معناه هو الذي يدخل على السلطان من غير

(١) وتعني قدرة واستطاعة باللهجة الحضرية.

(٢) إحدى مدن وادي حضرموت بالقرب من بلدة خشامر في أواسط الوادي. انظر: إدام القوت

(ص ٤٩٣)، ط المنهاج.

(٣) تذكير الناس (ص ٢٠٩).

إذن، ولا عليه حجاب، ويأمر وينهى، ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلداً أو مكاناً لم يبق أحد معه من أهل تلك البلد والمكان أمر، لا أمير، ولا وزير، ولا غيرهما؛ بل الأمر أمر الجنداري، والحكم حكمه، ما شاء فعل، ولا معقب لأمره، ولا مرد له. قال المؤلف - عفى^(١) الله تعالى عنه وعن والديه وعن أحبابه المسلمين -: هذا صفة صاحب القطبية...^(٢).

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وكذا إقرارهم لمدعيها ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم في المشرع: «وحكي أن الشيخ عبد الله باعبد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: (ظهر لي ثلاث: أحبي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبد الله: نرجو فيك أكثر من هذا»^(٣).

ومن ذلك ما ذكره صاحب الجوهر في ترجمة إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضل: «وقال في بعض مصنفاته وردت إليّ رقعة من الفقيه ابن العربي^(٤) فإذا فيها: ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيى ويميت بإذن الله تعالى، والفقير يقول للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى والفقير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشكل علينا ما أفنا^(٥) به فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى^(٦) شعراً:

إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتوني
بما في محكم القرآن أفتي وإلا من بعد هذا كذبوني
ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن^(٦).

(١) كذا في الأصل. والصواب: (عفا). انظر: المصباح المنير (ص ٣٤١).

(٢) الجوهر الشفاف (٢/ ٨٢).

(٣) المشرع (٢/ ٢١١) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه (ص ٢٨١) (يقول للشيء كن فيكون بإذن الله). وانظر: الغرر (ص ٣٧٢).

(٤) أي ابن عربي الصوفي.

(٥) كذا في الأصل. والصواب: (ما أفنى).

(٦) الجوهر الشفاف (١/ ١٤٦ - ١٤٧).

ويتضح من هذه النصوص تسمية القوم لقطب بعدة أسماء منها: الجنداري، التي ادعاها السقاف لنفسه، وزعم بذلك أن له صفات ملك السماوات والأرض جلّ وعلا، بما في ذلك الأمر والنهي، وهذه تمام المحادة لله تعالى، ومنازعته في ملكه والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ أَلَمَرَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. ويقول سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَلَا يَكُرُّ اللَّهُ رَيْبَكُمْ أَلَيْسَ فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢]. إلى غير ذلك من النصوص التي توضح اختصاص الله تعالى بأمر الكون كله، وأنه لا يشاركه فيه أحد من مخلوقاته.

وكذا من الضلال ادعاء أبي بكر بن سالم مقام الرب تعالى، وأن التولية والعزل بيده، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ قُوَّتِي الْمَلِكِ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ويتضح من نصوصهم السابقة أن الشيطان قد سَوَّلَ لهؤلاء حتى اعتقدوا أن أوليائهم وصالحيههم أفعالاً كأفعال الرب جلّ وعلا من الإحياء والإماتة وغير ذلك، بل وصفوا بعض أوليائهم بصفات الرب تعالى، كالأحدية والصمدية وغيرها، حتى أنهم أضفوا عليهم جميع الصفات التي ذكرها الله تعالى في سورة الإخلاص، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

كما يزعم القوم معرفة القطب بعينه وبصفاته، وأنه من صوفية حضرموت، فقد جاء في كتاب تاج الأعراس عند وصف القطب وذلك عند مخاطبة علي بن سالم بن أبي بكر بن سالم لمن جاءه فبين له معنى القطب قال: «فقلت لهم: نحن من فضل الله نعرف القطب بذاته وصفاته واسمه وهو الآن فينا، وكان ذلك الوقت قطب الزمان وغوث الأوان سيدي وشيخي ومولاي القطب أبي

بكر بن عبد الله العتاس^(١).

وقد ردّ هذا الاعتقاد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف أحد مؤرخي حضرموت وهو من جماعتهم العلويين مبيناً تأثرهم بمنهج الشيعة الإمامية الذين ادعوا لأئمتهم صفات الربّ تعالى فقال **كَتَبَ اللَّهُ**: «إن العلويين الحضرميين ومن لفت لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عدداً ولا يضبط كثرة منهم من يقول: إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عُوضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا فالأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة نفسها»^(٢).

هذه هي حقيقة القطبية عند القوم والتي لا يعرفها الكثير من أهل حضرموت وما يقصدون بها، فمن عرف مقصدهم بعقيدة القطبية وما ادعوه للقطب من الوظائف التي منحوها إياه يتضح له جلياً أن القوم يصفونه بصفات الربّ جلّ وعلا، ودعوى تفوض الرب تعالى أمور الكون والعباد لبعض خلقه - تعالى الله وتقدس عن أفكهم علواً كبيراً -.

✽ المطلب الثالث ✽

عقيدة التصرف في الكون عند صوفية حضرموت

لما غلا القوم في قضية القطبية نتج عن ذلك اعتقاد تصرف أوليائهم ومشايخهم في الكون، ورأوا أن الطريق المؤدي للتصرف في الكون - كما يزعمون - هو الطاعة والمجاهدة بالأعمال، ولزوم باب المحبة وغيرها من الطرق التي يصل بها السالك إلى التصرف في الكون، فقد نقل باسودان عن الحداد أنه قال: «ولما اضمحلت حظوظهم وفنيت إراداتهم واختياراتهم، ولم

(١) تاج الأعراس (١/٧٥).

(٢) نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص ٨).

يبق لهم حظ ولا إرب في غير الله وما يقرب منه أطاعتهم الأكوان وأذعنت لهم متقادة نظير انقيادهم وطاعتهم لسيدهم إلى أن قال: وطاعة الأكوان لأولياء الله أمر معلوم متواتر»، وعلّق باسودان على كلام الحداد هذا فقال: «هذا وكفى به حجة لإجماع أئمة عصره ومن بعده على أنه جمع بين العلوم والمعارف والاجتهاد»^(١).

ويقول الحداد في ديوانه:

ولكنه نور من الله وارد أتى ذكره في سورة فاستقر^(٢)
وقال باسودان شارحاً ذلك: «ولكنه من الله وارد: هو النور الذي يخرج به من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار، فتتسع به نظر بصائرهم ويتصرفون في العوالم الغيبية، ويتصرفون في العوالم الملكية والملكوتية فيصلون إلى حق اليقين، وهو الوصول إلى حقيقة الكشف والشهود ويفنى لديهم ما سوى الإله المعبود»^(٣).

ولا فرق عند القوم بين تصرف الأحياء والأموات، بل يعتقدون تصرف الأموات في قبورهم ويستدلون لذلك بإضلال الشيطان لهم ودعوى رؤيتهم لهؤلاء الأموات وهم يتصرفون في الكون في حياتهم وبعد موتهم.

يقول الهدار: «ويتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء في الدنيا، وذكر بعضهم قال: رأيت سبعة من المتصرفين في قبورهم ومنهم: سيدنا الفقيه المقدم، وابنه علوي، وسيدنا عبد الرحمن السقاف، وسيدنا أبو بكر السكران، وسيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وسيدنا عمر بن عبد الرحمن المحضار وهؤلاء في مكان واحد»^(٤).

وجاء في كتاب (الجواهر الشفاف) في الحكاية الخامسة والثلاثين بعد الثلاثمائة عن عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف قال: «كنت نائماً أظنه

(١) شرح راتب الحداد، لباسودان (ص ٨٢). (٢) ديوان الحداد (ص ٨٦).

(٣) ذخيرة المعاد (ص ٥٣). (٤) الكلمات الحسان (ص ٤٥).

قال في مسجد مدينة رسول الله قال: فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله، فرفعت رأسي فقال: ما أجراك تنام هنا وبطن أبيك ملانه كرعان^(١) كم واحد قد سلبه، ثم ولّى عني ولم أعرفه وسأل الشيخ عمر رضي الله عنه عن معنى قول الرجل: بطن أبيك ملانه كرعان، فقال: أخذ الخلق كلهم في بطنه يولي من يشاء ويعزل من يشاء^(٢).

هكذا يصف هذا الصوفي تصرف وليه معتقداً أن الخلق كلهم في بطنه يتصرف بهم كيف يشاء، ولا شك أن مصدق هذه الخرافة قد ألغى عقله تماماً - فضلاً عن دينه وعقيدته - إذ الفطر السليمة تنفر عن مثل هذه الخرافات قال الله تعالى عنها: ﴿فُطِرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وجاء في كتاب (تحقيقات تاريخية): في قصيدة لسليمان بن المعلم بن عبد الله باحرمي يتوسل فيها بعبد الله بن علوي الحداد:

فيا رب يا حنان غشنا بحق من سما فوق أهل الفضل عزاً ورفعة إلى أن قال:

وسيلتنا الحداد أوحده عصره غياث الورى عند الأمور المهمة وقال أيضاً:

سنحظى به في موقف الحشر منقذاً لنا من زفير النار يوم الندامة وقال أيضاً في قصيدة يرثي فيها عبد الله بن علوي الحداد:

حبيبنا العابد الأبواب سيدنا شيخ الطريقة منجينا من الضرر^(٣)

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجر فيل الدوعني أبا بكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصرفات مالية تصرفها العيدروس على غير الوجه الشرعي فقال: «أنا أشهد أنه أمير المؤمنين، المالك للتولية والعزل

(١) الكرعان: جمع كراع وهي قوائم الدابة. انظر: القاموس المحيط (ص ٧٥٨)، مادة: (كرع). ومعنى الكلام أن بطن أبيه مليئة بالكرعان.

(٢) الجوهر الشفاف (٢/ ٨٠). (٣) تحقيقات تاريخية (ص ١٩).

والحل والعقد والتصرفات كلها، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً^(١).

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية له «فقال: إني صاحب الوقت وأتصرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الباشا بأن يقوم؟ وكان جالساً في الحرم فبمجرد قوله ذلك قام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطوف؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه وطافوا، ثم قال لي: أتريد أن أتصرف في قلب الشريف عبد المطلب بأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته: يقول لكم الشريف عبد المطلب لا يمتنع أحد من الخمسة الديواني^(٢).

ونقل علي بن محمد الحبشي على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبد العزيز الدباغ قوله: «إن تصريفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني» وكان يقول لمريده: «إن كنت تعتقد أن اليسر في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي»، ثم عقب الحبشي على ذلك فقال: «انظر إلى هذا الفناء العظيم، وأين اليوم هذا الاعتقاد لو ما أعجبت المريد كلمة من الشيخ تغير اعتقاده»^(٣).

وقال الشلي: «وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم: القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنبجي،

(١) مواهب القديس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية (ص ١٤).

(٢) تذكير الناس (ص ٢٦٦).

(٣) كنوز السعادة الأبدية (ص ١٧٩).

وحياة بن قيس» ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خرد باعلوي صاحب الغرر:

تصرف شيخ في الوجود معظمً على السادة الأشياخ أهل المعارف
على السيد الشيخ الفتى عبد قادر ومعروف الكرخي منج لتالف
وقيس عليل المنبجي وشيخنا لتصريفه لا يصرفون الصارف
وتصريفهم في كل شيء محقق سوى في جمال الدين عين لواقف^(١)
وتأكيداً لذلك تجدهم في الحضرات وبعض الموالد ينشدون إلى اليوم:
ربي أسألك بأسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم^(٢)

وقال أحمد بن حسن العطاس: «فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبد الله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي»^(٣).

وقال أيضاً: «قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله انسدت^(٤) مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان: الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم»^(٥).

وفي هذا النص دليل واضح في ادعاء هذا الرجل أن مفاتيح الكون بيده ولا يقدر أحد على عمل شيء بغير إذنه هذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

(١) الغرر (١٥٤)؛ والمشرح الروي (٦/٢ - ٧)؛ وقال بعد أبيات (قوله: وقيس صوابه حياة).

(٢) ديوان الحضرة (ص ٢١).

(٣) مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، جمعه: محمد بن عوض بافضل (ص ٢٥).

(٤) الانسداد باللهجة الحضرية بمعنى الاستلقاء على الأرض.

(٥) مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، لبافضل (ص ٢٥).

ويقول صاحب شرح العينية في ذكر مناقب محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم: «وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها»^(١).

فانظر الشمول الزماني لهذا التصريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأنموذج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: «فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه»^(٢).

وجاء في كتاب الغرر في مناقب عبد الرحمن السقاف: «ومنها ما روي عن السيد عبد الرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال: كنت في عدن وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل: إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له: يا فقيه أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءً قبل ذلك دللناك عليه، فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبد الرحمن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزيله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله، ثم والله، ثم والله إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته، وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبد الله باقشير ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن قال: لما رأى الفقيه عين عبد الرحمن رآها عمياء لكثيبة^(٣) حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه، فقال عبد الرحمن: ثم بعد

(١) شرح العينية (ص ١٦١).

(٢) الأنموذج اللطيف (ص ٢١٣) المطبوع مع البرقة المشيقة.

(٣) كذا في الأصل، ولم يتبين لي معناها.

مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي: إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزِيد وأزِيد عليه السلام ونفع به^(١).

وجاء في كتاب المشرع الروي عند ترجمة محمد بن علي المشهور بالفقيه المقدم: «ومنها أن خادمه باخریصة سافر سافراً طويلاً فبلغ أهله أنه قد مات فتبعوا وأتوا إلى الأستاذ فأطرق ساعة وقال: لم يمت أبا خريصة، فقليل له قد جاء الخبر بموته فقال: إني اطلعت على الجنة فلم أجده فيها، ولم يدخل فقيري النار، ثم جاء الخبر بحياته وقدم هو بعد مدة»^(٢).

ويقول الشلي عند ترجمة عبد الرحمن السقاف «ومن كراماته أنه أمسك الشمس عن الغروب قال الشيخ عبد الرحيم بن علي الخطيب: رجعنا مع الشيخ من زيارة قبر هود وقت الاصفرار، وقال: ما نصلي المغرب إلا بفرط بالربيع^(٣)، فتعجبنا لقوله لبعد المسافة ثم أمرنا بالذكر ومشينا وأمسكت الشمس حتى وصلنا إلى الفرط فغربت فقال بعضنا لبعض فعل الشيخ مثل ما فعل الشيخ إسماعيل الحضرمي»^(٤).

هذه بعض النماذج والأمثلة لادعاء القوم التصرف المطلق لأوليائهم في الكون، وذكرها كاف في بيان بعدهم عن الحق، مع ما احتواه كلامهم من الغلو والهذيان الذي لا ينطلي إلا على الطغام من الجهال الذين ألغوا عقولهم، ولم يعرفوا ربهم العظيم جلّ وعلا، ولم يقدره حق قدره وإلا كيف تدعى مثل هذه الأمور لغير رب السماوات والأرض.

وهناك صور عديدة لعقيدة التصرف في الكون نذكرها فيما يأتي ليعلم أن القوم تماردوا في غيهم، وتوسعوا في باطلهم، فرفعوا أولياءهم إلى مقام الرب الكريم وسطروا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم.

(٢) المشرع الروي (٩/٢).

(١) الغرر (ص ٣٩٨).

(٤) المشرع الروي (١٤٥/٢).

(٣) إحدى ضواحي تريم.

صور من عقيدة التصرف في الكون عند صوفية حضرموت: وقد تمثلت هذه العقيدة عند صوفية حضرموت في الأمور الآتية:

١ - الإحياء والإماتة:

من صفات الرب جلّ وعلا التي اتصف بها صفة الإحياء والإماتة وقد جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في بيان ذلك، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝﴾ [الملك: ٢٠]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا فَأَخْبَعَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٨]. وغيرها من النصوص، ومع ذلك ادعت صوفية حضرموت هذه الصفة العظيمة لأوليائها بسبب الغلو وعدم تعظيم الرب تعالى وما له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ونذكر شواهد من أقوال معظمتهم، لإثبات ما قلناه فقد جاء في ترجمة عبد الله بن أبي بكر العيدروس: «ومما وقع له من إحياء الموتى لزوجته الشريفة عائشة بنت عمر المحضار، مرضت مرضاً شديداً وحركوها فإذا هي ميتة، فأتى إليها صاحب الترجمة وناداهَا باسمها ثلاث مرات، فأجابته في الثالثة وعوفيت من المرض. ومما وقع له من كفاية الشر أن امرأة أرادت أن تسرق ثمر نخلة ومعها ولدها فوضعت وركت^(١) النخلة فلما نزلت وجدت ولدها ميتاً فصرخت بالبكاء ثم أخبروها بأن النخلة للعيدروس فردت ما أخذت وتابت فقام ولدها»^(٢).

وفي هذا النص ادعاء القوم لأوليائهم الاتصاف بصفات الرب تعالى وأفعاله من الإحياء والإماتة وكفاية الشر عن الخلق والله المستعان.

ويقول الشلي في مشرعه في مناقب علوي بن الفقيه المقدم: «حكى أن

(١) رَقَتْ بمعنى طلعت وصعدت.

(٢) المشرع الروي (١٦٣/٢).

الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده، فقال: ظهر لي ثلاث: أحبي وأميت بإذن الله: وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون، فقال الشيخ عبد الله: نرجوا فيك أكثر من هذا^(١).

ويتضح لنا من خلال هذا النص أن القوم بلغ بهم الضلال أن ادعوا لأنفسهم هذه المراتب العظيمة التي لم يدعيها كفار قريش لأصنامهم، إذ كانوا يقولون بأفعال الرب تعالى - في الجملة -، ولم يعطوها آلهتهم أبداً، وإنما جعلوها وسائل لتقربهم - بزعمهم - إلى الله العظيم جلّ في علاه، يقول تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢٣]. ومع هذه الحجة الشيطانية التي زعمها المشركون فإن الله تعالى سماهم كذبة كفر، فكيف بمن ادعى لنفسه صفات الرب العظيم، أو ادعى له؟!.

بل بلغ الغلو بصوفية حضرموت أن يعتقدوا في أوليائهم مطلق التصرفات من الإحياء والإماتة، وعلم الغيب، وقولهم للشيء كن فيكون، فماذا أبقوا للربّ جلّ وعلا؟.

ب - إعطاء الولد:

من المعلوم لكل أحد أن الله تعالى بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن له أفعالا عظيمة، ومن تلكم الأفعال خلقه تعالى للمخلوقات التي هي تابعة لمشيئته سبحانه، وإعطاء الولد من أفعاله تعالى، فهو يهب الولد لمن يشاء، ويمنعه من يشاء، والله الحكمة البالغة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۖ (٥٠)﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

(١) المشرع الروي (٢/٢١١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً﴾؛ أي: يرزقه البنات فقط، ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾؛ أي: يرزقه البنين، فقط قال البغوي: كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا﴾؛ أي: ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى؛ أي: من هذا وهذا، قال البغوي: كمحمد ﷺ ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً﴾؛ أي: لا يولد له، قال البغوي: كيعقوب وعيسى عليهما الصلاة والسلام فجعل الناس أربعة أقسام: منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه النوعين ذكورا وإناثا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيماً لا نسل له ولا ولد له ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾؛ أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك^(١).

وقد أعطت صوفية حضرموت لأوليائها صفة الخلق، وجعلوا لهم القدرة على إعطاء الولد لمن طلبه منهم، ولمن يريدون إعطاءه، ونذكر هنا بعض الشواهد التي تثبت ضلال القوم في هذه المسألة، يقول أبو بكر الحبشي: «وأهدى بعض السادة شيئا لسيدي فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له: بايأتك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له: يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رجل واحدة ويد واحدة وناصفة^(٢) وجه، نسأل الله العافية»^(٣).

(٢) بمعنى نصف.

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٢٢).

(٣) تذكير الناس (ص ٣٢٧).

وفي هذا الكلام ما يدل على ضلال القوم وعدم إفرادهم الله بالخلق والملك والتدبير؛ بل جعلوا أولياءهم مشاركين له تعالى في أفعاله كإعطاء الولد، وادعوا كذلك علم الغيب وعلم ما في القلوب والله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ حَآيَةَ الْآخِرِينَ وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. وفيه أن القوم يدعون أن لمشايخهم حق التصرف في ملكوت الله تعالى حيث يحولون عليهم من سألهم الولد، ومن طوامهم أيضاً: اعتقاد إعطاء الولد من بحر أبي بكر بن سالم لا من عند الله تعالى، وهذا أعظم الظلم حيث يُعتقد وجود الرزق والخير من عند غير الله يقسمه كيف يشاء، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِنَّ إِلَهَهُ تَرْجُمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

ويقول صاحب تذكير الناس: «قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: - والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبودة بنت عبد الله بن عمر القعيطي، وكانت مُسْتَةً في ذلك الوقت ومستبعد أن تحمل فقَدَّر الله أنها حملت بولد وعاش»^(١).

وهذا يؤكد تعلق القوم بأوليائهم الأحياء والأموات، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، فقد سمو أحد أمواتهم صاحب الذرية، ومعلوم لكل صاحب فطرة أن الذرية وإعطاء الولد بيد الله تعالى، وهؤلاء يدعونه لأوليائهم، بل بلغ الأمر أن سألوا القبور منح الولد لامرأة عقيم، ويصدر هذا الكلام على الملاً ويسمعون هذا الشرك العظيم فلا يحركون ساكناً لتأصل هذا الاعتقاد في قلوبهم، واعتقاد عدم جواز الاعتراض على أوليائهم وإن ادعى لهم مقام الرب تعالى، ثم يزيد الاعتقاد لدى القوم إذا تحقق ما طلبوه ولم يعلموا إن هذا ابتلاء، والقوم يذكرون هذه الطوام ثم يذكرون اسم الله تعالى بلا معنى ولا

(١) تذكير الناس (ص ٣٢٨).

تعظيم كما جاء هنا من قوله: «فقدر الله إن حملت بولد وعاش» ولا معنى لهذا الكلام مع قولهم إن فلاناً من أوليائهم صاحب الذرية، أو أن الولد يؤتى به من بحر أبي بكر بن سالم... إلخ وسيأتي في ثنايا البحث من هذه العبارات التي لا معنى تحتها إلا العادة وأنهم اعتادوا ذكر الله تعالى بلا معرفة لقدره وعظمته جلّ وتقدس عن إفك الظالمين إجلالاً كبيراً.

ويقول أحد كبارهم وُصف بأنه: «العالم الجليل نسخة السلف وقودة الخلف» في رحلته المسماة بـ (النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت): «ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ويروى أن من طرح عند قبره حجرة يرزق ولداً، وقيل لنا: أن الحبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصحبه الحبيب عمر بن عيدروس العيدروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطره عند القبر، فقال له الحبيب علي: كَثُرَتْ جَم^(١)، فقال: أريد نسَمَات تَذَكُر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هذه النية»^(٢).

وهذه القصة تبين اعتقاد القوم أنه بمجرد وضع الحصى على قبر الولي يرزقهم الولد، نسأل الله الهداية.

هذه بعض النصوص للتمثيل لا للحصر، والغرض بيان ما وصل إليه القوم في الاعتقاد في أوليائهم، ولو ذهبنا نسوق نصوص القوم في هذه المسألة لطال المقام وكثرت الصفحات بما يضيق الصدور، ويؤلم النفوس المسلمة للمدى الذي وصل إليه القوم في الجهل بربهم جلّ وعلا، وإعطاء صفاته لغيره من المخلوقين.

ج - اعتقادهم رعاية أوليائهم للأحياء والأموات:

لما غلا القوم في أوليائهم ومشايخهم، أدى بهم ذلك إلى إعطاء الموتى

(١) وتعني (كثيراً) باللهجة الحضرمية.

(٢) النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت (ص ٧٥ -

٧٦). مطبعة العلوم.

صفات الرب تعالى ومنها الرعاية والكلاءة والحفظ للعباد، والله يقول في محكم كتابه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢]. وغيرها من النصوص التي تبين أن أزمة الأمور بيد الله تعالى وأنه مالك الملك الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء، وأنه يرضى عباده، أحياء وأمواتاً، لا يشاركه في ذلك أحد لأنها من أفعاله التي اختص بها سبحانه.

وقد كثرت نصوص صوفية حضرموت في ادعاء هذه المنزلة لأوليائها، يقول علوي المشهور: «إن الإنسان قد يكون تحت رعاية شيخ وهو لا يشعر، وقد يكون من الأحياء وقد يكون من الأموات»^(١).

هذا هو الغلو الذي أدى بهم إلى اعتقاد رعاية الخلق للخلق دون خالق الخلق، بل وحتى رعاية الميت للحي، مع أن هذا الميت قد وضع في قبره وأهالوا عليه التراب، فهو عاجز عن نفع نفسه فضلاً عن نفع غيره، ولا ينفعه إلا ما قدم كما ثبت في الصحيح إن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

فقوله ﷺ: «انقطع عمله» يشمل كل ميت، وأن عمله الذي كان يعمل في الدنيا قد انقطع، ولم يستثن عليه الصلاة والسلام إلا الثلاث المذكورة في الحديث. ولم يذكر إن الميت يملك شيئاً للحي، بل إنه في حياته لا يملك شيئاً للحي إلا ما أقره الله عليه، أما مسألة الرعاية والحفظ فلم يكلها سبحانه لأحد من مخلوقاته.

وجاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر أولاد المؤلف علي بن حسين

(١) لوامع النور (١/٢٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (ص ٦٦٩ - ٦٧٠) برقم (١٦٣١).

العطاس^(١): «وثالثهما حسين الأصغر وهو الآن في سن التعليم الابتدائي، وقد جعلت محمداً ومحسناً تحت رعاية روحانية الحبيب علي بن حنسن العطاس صاحب المشهد ومؤلف القرطاس»^(٢).

ومن هذا النص يتبين لنا شدة الاعتقاد في الأموات، حتى أنهم يودعون أولادهم الصغار لروحانية الميت لاعتقادهم تصرفه في الكون وأنه يحفظ من التجأ إليه.

وجاء في كتاب تحقيقات تاريخية عند ترجمة المعلم عبد الرحمن بن محمد بن سليمان باحرمي^(٣) (ت ١٣٤٦هـ): «وكان ﷺ كثير المرائي للحبيب عبد الله الحداد، ومن جملتها بل كادت تكون يقظة، قال: رأيت سيدي الحداد، قدم لي ولداً صغيراً من أولاده، وقال لي: قم يا معلم، غسله! وانتهت.

ثم بعد صلاة الصبح في مسجد العقبة، أتى إلى المسجد المذكور أحد أخدام الجباب^(٤) آل الحداد. فأخبرني أن السيد عبد القادر بن حسن الحداد أوصاه إلي، وقال لي: سلم على المعلم عبد الرحمن، وقل له: يسلم عليك حبيبي عبد القادر المذكور، بأن الشريفة وضعت البارحة، وأتت بولد ومات، فاخرج غسله!، قال ﷺ: فخرجت إلى الحاوي بعد ما جاءني الرسول المذكور، وجئت إلى بيت السيد عبد القادر لتغسيل الولد، وبعد ذلك قدم لي

(١) هو علي بن حسين بن محمد بن حسين العطاس، أقام بأندونيسيا، وكان من دعاة التصوف هناك. من آثاره: كتاب تاج الأعراس وقد حشاه بالخرافات والكرامات المنحرفة، وادعاء صفات الرب تعالى لأوليائهم وقد نقلت في هذا البحث شيئاً من خرافات هذا الكتاب. انظر في ترجمته: التعليقات على شمس الظهيرة (١/٢٦٨)؛ ولوامع النور (٢/١٢٣ - ١٢٤).

(٢) تاج الأعراس (٢/٧٦٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد باحرمي الحضرمي، أخذ عن عبد الرحمن بن محمد المشهور سنة ١٣٢٠هـ، وكان من المتعلقين بعبد الله الحداد بعد موته، ومن المعتقدين رعاية الحداد لأهل تريم. توفي سنة ١٣٤٦هـ. انظر: تحقيقات تاريخية فيما لقبيلة آل أبي حرمي الحضرمية من أقدمية (ص ٢٥ - ٢٦).

(٤) جمع حبيب، ويطلقها أهل حضرموت على السادة آل باعلوي.

السيد عبد القادر الولد، فتفقدت ذلك الولد، فوجدته هو الذي قدمه لي الحبيب في المنام، لا زيادة ولا نقصان في الشبه كأنه هو، فأخبرت سيدي عبد القادر بالرؤيا هذه، فبكى وبكى، وقال لي السيد عبد القادر: الحمد لله، الحبيب معني بنا وبك يا معلم، وغسلت الولد بعد ذلك»^(١).

وجاء في كتاب ظهور الحقائق عند ذكر عمر بن عبد الرحمن العطاس: «وقال ﷺ: ما من صاحب طاعة إلا وعليه نظر من ولي الله، إما من الأحياء أو من الأموات»^(٢).

ويقول عبد الله بن علوي بن حسن الحداد: «ويروى أن الشيخ الكبير أبا بكر بن سالم من حين وجوده إلى حين وفاته لم تكتب على أهل زمانه خطيئة، فلهم تصرفات جليلة وخوارق عادات عظيمة في الحياة وبعد الممات»^(٣).

من هذه النصوص يتضح إعطاء القوم صفات الرب تعالى لأوليائهم، في التصرف في الكون، بل وزعموا أن وجود أوليائهم يمنع كتابة الخطايا على أهل عصرهم؟!.

د - ادعاء علم الغيب:

اختص الله تعالى بعلم الغيب - كما هو معلوم -، والإيمان بذلك من أصول الإيمان، وجعله الله تعالى أول صفة للمتقين في كتابه، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

استأثر تعالى بعلم الغيب - كما هو معلوم - وتفضل سبحانه على رسله بإطلاعهم على بعض أمور الغيب لحكمة يعلمها سبحانه، فقد أرسل الرسل يخبرون الناس بعض أمور الغيب للإيمان به سبحانه واتباع شرعه، والأنبياء والرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله تعالى عليه، كما قال تعالى:

(٢) ظهور الحقائق (ص ٦٦).

(١) تحقيقات تاريخية (ص ٢٥).

(٣) المصدر السابق (ص ١٠٥).

﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [النجم: ١٣] إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [النجم: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن السنة ما ثبت في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «... ومن زعم أنه [ﷺ] يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]»^(٢).

كل هذه النصوص الشرعية تدل على أنه لا يعلم أحد في السماوات والأرض الغيب إلا الله تعالى لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يعلم الأنبياء والملائكة إلا ما أطلعهم الله عليه، ونصوص القرآن كثيرة جداً في بيان عدم علم الأنبياء والرسل بالغيب لمن قرأ القرآن بتدبر وتمعن، لا من جعله للتبرك بقراءته فقط، فإن أعظم بركات القرآن العاجلة والآجلة هو تدبره والعمل به، واتباع ما جاء فيه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ الْكِتَابَ أَنْ يَدْعُو بِهِ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ غَيْرَ ذَلِكِ فَدَعَا بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا اسْمُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذْ هُمْ يَدْعُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا أَهَذَا الْغَيْبُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْكُمُ اسْمُهُ الْأَوَّلُ وَالْأَخِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٣]. وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَوَّلِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومع هذه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في إثبات تفرد الرب جلّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب «الله يعلم ما تخيل كل أنبيء وما ينشئ الأرزاق»، (ص ٩٠٠-٩٠١) برقم (٤٦٩٧). وأخرج بنحوه برقم (١٠٣٩)، (٤٦٢٧)، (٤٧٧٨)، (٧٣٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (ص ٩٧) برقم (١٧٧).

وعلا يعلم الغيب إلا أن صوفية حضرموت هدموا هذا الأصل العظيم، واستبدلوه بالكشف الصوفي الذي يعني عندهم رفع الحجب أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم المغيبات وما يقع في السموات والأرض دقيقه وجليله.

جاء في كتاب تاج الأعراس عند ذكر أبي بكر بن عبد الله العطاس وتعداد مناقبه عند القوم: «ومما يشاع عن الحبيب أبي بكر من أنه يعرف الشقي من السعيد، وقال علوي بن محمد الحداد: ثم رفع الحبيب أبو بكر يده اليمنى إلى قبالة وجهي قبل أن أصفحه وجعل يشير بسبابتيه وهو يقول: سين عين ياء دال فسلمت له من ذلك الحين»^(١).

وجاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية: «قالوا: إن الحبيب علوي بن الفقيه مر على صبيين يلعبان في طريق فقال له الخادم: تفرّس فيهما، فقال له: هذا مكتوب على جبينه سعيد، وهذا مكتوب على جبينه شقي فلما كبرا صار أمرهما كما ذكر الحبيب السعيد عمل بعمل أهل السعادة، والآخر عمل بعمل أهل الشقاوة»^(٢).

ومن الأدلة على ذلك ما تقدم مما ادعوه لعلني بن الفقيه المقدم في مناقبه وأنه: «يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون».

ومن ذلك ما جاء في مناقب أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة (السقاف) أنه يقول: «أعرف من الفرش إلى العرش»^(٣).

وفي مناقب أخيه حسن بن عبد الرحمن السقاف أنه: «كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالسيم»^(٤).

وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: «وقال والده عبد الرحمن السقاف: ولدي شيخ عشرة شيوخ، وما سميت شيخاً إلا أنني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً»^(٥).

(١) تاج الأعراس (١/١٠٥).

(٢) كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية (ص ١٨٠).

(٣) المشرح الروي (٢/٣٣).

(٤) المصدر السابق (٢/١١٦).

ومن هذه النصوص يتضح ادعاء القوم علم الغيب سواء ادعوه لأنفسهم، أو ادعي لهم كمعرفة الشقي من السعيد، والاطلاع على ما كُتب في اللوح المحفوظ مباشرة، وإنهم لا يتصرفون إلا وفق ما رأوه فيه.

وادعوا لأنفسهم الإحاطة بالعلم من العرش إلى الفرش، فما أبقوا لله رب العالمين؟ فذكر هذا الكلام يعلم بطلانه لكل مسلم، إذ كيف يدعى أمر لا يملكه الملائكة المقربون، ولا الأنبياء والمرسلون، فيختص به هؤلاء الصوفية، ثم إن ادعاءهم علم الغيب منازعة لله تعالى في ربوبيته ومنازعته كذلك في صفات الكمال التي اختص بها سبحانه.

بل تدرج بهم الشيطان بالوقوع في مخالفة الشرع بالوقوع في المنكرات ومن ثم تبرير ذلك بادعاء الغيب، وإنهم ما فعلوه إلا بالاطلاع على الغيب، فقد جاء في كتاب كنوز السعادة الأبدية: «وذكروا أن الحبيب أحمد بن محسن الهدار كان إذا رأى امرأة في الطريق قبصها»^(١) في ثديها والحكمة في ذلك أنه يخرج شهوة الزنا منها، فقال لزوجته بعض السادة: إن خليتي»^(٢) عمي أحمد يقبص ثديك فعلت بك وفعلت، فلما كان في بعض الأيام أقبلت تلك المرأة تسير وزوجها يمشي في تلك الطريق فإذا الحبيب أحمد واصل إليها فأسرعت المشي وخبت»^(٣) خوفاً من الحبيب أحمد ومن زوجها، فخبّ الحبيب وراءها وقال: مالك عذر من قبصة عمك أحمد وإن خبيتي، فلحقها وقبصها في ثديها وزوجها ينظر. وقال لها باتأتين»^(٤) سبعة أولاد كلهم يركبون الخيل على رغم أنف زوجك، فقال زوجها: إذا كان هكذا فلا بأس، فولدت الأولاد السبعة وركبوا الخيل كما ذكر الحبيب»^(٥).

ففي هذه القصة يلاحظ فجور هذا الرجل، حيث جعل المنكر كرامة وهو

(١) القيص في لهجة أهل حضرموت بمعنى الضغط على الجسم بأصبعي الإبهام والتي تليها.

(٢) أي تَرَكَّتِي. (٣) خبت بمعنى أسرعت في المشي.

(٤) أي ستلدين.

(٥) كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية (ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

مس النساء الأجنبية عنه، وقد قال ﷺ: «إني لا أصفح النساء» الحديث^(١).
وقالت عائشة رضي الله عنها «لا والله، ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة أنه بايعهن بالكلام والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء إلا بما أمره الله يقول لهن إذا أخذ عليهن «قد بايعتكن» كلاماً^(٢).

فإذا كان رسول الله ﷺ وهو أتقى الناس وأخشاهم لربه لم تمس يده يد امرأة قط، فانظر إلى فعل هذا الصوفي الذي يدعي محبة رسول الله ﷺ ولا يتبعه.

بل وتعدى الأمر عند القوم إلى الكذب على الناس وأنه بهذا المنكر يخرج شهوة الزنا منهن ونسي أو تناسى أن الأمر بيد الله تعالى، فهو الذي يثبت من يشاء ويصرف السوء عمن يشاء، كما قال تعالى عن يوسف:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّرُوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ثم مع هذا المنكر يدعي هذا الرجل أنه بهذا الفعل علم أن المرأة ستلد في المستقبل سبعة أولاد جميعهم يركبون الفرس؟! والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. وقد بلغ بالناس الجهل وتصديق مثل هذا الباطل ما قاله الرجل لزوجته بعد أن رأى المنكر الذي قام به هذا الصوفي: إذا كان هكذا فلا بأس.

وهذا يدل على مدى الاعتقاد في هؤلاء الصوفية، وأنهم كالسحرة حيث طمسوا عقول الناس وجعلوها متعلقة بهم، حتى انتكست فطرتهم، فلا يرون المنكر منكراً إذا فعله الصوفي لما في قلوبهم من الهية لهم، والتصديق بكل ما يفعلون، والأشد من ذلك تصديق هؤلاء في ادعاء علم الغيب.

(١) رواه الروياني في مسنده (٢٢٧/٢). وقال المنذري في الترغيب: «رواه الطبراني في الكبير (٦٦/٣) والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح»؛ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٧/١)، برقم (٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي، (ص ١٠٤٦ - ١٠٤٧) برقم (٥٢٨٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإمامة، باب كيفية بيعه النساء، (ص ٧٧٨) برقم (١٨٦٦).

ويقول الشلي عند ذكر كرامات عبد الرحمن السقاف: «ومما أخبر به من المغيبات والمستقبلات أنه قال لزوجته - التي بقرية العز وكانت حاملاً -: ستلدين غلاماً ويموت في يوم كذا وأعطاهم ثوباً وقال: كفنوه بهذا وسافر فكان الأمر كما قال، وكان مرة بشبام فقال لمن عنده: مات ولدي فلاناً بتريم في هذه الساعة فكان الأمر كما قال»^(١).

ويقول عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف عند ذكره لعبد القادر بن محمد بن حسين بن زين الحبشي^(٢): «قال سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر: وكانت للحبيب عبد القادر المذكور أمور غريبة من الرياضات والخلوات، وله أربعينات متعددة. وربما تخلف عن شهود الجمعة لأن الله كشف له عن أحوال الناس الباطنة فيراهم في صور معانيهم»^(٣).

وجاء في كتاب تاريخ النور السافر: عند ذكر عمر بن أحمد العمودي وعلاقته بأبي بكر العيدروس: «وحكي أنه دخل عدن في زمان الشيخ أبي بكر العيدروس فأضافه الشيخ أبو بكر العيدروس وبالع في ذلك، فلما رأى الشيخ عمر كثرة ما صنع خطر في قلبه أن هذا إسراف، فالتفت إليه الشيخ أبو بكر عند ذلك وقال: أكرمناهم قالوا: إسراف فقال الشيخ عمر عند ذلك: استغفر الله، ولم يعلم الحاضرون بشيء من ذلك حتى حكي لهم الشيخ عمر بخاطره الذي خطر له، وكاشفه الشيخ به»^(٤).

فهذه بعض نصوص القوم في ادعائهم علم الغيب وعلم ما تضره النفوس، وما يحاك في الصدر، وهي غيض من فيض، فقد ملأوا كتبهم بهذا الادعاء، ويرونها كرامة ومنقبة، فيقال لهم: أين أنتم من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْرَمْتُ

(١) المشرع الروي (١٤٥/٢).

(٢) هو عبد القادر بن محمد بن حسين بن زين بن علوي بن أحمد الحبشي، من أقران الصوفي الحسن بن صالح البحر، وكان يجله. جمع بعض أحفاده كتاباته مع معاصريه، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: إدام القوت (ص ٦١٨)، ط المنهاج.

(٣) إدام القوت (ص ٣٢٩). (٤) تاريخ النور السافر (ص ٢٤٠).

مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [هود: ٣١]. وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]. وغيرها من النصوص القرآنية الكثيرة التي تبين أن الله تعالى هو الذي له علم الغيب وحده لا يشاركه في ذلك أحد من الخلق.

هـ - دعوى إنزال المطر:

إنزال المطر من الأمور التي اختص الله تعالى بها لا يشاركه فيها أحد من خلقه، فهو من الأمور الخمسة التي اختص الله بعلمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وإنزال المطر من أفعال الرب تعالى التي لم ينكرها حتى مشركو قريش، قال الله عنهم: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فُلِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام: ٦٣].

ومع هذه النصوص فقد طلب القوم من أوليائهم ومشايخهم إنزال المطر، ولجأوا إليهم عند الشدائد والله تعالى يقول: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: ٦٢]. فقد جاء في كتاب صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار عند ذكر كرامات محمد بن طاهر الحداد^(١) وضمائه إنزال المطر للناس فقد ذكروا أنه جاءه سائل يسأله المطر فقال له: «المنجمون»^(٢) يقولون ما شيء مطر هذا السنة

(١) هو محمد بن طاهر بن عمر الحداد، ولد بقدون من بلاد دوعن سنة ١٢٧٣هـ. وتوفي بالتقّل بجاوة سنة ١٣١٦هـ. صنف في مناقبه تلميذه عبد الله بن طاهر الحداد كتاباً سماه (قرة العين). وانظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٤٣/٥ - ٥٢).

(٢) التنجيم: مصدر نجم المشتق من النجم وهو الكوكب ومعنى التنجيم «الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية كما يزعمون» مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥). انظر: إلى اعتقاد القوم بالنجوم والمنجمون =

والناس محتاجون وفي تعب من عدم المطر، ألح عليه، وقال له: لا أقوم من هنا حتى تضمن لي على الله المطر، فبقي الأخ محمد يعتذر، وأن هذا الأمر بيد الله ﷻ، فأبى أن يقبل العذر، بل قال له: ما يمكن دخولك حيدر أباد^(١) إلا إن ضمنت لي على الله بالمطر. فبقي يلح عليه ولا يقبل له عذراً، فراجعته بعض الحاضرين فأجابهم: أنا ما قصدتكم، ولا طلبت منكم شيئاً، إنما طلبت من سيدي. والحاصل أنه لم يقم من عنده حتى ضمن له على الله بالمطر إلى أن قال: فحين أردنا الدخول من المسجد إلى البيت، مشينا في المطر، وبقيت تصب أربع ساعات متوالية، صلينا المغرب والعشاء، وتعشينا وهي تصب إلى غلاق^(٢) أربع ساعات أو زيادة، وانتفع به خلق كثير لا يحصون، وهذه كرامة عظيمة»^(٣).

وجاء في تذكير الناس: «قال سيدي: ووقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقرة - وهي قرية بقرب حريضة - وقال لأهل البلد: سنجيثكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة»^(٤).

وأوضح من هذا ما ذكره صاحب تذكير الناس حيث قال: «قال سيدي وبلغنا أن الشيخ عبد الله بن أحمد بلعيف كان من أولياء الله المستجابة دعوتهم، ويقال له بياع السيول، وصل إلى تريم في بعض زياراته، فاجتمع ببعض السادة آل العيدروس فقال له أنت: بلعيف بياع السيول، فقال له الشيخ: نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ: لا بأس، بكم تشتري؟ فقال له الحبيب: بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سيل

= واعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، أو أن النجوم لها تأثير في حصول المطر وهذا شرك أكبر والعياذ بالله تعالى.

(١) إحدى مدن بلاد الهند. (٢) بمعنى إلى غاية، أو لفترة.

(٣) كتاب صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار: لعمر بن أحمد بافقيه (ص ٧٧ - ٧٨).

(٤) تذكير الناس (ص ١٨٩).

بكبش سمين، وخمس قهاول^(١) بُرّ، فقال الحبيب: لا بأس تم الكلام، فقال الشيخ: تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحبيب: للشرح^(٢) الفلاني حقي، فقال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعَاضَكَ لشرحك، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُعَاضُ^(٣) وشرب الشرح بإذن الله وبركة أولياء الله^(٤).

فهذه النصوص تبين مدى انحراف القوم حيث ادعوا اتصاف الخلق بأفعال الرب تعالى؛ كإنزال المطر، إذ الفطر السليمة والعقول الصحيحة تأبى ذلك، فكيف يطلب المطر من مخلوق عاجز عن نفع نفسه فضلاً عن نفع غيره، ولكن لما تعلقت قلوبهم بالقبور شدوا رحالهم لها لطلب المطر، وبلغ الضلال أشده حين يُعتقد إن الشخص بيده المطر ينزله متى شاء على من يشاء، بل وأصبح هذا العمل المزعوم مهنة لصاحبه حتى سمي «بياع السيول» وتعلق الناس به وطلبوا السيل منه عند القحط والجذب والله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْعَبَاقَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَكُوفُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٢٨]. وأمر سبحانه بدعائه فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فالله تعالى دعا عباده للإيمان به والالتزام بشرعه بفعل أوامره واجتناب نواهيه ووعد بإجابة من هذا حاله، ولم يدع عباده يلجئون إلى غيره.

و - ادعاء إجابة مشايخهم الداعي وإغاثة المستغيث:

قرّر عبد الله بن علوي الحداد هذا الاعتقاد في قصيدته العينية التي تعد أشهر قصائده لدى القوم حيث يقول في صفة الولي:

من كل طود في العلوم وفي الحجا متبحر متفنن متوسع

(١) القهاول: مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً ويساوي عشرة أمداد، ويساوي (٨) مكابيل بمكيال مدينة تريم. انظر: بحث بعنوان (الإمام صاحب مرباط)، لجعفر السقاف (ص ١٠) و«كلمات في الداريجة بمدينة تريم»: ص ٨١.

(٢) الشَّرْحُ: والشرجة سيل الماء من الحرة إلى السهل. انظر: النهاية، لابن الأثير (٤٥٦/٢).

(٣) الرُعَاضُ جمع راعض وهو الذي يعدل السيل في الحقول.

(٤) تذكير الناس (ص ١٨٨).

داع إلى الله العظيم بفعله ومقاله والحال غير مضيع
ذي عفة وفطنة وأمانة وصيانة للسر أحسن من يعي
وزهادة وعبادة وشهادة منه الغيوب بمنظر وبمسمع
جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي^(١)

هذه أوصاف الولي عند قطبهم الحداد، واعتقاده أن الغيوب أمام نظر الولي ومسمعه، وبناءً على هذا فقد اعتقدوا أن الولي يسمعهم ويجب دعاءهم، لترقيته في منازل السائرين عند الصوفية فيجيب دعاء من دعاه.

ومن ذلك ما ذكره شارح العينية في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم حيث قال: «وكان عليه السلام سريع الغوث لمن استغاث به، قال السيد الجليل العلامة المحدث الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه «الغرر» أخبرني الشيخ عبد الرحمن بن علي أن العارفين قالوا: «ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرعة ملجمة من دعا بهم أجيب وهم علوي المذكور وابنه علي والشيخ عمر المحضار، وقال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً:

إذا خفت أمراً أو توقعت شدة فنؤه بهم كي يدركوك ويحضروا
فنؤه باعلوي الفتى وابنه علي كذا عمر فيما يجبل ويعسر
فغارتهم تنجيك من كل شدة وغُسرٍ وضيقٍ أو بصدرك يكبر^(٢)

ويتضح شدة اعتقادهم في أوليائهم وصالحيتهم حيث يرون سرعة إغاثة أوليائهم الأموات لمن دعاهم، بل ويعتقدون أنهم جاهزون لإجابة من دعاهم في أي وقت، ويدعون الناس لهذا الاعتقاد واللجوء لأمواتهم عند الشدائد والضيق وأن من دعاهم حضروا عنده وأجابوه، أو خلصوه مما هو فيه، ولا شك أن ذلك من تسويل الشيطان وإضلاله لهؤلاء: «وهذا من جنس عبادة الأصنام، ولهذا تتمثل لهم الشياطين على صورة الميت أو الغائب؛ فإن

(١) شرح العينية ص (ب) من المقدمة.

(٢) الغرر (ص ١٦٠)؛ وشرح العينية (ص ١٧٤)؛ وانظر أيضاً: المشرح الروي (٢/٢١٢).

المشرك قد يدعو إلهاً من دون الله فتخاطبه الشياطين، وربما قضت له بعض الحاجات وهذا معروف في عبادة الكواكب والأصنام وعبادة الموتى من الصالحين وغير الصالحين، كما كانت تتمثل لعباد الأصنام بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور، كما قال ابن عباس وغيره وربما كلمته الشياطين وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه كما تفعل شياطين الأصنام بعبادها، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يعرف هذا ومن هؤلاء من يؤذي الميت بسؤاله إياه أعظم مما يؤذيه لو كان حياً وربما قضيت حاجته مع ذم يلحقه، كما كان الرجل يسأل النبي ﷺ فيعطيه ويقول: «إن أحدهم ليسألني المسألة فيخرج بها يتأبطها ناراً»^(١) «^(٢)».

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسبون إلى الولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الولي يدعي ذلك لنفسه ويفخر به، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة ما زالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف:

إني سريع الغوث في كل الشدائد فاه تف باسمي تجدني أسرع
قل يا شهاب الدين إن يعرفوك خطب يا فطن فأنا لخطبك أدفع^(٣)

وجاء في كتاب المشرح الروي عند ترجمة محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم المتوفى سنة ٧٤٣هـ: «وله كرامات خارقة للعادات منها: أنه كان جالساً عند بعض أصحابه فقام مسرعاً وثوبه يتقاطر ماء فسأله عن قيامه فقال: انخرق مركب بعض أصحابي فاستغاث بي فحشوت الخرق بثوبي حتى أصلحوا ما انخرق فيه على ما كان عليه»^(٤).

وجاء في مناقب محمد بن عبد الله بن محمد مولى الدويلة وتعداد

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند (٤/٣)، برقم (١١٠١٧)، (١٦/٣) برقم (١١١٣٩). من حديث أبي هريرة مرفوعاً. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤/٣): «رجال أحمد رجال الصحيح». وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه وتحقيقه للإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٠٢/٨) برقم (٣٤١٤): «إسناده قوي».

(٢) انظر: الرد على البكري (١٤٥/١، ٤٥٣) تحقيق عجال.

(٣) ديوان الحضرة (ص ٣٦). (٤) المشرح الروي (١٨٦/١).

كراماته: «ومنها أن بنته سقطت من ظهر جمل على مكان كثير الحجارة وكان هو بالشحر فرآه بعض أصحابه كأنه أمسك شيئاً فسأله عن ذلك فقال: بنتي علوية طاحت»^(١) فأمسكتها بيدي فكان سقوطها في ذلك الوقت ولم يصبها شيء، قالت بنته: لما سقطت غبت عن حسي ورأيت والدي حملني ووضعني على الأرض»^(٢).

وجاء في كتاب شرح العينية عند ترجمة عمر المحضار: «وكان سريع الغوث لمن استغاث به مجرباً في ذلك، يرى جهراً في البر والبحر، وكان يظهر الرطب في غير أوانه وتمثل الجمادات والحيوانات لأمره وتنتهي لنهيته، وكان ينادي له في السماء بأنه: صاحب التصريف، والأمر وكان يبعد من يشاء ويقرب من يشاء»^(٣).

هكذا نجد القوم قد غلوا في أوليائهم غلواً شديداً، ومن هؤلاء الأولياء عمر المحضار الذي أعطوه صفات الرب تعالى، والتصرف المطلق في الكون، فيغيث المضطرين إذا دعوه، بل وتخضع لأمره ونهيته الحيوانات والجمادات، والأمر بيده يقرب من يشاء ويبعد من يشاء - تعالى الله عن إفكهم علواً كبيراً - . بل الأمر أمره سبحانه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ز - دعوى قدرة أوليائهم على إزال المرض ورفع:

إن من المعلوم عند كل مسلم أن النفع والضرر بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩]. وأن الصحة والمرض بيده جلّ وعلا، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: ٨٠]. وهذا دأب الأنبياء والرسل وأتباعهم من بعدهم، يلجأون إلى الله تعالى لكشف البلاء من مرض وغيره، قال تعالى

(٢) المشرح الروي (١٨٧/١).

(١) بمعنى سقطت.

(٣) شرح العينية (ص ١٩٤).

عن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٢) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤]. وهكذا المسلم يلجأ إلى ربه لرفع ما أصابه لعلمه أنه لا يكشف الضر إلا هو سبحانه، وقد ضلّت صوفية حضرموت في هذه المسألة كسابقاتها والسبب هو غلوهم في أوليائهم ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله فيها، وذلك لجهلهم بالله العظيم، وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال العظيمة، فادعوا لأوليائهم التصرف بأمراض من يشاءون وشفاء من يشاءون.

وكما مر في اعتقاد تصرفهم في الكون اعتقادهم أن الشفاء يقع من الموتى وإنه بمجرد الذهاب إلى قبورهم يحصل الشفاء لأنهم - في نظرهم - يتصرفون بعد موتهم كما يتصرفون في حياتهم.

جاء في كتاب الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي ^(١) وتعداد كراماته: «ومن ذلك أن بعض الصغار من أولاد بعض الولاة عرض له وجع في رجله حتى ييستا، فصار مقعداً فعالجوه بكل شيء من الأدوية وغيرها فلم يفده ذلك شيئاً، وأيس من صحته من تلك العلة، وكانت والدته الصغير المذكور ممن يعتقد هذا الولي، فأرسلت إليه بولدها ليقراً عليه وكان يكره كل من جاء من عند الملوك، فكانوا يأتونه بذلك الصغير ويرمون به عنده شاء أم أبى، وتكرر ذلك منهم مراراً، فأدركته رحمة وشفقة على الطفل، فأقبل عليه في بعض الساعات إقبالة الهيبة من الله تعالى بها على الولد فإذا هو قد زال ذلك الألم وصار على حالته الأولى من الصحة أو أجود، وصار يجري على رجله كأن لم يكن بها قبل ذلك علة» ^(٢).

(١) هو سعد بن علي مدحج، من تلاميذ عبد الرحمن بن محمد مولى الدولة (السقاف). ومن تلاميذه أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني. ذكروا له مناقب كثيرة. توفي سنة ٨٥٧هـ. انظر: ترجمته في كتاب (الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي) لعلي بن أبي بكر السكران؛ والتعليقات على شمس الظهيرة (٨٣/١، ٩٣).
(٢) كتاب الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، لعلي بن أبي بكر السكران با علوي (ص ١٢٤).

وهذا النص يبين تعلّق العوام بهؤلاء المتصوفة لما أشاعوه من أن مشايخهم وأوليائهم بيدهم شفاء المرض، فتضرعوا عند هؤلاء رغبة في شفاء أولادهم، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فالله تعالى بيده كل شيء، أما المخلوق فلا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، وسطر القوم مثل هذه المخالفات في كتبهم التي لم يدّعها مشركو قريش لأصنامهم، ولكن هكذا الغلو والانحراف يفعل بأصحابه.

وذكر أبو بكر السكران قصة ذهاب سعد بن علي إلى الحج مع بعض أصحابه حيث لدغ أحدهم في الطريق فأيقن بالهلاك: «فأتى الولي إليه ومسح بيده المباركة عليه، فما هو إلا أن وضع يده على موضع الألم فعوفي من ساعته، وزال عنه شدة الألم، ثم ذكر - أعني الملدوغ - أنه قبل أن يمسخ عليه يحس في باطني ^(١) حرارة عظيمة كادت تقتله شدة الحرارة، فلما أن مسح عليه حس برودة عظيمة عجيبة، وزالت عنه تلك الحرارة، وصار كأنه لم يكن به شيء قبل ذلك من الألم من حسه عليه السلام» ^(٢).

هكذا يزعم السكران لهذا الولي أنه يحصل على يده الشفاء بمجرد مسح جسد المريض، ولا حاجة للأسباب المشروعة من دعاء ورقية، واستعمال الدواء، مع أن أعظم الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة - وهم أولياء الله حقاً - كانوا يأخذون بالأسباب المشروعة في طلب الشفاء فينبغي اتباع سبيلهم فإن الله زكاهم من فوق سبع سماوات بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وخير القرون بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لهم حيث قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...» الحديث ^(٣). وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

(١) كذا في الأصل، والصواب باطنه. (٢) الدر المدهش البهي (ص ١٣٢).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، (ص ٥٠٢) برقم (٢٦٥٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ص ١٠٢٤) برقم (٢٥٣٣).

ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقرؤهم فينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرؤنا^(١) ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً فجعلوا لهم قطعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل؛ فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسال النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي»^(٢).

ولترسيخ هذا الاعتقاد في قلوب الناس دون القوم هذه القصص المتكاثرة في مؤلفاتهم من دعوى تصرف الولي في من خالفه بإنزال المرض به، وتهديد من لا يعتقد ذلك فيهم بإمراضه، فهذا عمر المحضار يروي عنه صاحب المشرع: «وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، ف قيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدع على أحد، ولكنني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب»^(٣).

فقد نسب المحضار - بجرأة عظيمة - إلى نفسه امتلاك الضر، وإمراض من أغضبه بعد ثلاثة أيام فقط، وأكد ذلك أن حصول المرض لمن أغضبه ليس بسبب دعائه الله تعالى، والشكوى له، بل بشيء في نفسه تصرف هذا التصرف، والله المستعان.

ح - ادعاء التصرف في أمور الآخرة:

من المتقرر عند كل مسلم أن أمور الدنيا والآخرة بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣]. وليس لأحد من مخلوقاته فيها شيء، فهو سبحانه يتصرف فيها كيف يشاء ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [س: ٨٣].

(١) أي لم نضيفونا، يقال: قرى الضيف قرى وقراء: أضافه. لسان العرب: ١٥/١٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، (ص ١١٢٤) برقم (٥٧٣٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (ص ٩٠٤ - ٩٠٥) برقم (٢٢٠١).

(٣) المشرع (٢/٢٤٢ - ٢٤٣).

يقول سالم بن محمد بن حميد الكندي^(١) عند ذكر سعيد بن عيسى العمودي: «وروي أنه قال: زيارتي بعد وفاتي أفضل من زيارتي في حياتي وروي عنه أنه قال أيضاً: من أحبني أو أحب من أحبني أو زارني أو زار من زارني أو صافحني أو صافح من صافحني فأنا ضمينه بالجنة، وحكي أنه عمر بالقطبية ثمانية عشر يوماً، وروي عنه أنه قال: من زارني ثلاث مرات يتعنى ما له حاجة إلا زيارتي فأنا ضمينه بالجنة»^(٢).

وجاء في كتاب: «مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب: (يقول الشيخ أبو بكر بن سالم: من سار إلى السواحل وخرج منها سالم فأنا ضمينه بالجنة»^(٣).

وجاء في كتاب (الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي دفين تربة تريم) لعلي بن أبي بكر السكران باعلوي: «وكان من خصائص الفقيه القطب المشهور محمد بن علي المذكور أنه شهد له جماعة من العارفين الكبار أهل النور والمعارف الأسرار، أنهم بعد موته ما صلوا على جنازة ميت إلا وهو يصلي عليه معهم، فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه... ثم ذكر أحياناً لبعضهم في مدح الفقيه المقدم منها:

حوى الحسن والحسن حوى اليمن والند وأمن لنا ننجو به في المحاشير
ملك له التصريف في الكون كائن له وكرامات وكم من شعائر^(٤)
وجاء في كتاب (مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديعي ومعه

(١) هو سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، ولد بقرية تريس سنة ١٢١٧هـ، وبرع في عدة علوم ثم اتصل بالسلطان غالب بن محسن الكثيري، وكان من مستشاريه. من آثاره: العدة المفيدة الجامعة لأخبار قديمة وحديثه ألفه للسلطان غالب الكثيري - مطبوع - توفي سنة ١٣١٠هـ. انظر: رحلة الأشواق القوية (ص ٢٣)؛ وتاريخ الشعراء الحضرميين (٣/٦٩)؛ والأعلام (٣/١١٦).

(٢) العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (١/١٠٨).

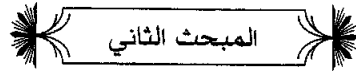
(٣) مجموع من كلام الحبيب علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب (ص ٢٤٢).

(٤) الأنموذج اللطيف (ص ٢١٢ - ٢١٣).

قصائد في مدحه ﷺ: جاء في قصيدة لأبي بكر بن سالم العلوي - صاحب عينات - يقول فيها:

أنا حَتَف لأهل العذلِ ونار الجحيم أطفئها
إلى أن قال:

وإذا أفلتت شمس الكل أنا شمسها ضاحيها
أنا عرشها والكرسي وأنا للسماء بانيتها^(١)



المبحث الثاني

قولهم في توحيد الأسماء والصفات

تمهيد

توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة عند أهل السنة والجماعة ومعناه: إفراد الله تعالى بما سَمِيَ به نفسه وبما وصف به نفسه، أو على لسان رسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا فُيُثَبَّت له ما أُثِبَتْ لنفسه أو أُثِبَتْ له رسوله ﷺ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف^(١) ولا تعطيل^(٢) ومن غير تكييف^(٣) ولا تمثيل^{(٤)(٥)}.

وأسماء الله وصفاته لها ضوابط ينبغي مراعاتها، فضابط الأسماء

(١) التحريف لغة: التغيير، مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه حرفًا إذا أملتته وغيرته. انظر (لسان العرب: ٤٤/٩)، تحت مادة: (حرف).

واصطلاحاً: هو: العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان تحريف لفظه وهو تبديله، وتحريف المعنى وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ. انظر: الصواعق المرسلة (١/٢١٥، ٣٥٨).

(٢) والتعطيل لغة: مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُثَرِّقُ مُعْطَلُونَ﴾ أي أهملها أهلها وتركوا وردها. انظر: لسان العرب (١/٤٥٤).

واصطلاحاً هو: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً وسواء كان بتحريف أو جحود. شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/٩١).

(٣) والتكييف هو: تفسير لكنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقول: استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا: معارج القبول، للشيخ حافظ حكمي (١/٣٦٣).

(٤) والتمثيل هو: حكاية كيفية الصفة وأنها على هيئة كذا وكذا، أو السؤال عنها بكيف، فيقال فيها مثل صفات المخلوقين. انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين ﷺ (١/٢٠٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣) ط ١٤١٦ هـ. ومدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية (١/٤٨ - ٤٩)، ط دار الكتاب العربي؛ ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١/١٢٩)، ط ٣، ١٤١١ هـ، ط المكتب الإسلامي، والقول السديد لابن سعدي (ص ١٠)، ط دار الوطن.

(١) مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديبعي ومعه قصائد في مدحه ﷺ (ص ٩٣).

الحسنى: «هي التي يدعى الله بها، والتي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»^(١).

وضابط الصفات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وأما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه؛ بل لا يكون إلا صفة كالعلم والقدرة والكلام والرضا فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه»^(٢).

وكذلك يقال إنها «ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت به نصوص الكتاب والسنة»^(٣).

فصفات الرب تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وينبغي أن يعلم أن النفي لا يكون محضاً؛ لأن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا أثبت كمال الضد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والنفي كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال»^(٤).

والعلم بأسماء الله تعالى وصفاته، وفهمها على مراد الله تعالى أهم العلوم وأشرفها لما له من الثمرات النافعة في الدنيا والآخرة، فهو الطريق إلى معرفة الله تعالى الذي يدعو إلى محبته تعالى وخشيته وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وتركية النفوس وإقامتها على منهج العبودية لله تعالى، والعلم بأسماء الله تعالى من أعظم أسباب زيادة الإيمان^(٥).

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٤)، ط مكتبة الرشد.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/١٥٢).

(٣) الصفات الإلهية: تعريفها، وأقسامها، للشيخ محمد بن خليفة التميمي (ص ١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٣٥).

(٥) انظر ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات: التوحيد للإمام ابن خزيمة (٢/١٨)، تحقيق: د. علي =

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا نَافَعُوا هَٰؤُلَاءِ سِوَىٰ مَا يَكْفِيهِمْ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [محمد: ١٧].

ولأهل السنة أسس يتبعونها في هذا التوحيد مما جعلهم على ثبات في هذا الباب كغيره من أبواب الاعتقاد، بخلاف أهل البدع الذين انحرفوا في هذا الباب العظيم وفي غيره من أبواب العقيدة لاعتمادهم على الآراء وتحكيم العقول الناقصة والأفكار المخالفة لسنة سيد المرسلين عليه السلام.

وهذه الأسس^(١) التي أخذ بها أهل السنة في باب الأسماء والصفات هي:

١ - تنزيه الله تعالى عن مشابهة صفات الحوادث؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢ - الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله عليه السلام حقيقة لا مجازاً^(٢) على الوجه الذي يليق بكمال الله وجلاله، كما لا يجوز تمثيل صفاته بصفات خلقه، كذلك لا يجوز نفي الصفات التي وصف بها نفسه. فالآية الكريمة احتوت على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذا رد على أهل التمثيل والتشبيه، وقوله تعالى: وهو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ رد على أهل النفي والتعطيل.

٣ - قطع الأطماع عن إدراك كيفية صفاته عليه السلام إذ العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه لأن عقولهم: «لا تطيق كنه معرفته عليه السلام ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته»^(٣).

= فقهي، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/٩٠ - ٩١)؛ والقول السديد، لابن سعدي (ص ١٦١ - ١٦٣)؛ والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة للأشقر (ص ١٨ - ٣٩).

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/١١٠ - ١١١)؛ وآداب البحث والمناظرة للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ص ١٢٧ - ١٢٩). مطبوعات الجامعة الإسلامية.

(٢) المجاز عند المتكلمين يعني الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له أولاً لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي. انظر: التعريفات (ص ١٦٥)؛ ومذكرات أصول الفقه، للشنقيطي (ص ٢١٠). الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة العلم بجدة.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٥٧٥).

العلاقة بين الصفات والذات:

العلاقة بين الصفات والذات هي علاقة تلازم، فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس؛ فلا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات^(١).

وطريقة القرآن في هذا الباب هي الإثبات المفصل والنفي المجمل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وما ورد خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فهو خلاف الأصل، وسيأتي بيان سبب هذا النفي المفصل.

الفرق بين الأسماء والصفات^(٢):

- ١ - الأسماء تدل على الذات، والصفات تدل على معنى قائم بالذات.
 - ٢ - الأسماء متضمنة الصفات، والأسماء جميعها مشتقة من صفاته.
 - ٣ - باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الأسماء أخص من باب الصفات، فما صح اسماً صح صفة وصح خبراً وليس العكس.
- وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يُولَدٌ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢] وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١﴾ [الإخلاص: ٣-٤] ونحوها من الآيات. فالجواب في ثلاثة أوجه:
- ١ - أن هذه الآيات جاءت في مقابل حوادث خاصة تحتاج للتنصيص على موضوعها ليكون ردها أقوى وأوضح. فآية الكرسي رد على اليهود والنصارى القائلين أن الله أخذته سنة ونوم، وآيات الإخلاص جاءت للرد على المشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يوصف لهم ربه ونسبوا له البنات سبحانه، وقالوا: إن الملائكة بنات الله.

٢ - إن ذلك على خلاف الغالب وجاء لإثبات ما يضاده من الكمال،

(١) انظر: الصفات الإلهية: للشيخ محمد أمان الجامي (ص ٣٤١)، ط دار الفنون.
(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيان (١/٦٤). مكتبة الدار، والصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها (ص ٤٠).

ففي آية الكرسي إثبات كمال الحياة، وفي آيات الإخلاص إثبات قيوميته وكمال قدرته ووحدانيته.

٣ - وهو أضعفها أن ذلك من قبيل تنوع طرق الكمال، فكما يأتي إثباته عن طريق الإثبات المفصل والنفي المجمل كذلك يأتي بإثبات مجمل كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ^(١).

المطلب الأول:

توحيد الأسماء والصفات عند صوفية حضرموت

اضطربت صوفية حضرموت في هذا الباب وذلك بإعطاء مشايخها وأوليائها صفات الرب تعالى من الإحياء والإماتة وعلم الغيب، بل بلغ الضلال أن قال غلاتهم بعقيدة وحدة الوجود، وأنه ليس ثمَّ خالق ومخلوق، بل الوجود واحد - تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً، ولما كان القوم جماعين للبدع والضلالات فقد اعتمدوا المذهب الأشعري في باب الأسماء والصفات الذي نحن بصدد الكلام عنه، وقد صرح بذلك غير واحد من علمائهم ومشايخهم ومؤرخيهم، وأخذوا تأويلات متأخري الجهمية كبشر الميرسي^(٢) وأضرابه، فلم يثبتوا لله تعالى إلا سبع صفات وباقي الصفات يؤولونها أو يفوضونها، وهذا قول على الله تعالى بلا علم، وقد حرم الله تعالى ذلك فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وسبب خطأ القوم في هذا الباب ومجانبة الصواب هو جهلهم بعقيدة

(١) المقدمات في أصول الدين، للبريكان (ص ٧٣ - ٧٤).

(٢) هو بشر بن أبي كريمة مولاهم، البغدادي، الميرسي، كان من الفقهاء، ثم اشتغل بالكلام فحكى عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة، تكلم فيه أهل العلم لذلك، وقد كفره الأئمة لمقالاته الكفرية، وقد بسط الرد عليه الإمام الدارمي في كتابه القيم (نقض الإمام عثمان بن سعيد على الميرسي الجهمي العنيد)، توفي سنة ٢١٨هـ. انظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ٥٦)؛ والسير (١٠/ ١٩٩).

السلف - رحمهم الله تعالى - مع بعدهم عن الحديث والأثر الذي من عرفه وطبقه وفقه الله تعالى وثبته، يقول الإمام أبو نصر السجزي^(١) مبيناً حال متكلمي الأشاعرة الذين هم قدوة صوفية حضرموت في هذا الباب: «وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول الستة، ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد لا توجب علماً^(٢)».

وأورد هنا نصوصاً لصوفية حضرموت تبين اعتماد القوم لمذهب الأشاعرة المتكلمين في باب الأسماء والصفات، يقول عبد الله الحداد: «وعليك بتحسين معتقدك وإصلاحه وتقويمه على منهاج الفرقة الناجية... وتحقيق أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمته الله الذي رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرز أدلتها، وهي العقيدة التي أجمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان، وهي عقيدة جميع أهل التصوف، كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري رحمته الله في أول رسالته، وهي بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبي علوي، وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا^(٣)».

وقوله: أن الحق مع فرقة الأشعرية وأنها الناجية كلام غير صحيح؛ فالأشاعرة نفوا أكثر صفات الكمال والجلال عن الله تعالى، فهل من نفى أكثر الصفات وعطلها عن معانيها يكون صاحب حق؟!.

(١) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي، أبو نصر السجزي، إمام كبير صاحب ستة، من مؤلفاته: الإبانة الكبرى في مسألة القرآن، والرد على من أنكر الحرف والصوت. توفي سنة ٤٤٤هـ. انظر: السير (١٧/٦٥٤)؛ وشذرات الذهب (٣/٢٧١)، ط ٢، ١٣٩٩هـ، دار المسيرة.

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي نصر عبيد الله بن نصر السجزي (ص ٨١). تحقيق د. محمد باكريم با عبد الله.

(٣) كتاب رسالة المعاونة والمظاهرة (ص ٤١ - ٤٢، ضمن مجموع رسائل الحداد). وعقود الألماس (١/٦٥).

وأما قوله: أن العقيدة الأشعرية أجمع عليها الصحابة فكلام غير صحيح كذلك؛ لأن الأشعرية ظهرت في القرن الرابع نسبة لأبي الحسن الأشعري في دوره الكلابي^(١) ثم تدرجت في المخالفة حتى صار متأخروها أكثر بعداً عن الحق، فكيف تكون هذه العقيدة المحدثه التي ظهرت في القرن الرابع الهجري هي عقيدة الصحابة رضي الله عنهم؟!.

وأما قوله: إنها عقيدة جميع أهل التصوف، فيقال: نعم؛ لأن البدع تلتقي مع بعضها البعض فهي سبل متعددة تجمعها المخالفة للحق، والتصوف منهج خليط من أفكار واعتقادات كثيرة، بينما الحق واحد، وسبيله واضح لمن أراد الله تعالى هدايته وهو سبيل السلف الصالح الذين مقدمهم وإمامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويؤكد عبد الله الحداد قوله هذا بأبيات له يدعو فيها الناس إلى العقيدة الأشعرية يقول في إحدى قصائده:

وكن أشعرياً في اعتقادك إنه هو المنهل الصافي عن الزيف والكفر
وقد حرر القطب الإمام ملاذنا عقيدته فهي الشفاء من الضر

(١) المذهب الكلابي: مذهب كلامي ينسب إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، رأس المتكلمين بالبصرة المتوفى سنة ٢٤١هـ. انظر ترجمته في: السير (١١/١٧٤ - ١٧٦)؛ والوافي بالوفيات (١٧/١٧٩ - ١٩٨)؛ وطبقات الشافعية، لابن السبكي (٢/٢٩٩ - ٣٠٠). والكلابية ظهرت في نهاية القرن الثاني، وبداية القرن الثالث علي يد ابن كلاب. ولم يستمر المذهب الكلابي طويلاً بل اضمحل فيما بعد في المذهب الأشعري. ومن مقالات الكلابية المخالفة لمذهب السلف: أن كلام الله مجرد معنى قائم بالنفس كالعلم والقدرة، وليس له حروف ولا أصوات وأنه معنى واحد قديم أزلي لا يتصف بالأمر والنهي والخبر، وإنما يتصف بذلك عند وجود المخاطبين... إلخ، ونفي صفات الأفعال فالكلام عند الكلابي صفات ذات لا يتعلق شيء منها بالمشيئة، ومفهوم الإيمان عند ابن كلاب هو المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، وليس العمل عنده من جملة الإيمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٦٩، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ٣٩٨ - ٣٩٩، ٥١٧، ٦٠٤)؛ وأصول الدين للبغداد (ص ٢٤٩) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار المدينة - بيروت، ومجموع الفتاوى (٧/٥٠٨)؛ واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٥٧)، تحقيق: فواز زمزلي، ط ١٤٠٨هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

وأعني به من لن ينعت غيره بحجة إسلام^(١) فيا لك من فخر^(٢) ومن ذلك ما جاء في كتاب أدوار التاريخ الحضرمي تحت عنوان (المذهب والعقيدة والعدد): «وعقيدتهم سُنَّة أشعرية وقد يخالفون الأشعري في نقاط معروفة، كالقول بإيمان المقلد الذي لا يقول به^(٣)»^(٤).

ويقول أبو بكر المشهور تحت عنوان «تأسيس المدرسة الصوفية العلوية بحضرموت»: «كان القرن السادس الهجري يزخر بالعديد من التيارات الفكرية ما بين حق وباطل... وساد في حضرموت منهج الأشاعرة في الاعتقاد وضعف أثر الخوارج^(٥) ودعوتهم الإباضية^(٦)».

وقد نظم محمد بن عبد الله بن أحمد باسودان^(٧) (ت ١٢٨١هـ)، قصيدة في بيان معتقد صوفية حضرموت في الصفات فقال:

(١) ويعني به أبا حامد الغزالي مؤلف إحياء علوم الدين.

(٢) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم من أنفاس عبد الله بن علوي الحداد (ص ٦٦ - ٦٧)، مخطوط.

(٣) والأشاعرة اختلفوا في إيمان المقلد وكثير منهم على أن من صحة شروط صحة الإيمان أن يعرف كل مسألة بدليل قطعي عقلي. انظر: شرح الشيرازي (ل ١٣، ١٤)؛ قرة العين في جمع البين (ل ٤٠)؛ رسالة الخليلي (ل ٣٦)؛ نظم الفرائد، لشيخ زادة (ص ٤٠ - ٤١)؛ والروضة البهية، لأبي عذبة (ص ٢١، ٢٥)، نقلاً عن: الماتريدي: دراسة وتقويم، لأحمد بن عوض الحربي (ص ٥٠١).

(٤) أدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد بن أحمد الشاطري (١/ ٢٣). وانظر: العقد النبوي، لشيخ بن عبد الله العيدروس (١/ ٢٥٩)؛ وسيرة السلف من بني علوي الحسينيين: محاضرة ألقاها محمد بن أحمد الشاطري (ص ٣٢ - ٣٣) ط دار الحاوي.

(٥) الخوارج: فرقة خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عام ٣٧هـ، وصاروا يحكمون بكفر مرتكب الكبيرة، وقد قاتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه عليه السلام، وورد في ذمهم والترغيب في قتالهم أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اختلفوا على نحو عشرين فرقة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)؛ والملل والنحل (١/ ١٣٩) تحقيق: كيلاني، دار المعرفة ١٣٨٧هـ، والفرق بين الفرق (ص ٢٠٢) ط دار المعرفة.

(٦) الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور (ص ٢٠)، دار الفقيه للنشر والتوزيع.

(٧) هو محمد بن عبد الله باسودان: ولد سنة ١٢٠٦هـ، بمدينة الخربة من دوعن بحضرموت، وتلقى علومه على والده وغيره، وتوفي بقرية سنة ١٢٨١هـ. من مؤلفاته: فتح المجيد شرح منظومة في التوحيد، وتحقيق المقصود بطلب تعريف العقود، والدرة الواقعة بشرح الإفادة. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/ ١٩٦)؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٢٨٧).

وبعد شرعاً أولاً فليلزم كل مكلف به لا يعلم يعرف ما صح لمولانا الجليل من واجب وجائز ومستحيل فواجب له الكمال المطلق والنقص عنه منتف لا يلحق وواجب لله عشرين صفة وهي وجود ذاته المشرفة باق قديم قائم بنفسه مخالف لخلقه في قدسه وواحد في الذات والصفات متصف بالعلم والحياة وبالكلام وبسمع وبصر إرادة وقدرة بها قدر حي مريد قادر عليم كلامه كذاته قديم سميع مبصر ويستحيل الضد والحدوث والتحويل والممكن فجائز في حقه ولا عليه واجب لخلقه^(١)

ويتضح من هذه الأبيات إن القوم لا يشتون إلا سبع صفات فقط لله تعالى على طريقة الأشاعرة ويسمونها صفات المعاني وهي: العلم والحياة والسمع والبصر والإرادة والقدرة والكلام.

يقول عبد الله بلفقيه عن هذه الصفات: «ومنها: الحياة وهي صفة تقتضي صحة العلم لموصوفها، ومنها: كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وسميماً وبصيراً ومتكلاً وحيّاً حياة أزلية أبدية إذ ما ثبت قدمه استحال عدمه^(٢)».

وهكذا نجد القوم في أغلب مصنفاتهم إذا ذكروا عقيدتهم بينوا أنها العقيدة الأشعرية التي حررها لهم أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) الذي يعد أعظم وأهم مرجع لهم في هذا الباب كما أشار إلى ذلك عبد الله الحداد فيما سبق.

وقد تناقضت صوفية حضرموت بإثباتهم بعض الصفات ونفي البعض

(١) العقيدة نظم محمد بن عبد الله بن أحمد باسودان (ص ٢ - ٤) مخطوط.

(٢) المقصد النفيس (ق ٥) مخطوط.

الآخر، مع أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر^(١)، فلم التفريق بينها؟ وما هو الضابط في ذلك؟ فإن قالوا: إن ما أثبتوه من الصفات دلّ عليها العقل، فيقال لهم: إن العقل كذلك يدل على باقي الصفات، بنظر ما دللت عليه من العقليات.. وإن زعموا أن بعضها يستلزم تشبيهاً كان الكل كذلك.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني^(٢) مبيناً اعتقاد السلف الصالح في باب الأسماء والصفات: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح»^(٣).

وقال الإمام ابن جرير: «فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات... قيل الصواب القول عندنا: أن ثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه»^(٤).

وينبغي أن ننبه هنا أن صوفية حضرموت مثل بقية الصوفية قامت بتلفيق مذهبها؛ لأن الأشاعرة لهم جانبان، فهم في الجانب العلمي تبعوا المتكلمين لأنهم لا يجدون الجانب العملي عندهم، بينما في الجانب العملي تمسكوا بمذهب الصوفية العملي بما فيه من الأحوال والطقوس، فينبغي عند الحديث

(١) انظر: التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣١)، ت: محمد بن عودة السعوي.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، أبو عثمان الصابوني، مقدم الحديث في خراسان، شيخ الإسلام، ولد سنة ٣٧٣هـ، بنيسابور، وكان فصيح اللهجة، واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير، له عدة مؤلفات منها: عقيدة السلف، والفصول في الأصول. توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: طبقات الشافعية، لابن السبكي (١١٧/٣)، ت: الطناجي، والحلو، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، والأعلام (٣١٧/١).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت ٤٤٩هـ) (ص ٢٨)، ت: بدر بن عبد الله البدر.

(٤) التبصير في معالم الدين، للإمام ابن جرير الطبري: (ص ١٤٠)، ت: علي بن عبد العزيز الشبل.

عن صوفية حضرموت التنبه لذلك حتى لا يقع الخلط لمن يقرأ ويلاحظ أن صوفية حضرموت أشعرية.

قول صوفية حضرموت بالتأويل والتفويض:

قبل البدء في بيان وقوع صوفية حضرموت في التأويل والتفويض البدعيين نبين معنى التأويل والتفويض في اللغة والاصطلاح.

التأويل لغة: مصدر من باب التفعيل، وأصله أول من آل يؤول، ومادته اللغوية تدور على معان هي: الإصلاح، والعودة والرجوع، والخثور (خثور اللبني)، والعاقبة، والتفسير^(١).

واصطلاحاً: يستعمل التأويل بحسب الاصطلاحات في ثلاثة معان^(٢) منها معنيان مرجعهما اللغة والقرآن، وأما المعنى الثالث فهو اصطلاح المتأخرين، وبيان هذه المعاني فيما يلي:

١ - التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير في التفسير (واختلف علماء التأويل).

٢ - ويأتي التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَوْهَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أما لفظ التأويل في التنزيل فمعناه: الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها، فتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وتأويل ما أخبر الله به عن نفسه هو نفسه المقدسة الموصوفة بصفاته العلية»^(٣).

(١) انظر: الكامل: لابن المبرد (١٠٩/٣) ط الرسالة؛ وتهذيب اللغة للأزهري (٤٣٧/١٥)، الدار المصرية، ت: إبراهيم الأبياري؛ ومعاني القرآن، للفراء: (٣٨٠/١)، ط مصر، ت: النجار؛ والصحاح، للجوهري (١٦٢٧/٤) ط دار العلم للملايين، ت: أحمد عطار.

(٢) انظر: كتاب التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف (ص ٩١).

(٣) درء التعارض (٣٨٢/٥).

٣ - اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله وهو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا الذي عناء أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات^(١).

ومع ذلك فإن تأويل المتأخرين منه ما يكون صحيحاً، وذلك بحمل الظاهر على المحتمل المرجوح بدليل يصيره راجحاً^(٢). أي أن التأويل في الجملة إذا وافق نصوص الشرع وطابقها فإنه يكون صحيحاً^(٣).

وأما التفويض لغة: فهو من فَوَّض الأمر أي رَدَّه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]؛ أي: أردته وأصيره، ويقال: بات الناس فوضى؛ أي: مختلطين متساويين كل فوض أمره إلى الآخر^(٤).

واصطلاحاً: هو: الإيمان بألفاظ الكتاب والسنة من غير فقه لها، ولا فهم ما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانَةً﴾ [البقرة: ٧٨]. وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع من المجازات وغرائب اللغات... فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٥١/١)، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي وشيخ الأرنؤوط.

(٢) الصواعق المرسلة (١٨٧/١).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٤٦١/٣) ط جامعة أم القرى.

(٤) لسان العرب (٢١٠/٧)، والصاح (١٠٩٩/٣).

طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف^(١).

وقول صوفية حضرموت بالتأويل والتفويض في الصفات قول باطل كما سيأتي، وهو بدعة أضافوهم إلى بدعهم السابقة المخالفة لمنهج السلف الصالح.

الشواهد الدالة على قول صوفية حضرموت بالتأويل والتفويض في الصفات:

لما كان القوم على مذهب الأشاعرة في باب الأسماء والصفات، فإن نصوصهم في ذلك لا تخرج عن التأويل أو التفويض البدعيين، كما سيتبين من نصوص القوم.

يقول عبد الله بن علوي الحداد:

وكن في أحاديث الصفات وآيها على مذهب الأسلاف حيث السلامة^(٢)

وفي هذا النص دعوة الحداد إلى السلامة في أحاديث الصفات وهو التفويض وعدم التعرض لها كما هو مذهب صوفية حضرموت في هذا الباب.

وقد بين علوي بن طاهر الحداد موقف صوفية حضرموت من آيات الصفات فقال: «وهي التي مال إليها الباقلاني^(٣) وإمام الحرمين^(٤) وغيرهما من أئمة أصحابه المتقدمين في أواخر أقوالهم... وكان الابتداء بحفظ العقيدة للغزالي

(١) مجموع الفتاوى (٩/٥).

(٢) ديوان الدر المنظوم، للحداد (ص ٢٩).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المشهور بالباقلاني، البصري، المالكي، أشعري المذهب، ولد في البصرة وأقام ببغداد حتى توفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥ - ٣٨٣)؛ وتبين كذب المفترى، لابن عساكر (٢١٧ - ٢٢٦).

(٤) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، إمام الحرمين، ولد سنة ٤١٩ هـ، في جوين، من أعمال نيسابور، وهو من فقهاء الشافعية، ومن أئمة الأشاعرة، ومن الذين أدخلوا بعض عقائد المعتزلة في مذهب الأشاعرة، له مؤلفات منها: الشامل والإرشاد والعقيدة النظامية، توفي سنة ٤٧٨ هـ. انظر: السير (٤٦٨/١٨)؛ والعبر (٣٣٩/٢)؛ وشذرات الذهب (٣٨٥/٣)؛ والأعلام (١٦٠/٤).

معروفاً عندهم، كما هو مشروح في مناقبهم وأما الإحياء فقد كان من يحفظه عن ظهر قلب كالعلامة السيد الشريف محمد بن علوي بن علي بن أحمد ومنهم من كرر مطالعته وقرىء عليه حتى كاد يحفظه كالقطب العيدروس...»^(١).

وجاء في كتاب (عقود الألماس): «وسلفنا ينهون عن الكلام وبأخذون في آيات الصفات وأحاديثها وفي المتشابهات بالتفويض والتسليم والإيمان وعدم التكيف والتشبيه مع غاية التنزيه والتقديس وتعظيم جانب الألوهية، وقد قال الحبيب عبد الله الحداد في مجموع كلامه ما معناه: إنما أخذنا بمذهب الأشعري لأنه يقول: آمنت بالله وبآيات الله وبرسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد ومراد^(٢) رسول الله أو كما قال فقد طال عهدي به»^(٣).

ويرد عليهم بأن تفويض المعاني ليس من منهج أهل السنة وإنما يفوض أهل السنة علم كيفية الصفات مع اعتقاد أن الله تعالى كيفية لا يعلمها إلا هو. وصوفية حضرموت يعنون بالتفويض تفويض المعنى المراد الموهوم للتشبيه - بزعمهم - وهذا التفويض يكون بعد التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، كما قال القائل:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فؤوس ورم تنزيها^(٤)

وجاء في كتاب (الدرة اليتيمة): «وأما الصفات التي توهم تشبيه الله بخلقه كالمكر والاستدراج، والضحك، وغير ذلك وهي لا تليق بالخالق فإن المراد فيها على غير حقيقته، بل الواجب فيها إثبات ما جاء عنه تعالى ونفي التشبيه ثم التفويض أو التأويل»^(٥).

وهذا من أصرح النصوص التي تبين وقوع صوفية حضرموت في بدعة التأويل والتفويض، على مذهب الأشاعرة.

(١) عقود الألماس (١/٥٦).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: على مراد الله ومراد رسول الله.

(٣) عقود الألماس (١/٦٩). (٤) تحفة المريد، للباجوري (ص ٩١).

(٥) الدرة اليتيمة شرح السبحة الثمينة نظم السفينة (ص ٣٥).

وجاء في كتاب نيل المرام في شرح عقيدة الإسلام للحداد: «قوله: (لا تعترية الحادثات): لا تعترية أي لا تطرأ عليه. والحادثات مثل: الأمراض والاحتياج والمجيء والنزول والجوع والعطش فالله تعالى منزّه عن هذه النقائص كلها، وكل نص من كتاب أو سنة يوهم ظاهره مشابهة الله تعالى الحوادث فمذهب السلف وبعض الخلف التفويض وهو: صرف اللفظ المتبادر للذهن مع عدم التعرض لبيان المعنى، بل يفوض أمر علمه إلى الله تعالى بأن يقال: (الله أعلم بمراده) ومذهب الخلف وبعض السلف في ذلك التأويل وهو: حمل النصوص المتشابهة على خلاف ظاهرها المتبادر مع بيان المعنى المراد فقد أولوا اليد في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِ﴾ [الذاريات: ٤٧]، بالقوة، وأولوا الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]؛ بالشدة؛ أي: يكشف عن شدة، وأولوا المجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: وجاء أمر ربك»^(١).

والتفويض عند السلف - كما هو معلوم - يكون في الكيفية لا في المعنى فقد أمرنا الله تعالى بتدبر القرآن فقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْكَ مُبَرَكًا لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

ويستدل بعدم الكيفية بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

على قراءة الوقف على لفظ الجلالة «الله».

ووقع متصوفة حضرموت في التأويل تبعاً للمنهج الذي انتهجوه، وهو مذهب الأشاعرة، حيث أولوا بعض الصفات بحجة أن العقل لم يدل عليها ومن تلك الصفات التي أولها القوم كما تقدم: المجيء والنزول وقد جاءت الأدلة الشرعية بإثبات هاتين الصفتين لله تعالى كما يليق به سبحانه، فمنها قوله

(١) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام للحداد، لباخرصة (ص ٢٥).

تعالى مبيناً مجيئه جلّ في علاه يوم القيامة للفصل بين العباد: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وثبت في الصحيحين في حديث الرؤية: «قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم» الحديث^(١).
وأما صفة النزول الإلهي فهي صفة فعلية لله تعالى ثبتت بالسنة الصحيحة المتواترة. فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني، فأغفر له»^(٢).

يقول الإمام أبو سعيد الدارمي^(٣) بعد أن ذكر أحاديث رسول الله ﷺ في إثبات نزول الرب جلّ وعلا: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها أو أكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها»^(٤).

وأول القوم صفة الرحمة لله تعالى، يقول أحمد بن زين الحبشي: «وأما الرحيم: فوزنه فعيل وهي صفة مبالغة لكن سمي الله به نبيه في كتابه، واختلفوا في اتحاد دلالتها واختلافهما على أقوال متنوعة^(٥) على العطف والإحسان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [٢٢] إلى رَبِّهَا نَاطِقَةً (ص ١٤١٨) برقم (٧٤٣٩) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (ص ٩٩) برقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، (ص ٢٢٦) برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، (ص ٢٩٨) برقم (٧٥٨).

(٣) هو الإمام الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني، إمام في الفقه والحديث، له تصانيف منها: الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي، توفي سنة ٢٨٠هـ، انظر ترجمته في: السير (٣١/٣١٩).

(٤) كتاب الرد على الجهمية، للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ص ٤٦).

(٥) كلمة غير واضحة.

وإرادة الخير والفضل، أو هي نفس الفضل والإحسان لاستحالة صفة الرقة عليه»^(١).

وجاء في كتاب (المختصر في تفسير قصار السور) عند تفسير سورة الفاتحة: «الرحمن الرحيم: أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله»^(٢).

وأولوا هذه الصفة بإرادة الخير والفضل والإحسان؛ لأن صفة الإرادة من الصفات السبع التي يشتونها، والذي جرّهم لمغبة التأويل المبتدع هو التشبيه أولاً من ثم التعطيل، فلم يعرفوا من الرحمة إلا صفة المخلوق، وهي الرقة، ولو أنهم عظموا الله تعالى حق تعظيمه وقدره حق قدره لما وقعوا في هذه المحاذير من التأويل وغير ذلك، ويقال لهم أيضاً: تأويلكم الرحمة بأنها إرادة الإحسان ونحو ذلك، يقال إن الإرادة ميل، وهذه صفة المخلوق فما أجابوا عليه فهو جوابنا عليهم.

وصفة الرحمة ثابتة لله تعالى بنصوص الكتاب والسنة. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكُلْتِمْ رِجْماً﴾ [البقرة: ٢١٨].

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق؛ كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»^(٣).

وأولت صوفية حضرموت صفة الغضب فقالوا: «وغضب الله: هو إرادة الانتقام من المغضوب عليهم إن كان صفة ذات، أو هو نفس الانتقام إن كان صفة فعل وقال بعضهم: غضب الله إنكاره على من عصاه»^(٤).

(١) كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي (ق ٦).

(٢) المختصر في تفسير قصار السور (ص ٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى﴾ (ص ١٤١٠) برقم (٧٤٠٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (ص ١١٠١) برقم (٢٧٥١).

(٤) كتاب تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي، لأحمد بن زين الحبشي (ص ١٢)؛ والمختصر في تفسير قصار السور، لعبد الله سالم باخرصة (ص ٦).

ووقعهم في التأويل وهو في الحقيقة تعطيل سببه فرارهم من التشبيه المزعوم، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً فشبّهت أولاً وعطلت ثانياً، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه»^(١).

وكان الواجب اقتفاء منهج السلف في هذه المسائل، وهو قولهم: «أمروها كما جاءت»^(٢): أي ثبت الصفة لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه مع عدم تشبيهها بصفات المخلوق، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (٨١ طه: ٨١). وهكذا أولوا جميع الصفات الفعلية^(٣) الاختيارية لله تعالى بما يناسبها من صفات المعاني لأن عليها العقل - بزعمهم - دل عليها.

المطلب الثاني

قول صوفية حضرموت في صفة العلو

تمهيد:

يثبت أهل السنة والجماعة صفة العلو لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية، وإثباتها معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. وأدلة الكتاب كثيرة جداً، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿سَبِّحْ أَشَدَّ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) [الأعلى: ١] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وَهُوَ أَفْهَرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَبِيرُ﴾ (٢) [الأنعام: ١٨].

(١) مدارج السالكين (٣/٣٦٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥١٨/٥)؛ ومختصر الصواعق (ص٣٥٢).

(٣) الصفات الفعلية الاختيارية: هي التي تتعلق بمشية الله تعالى، أو التي تنفك عن الذات: كالاستواء، والنزول، والضحك، والإتيان، والمجيء والغضب والفرح. انظر: مجموع الفتاوى (٤/٦٨، ٥/٦، ١٠).

والأدلة من السنة كثيرة جداً منها: قوله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»^(١).

ومنها حديث الجارية المشهور في صحيح مسلم، حيث قال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «اعتقها؛ فإنها مؤمنة»^(٢).

وقوله ﷺ لسعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة^(٣): «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات»^(٤).

وللصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم آثار كثيرة في علو الله وفوقيته^(٥).

وقد بين أهل العلم مذهب السلف في هذه المسألة وأن: «سلف الأمة وأئمتها، أئمة أهل العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة، من غير تحريف للكلم عن مواضعه، أثبتوا أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وهم بائون منه، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ، (ص٨٢٢) برقم (٤٣٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (ص٢١٦) برقم (٥٣٧).

(٣) بنو قريظة إحدى قبائل اليهود التي كانت تسكن المدينة قبل إجلالهم عنها.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، تفسير سورة السجدة (٢١٣/١٠) برقم (١١٣٢٨)، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢١هـ؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢١/٢) برقم (٨٨٥) ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص٨٧). والحديث أصله في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري مختصراً.

(٥) انظر آثار السلف رحمهم الله في ذلك: كتاب «إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، والجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (٩٨ وما بعدها) ت: بدر البدر، ط ١، ١٤٠٦هـ، الدار السلفية، الكويت؛ والعلو للحافظ الذهبي (١٠١ وما بعدها) ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١٣٨٨هـ، دار الفكر، بيروت، وكتاب «إثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين» لأسامة القصاص.

قريب مجيب ففي آية النجوى^(١) دلالة على أنه عالم بهم^(٢).

النصوص الدالة على نفي صوفية حضرموت لصفة العلو:

أنكرت صوفية حضرموت صفة العلو الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة تبعاً للمتكلمين، وجمعوا الشبه والاستدلالات السقيمة لتأييد باطلهم كعادتهم، مع أن صفة العلو فطر الخلق على إثباتها إلا من انحرفت فطرته. فأنكرت صوفية حضرموت هذه الصفة مع أن أدلتها كما قال بعض أكابر أصحاب الشافعي رحمته الله تزيد على ألف دليل^(٣).

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمته الله في نونيته أكثر من عشرين نوعاً من الأدلة على علو الله تعالى على خلقه، وكل نوع تحته عدد من الأدلة^(٤)، وذكر في الصواعق المرسلة ثلاثين دليلاً من أدلة العقل والفطرة^(٥).

وقد نفت صوفية حضرموت صفة العلو وكثرت نصوصهم في ذلك، ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب الحديقة الأنيقة تحت عنوان «فصل الإيمان بالله» قوله: «والمراد منه تنزيهه عن المكان - أنه غير مستقر بموضع في علو أو سفلى؛ لأن التمكن بالمكان من خواص الأجسام، وهو تعالى منزّه عن الجسمية ولوازمها»^(٦).

ويؤكد القوم نفيتهم للعلو في مؤلفاتهم بحجة تنزيه الله تعالى عن المكان، يقول علوي اليميني^(٧) في أجوبته المقررة لمنهج صوفية حضرموت في باب العقيدة: «س ١٧: هل يحتاج الله إلى مكان؟

(١) آية النجوى هي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا مِنْ بَيْنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: الآية ٧].

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٦/٥). (٣) المصدر السابق (١٢١/٥).

(٤) شرح القصيدة النونية، لابن القيم: (١/٣٩٦ وما بعدها) شرح ابن عيسى رحمته الله.

(٥) الصواعق المرسلة (٤/١٢٧٩ - ١٣٤٠). (٦) الحديقة الأنيقة (ص ١٢٩).

(٧) هكذا مذكور بكنيته واسمه الأول فقط، وقد تكرر ذلك منهم بإخفاء أسماءهم، لا سيما في تقرير عقيدتهم، وهو لا شك من مشايخ المتصوفة لثناء كبارهم عليه، وتقديمهم لكتابه كما سيأتي - إن شاء الله -.

الله لا يحتاج إلى مكان؛ لأن الذي يحتاج إلى مكان هي المخلوقات، ومن العجب أن تسمع بعض الناس يقولون: أن الله في السماء بذاته، رغم أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: ٤]. فالله خلق هذه المخلوقات وليس محتاجاً لأن يحل فيها، ومن اعتقد أن الله يحتاج إلى مكان فقد شبه الخالق بالمخلوق، وخالف قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]^(١).

وجاء في كتاب (إتحاف النبيل) خوض المؤلف في الصفات وإنكار بعضها حيث قال معدداً لبعض صفات الله جلّ وعلا: «وأنه منزّه عن الجهة والجسمية وصفاتها ولوازمها»^(٢).

ويرد عليهم بأن تعلقهم بعبارات المتكلمين للاستدلال لباطلهم في نفي العلو بحجة نفي المكان والجسمية عن الله تعالى لا ينفعهم شيئاً أمام النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، ويقال لهم: أن لفظ الجسم لفظ مجمل، ليس له أصل في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله صلّى الله عليه وآله ولم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً، وحينئذ فإطلاق القول بنفيه وإثباته ليس من مذهب السلف بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل القول بأنه جسم أو ليس بجسم مما ابتدعه أهل الكلام الخاضعون في ذلك، فعند الكلام معهم لا بد من استفصالهم عما أرادوه بهذه الألفاظ^(٣) فإن كان حقاً قبل وصُحِّح لهم اللفظ الشرعي، وإن كان باطلاً فإنه يرد عليهم.

(١) انتبه دينك في خطر: لأبي عبد الله علوي اليميني (ص ١٠ - ١١). وهذا الكتيب قد قرّضه جمع من دعاة التصوف منهم: علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ عضو مجلس الإفتاء في تريم حضرموت، ومدرس في جامعة الأحقاف، وأبو بكر العدني بن علي المشهور، مدير رباط العيدروس بعدن، وحسين بن محمد الهدار، عضو جمعية علماء اليمن مدير رباط البيضاء (باليمن). انظر: (ص ٦١ - ٦٧).

(٢) كتاب إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل، تأليف: طاهر بن حسين بن طاهر العلوي (ص ٤٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٣٠٥).

فإن قصدوا بنفي الجسمية عن الله تعالى ونحوها معنى صحيحاً مثل: نفي أن الله محصور في خلقه، أو مفتقر إلى مخلوق إلى غير ذلك من المعاني التي يجب نفيها عن الله تعالى فإن ذلك مقبول.

وإن قصدوا بذلك أن الله ليس فوق السماوات، وأنه ليس وراء العالم إله موجود، فلا يوافق عليه، وكلامهم غير مقبول^(١).

ثم يقال لهم: إن لفظ الجهة من الوجهة^(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا بَآئِرٌ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، فالله تعالى أثبت لنفسه جهة العلو، وهو أعلم بنفسه من خلقه.

ومن شبههم في نفي صفة العلو زعمهم تنزيه الله تعالى عن النقائص، يقول محمد بحرق في كلام له: «فعند ذلك تعلم قطعاً أن ظواهر الأدلة الموهمة التمكنُ بمكان، أو الاختصاص بجهة، أو النزول أو المجيء، أو الانتقال - أو نحو ذلك - غير مراد بها ظاهرها المتبادر إلى الفهم بحسب العرف، وهو محمول على ما يليق به سبحانه، فنحو رفع الأيدي في الدعاء لا يلزم منه أنه تعالى في السماء. كما لا يلزم من التوجه إلى الكعبة كونه فيها، بل أمرنا بجميع ذلك فوجب علينا الامتثال. والدعاء قبلته السماء، والصلاة قبلتها الكعبة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]»^(٣).

ويجاب: تقدم الرد عليهم في إنكار صفتي النزول والمجيء^(٤)، ويقال أيضاً: إن نفي صفات الباري التي أثبتتها لنفسه أو أثبتتها له رسوله ﷺ ليس تنزيهاً بل هو تعطيل، وتنقص للرب جلّ في علاه، وجعلهم العرف حكماً في هذه الأمور لا يصح؛ لأن الغيب لا دخل للعرف فيه، بل مبناه على التسليم لنصوص الكتاب والسنة.

وأما قوله: أن رفع الأيدي والأبصار إلى السماء عند الدعاء لا يلزم منه

(١) انظر: درء التعارض (٦/١٩١ - ١٩٣، ٢٧١ - ٢٧٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط (١٠٤٥). (٣) الحديقة الأنيقة (ص ١٣٠).

(٤) انظر (ص ٢٤٤) من هذا البحث.

أن الله في السماء... إلخ يقال له: إن هذا الكلام حجة لأهل الإثبات من السلف والخلف - كما سنوضحه - ومن هؤلاء الأشعري وأئمة أصحابه^(١)، والإشارة إلى الله في العلو باليد والأصابع أو العين أو الرأس، قد تواترت به السنن عن الرسول ﷺ^(٢).

والناس على اختلاف عقائدهم وأديانهم يشيرون عند الدعاء إلى السماء لأن هذا شيء يجدونه في فطرتهم^(٣). والفطرة من الأدلة التي تلزمهم، ويجدونها في نفوسهم، لولا المكابرة والتعصب للباطل.

وقال ﷺ: «إن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين»^(٤).

والكفار يقولون في أنفسهم بهذه الصفة، قال الإمام الدارمي رحمه الله: «حتى لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله، أن الله ﷻ فوق السماء فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ آيِنِ لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَتْلُعَ﴾ [غافر: ٣٦].

ففي هذه الآية دليل بَيِّن ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع عليه»^(٥).

(١) انظر كلامهم الذي نقله عنهم شيخ الإسلام: نقض التأسيس (٢/٤٣٣ - ٤٣٩).

(٢) انظر: نقض التأسيس (٢/٤٣٣ - ٤٣٩).

(٣) انظر: نقض التأسيس (٢/٤٤٦ - ٤٤٧). وانظر: العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمتها، للحافظ الذهبي (ص ١٨٨ - ١٨٩)، ت: عبد الرحمن محمد عثمان: إفحام الهمداني للجويني حيث أثبت له علو الله تعالى بالفطرة، فلم يجد الجويني له جواباً، فقال: حيرني الهمداني. وفي هذا دليل على مدى الجهل الذي وصل إليه المتكلمون وهو عدم معرفة علو ربهم على خلقه، فأَي خير في علم هذا مصيره وغايته.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/٤٣٨)؛ وابن أبي شيبه (١٠/٣٤٠)؛ وأبو داود في سننه: كتاب الوتر، باب الدعاء، (ص ١٧٨) برقم (١٤٨٨)؛ والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب: حدثنا محمد بن يشار (ص ٥٥٩) برقم (٣٥٥٦) واللفظ له؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء، باب (رفع اليدين في الدعاء) برقم (٣٨٦٥). وقال فيه الحافظ: «سنده جيد» الفتح (١١/١٤٣) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحِب الدين الخطيب، ط ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت. وانظر: صحيح الجامع برقم (١٧٥٧).

(٥) الرد على الجهمية، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) (ص ٤٤ - ٤٥)، خرج أحاديثه وعلق عليه: بدر بن عبد الله البدر.

ويقول أبو الحسن الأشعري رحمته الله: «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم نحو السماء؛ لأن الله سبحانه مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلو أن الله سبحانه على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض»^(١).

وقال أيضاً: إن قال قائل: ما تقول في العرش؟ قيل له: نقول إن الله سبحانه يستوي على عرشه استواء يليق به كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقد قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ آيُنِ لِي صَرِيحًا لَعَلَّيْ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]. فكذب [فرعون] نبي الله [موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: «إن الله سبحانه فوق السماوات»]^(٢).

فهذا كلام هذا الإمام الذي ينتسب إليه القوم - كذباً وزوراً -، وأما قولهم فهو قول الجهمية والمعتزلة وليس قول متقدمي الأشاعرة، وقد وفق الله الإمام الأشعري رحمته الله فسلك به طريق الهدى فعاد لمذهب السلف - في الجملة - وأثبت هذه الصفة العظيمة وغيرها من صفات الجلال والكمال لله تعالى.

وأما قول بحرق: إن السماء قبله الدعاء كما أن الكعبة قبله الصلاة فقول غير صحيح، يرد عليه من وجوه منها^(٣):

أحدها: أن المسلمين مجمعون على أن قبله الداعي هي قبله الصلاة، ولم يقل أحد من السلف خلاف ذلك، وكذلك كون السماء أو العرش قبله لا يثبت بغير الشرع، وليس في النصوص ما يدل على ذلك.

الثاني: وأن قبله الدعاء هي قبله الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم حيث كان يستقبل القبلة في دعائه في مواطن

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن بن علي الأشعري (ص ٩٧ - ٩٨)، تحقيق: بشير محمد عيون.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، للأشعري (ص ٩٧) باختصار.

(٣) انظر: نقض التأسيس (٢/ ٤٥٢ - ٤٦٤). وشرح الطحاوية ٣٩٢ - ٣٩٣.

كثيرة^(١)، والقول بأن للدعاء قبله غير قبله الصلاة، أو أن له قبلتين أحدهما الكعبة والأخرى السماء، قول مبتدع، مخالف لجماعة المسلمين.

الثالث: إن الاستقبال ضد الاستدبار، والقبلة ما يستقبله الإنسان ولا يستدبره فأما ما يرفع الإنسان إليه يده أو رأسه أو بصره فهذا باتفاق الناس لا يسمى قبله؛ لأن الإنسان لم يستقبله كما لم يستدبر الجهة التي تقابله، ومن استقبل شيئاً فقد استدبر ما يقابله، كما أن من استقبل الكعبة فقد استدبر ما يقابلها، ومعلوم أن الداعي لا يكون مستقبلاً للسماء ومستدبراً للأرض، بل يكون مستقبلاً لبعض الجهات إما القبلة أو غيرها مستدبراً لما يقابلها كالمصلي، فيتبين لنا أن القبلة ما يستقبله الإنسان بوجهه، ويسمى كذلك وجهة ووجهاً وجهة لاستقبال العابد له بوجهه وتوجهه إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكما تستقبل القبلة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، ولذا سميت وجهة، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه، فهذا لا يسمى قبله، لا حقيقة ولا مجازاً، فلو كانت السماء قبله الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع التي ترفع فيه اليد لا يسمى قبله لا حقيقة ولا مجازاً، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع ولم تأمر الرسل الداعي باستقبال السماء بوجهه بل نهوا عن ذلك، أما التوجه بالدعاء إلى الجهة العلوية فهو مركز في الفطر، والمستقبل للقبلة يعلم أن الله ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالفه ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأيضاً فالقوم كما عرفنا لما وقعوا في التشبيه انتهوا إلى التعطيل؛ لأنهم لا يعرفون إلا علو المخلوق، ولذا قاسوا الخالق تعالى وتقدس بهذا المخلوق

(١) منها على سبيل المثال: ما أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش، (ص ٧٥٣) برقم (٣٩٦) واللفظ له؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، (ص ٧٤٦) برقم (١٧٩٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة، فدعا على نفر من قريش».

الناقص، فوقعوا في التوهّمات والتخبطات، فنفوا هذه الصفة العظيمة لله تعالى، ولم يقدروه سبحانه حق قدره: «والمقصود أنه إذا كان الله أعظم وأكبر وأجلّ من أن يقدر العباد قدره، أو تدركه أبصارهم أو يحيطون به علماً، وأمکن أن تكون السماوات والأرض في قبضته لم يجب والحال هذه أن يكون تحت العالم أو تحت شيء منه فإن الواحد من الآدميين إذا قبض قبضة أو بندقة أو حمصة أو حبة خردل وأحاط بها بغير ذلك، لم يجز أن يقال: إن أحد جانبيها فوقه لكون يده لما أحاطت بها كان منها الجانب الأسفل يلي يده من جهة سفليها، ولو قدر من جعلها فوق بعضه بهذا الاعتبار لم يكن هذا صفة نقص بل صفة كمال. وكذلك أمثال ذلك من إحاطة المخلوق ببعض المخلوقات: كإحاطة الإنسان بما في جوفه، وإحاطة البيت بما فيه، وإحاطة السماء بما فيها من الشمس والقمر والكواكب، فإذا كانت هذه المحيطات لا يجوز أن يقال: إنها تحت المحاط وأن ذلك نقص مع كون المحيط يحيط به غيره، فالعلي الأعلى المحيط بكل شيء الذي تكون الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه كيف يجب أن يكون تحت شيء مما هو عال عليه، أو محيط به ويكون ذلك نقصاً ممتنعاً»^(١).

الرابع: أن القبلة أمر يدخله النسخ ولذلك تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، ولو كانت القبلة هي العرش أو السماء لجاز تغييرها وتبديلها، ولجاز أن يدعو الإنسان ربه إلى سائر الجهات، وهذا فضلاً عن بطلانه، فإن الناس مفلطرون إلى التوجه إلى جهة العلو.

وتخبط القوم ودخلوا في فرضيات المتكلمين لنفي هذه الصفة، حيث عجزوا عن الإتيان بالأدلة الشرعية وأنى لهم ذلك، فهم كأسوتهم المتكلمين أشد الناس حرماناً من الأدلة، ومما يؤكد ذلك وليهم المعظم أبو بكر العيدروس حيث يقول عن الله تعالى: «ليس هو من شيء، ولا فوق شيء، إنه لو كان من شيء لكان مسبوقاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان

فوق شيء لكان محمولاً»^(١). وشرح محمد بحرق أقوال شيخه العيدروس في نفي الصفات، مع التعمق في أدلة المتكلمين ظاناً أنه بذلك قد ظفر بمقصوده، ولكن كما قيل: (فاقد الشيء لا يعطيه)، يقول بحرق: «وكذلك الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، محمولة على فوقية الرتبة التي تكون للسيد القاهر على العبد المقهور، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. وكما يقال: رتبة الوزير فوق رتبة الأمير»^(٢). وجاء في كتاب نيل المرام: «ونقل الإمام أبو منصور البغدادي^(٣) في كتابه (الفرق) إجماع الأمة على تنزيه الله تعالى عن المكان، وذكر أن سيدنا علي كرم الله وجهه^(٤) ورضي الله عنه، قال: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته. اهـ وقال سيدنا علي رضي الله عنه: كان الله ولا مكان وهو الآن على ما كان.. اهـ»^(٥).

هكذا يفترقون على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه يقول بنفي صفات الله تعالى، ولم يتكلفوا تخريج هذا الأثر المكذوب على هذا الإمام إذ بينهم وبين إثبات هذا الزعم خراط القتاد.

واستدلوا لنفي صفة العلو بكلام لابن حجر الهيتمي المكي: «سئل الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله السؤال التالي: في عقائد الحنابلة ما لا يخفى على

(١) مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك لأبي بكر العيدروس (ص ٢٣٧) جمع: عبد اللطيف بن عبد الرحمن باوزير، ضمن المجموعة العيدروسية، الناشر: طاهر بن محمد العيدروس، بدون تاريخ.

(٢) الحديقة الأنيقة (ص ١٣٠).

(٣) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني، أشعري المذهب، ولد ونشأ ببغداد، ورحل إلى خراسان، واستقر بنيسابور، درس على أبي إسحاق الإسفراييني. له تصانيف كثيرة أشهرها: الفرق بين الفرق، وأصول الدين. مات في إسفرائين سنة ٤٢٩ هـ. انظر: طبقات الشافعية (٣/٢٣٨)؛ ووفيات الأعيان (١/٢٩٨)؛ والأعلام (٤/٤٨).

(٤) هذه العبارة من عبارات الشيعة الذين غلوا في علي رضي الله عنه بنفي تركها وترضى عن علي رضي الله عنه كسائر الصحابة رضي الله عنهم. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٣/١٠٠).

(٥) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام (ص ٢٣).

شريف علمكم، فهل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله كعقائدكم؟ فأجاب بقوله: عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوايغ امتنانه وبوآه الفردوس الأعلى من جنانه موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر به جهلة المنسويين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه ^(١) ^(٢).

ويرد على كلامهم بأن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله في إثبات الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ومنها صفة العلو مبثوثة في كتبه وفي كتب أتباعه ^(٣).

وأما قول ابن حجر الهيتمي المتقدم ففيه إجمال لا سيما قوله بنفي الجهة ^(٤)، فإن قصد بذلك نفي العلو فكلام غير صحيح وقد تقدم الرد على من قال بذلك، وإن قصد بنفي الجهة نفي إحاطة المخلوقات بالله تعالى فكلام صحيح ويقبل معناه، ولكن يرد عليه اللفظ لأنه من الألفاظ المبتدعة.

وكذلك فقد رد الإمام أبو حنيفة رحمته الله على من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض وقال: «فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

(١) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص ١٤٤)؛ وبهامشه كتاب الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، دار الفكر.

(٢) منهاج الأصفياء، لمصطفى بن عبد الرحمن العطاس (ص ٧٥).

(٣) انظر على سبيل المثال: الرد على الجهمية والزنادقة (ص ٢٨) ت: إسماعيل الأنصاري، ط الإفتاء، الرياض، والاقتصاد في الاعتقاد، لعبد الغني المقدسي (ص ٨٧)؛ والإبانة (٣/ ١٥٩ - ١٦٠) برقم (١١٦)؛ وأبو يعلى في إبطال التأويلات (٢/ ٦٤ - ٦٥) برقم (٤٩)، ط ١٤٠١هـ، دار الإمام الذهبي، الكويت؛ واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٠٠ - ٢٠١) ط ٢، ت: المعق.

(٤) مع أن ابن حجر الهيتمي أشعري المعتقد يقول بنفي الجهة. انظر: كتابه «الفتاوى الحديثية» (ص ١٥١)، تقديم المرعشلي، طبعة دار إحياء التراث.

أَسْتَوَى ^(٥) ﴿طه: ٥﴾. وعرشه فوق سبع سموات. وقال له أبو مطيع الحكم بن عبد الله ^(١): فإن قال: أنه على العرش استوى ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل «وفي لفظ: «سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ قال: «قد كفر قال: لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ^(٥) ﴿طه: ٥﴾. وعرشه فوق سبع سموات. قال: فإنه يقول: على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء؟ قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في السماء ولا في الأرض واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ^(٥) ﴿طه: ٥﴾. يبين أن الله فوق السماوات فوق العرش وأن الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش، ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال: إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض. قال لأنه: أنكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن القلوب مبطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ^(٢).

(١) هو الحكم بن عبد الله بن سلمة، من كبار أصحاب أبي حنيفة وفقهائهم، قال فيه الإمام الذهبي: (كان بصير بالرأي، علامة كبير الشأن، ولكنه واه في ضبط الأثر، وكان ابن المبارك يعظمه ويحله لعلمه ودينه) توفي سنة ١٩٩هـ. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٥٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧ - ٤٩). وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٣٩ - ١٤٠)، تحقيق: د. عزاد بن عبد الله المعق، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢٢ - ٣٢٣).

ونختم هذا المطلب بما نقله أبو المعالي الألوسي^(١) عن عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي^(٢) في رسالته (نصيحة الإخوان) في إثبات علو الله تعالى والإشارة إلى جهة العلو: «إذا أشير إليه بشيء يستحيل أن يشار إليه من جهة التحتية أو من جهة اليمين أو من جهة اليسرة، بل لا يليق أن يشار إليه إلا من جهة العلو وال فوقية، ثم الإشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله، فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة، وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به.... فلا يُحدَّ بحدٍّ يحصره، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته، والإشارة إلى الجهة إنما هي بحسب الكون وسفله، إذ لا تمكن الإشارة إليه إلا هكذا، وهو في قدسه سبحانه منزّه عن صفات الحدث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية، وإنما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة باريه إلا من فوقه، فتقع الإشارة إلى العرش حقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكيّفه الوهم، فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً مثبتاً لا مكيفاً مثلاً^(٣)».

(١) هو أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود الحسيني، الألوسي، البغدادي، مؤرخ، أديب، لغوي ولد سنة ١٢٧٣هـ، تصدر للتدريس في بعض المساجد. له مصنفات كثيرة أشهرها: بلوغ الأرب في أحوال العرب، وغاية الأمان في الرد على النبهاني، وفتح المنان. توفي ببغداد سنة ١٣٤٢هـ. انظر في ترجمته: أعلام العراق، لبهجة الأثري: (٨٦ - ٢٤١)؛ والأعلام (٤٩/٨، ٥٠)؛ ومعجم المؤلفين (٨١٠/٣ - ٨١١).

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، فقيه، عابد زاهد، ولد سنة ٦٥٧هـ، أقام بالقاهرة فتأثر بصوفيتها، ثم قدم دمشق فتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ورد على المبتدعة الذين خالطهم. من آثاره: مفتاح الأولياء وأهل الزهد من العلماء، وشرح منازل السائرين للهروري، واختصار دلائل النبوة. توفي بدمشق سنة ٧١١هـ. انظر: العبر (٢٩/٤) تحقيق محمد زغلول ط ٣، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت؛ والدرر الكامنة (٩١/١) دار الجبل، بيروت؛ والأعلام (٨٦/١) ط ٦.

(٣) غاية الأمان في الرد على النبهاني، للألوسي (٦٣٢/١ - ٦٣٣)، علّق عليه: الداني بن منير آل زهوي.

المطلب الثالث

قول صوفية حضرموت في صفة الاستواء

تمهيد:

معنى الاستواء في لغة العرب نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] وهذا معناه كمل وتم.

وأما المقيد فثلاثة أضرب: أحدها: مقيد بإلى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وهذا بمعنى العلو والارتفاع، والثاني: مقيد بعلی: كقوله تعالى: ﴿لِئَسْتَوَى عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣] وهذا أيضاً معناه: العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة. والثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها^(١). والفرق بين الاستواء والعلو: أن الاستواء علو خاص وهي صفة لله متعلقة بالمشيئة، وأما العلو فصفة ذاتية.

والاستواء من الصفات الخيرية المعلومة بالسمع، وأما صفة العلو باعتبار أدلتها من الصفات العقلية الشرعية العقلية، وتعلم بالنقل والخبر^(٢).

يثبت أهل السنة والجماعة استواء الله تعالى على عرشه، وأنها صفة فعلية لله تعالى دلّت عليها نصوص الكتاب والسنة، وهي من الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالى، لأن النصوص دلّت على أنه تعالى استوى على عرشه بعد خلق السماوات والأرض، فالاستواء على العرش متعلق بإرادته ومشيئته.

والاستواء على العرش من أدلة العلو السمعية، وقد جاء في سبع آيات من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلّة: (٨٨٨/٣ - ٨٨٩) تحقيق: د. الحسن العلوي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٢/٥ - ٥٢٣).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١).

وثبت في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ أخذ بيده، فقال: «يا أبا هريرة! إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش» الحديث^(٢).

ورُثبت أهل السنة والجماعة هذه الصفة وغيرها من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة، وفق منهج السلف الصالح وقد ذكر الإمام مالك رحمته الله قاعدة مهمة في ذلك فقد سُئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن^(٣) عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق.

وعن يحيى بن يحيى^(٤) قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرخضاء - أي العرق - ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، ثم أمر به أن يخرج^(٥)، فقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول،

(١) انظر تلك الآيات: سورة الأعراف: الآية ٥٤، وسورة يونس: الآية ٣، وسورة الرعد: الآية ٢، وسورة طه: الآية ٥، وسورة الفرقان: الآية ٥٩، وسورة السجدة: الآية ٤، وسورة الحديد: الآية ٤.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: تفسير سورة السجدة (٢١٣/١٠) برقم (١١٣٢٨)، خرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، وحسنه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص ١١١)، ط ٢، المكتب الإسلامي.

(٣) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي، أبو عثمان المدني، ثقة، فقيه، مات سنة ٣٦١ هـ. انظر: السير (٩٠/٦)؛ والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للحافظ الذهبي (٣٠٧/١) ط ١، ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت؛ والتقريب (ص ٢٤٣).

(٤) هو يحيى بن يحيى بن كثير الليثي، مولاهم القرطبي، أبو محمد فقيه، قليل الحديث، له أوهام، من رواة الموطأ. مات سنة ٢٣٤ هـ على الصحيح. انظر: التقريب (ص ٣٦٨)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط ١، ١٤١٧ هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٥) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية برقم (٢٠٤)؛ واللالكائي في شرح أصول أهل السنة =

والكيف غير معقول، والإيمان به واجب. قال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول^(١).

النصوص الدالة على نفي صوفية حضرموت لصفة الاستواء:

ورغم النصوص المتضاربة من الكتاب والسنة في إثبات صفة الاستواء لله تعالى إلا إن صوفية حضرموت عطلوا هذه الصفة العظيمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فقد جاء في كتاب (الفیوضات الربانية) عند ذكر كلام للحسن بن صالح البحر العلوي في الصفات: «وقال ﷺ على حديث: «قلب المؤمن عرش الرحمن»^(٢) أي ليس فيه إلا شهود فعل الله، كما أن العرش لا يكون فيه إلا مجرد فعل الله، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ أي: بمظهر فعل وقدره، وإلا فالحق تعالى رفيع الدرجات عن العرش والكرسي أو غيرها»^(٣).

وجاء في (مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك) عن العيدروس: «وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، استوى ليس هو استواء وقوع وحلول بل هو استواء ملك وحكم... وقال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] فَعَلِمَ أَن لا تَمَّ جهة؛ لأن القائم أقرب إلى السماء

= والجماعة (٣٩٨/٣)؛ وأبو نعيم في الحلية (٢٣٥/٢، ٣٢٦)؛ وأبو عثمان الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث رقم (٢٥، ٢٦)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٠٥/٢ - ٣٠٦) برقم (٨٦٧)؛ وابن عبد البر في التمهيد: (١٥١/٧)؛ وقال الذهبي في العلو (ص ١٠٤): (هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة).

(١) مجموع الفتاوى (٤٠/٥ - ٤٢). وانظر أثر الإمام مالك رحمته الله أيضاً: صفة العلو لابن قدامة (ص ٢٨)؛ ومختصر العلو (ص ١٢١).

(٢) هذا الحديث وأمثاله الكثير تجدها بكثرة عند الصوفية الطريقة، فهي من موضوعات الصوفية التي يوردونها بلا زمام ولا خطام لترويج ما اعتقدوه من الباطل.

(٣) الفیوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية (ص ١٩٣).

من الساجد، تعالى عن إحاطة العقول والفهوم^(١).

ويقول عمر بحرق الحضرمي: «وكذلك ما يفهم من قوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. غير مراد، بل هو استواء لائق بجلال الله تعالى. كما يقال: استوى الأمير على العراق؛ أي استولى عليه... ومعلوم أن العرش أعظم المخلوقات؛ بل حاوٍ لها ومحيط بجميعها. والتمدح بكونه مقهوراً بالطاعة تحت قدرته تعالى، يدبر أمره فيه كيف شاء وهو اللائق بجلال الله تعالى، بخلاف الاستواء الذي هو الجلوس على الشيء، فذاك من صفات الأجسام ولا تمدح فيه^(٢).

ويقول أيضاً: «هذا والعرش حادث بعد العدم، وقد كان تعالى غنياً عنه في القدم. وكذلك يجب حمل مثل ذلك على ما يليق بجلال الله تعالى؛ كأن يقال في: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] «وينزل ربنا»^(٣)؛ أي: أمره ورحمته، أو نحو ذلك»^(٤).

وجاء في كتاب نيل المرام: «قوله: (مستو على عرشه على الوجه الذي قال، وبالمعنى الذي أراد استواء يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه).

قد مشى الإمام الحداد رحمته الله في هذه المسألة على مذهب سلفه في التفويض حيث قال: إن الله تعالى مستو على عرشه استواء لا يعلمه إلا هو ﷻ... وعلى مذهب الخلف في التأويل، فالمراد بقوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ أي: استولى عليه وعلى الأشياء كلها وخضعت ودنت. وقد ثبت لغة أن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما في قول الشاعر:

فلما علونا استوينا عليهم جعلناهم صرعى لنسر وطائر^(٥)»^(٦)

(١) مقدمة ديوان محجة السالك وحجة الناسك للعيدروس (ص ٢٣٧) ضمن المجموعة العيدروسية.

(٢) الحديقة الأنيفة (ص ١٣٠).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٩٢) من هذا البحث.

(٤) الحديقة الأنيفة (ص ١٣١).

(٥) البيت ذكره الجويني في كتابه الشامل في أصول الدين (ص ٥٥٣) ت: علي النشار وآخرون. ولم أقف على قائله.

(٦) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام (ص ٢٥ - ٢٦).

ويقول حسين بن محمد الهدار في بيان معتقدهم في صفة الاستواء: «وأن الله مستو على عرشه على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراد استواء يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه فهو مقدس عن الزمان والمكان، إذ هو الخالق لهما ومنزه عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، نعوذ بالله أن نظن أن السماء تظله أو تقله، فهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا... والخوض في الاستواء وكيفية من البدع المنهي عنها في الدين»^(١).

واستشهدوا لنفي صفة الاستواء بأبيات للغزالي عندما سأله جاز الله الزمخشري^(٢) عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فأجاب بهذه الأبيات:

كيف تدري من على العرش استوى	لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي الرب أم كيف يرى	فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له	وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له	وهو في كل النواح لا يزول
جل ذاتاً وصفات وسما	وتعالى قدره عما تقول

وخلاصة القول ما قاله إمام الحرمين في النظامية: أنه اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة فرأى بعضهم تأويلها، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وأجرى الظواهر على موارد، وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب^(٣).

(١) الدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير، لحسين بن محمد الهدار (ص ٩٧).

(٢) هو أبو القاسم، جاز الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري، معتزلي، مشارك في التفسير والنحو واللغة. ولد بزمخشري من قرى خوارزم سنة ٤٦٧ هـ. من مؤلفاته: الكشاف عن حقائق التنزيل، والفائق في غريب الحديث، والمفصل في صنعة الإعراب. توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر: معجم المؤلفين (٣/ ٨٢٢).

(٣) انظر: الرسالة النظامية، للجويني (ص ٢٣)؛ والدواء الشافي لعلاج ظاهرة التكفير، لحسين الهدار (ص ٩٨).

ومن خلال هذه النصوص التي ذكرنا عن متصوفة حضرموت والتي دونوها في مؤلفاتهم يتضح نفيتهم لصفة الاستواء تبعاً لصفة العلو، وكثرت تأويلاتهم لهذه الصفة، فبعضهم أولها بأنها شهود فعل الرب جل وعلا بالعرش، وهذا باطل وقد أثبت السلف الصالح والعلماء هذه الصفة لله تعالى كما يليق بجلال الله وعظمته، يقول الإمام ابن خزيمة^(١): «فالخبر يصرح أن عرش ربنا - جلّ وعلا - فوق جنته، وقد أعلمنا ﷺ أنه مستوي على عرشه، فخالقنا علا فوق عرشه، الذي هو فوق جنته»^(٢).

وكذا أثبت الاستواء أبو الحسن الأشعري الذي ينتسب هؤلاء إليه، حيث قال رحمه الله: «إن قال ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿يُذِبرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]. فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟﴾ لأنه مستوي على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟﴾ يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستوي على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا

(١) هو الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، أبو بكر، الفقيه الشافعي، الحافظ الحجة، إمام الأئمة، ولد بنيسابور سنة ٢٢٣هـ، صاحب كتاب التوحيد المشهور، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: السير (٣٦٥/١٤ - ٣٨٢)؛ وطبقات الشافعية (١٠٩/٣ - ١١٩).

(٢) كتاب التوحيد، للإمام ابن خزيمة (ص ١٠٤)، تحقيق: هراس.

يحطونها إذا دعوا إلى الأرض، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله ﷻ مستوي على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ولو كان هذا كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو تعالى مسئول على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مسؤول عليها وإذا كان قادراً على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله تعالى مستوي على الحشوش والأخيلة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها، وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية: أن الله تعالى في كل مكان فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخيلة وهذا خلاف الدين - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً -^(١).

وقال الباقلاني وهو أحد أئمة الأشاعرة: «فإن قال قائل: أتقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله، بل هو مستوي على عرشه، كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦].

ولو كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان، وفمه، وفي الحشوش، والمواضع التي نرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة، إذا خلق منها ما لم يكن خلقه وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا، وإلى يميننا، وشمالنا، وهذا قد أجمع

(١) الإبانة عن أصول الديانة (٩٧/١ - ٩٩) ملخصاً.

المسلمون على خلافه، وتخطئة قائله^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وإذا كان المسلمون يُكفِّرون من يقول: إن السماوات تُقلَّه أو تُظَلَّه لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته فمن قال: إنه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فإنه كافر؛ لأن الله غني عن العالمين حي قيوم، الغنى المطلق، وما سواه فقير إليه مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل^(٢)».

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي عمر الطلمنكي^(٣): «قال أهل السنة في قول الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] إن الاستواء من الله على عرشه المجيد، على الحقيقة لا على المجاز^(٤)».

وأما من قال منهم: أن استوى بمعنى استولى، فهذا تحريف لم يفسره السلف من الصحابة والتابعين بل أول من قال بذلك الجهمية والمعتزلة.

ومعنى الاستواء هو: العلو والارتفاع كما قال الإمام مالك وهذا أمر مجمع عليه عند السلف، فالله تعالى مستو على عرشه حقيقة لا مجازاً كما نقل ذلك الإمامان ابن عبد البر^(٥) وأبو عمر الطلمنكي - رحمهما الله تعالى -.

وقد أنكر أهل اللغة من فسر الاستواء بالاستيلاء قال ابن الأعرابي^(٦)

(١) التمهيد، للقاظمي الباقلائي (١/١٢٩). (٢) مجموع الفتاوى (٢/١٨٨).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي، مقرر محدث مفسر، مات سنة ٢٩٤هـ. انظر: السير (٧/٥٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٢٦١).

(٥) هو الإمام حافظ المغرب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ابن عبد البر) ولد سنة (٣٦٨هـ)؛ وصنف كتاباً نافعة منها: التمهيد، والاستذكار، وجامع بيان العلم وفضله، والاستيعاب، وغيرها. توفي عام (٤٦٣هـ). انظر: السير (١٨/١٥٣)؛ وشذرات الذهب (٣/٣١٤).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، الكوفي، ولد سنة ١٥٠هـ، وهو من المشهورين بمعرفة لغة العرب. توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/٦٦) تحقيق:

حين قال له الجهمي إن استوى بمعنى استولى، قال: اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا إذا كان له مضاد فإذا غلبه يقال استولى.

وأما الاستدلال بقول الشاعر:

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق
فإنه لا يعرف قائله، ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي بل هو منحول، ولا يعرف في لغة العرب، بل قال بعضهم: إن البيت أصله هكذا: بشر قد استولى على العراق... إلخ.

وإن صح البيت فإنه حجة عليهم لأمرين:

- ١ - الاستواء الحقيقي أنه جلس على كرسي العراق وسرير الملك.
- ٢ - أنه استولى وغلب على أهل العراق عبد الملك بن مروان ودخل تحت ملكه^(١).

وتأويلهم الاستواء بالاستيلاء لا تشهد له النصوص الشرعية ولا لغة العرب «وقد صرح ابن الأعرابي وغيره بأنه لا يُعرف في اللغة^(٢)». وحسبك بابن الأعرابي رحمته الله معرفة بهذا الشأن.

وكذلك النصوص دالة على بطلان قول المعتزلة وادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى «استولى» لا معنى له ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الأحد الصمد، وإنما يوجه كلام الله تعالى إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات وجلّ الله تعالى عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها مما يصح معناه، والاستواء معلوم في اللغة وهو: العلو والارتفاع على الشيء

= المعلمي، ط ١٣٧٧هـ، حيدر آباد، الهند؛ وفيات الأعيان (٤/٣٠٩).

(١) انظر الرد: مجموع الفتاوى (٥/١٤٤)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (ص ٣٥٢).

(٢) كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة، لابن القيم (١/٢٩٢) ط ٢، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.

والاستقرار، والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى﴾ قال: علا. قال: وتقول العرب: «استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت».

والاستواء: الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا تعالى فقال: ﴿لِئَسْتَوَا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقال: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. وقال: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] (١).

وبعضهم أول هذه الصفة وغيرها من الصفات، وجعلها كتاباً ويلهم للنزول والمجيء بأنه مجيء أمره ورحمته وقد مر الرد عليه في فرع التأويل والتفويض وأن هذا ليس منهج السلف الصالح، وإنما هو مذهب أهل الكلام.

وبعضهم فوض صفة الاستواء؛ لأنها بزعمه تجسيم «وحقيقة كلامهم أن ما وصف به الرب نفسه لا يعقل منه إلا ما يعقل في قليل من المخلوقات التي نشهدها، كأبدان بني آدم وهذا في غاية الجهل، فإن من المخلوقات مخلوقات لم نشهدها؛ كالملائكة والجن حتى أرواحنا، ولا يلزم أن يكون ما أخبر به الرسول مماثلاً لها فكيف يكون مماثلاً لما شاهدوه؟ وهذا الكلام في لفظ الجسم من حيث اللغة، وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم، أو أن الله ليس بجسم؛ بل النفي والإثبات بدعة في الشرع، وأما من جهة العقل فيبينهم نزاع فيما اتفقوا على تسميته جسماً كالسما والأرض، والرياح والماء ونحو ذلك مما يشار إليه ويختص بجهة وهو متحيز» (٢).

وقد أثبت صفة الاستواء لله تعالى أحد علماء حضرموت من العلويين وهو الشيخ محمد بن محسن العطاس (٣) حيث يقول في رسالته (تنزيه الذات

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٣١/٧). وانظر كلام شيخ الإسلام في: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: (٤٣٧/٢ - ٤٣٨)، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُمُ اللَّهُ.
(٢) مجموع الفتاوى (٥٣٣/٥ - ٥٣٤).

(٣) هو الشيخ محمد بن محسن العطاس شيخ السادة العلويين بمكة، كان عضواً في الوفد الذي بعثه الشريف عبد المعين إلى الأمير سعود بن عبد العزيز الذي وصل بجيشه إلى نحو ثلاث مراحل من مكة، ومن الوفد الذي أرسل إلى الدرعية وعاد بالجواب إلى الشريف غالب بعد أن مكث هناك شهرين. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (١/٢٦٣).

والصفات عن درن الإلحاد والشبهات): قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى استولى وملك وقهر مما يفيد التجدد والحدوث في الملك وقالوا: إنه في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة؛ لأنه قادر على كل شيء، وكيف يكون في كل مكان ومنه الحشوش والحانات والمزابيل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقدرة، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في ذلك فبطل ما يقولونه بالعقل والنقل (١).

ويقال لكل المعطلة ومنهم صوفية حضرموت أن الرد عليهم في نفهم لصفة الاستواء لله تعالى من عدة أوجه (٢):

الأول: أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص.

ثانياً: مخالف لإجماع الصحابة وإجماع السلف.

ثالثاً: أنه لم يرد في اللغة العربية ما فسروه به من المعاني الباطلة، والبيت الذي احتجوا به لا يتم به الاستدلال.

رابعاً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة منها أن يكون العرش قبل خلق السموات والأرض ملكاً لغير الله تعالى، وأنه يصح أن نقول على زعمكم: إن الله استوى على الأرض، والشجر، والإنسان، والبعير لأنه استولى على هذه الأشياء؛ فإذا صح أن نطلق كلمة استولى على شيء؛ صح أن نطلق استوى على ذلك الشيء؛ لأنهما مترادفان على زعمكم.

✽ المطلب الرابع ✽

قول صوفية حضرموت في صفة الكلام

تمهيد:

الكلام في لغة العرب التي نزل بها القرآن كما يقول ابن فارس رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

(١) نقلاً عن الانتقاد الرجيع في شرح الاعتقاد الصحيح، لصديق حسن خان (ص ٩٩ - ١٠٠).
ورسالة محمد بن محسن العطاس لا تزال مخطوطة ومنها نسخة بمكتبة الملك سعود برقم (١٣٥٦).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٤١)، ط دار ابن الجوزي، القاهرة.

«يدل على نطق مفهم، تقول: كلمته، أكلمه تكليماً، وهو كليمي، إذا كلمك أو كلمته»^(١).

فهذا هو الكلام الذي تعرفه العرب وكذا فإن: «عامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة، بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ: الكلام، والقول وهذا كلام فلان، أو كلام فلان، فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لشموله لهما ليس حقيقة في اللفظ فقط - كما يقوله قوم - ولا في المعنى فقط - كما يقوله قوم -، ولا مشترك بينهما - كما يقوله قوم -، ولا مشترك في كلام الآدميين، وحقيقة في المعنى في كلام الله - كما يقوله قوم -...»^(٢).

تعتبر مسألة وصف الله بصفة الكلام من أهم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين السلف ومخالفهم من الفرق الضالة، ومذهب السلف أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة^(٣).

وقد دلت النصوص الكثيرة على إثبات صفة الكلام لله تعالى نذكر بعضها، فمنها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وغيرها من الآيات.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة،

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٣١/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٥٦/١٢ - ٤٥٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١٧٤/١)، ت: التركي.

فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتولمني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى فحج آدم موسى»^(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ﷻ»^(٢).

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في صفة الكلام:

وقد سلك صوفية حضرموت مسلك الفرق الضالة في هذه المسألة كغيرها من مسائل الصفات، وخالفت مذهب السلف، فقد جاء في كتاب منهل الورد عند تعداد الصفات التي يثبتونها لله تعالى: «الثالث عشر: الكلام: ويستحيل عليه البكم، وهو صفة قديمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل التقديم والتأخير والطروء والعدم دالة على معلوماته»^(٣).

وجاء في كتاب بعنوان (دروس التوحيد للمبتدئين) تحت عنوان معنى الكلام ودليله: «والكلام هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى على جميع الواجبات والمستحيلات والجاثرات، وكلامه تعالى نفسي قديم ليس بحرف، ولا صوت، ولا لسان، ولا شفتين، ولا فم، ولا حلق، ولا يوصف بعربي، ولا سرياني

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عند الله، (ص ١٢٦٤) برقم (٦٦١٤)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ (ص ١٠٦٤) برقم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في القرآن، (ص ٥١٦) برقم (٤٧٣٤)؛ والترمذي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب: حدثنا محمد بن إسماعيل (ص ٤٦٦) برقم (٢٩٢٥)؛ وابن ماجه في سننه في المقدمة (ص ٣٧) برقم (٢٠١). قال الذهبي في السيرة (ص ٢٨٢): وهو على شرط البخاري، مجلد قسم السيرة، ومجلد قسم المغازي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٦٢ م. وصححه الشيخ ﷺ في السلسلة الصحيحة (٥٩١/٤) برقم (١٩٤٧).

(٣) منهل الورد (ص ٦٥)، ط العصرية. وانظر: كتاب الدر الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين: لسالم باحطاب الحضرمي (ص ٣٨).

ولا غيرهما من اللغات...»^(١).

وجاء في كتاب الحديقة الأنيفة عند الكلام على صفة الكلام لله تعالى: «ومذهب أهل السنة^(٢): أن كلام الله تعالى صفة معنوية، قديمة، قائمة بذاته المقدسة، ثابتة لها، قديمة بقدمها؛ لأن أصل صفة الكلام في المخلوق إنما هو المعنى النفساني، وإنما يدل عليه باللسان، ولهذا يقول: في نفسي كلام أريد أن أذكره.

وقال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(٣)»^(٤)

وجاء في كتاب الحديقة الأنيفة أيضاً: «فهذا أيضاً متكلم بلا لسان ولا حرف ولا صوت... بل كلامه قديم قبل تكوين الحروف والأصوات بقدم ذاته المقدسة»^(٥). ويقول سالم باحطاب الحضرمي^(٦) في تعريفه للقرآن: «المحفوظ في صدورنا والمكتوب في مصاحفنا... وأجمعت الأمة على أن ذلك كلام الله تعالى بمعنى أنه خلقه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب إلى أن قال: وقال العلامة الباجوري: فمن أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى»^(٧).

وقال: «كونه متكلماً وهي صفة أزلية قائمة بذاته غير موجودة ولا معدومة

(١) دروس التوحيد للمبتدئين، لمحمد بن سالم بن حفيظ (ص ٢٢)، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

(٢) أي الأشاعرة فهم يرون أنفسهم أهل السنة والجماعة.

(٣) هذا البيت منسوب للأخطل. انظر: شرح العقائد النسفية، للتفتازاني (ص ٥٤) ط كتيبة إمدادية، ديوبند الهند؛ وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي (١٤٦/٢)، ط دار الفكر بيروت، وأنكر نسبة هذا البيت للأخطل كثير من العلماء. انظر: كتاب الإيمان، لشيخ الإسلام (ص ١٣٢) ط المكتب الإسلامي؛ ومجموع الفتاوى (٢٩٦/٦ - ٢٩٧).

(٤) الحديقة الأنيفة (ص ١٣٤).

(٥) المصدر السابق (ص ١٣٤).

(٦) هو سالم بن صالح باحطاب الحضرمي، صوفي أشعري. من مؤلفاته: الدر الثمين في أصول الشريعة والدين. توفي سنة ١٣٥٠ هـ. انظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٢٩٢).

(٧) الدر الثمين، لسالم باحطاب الحضرمي (ص ٣٨).

وغير الكلام، وهي تمام ما يجب له تعالى تفضيلاً»^(١).

جاء في كتاب نيل المرام: «قوله: «متكلم بكلام قديم أزلي لا يشبه كلام الخلق»:

الكلام هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى منزّه عن الحروف والأصوات ولا يوصف بعربي ولا سرياني ولا غيرها من اللغات قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾... وعند أهل السنة أن القرآن هو كلام الله يطلق على معنيين:

١ - على الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى وليس بحرف وصوت.

٢ - على اللفظ الذي نعرفه.

فالأول ليس بمخلوق ولا حادث والثاني هو مخلوق حادث لكن يتمتع هذا الإطلاق إلا في مقام الإيهام ولهذا امتنع الأئمة من القول بخلق القرآن^(٢)، فالمكتوب في المصاحف هو الألفاظ الدالة على المعنى القائم بالذات وأجمع أهل السنة والجماعة على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر»^(٣).

ففي هذا الكلام تفريق القوم بين المعنى واللفظ، وأن المعنى هو كلام الله تعالى النفسي القديم وأنه ليس بمخلوق، واللفظ القرآني ليس هو كلام الله تعالى بل هو مخلوق وإن كان يصح إطلاق كلام الله عليه ولكن يكون كلام الله هنا مخلوق، ولا يقال ذلك إلا في مقام التعليم عند هؤلاء الصوفية.

والمراد الثاني هو: أن كلام الله تعالى نفسي قديم ليس بحرف ولا صوت كما تقدم تصريحهم في ذلك.

وذكروا في شرحهم لمعنى الإيمان بالكتب قولهم: «ومعنى الإيمان: الإيمان بأنها كلام الله الأزلي القديم قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ فَقَدْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]»^(٤).

(١) المصدر السابق (ص ٤١).

(٢) هذا الكلام بعينه كلام البيهقي في كتابه شرح جوهرة التوحيد (ص ٩٣ - ٩٤).

(٣) نيل المرام (ص ٣٩). (٤) المصدر السابق (ص ٤٥).

ويجاب عن هذا بأن: عقيدة أهل السنة والجماعة في أن الكلام هو الملفوظ المنطوق وفيه دلالة على معنى، ولغة العرب لا تفرق بين اللفظ والمعنى حين إطلاق معنى الكلام.

فالكلام عند النحاة هو: اللفظ المركب المفيد بالوضع^(١)، فقولنا: كلام الله تعالى لا بد فيه من أمرين في لغة العرب وهما: اللفظ والإفادة (المعنى)، ولا يصح فصل أحد الأمرين عن الآخر إلا لسبب لغوي أو شرعي مقبول وإلا بقي الأمر على أصله.

وكلام الله تعالى غير مخلوق وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة فمنها قوله تعالى: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد احتج الإمام أحمد بهذه الآية على أن كلام الله تعالى صفة من صفاته غير مخلوق فقال رحمه الله: «قلت قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ففرق بين الخلق والأمر»^(٢).

وقال فيما كتبه للمتوكل حين سأله عن مسألة القرآن: «وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فأخبر بالخلق، ثم قال: ﴿وَالْأَمْرُ﴾ فأخبر أن الأمر غير مخلوق»^(٣).

ومن السنة ما ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٤).

(١) التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد (ص ٥)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الفحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض.

(٢) رواه حنبل في المحنة (ص ٥٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل (ص ٦٤٦) برقم (٣٣٧١).

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، فالقرآن الذي هو كلام الله تعالى مؤلف من الحروف العربية وهذا ظاهر وأدلتة كثيرة، منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(١).

والدليل على أنه تعالى يتكلم بصوت قوله تعالى لرسوله موسى ﷺ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ [الشعراء: ١٠]. والعرب لا تعرف النداء إلا صوتاً.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَلَا تَسْتَعِجِلْ بِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣].

فدلّ هذا على أنه سمع كلام الله تعالى، ولا يسمع إلا الصوت، وربنا تعالى قد خاطبنا باللسان العربي، الذي نفهمه، وليس فيه أنه يحصل من غير صوت^(٢).

وقال رحمه الله: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير»^(٣)، فالضمير في قوله: «كأنه سلسلة» عائد إلى أقرب مذكور وهو: «لقوله» وهذا صريح أن قوله تعالى يكون بصوت، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير في تفسيره: «ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، (ص ٣١٥) برقم (٨٠٦).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٩٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، (ص ٩٣٨) برقم (٤٨٠٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠٩/٢٢) بسند صحيح. ط ١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل^(١): سألت أبي عليه السلام عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت؟ فقال أبي: «بلى، إن ربك ﷻ يتكلم بصوت، هذه الأحاديث نروها كما جاءت»^(٢).

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتصف بالصفات الاختيارية كالكلام، والنداء، والرضا، والغضب، والحب، والبغض، والرحمة، والإتيان، والنزول وغير ذلك من صفاته العلى التي تقوم بمشيئته واختياره، ومعنى ذلك أنه تعالى لا يزال متكلماً إذا شاء، ولا يزال رحيماً إذا شاء وهكذا في جميع الصفات الاختيارية، فالصفة ثابتة له تعالى في الأزل، وهي متعلقة بمشيئته.

أما استدلالهم بقول القائل: في نفسي كلام أريد أن أقوله فيقال: اللفظ جاء مقيداً، ولذا كان التقييد قرينة دالة على إخراجهم من إطلاقه، ونحن نقر أنه قد تراد المعاني أو الألفاظ بالقرائن، فلما قيده هذا القائل بالنفس أخرجه من مطلق الكلام، فكيف يصح للصوفية الاحتجاج بما هو مجاز على قواعدهم في هذا الباب لأن المجاز عندهم ما تصرفه القرائن عن حقيقته.

وأما شعر الأخطل^(٣)، فالجواب عنه:

١ - أن العلماء أنكروا كونه من شعر الأخطل، فقد: «قال أبو محمد

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، ولد سنة ٢١٣هـ، ولازم أباه حتى توفي، وسمع منه كل حديثه، وأراه كل تصانيفه، حتى صار أروى الناس عن أبيه. له زيادات على المسند والزهد لأبيه، وكتاب العلل، وكتاب السنة وغيرها. توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٧/٥) ط ١، ١٣٧١هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند؛ وتاريخ بغداد (٣٧٥/٩) ط دار الكتب العلمية؛ وطبقات الحنابلة (١٨٠/١) ط دار الفكر.

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٢٠٨/١) برقم (٥٣٣)، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني.

(٣) هو غياث بن غوث التغلبي (الأخطل)، شاعر نصراني، توفي سنة ٢٩٢هـ. انظر: الشعر والشعراء «طبقات الشعراء» لابن قتيبة (ص ٢٤٢)، تحقيق: د. مفيد، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخشب^(١) نحويّ العراق: فتشت شعر الأخطل المدون كثيراً فما وجدت هذا البيت^(٢).

وعلى فرض صحته فإن القوم تركوا الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة واستدلوا بكلام الأخطل النصراني، وبنوا مذهبهم على بيت شعر دون تعويل على الأدلة الشرعية^(٣).

٢ - وكذلك لم يثبت نقله عن قائله بإسناد، لا صحيح ولا ضعيف، وأيضاً لم يقبله أهل العربية، بل أورده بعضهم بلفظ:

إن البيان لفي الفؤاد... إلخ، وأجيب أيضاً بأن الأخطل مولد، لا يحتج بشعره عند أهل اللغة.

٣ - أنه نصراني مثلث كافر، وقد ضلّت النصراني في معنى كلام الله ومسماه فجعلوا عيسى نفس كلمة الله.

٤ - أكثر من يحتج من أهل البدع بهذا الشعر يخفي البيت الأول وهو قوله:

لا تعجبينك من أثير خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً وهو عند التحقيق حجة عليهم؛ لأن الشاعر حين ذكر الكلام في البيت الأول ذكره مطلقاً، ليشمل اللفظ والمعنى، إذ الذي يسمع من الخطيب ألفاظه، فأبان الشاعر عن حقيقة الكلام المؤثر، وهو الكلام المشتمل على المعاني الصادرة من القلب، لا مجرد الألفاظ التي تسمع من المتكلم، ولم يرد تعريف الكلام ووضع حد له بكونه المعاني المجردة^(٤).

(١) هو الإمام أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله، البغدادي الخشاب، إمام النحو، حيث كان يضرب به المثل في العربية حتى قيل: إنه بلغ رتبة أبي علي الفارسي. مات سنة ٥٦٧هـ. انظر: السير (٥٢٣/٢٠ - ٥٢٧).

(٢) العلو للذهبي (ص ١٩٤). (٣) المصدر السابق (ص ١٩٤).

(٤) انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، لعبد الله بن يوسف الجديع: (ص ٣٥٣).

واللغة إنما تستفاد من استعمال أهلها في كلامهم، لا تستفاد مما يذكر من الحدود والتعريفات بأن يقال: الرأس كذا... الكلام كذا، فهي مما علم ضرورة ولا تحتاج إلى تفسير شاعر^(١).

ومما يدل على تناقض القوم واتباع أهوائهم أنه إذا: «احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا: هذا خبر واحد ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام»^(٢).

ومن بدعهم جعلهم التوراة والإنجيل قبل التحريف عين القرآن، وأن الجميع كلام واحد، واللغات إنما هي عبارة عن هذا الواحد وهذا فاسد من وجوه:

أن نفس قائله عجز عن تصور ماهيته، لعدم انضباط هذا القول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأيضاً فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يشبهه كيف يجوز أن يشبهه، ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب^(٣) رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيء يعقل، بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس، والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس، فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يشبهوه»^(٤).

(١) انظر: كتاب الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ١٣٢ - ١٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٨/٧).

(٣) تقدم الكلام عنه وعن مذهبه باختصار (ص ٣٨٣) من هذا البحث.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩٦/٦).

ويعلم أن المتكلم بالألفاظ والمعاني أكمل ممن يقوم المعنى في نفسه، وهو لا يقدر على التعبير عنه، فهذا إن وجد في المخلوق الضعيف يعد نقصاً، فجبريل - على قولهم - أكمل من الله لأنه فهم المعنى وأمكنه التعبير عنه - تعالى الله عن قولهم هذا علواً كبيراً -.

- كون الأمر هو النهي، والنهي هو الخبر، مما لا يعقله عاقل، وهي على قولهم: معنى واحد، ولا يعقل عاقل عربي أن القرآن العربي لو ترجم إلى العبرانية كان توراة، والتوراة لو عربت كانت هي القرآن، وهي على قول القوم معنى واحد.

وعلى هذا يلزمهم أن تكون آية الدين هي آية الكرسي ﴿وَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]. هي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، والعلم هو القدرة، وسائر الصفات كذلك. وقال لهم جمهور العقلاء: إذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هي حقيقة الأمر، وحقيقة النهي عن كل منهي عنه، والأمر بكل مأمور به، هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه، فجوزوا أن تكون حقيقة العلم هي حقيقة القدرة، وحقيقة القدرة هي حقيقة الإرادة^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فاعترف حذاقهم بأن هذا لازم لهم لا محيد لهم عنه»^(٢).

وقال في موضع آخر: «فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي»^(٣).

فهذه مفسد قولهم بالكلام النفسي، ويضاف لما سبق بأن قولهم هذا يلزم منه أن تكون: «حقيقة الذات هي حقيقة الصفات، وحقيقة الوجود الواجب هي حقيقة الوجود الممكن، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا: الوجود واحد، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٢/٦ - ٥٢٣، ١٢/٩، ٥٢٢/٦ - ٥٢٣، ١٢/٩). وانظر:

العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص ٣٦٨ - ٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٣/٩). (٣) المصدر السابق (١٢/١٢٢).

المحدث، وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود كابن عربي الطائفي وابن سبعين وأتباعهما^(١).

ويقال لهؤلاء إنكم تقولون بأن موسى ﷺ سمع كلام الله تعالى وإن كنتم تختلفون في معنى السماع هل سمع موسى جميع الكلام أم بعضه؟ إن قلتم: إنه سمع جميع المعنى فقد قلتم الكفر؛ لأنكم ادعيتم إحاطة موسى بعلم الله تعالى وكلامه الذي لا نهاية له؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإن قلتم: سمع بعضه، فقد نقضتم أصلكم؛ لأن الكلام عندكم لا يتبعض، وهذا مما ألزمهم به جمهور العقلاء^(٢).
ويقال لهم أيضاً: أن المعنى المجرد لا يسمع باتفاق العقلاء، ومن قال بأنه يسمع فهو مكابر^(٣).

والقرآن يدل على أن موسى ﷺ سمع كلام الله تعالى، وكذلك سمع نداءه، والنداء لا يكون إلا صوتاً مسموعاً: «ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازاً»^(٤).

ويقال أيضاً: أن الله تعالى فرق بين مراتب التكليم لرسله فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَدْلٍ﴾ [الشورى: ٥١].

فإذا كان معنى واحداً فلا فرق بين تكليم الله لموسى وإيحائه لغيره، ولا بين التكليم من وراء حجاب والتكليم إيحاء؛ لأن إلهام المعنى المجرد يشترك فيه جميع الأنبياء ﷺ، ففي عد ذلك جميعاً معنى واحداً ردُّ للقرآن^(٥).

(١) المصدر السابق (٢٨٣/٩ - ٢٨٤).

(٢) انظر مناظرة الإمام أبي نصر السجزي مع بعض الأشعرية: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١١٤)؛ ومجموع الفتاوى (٢٨٣/٩)، (٤٩/١٢ - ٥٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٣٠/١٢). (٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠/١٢).

والحاصل أن كلام القوم متناقض، وشبههم سقيمة، لا تستطيع أن تقاوم الحق، الذي قال فيه ﷺ: «تركتمكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(١).

فمؤدى كلام هؤلاء الصوفية أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وأنه دال على كلام الله تعالى وليس هو كلام الله تعالى؛ لأن كلام الله - بزعهم - معنى فقط، وبالتالي فإن المقروء على الألسن والم محفوظ في الصدور والمكتوب على الأوراق ليس بكلام الله تعالى عند هؤلاء الصوفية، بل إن الكلام عندهم قديم وإن الله تعالى لم يزل متكلماً أزلاً وأبدأ، ولا يتعلق الكلام بمشيئة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته؛ فإن الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره، لا جبريل ولا غيره، وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ والكلام كلام البارئ»^(٢).

وقد جاءت نصوص كثيرة مبينة أن الله تعالى يتكلم بصوت وحرف فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا﴾ [النساء: ١٦٣] وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤ - ١٦٥].

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢٦/٤)؛ وابن ماجه في سننه: في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (ص ٢٣) برقم (٤٣)؛ والدارمي (٤٤/١ - ٤٥)؛ والحاكم في مستدركه (٩٥/١ - ٩٦)؛ والبيهقي في سننه (١١٤/١٠)؛ وابن حبان في صحيحه (١٠٤/١).
وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦١٠/٢) برقم (٩٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٨٤/١٢ - ٥٨٥).

فقد فرّق الله تعالى بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى، فمن قال: إن موسى لم يسمع صوتاً؛ بل ألهم معناه لم يفرق بين موسى وغيره، وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. فقد فرّق بين الإيحاء والتكلم من وراء حجاب كما كَلَّمَ الله موسى، فمن سَوَّى بين هذا وهذا كان ضالاً^(١).

وأما قولهم: إن كلام الله تعالى قديم ولا تعلق له بمشيئته تعالى فقد بيّن أئمة الإسلام الحق في هذه المسألة بما دلّت عليه نصوص الشرع: «وقد قال الإمام أحمد رحمته وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلماً إذا شاء. وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَتْمِسِقُ﴾ [طه: ١١]. فناداه حين أتاه ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى: ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِمَرْوٍ فَلَمَّا دَافَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَكُمَا سَوَاءُهُمَا وَطِغْيَا يُخَيِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]. فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. بعد أن خلق آدم وصوّره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. فأخبر أنه قال له: كن فيكون بعد أن خلقه من تراب ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقال: «نبدأ بما بدأ الله به»^(٢). فأخبر

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٢٢٠) برقم (١٩٠٥)؛ والترمذي في سننه: كتاب الحج، باب ما جاء أنه يبدأ بالصفا قبل المروة (ص ١٥٩) برقم (٨٦٢)؛ والنسائي في سننه: كتاب مناسك الحج، باب القول بعد ركعتي الطواف (ص ٣١٤) برقم (٢٩٦١)، (٢٩٦٩)، (٢٩٧٤)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٣٣٣) برقم (٣٠٧٤)؛ والدارمي في سننه (٢/٤٥ - ٤٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته في الإرواء (٤/٣١٧).

أن الله بدأ بالصفا قبل المروة»^(١).

وسبب قولهم بأن كلام الله قديم، ظنهم أنه قديم العين، فقالوا هو معنى واحد، الأمر بكل مأمور والنهي عن كل منهي، والخبر بكل مخبر، إن عبّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبّر عنه بالعبرية كان تورا، وهذا القول مخالف للشرع والعقل.

وكذا لم يفرقوا بين نوع الكلام والفعل وبين عينه، فنوع الكلام قديم، وإن كان كل من آحاده حادثاً.

وهؤلاء الصوفية حقيقة مذهبهم في هذا الباب هو موافقة الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم أنه تعالى متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته، وأنه لا تقوم به الأمور الاختيارية وأنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض، ولا يأتي يوم القيامة ولم يناد موسى حين ناداه ولا تغضبه المعاصي ولا ترضيه الطاعات ولا تفرحه توبة التائبين، فكان منتهى أمرهم إلى التعطيل^(٢).

والخلاصة في هذه المسألة وفي غيرها من الصفات أن: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، وإنما ناداه حين أتى؛ لم يناده قبل ذلك، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، أن أقوال أهل التعطيل والاتحاد، الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات أو الصفات باطلة»^(٣).

وكذلك فإن مذهب: «سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٨٨ - ٥٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٥٩٤). (٣) المصدر السابق (١٢/٥٩٨).

بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته ليس مخلوقاً بائناً عنه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الأمة إن كلام الله مخلوق بائن عنه، ولا قال أحد منهم أن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا إن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية، بل قالوا: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، فكلامه قديم بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكلمات الله لا نهاية لها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِي لَئِنْ نَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفْذَ كَلِمَاتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية، فالقرآن العربي كلام الله كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. إلى قوله: ﴿لِسَانُ عِزِّكَ مُبِيتٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، فقد بين سبحانه أن القرآن الذي يبذل منه آية مكان آية نزله روح القدس وهو جبريل^(١).

وهذا مذهب الإمام الشافعي - الذي يدعي القوم الانتساب لمذهبه - فقد نقل ذلك المنتمون لمذهبه رحمه الله جاء في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية: «قول إمام الشافعية في وقته بل هو الشافعي الثاني أبي حامد الأسفرائيني^(٢) - رحمه الله تعالى - كان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات قال: مذهبي ومذهب الشافعي - رحمه الله تعالى - وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله تعالى وحمله إلى محمد عليه السلام، وسمعه النبي عليه السلام من جبرائيل عليه السلام وسمعه

(١) مجموع الفتاوى (٣٧/١٢ - ٣٨).

(٢) هو أبو حامد أحمد بن أبي طاهر بن محمد بن أحمد الأسفرائيني، الفقيه الشافعي، انتهت إليه الرياسة في بغداد، كان يحضر مجلسه ثلاثمائة فقيه. كانت ولادته سنة ٣٤٤هـ، وقدم بغداد سنة ٣٦٤هـ ودرس الفقه بها من سنة ٣٧٠هـ إلى أن توفي بها سنة ٤٠٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٦٨/٤)؛ ووفيات الأعيان (٧٢/١ - ٧٤).

الصحابه عليهم السلام من محمد عليه السلام وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله تعالى ليس بمخلوق ذكره في كتابه في أصول الفقه ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الأجوبة المصرية^(١).

«فلا يجوز أن يقال ليس في المصحف كلام الله ولا ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَأْمَرٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾»، ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله والأصل الحقيقة، ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً^(٢).

ويرد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله عليه السلام: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»^(٣). وقال عليه السلام: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن ما أحدث: أن لا تكلموا في الصلاة»^(٤).

واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام، وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»^(٥)، فقد أخبر أن الله عفا

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٩٢/١) ت: عواد المعتقد. وانظر مخالفة أبي حامد الأسفرائيني للأشعرية في مسألة القرآن: شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٣٦)، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ، دار الحديث، القاهرة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ص ٢١٦) برقم (٥٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٧٧/١، ٤٣٥، ٤٦٣) أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب رد السلام في الصلاة (ص ١١٨) برقم (٩٢٤)؛ وأخرجه النسائي في سننه: كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة (ص ١٤٥) برقم (١٢٢٠). وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٣٨٤/١) برقم (١٨٩٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره (ص ١٠٤٣) =

عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب، وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»^(١)، فبين أن الكلام إنما هو باللسان»^(٢).

المطلب الخامس

قول صوفية حضرموت في مسألة الرؤية

تمهيد:

السلف الصالح يقولون بما تواترت به النصوص بأن المؤمنين يرون ربهم في المحشر، وكذا في الجنة - من فوقهم - بأبصارهم كما يليق بجلال الله وعظمته.

هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك منها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ نَافِثَةُ﴾^(١) إِلَى رَبِّهَا نَظَرَةٌ^(٢) [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وقد عُذِيَ الفعل نظر بـ(إلى) فيكون معناه المعاينة بالأبصار وذلك كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. حيث أضيف النظر إلى الوجه الذي هو محل البصر، وقد فهم هذا المعنى علماء السلف رحمهم الله تعالى^(٣).

= برقم (٥٢٦٩) ويرقم (٢٥٢٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (ص٦٧) برقم (١٢٧).

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (ص٤٢٥) برقم (٢٦١٦)؛ والنسائي في الكبرى برقم (١١٣٩٣)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (ص٤٢٧) برقم (٣٩٧٣). وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (١١٥/٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٩٨/١ - ١٩٩).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٠٩) ط ٣ عالم الكتب.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(١) [المطففين: ١٥].

يقول الإمام ابن القيم عن هذه الآية: «وجه الاستدلال بها أنه ﷺ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله ﷺ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٢) قال: فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة. وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٣)؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى قال الربيع^(٤) فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله ﷻ.

ورواه الطبري في شرح السنة^(٥)... وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٦) ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله ﷻ^(٧).

ووردت أحاديث كثيرة في السنة تثبت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة نورد منها حديثين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم

(١) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي المؤذن، المصري مولاهم، إمام محدث فقيه، ولد سنة ١٧٤ هـ تقريباً، وصحب الإمام الشافعي، ونقل علمه وروى كتبه. توفي سنة ٢٧٠ هـ. أخرج حديثه أصحاب السنن. انظر: الجرح والتعديل (٤٦٤/٣)؛ وتهذيب الكمال (٨٧/١٢ - ٨٩)؛ والسير (٥٨٧/١٢ - ٥٩١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكاني الطبري (٥١٩/٣) برقم (٨١٠).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح أو صفة الجنة، للإمام ابن القيم (ص٣٦٨ - ٣٦٩)، حققه وعلق عليه: علي الشريجي وقاسم النوري.

القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟» قلنا: لا. قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» الحديث^(١).

وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ»^(٢).

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في مسألة الرؤية:

أول القوم كعادتهم صفة الرؤية بتأويلات غريبة، لا يقبلها العقل فضلاً عن النقل، جاء في كتاب المقصد النفيس: «وأن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة قبل دخول الجنة وبعده حق بأن ينكشف انكشافاً تاماً منزهاً عن المقابلة والجهة...»^(٣).

وجاء في كتاب نيل المرام: «واعلم أن الله تعالى يرى لا في مكان ولا جهة ولا باتصال شعاع ولا ثبوت مسافة بين الرائي وبينه تعالى بل على الوجه الذي يليق بقدسيته وجلاله سبحانه»^(٤).

وهذا القول ملفق حيث يقولون بالرؤية إلى غير جهة، وهذا ما عليه أغلب الأشاعرة المتأخرين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الذين قالوا إن الله يرى بلا مقابلة هم الذين قالوا إن الله ليس فوق العالم، فلما كانوا مثبتين للرؤية نافين للعلو احتاجوا إلى الجمع بين هاتين المسألتين وهذا قول طائفة من الكلابية والأشعرية، وليس هو قولهم كلهم بل ولا قول أئمتهم»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافِرُونَ﴾ إلى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (ص ١٤١٨) برقم (٧٤١٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ص ١٠٠) برقم (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ (ص ٩٩) برقم (١٨١).

(٣) المقصد النفيس (ق ١٠).

(٤) نيل المرام (ص ٨٢).

(٥) منهاج السنة (٣/٣٤٢).

تقديم العقل على النقل عند صوفية حضرموت:

قدّمت صوفية حضرموت العقل على النقل في أعظم الأمور وهو توحيد الأسماء والصفات، وكثرت نصوصهم في ذلك منها ما جاء في كتاب الدر الثمين: لسالم باحطاب الحضرمي:

«س: ما منزلة علم المعقول من تلك العلوم الشرعية؟

ج: نعم هو محتاج إليه في أدلة العقائد التوحيدية: إذ المعتبر في أدلتها إنما هو الدليل العقلي عند تعارضه مع الدليل النقلی، فعلم من ذلك أن من جمع جميع العلوم الدينية والأدبية والعقلية فقد جمع الشرف كله أجمع، ومن أدرك البعض منها فقط فقد أخذ من الشرف بقدر ما أدركه منها، فإن علم الكل وعمل به فهو حينئذ من ورثة الأنبياء في الدنيا والله ولي الهداية والتوفيق»^(١).

وهذا الكلام هو مذهب الأشاعرة من تقديم العقل على النقل عند التعارض - بزعمهم - وهذا هو الذي قرره الرازي والجويني وغيرهما في أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع^(٢).

وبناء على هذا التعقيد عند القوم ردوا كثيراً من الصفات بحجة أن العقل لم يشبها، وتمادوا في الباطل حتى ردوا كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ بحجة أنها أخبار آحاد وهي ظنية، بينما أفكارهم - بزعمهم - وما تمليه عليهم عقولهم قطعية كما سيأتي.

موقف صوفية حضرموت من خبر الآحاد:

تمهيد:

مذهب السلف أن خبر الآحاد إذا صح عن رسول الله ﷺ، فهو حجة في باب الاعتقاد ويجب قبوله، قال الإمام ابن عبد البر القرطبي: «وأجمع أهل

(١) كتاب الدر الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين، لسالم باحطاب الحضرمي (ص ٧٦).

(٢) انظر: كتاب الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ص ٢٥ - ٣٧)؛ وأصول الدين، لفخر الدين الرازي (ص ٢٤).

العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو أجماع على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافاً^(١).

ويأتي في مقدمة هذه الأحاديث ما تلقته الأمة بالقبول؛ كالصحيحين وغالب ما يروى في باب الاعتقاد من هذا النوع. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولهذا كان الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم»^(٢).

ومن الأدلة على حجية خبر الأحاد أن رسول الله ﷺ كان يرسل الصحابي الواحد ليلبغ دين الله تعالى، فقد أرسل معاذاً إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام^(٣)، فالحجة قائمة بقبول خبره عن رسول الله ﷺ ولو لم يكن هذا حجة لأرسل جماعات وأفراداً بدلاً من أن يرسل واحداً فقط^(٤).

وعدم الأخذ بخبر الواحد هو في الأصل بدعة المعتزلة، أتوا بها ليردوا ما يخالف أهواءهم من أحاديث رسول الله ﷺ والاقتصار على ما استحسنته عقولهم^(٥).

وقد ردَّ صوفية حضرموت كثيراً من الصفات تبعاً للمتكلمين الذين لا يأخذون بخبر الأحاد في باب الأسماء والصفات؛ لأنه يفيد الظن بزعمهم.

وهكذا وصفوا - بجرأة - كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ بأنه ظني، وكلام البشر وأفكارهم المضطربة في أمور الغيب بأنها قطعية، ولو أنهم عكسوا القضية لأصابوا الحق ولسلكوا سواء السبيل، طريق العصمة لأنهما وحي من الله

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢/١). وانظر: كلام الإمام الشافعي في حجية خبر الواحد في كتابه «الرسالة» (ص ٣٦٩ وما بعدها) برقم (٩٩٩) تحقيق وشرح الشيخ: أحمد محمد شاكر، ط المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (٤٠/١٨).

(٣) وحديثه في الصحيحين وقد تقدم تخريجه (ص ٣٢) من هذا البحث.

(٤) انظر: الرسالة، للإمام الشافعي (ص ٤١٢).

(٥) انظر: الاعتصام، للشاطبي (٢٣٢/١).

تعالى لا يتطرق إليهما الخطأ أبداً، الأمر الذي يوجب التمسك بهما وترك ما سواه من آراء البشر، قال جلّ في علاه: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ (١) لا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٢) [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وقد جاءت أدلة كثيرة في حجية خبر الأحاد في العقيدة والأحكام منها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِ مَا فَعَلْتُمْ سَتَرْنَا عَنْكُمْ﴾ [الحجرات: ٦].

ومن السنة قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»^(١). ووجه الاستشهاد من الحديث أنه ﷺ لم يفرق بين أنواع الحديث.

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»^(٢).

النصوص الدالة على عدم أخذ صوفية حضرموت بخبر الأحاد:

جاء في كتاب موجز الكلام شرح منظومة العوام: «... فإن قيل: كيف هذا مع أن النبي ﷺ أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار؟... فإن بعض

(١) رواه الحاكم في المستدرک (١/١٧٢) برقم (٣١٩)؛ والدارقطني في سننه (٤/٢٤٥) برقم (١٤٩)؛ والبيهقي في سننه (١٠/١١٤). انظر: السلسلة الصحيحة (٤/٣٦١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٢٦)؛ وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (ص ٥٠٤) برقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (ص ٤٣٣) برقم (٢٦٧٦)؛ بن ماجه في سننه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (ص ٢٢) برقم (٤٢)؛ والحاكم في المستدرک (١/٩٥ - ٩٦) والبيهقي (١٠/١١٤)؛ وابن حبان في صحيحه (١/١٠٤)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني. انظر: الإرواء (٨/١٠٧) برقم (٢٤٥٥).

الصحابة سألوه ﷺ فقال: أين أبي؟ قال: «في النار»^(١). أجيب بأن أحاديثهم آحاد وهي لا تعارض القطعي، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]^(٢).

وجاء في كتاب موجز الكلام: تحت عنوان (حكم أبوي النبي ﷺ): «إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه ﷺ ناجون لكونهما من أهل الفترة بل جميع آبائهم ﷺ وأمهاتهم ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية بأدلة نقلية كقوله تعالى: ﴿وَقَبَّلَكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الشعراء: ٢١٩]... والأحاديث المروية في أبويه ﷺ متعارضة مروية آحاد فلا تعويل عليها في الاعتقادات وما يرد من شأن أزر يصرف إلى أنه لم يكن أباً لإبراهيم عليه السلام بل عمه، أما أبوه فتارح، لذا ينبغي اعتقاد أن آباه ﷺ من لدن آدم عليه السلام كلهم مؤمنون...»^(٣).

وهذا تحكم من القوم حيث يردون النصوص بأهوائهم من غير ذكر سلف لهم في هذه المسألة من الصحابة وأتباعهم بإحسان، وأنى لهم ذلك؟ ثم ما وجه استشهاده بالآية في هذا المكان؟

ولذا فإن القول الصحيح أن «خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة وهو أحد قسمي المتواتر ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»^(٤).

ويرد عليهم بأن العلماء ساروا على هذا المنهج وهو أن الخبر: «الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء، ومن الناس من يسمى هذا المستفيض، والعلم هنا حصل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان أن مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين (ص ١١٣) برقم (٢٠٣) ولفظه: عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين أبي؟ قال: «في النار» فلما فقي دعاء، فقال: «إن أبي وأباك في النار».

(٢) موجز الكلام شرح منظومة العوام (ص ٣٥).

(٣) موجز الكلام شرح منظومة العوام (ص ٣٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠).

بإجماع العلماء على صحته فإن الإجماع لا يكون على خطأ، ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية، وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام»^(١).

ومجازفة القوم في هذه الأمور بمجرد الهوى والعاطفة أمر محرم لا يجوز؛ لأنه من القول على الله تعالى بلا علم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُبَيِّنْ لَهُ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله: إن أهل الفترة ناجون غير مسلم؛ لأن الصحيح في حكمهم أنهم يمتحنون يوم القيامة ودليله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة كلهم يدلي على الله يوم القيامة بحجة وعذر: رجل هلك في الفترة، ورجل أدرك الإسلام هرمًا، ورجل أصم أبكم، ورجل معتوه، فبيعت الله إليهم ملكاً رسولاً فيقول: أطيعوه فيأتيهم الرسول فيؤجج لهم ناراً فيقول: اقتحموها فمن اقتحمها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لا، حقت عليه كلمة العذاب»^(٢).

وكذلك فقد جاء حديث صحيح في مصير أبي طالب عم النبي ﷺ فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٤٤)؛ وابن حبان برقم (١٨٢٧). انظر: السلسلة الصحيحة

(٣/ ٤١٨ - ٤١٩) برقم (١٤٣٤).

فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنَّه عنك». فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. وأنزل الله تعالى في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]..

ففي هذه الأحاديث الصحيحة الحكم الفصل في أبوي النبي ﷺ وكذا عمه، وهذا الحكم لا يجوز أن يُعقَّب عليه من أي أحد من الخلق لأنه حكم صادر عمن قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]. ففي حديث أبي هريرة طلبه ﷺ من ربه الاستئذان للاستغفار لأنه فلم يؤذن له، وحديث المسبب يبين لنا أن المشركين هم الذين نهى الله تعالى أن يستغفر لهم بقوله: ﴿قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]. فيتضح من ذلك أن النبي ﷺ نهى عن الاستغفار لأمه، ولو كانت مؤمنة لما نهى.

وأما زيارتها كما في الحديث: «فإنها تذكر بالآخرة»، بخلاف زيارة قبور المؤمنين فإنها مع أن الزائر يتذكر بها الآخرة، فإنها شرعت للدعاء والاستغفار لهؤلاء الأموات، كما كان يفعل ﷺ عندما يزور أهل بقيع الغرقد.

ولا يجوز لأحد أن يصادم النصوص بعضها ببعض لأن هذه طريقة أهل الزيغ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. وقولهم بنجاة جميع آباء النبي ﷺ قول غير صحيح، يرده حديث المسبب السابق ذكره والذي فيه حرص النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب للإسلام حين حضرته الوفاة، بأن يقول لا إله إلا الله ويترك ملة آبائه، فقال أبو طالب: هو على ملة عبد المطلب، فدل على أن ملة عبد المطلب غير ملة الإسلام.

بل ودلت النصوص على أن أبا طالب من أهل النار لأنه مات على ملة الكفر، فقد ثبت في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال:

«نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(١).

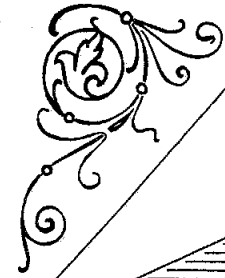
وأقوال العلماء كثيرة في هذه المسألة مقررة لما ذكر، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين». قوله: «أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار» فلما قضى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار». فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم»^(٢).

وأما قوله: وما يرد من شأن آزر يصرف إلى أنه لم يكن أباً لإبراهيم ﷺ بل عمه، أما أبوه فتارج فهذا تحكم بلا دليل، فهلا ذكر دليله في ذلك ونقل كلام المفسرين، وأما الدعوى فما أسهلها، لكن العبرة بالبينة، والمفسرون على أن آزر هو أبو إبراهيم ﷺ، وقد مات آزر على الشرك^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (ص ٧٣٦) برقم (٣٨٨٣)؛ وبرقم (٦٢٠٨، ٦٥٧٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ، لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (ص ١١٤) برقم (٢٠٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٤/٣) ط ٥، دار المعرفة.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٢٨١/٧ - ٢٨٢)؛ وتفسير ابن كثير (١٦٨/٢).



الفصل الثالث

قولهم في توحيد الألوهية ومناقشتهم فيه

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريفهم لمعنى لا إله إلا الله.

المبحث الثاني: قولهم في الدعاء والشفاعة.

المبحث الثالث: قولهم في التوسل.

تمهيد

قبل البدء في الكلام عن مباحث هذا الفصل نبين معنى توحيد الألوهية، والفرق بينه وبين توحيد الربوبية، وذلك لجهل الصوفية بهذا التوحيد والفرق بينه وبين توحيد الربوبية الأمر الذي أدى بهم إلى الوقوع في الشرك والمخالفات الشرعية - كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى -.

تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعاً:

مر معنا تعريف التوحيد لغة وشرعاً، ونُعرّفها هنا معنى توحيد الألوهية، والذي هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة التي يقرّ بها أهل السنة والجماعة.

الألوهية لغة: مصدر ألّه يألّه، قال الجوهري^(١): ألّه - بالفتح - إلهة، أي عبد عبادة... ومنه قولنا: الله، وأصله: إله على فَعَال بمعنى مفعول أي معبود، كقولنا: إمامٌ فَعَالٌ؛ لأنه مفعول أي مؤتم به^(٢).

واصطلاحاً: هي صفة لله تعالى لا يستحقها أحد غيره، قال ابن عباس رضي الله عنه: «الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»^(٣).

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، من كبار أئمة اللغة والأدب، يضرب به المثل في ضبط اللغة وجودة الخط، أشهر مؤلفاته الصحاح. توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ وقبل غير ذلك. انظر: إنباه الرواة، للقفطي (٢٢٩/١ - ٢٣٣) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند؛ ومعجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، لياقوت الحموي (٦٥٦/٢ - ٦٦١) تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ والسير (٨٠/١٧ - ٨٢).

(٢) الصحاح للجوهري (٢٢٢٣/٦) مادة: (ألّه) تحقيق: أحمد عبد الغفور.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥٤/١)، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٨هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له»^(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «هو أفراد الله بالتأله»^(٢) وقال أيضاً مبيناً أهمية هذا التوحيد: «فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين ونجاة المكرويين، وغياث الملهوفين، وحقيقته أفراد الربّ سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع»^(٣).

وهذا التوحيد حق خالص لله تعالى لا بد من تجريده لله جلّ وعلا: وتجريد التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئاً من حق الخالق وخصائصه^(٤).

ويسمى هذا التوحيد بتوحيد العبادة، ويجب أفراد الله تعالى بأجناس العبادة وأنواعها الظاهرة والباطنة، من غير إشراك به في شيء منها مع الاعتراف بكمال ألوهيته^(٥).

الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

يبين أهل العلم - رحمهم الله - أن التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الألوهية.

فالأول هو إثبات ذات الربّ وصفاته وأفعاله وأسمائه، فتوحيد الربوبية

(١) مجموع الفتاوى (١٠١/٣).

(٢) شفاء العليل لابن القيم (ص ١٣٩)، ط ١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: لابن القيم (ص ٥٠٧)، تحقيق: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة. وانظر الأسماء التي أطلقها أهل العلم على هذا التوحيد: بيان تلبس الجهمية (٤٧٩/١)؛ ومدارج السالكين (٣٣/١)؛ وتوضيح المقاصد «شرح النونية» (٢/ ٢١٠)؛ وشرح الطحاوية (ص ٨٨).

(٤) انظر: الروح لابن القيم (ص ٣٥٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٢هـ.

(٥) انظر: قرة عيون الموحدين: لعبد الرحمن بن حسن (ص ١١)، دار الصميعي، ط ١٤٢٠هـ. وانظر: التوضيح والبيان لتوحيد الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص ١٤)، دار عالم الفوائد، ط ١٤٢٠هـ.

هو توحيد العبد ربه ﷻ بأفعاله الصادرة منه، كالخلق والرِّزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر والنفع والضرر وتدبير جميع الأمور إلى غير ذلك من أفعال الرب ﷻ، وكانت جاهلية العرب مقربين ومعترفين أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء وإعدامه، وأن النفع والضرر بيده، وأنه رب كل شيء ومليكه.

إذا عرف العبد توحيد الربوبية فلا ينفعه ذلك حتى يخلص العبادة لله ولا يشرك معه في عبادته أحداً، فمن دعا الله ودعا معه غيره فهو مشرك، فالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والإنابة والخشوع والخضوع والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه هي له ﷻ فمن صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير ممن يدعو ويرجوه أو لم يعتقد ذلك فيه. لذا وقع الجاهل بتوحيد الألوهية في الشرك لعدم معرفتهم لمعنى لا إله إلا الله؛ لأنهم يزعمون أن من قال: لا إله إلا الله وأقر أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، النافع الضار، المدبر لجميع الأمور لا يضره الشرك في العبادة - بزعمهم -؛ لأنهم لا يعتقدون أن لمن يدعو ويستغيثون به ويلجأون إليه من الأنبياء والأولياء والصالحين تأثير مستقل في شيء منهم بإيجاد نفع أو ضرر بل يعتقدون أن الله هو المنفرد بالإيجاد والإعدام والنفع والضرر، وأنه لا مشارك له في ذلك^(١).

وتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية وباب إليه، ولذا كانت قاعدة القرآن الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]. لأن الرب الكامل في ربوبيته هو المستحق للعبادة دون سواه ومن لا ربوبية له لا حق له في العبادة.

(١) انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، لسليمان بن سحمان النجدي (ص ٢٠٦ - ٢٠٧)، دار العاصمة ط ١، ١٤٠٩ هـ.

المبحث الأول

تعريفهم لمعنى لا إله إلا الله

تمهيد

إن المعنى الشرعي لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عند أهل السنة والجماعة ما ذكره أهل العلم وهو: لا معبود بحق إلا الله^(١).

ويشهد لهذا التعريف القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝﴾ [الحج: ٦٢].

فمعنى لا إله إلا الله يتضمن أن تكون العبادة لله تعالى فلا يشاركه فيها أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

شروط لا إله إلا الله:

وهذه الكلمة العظيمة لا بد لها من شروط حتى تنفع صاحبها، وقد ذكرها أهل العلم في مؤلفاتهم^(٢) وهذه الشروط:

الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]..

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٥٢)؛ ومعارج القبول للشيخ حافظ حكيم (٢/ ٤١٦).

(٢) انظر هذه الشروط: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ١٣ - ١٤)؛ ومعارج القبول لحافظ حكيم (٢/ ٤١٨ - ٤٢٤)؛ والتوجيهات الإسلامية لمحمد جميل زينو (١/ ٢٤٨ - ٢٥٠).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلَّهِ نَارِكُونَ لِإِشَاعِهِ نَحْنُ ﴿٢٦﴾
[الصفات: ٣٥ - ٣٦].

الشرط الرابع: الانقياد والاستسلام: قال تعالى: ﴿وَأَذِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ
وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب: قال ﷺ: «ما من أحد يشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على
النار» الحديث^(١).

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك: قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة الطيبة المنافية للبغض: قال ﷺ:
«ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه
مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر
بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»^(٢).

تعريف العبادة:

مرّ معنا أن مادة أله يأله إلهة تعني: عبد يعبد عبادة، ولجهل وانحراف
صوفية حضرموت في معنى العبادة، نبين معنى العبادة من كلام أهل العلم
المستند إلى نصوص الكتاب والسنة.

جاء في لسان العرب: «أصل العبودية الخضوع والتذلل»^(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال
المحبة والخضوع والخوف»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم (ص ٥٠)
برقم (١٢٨)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد
دخل الجنة (ص ٤٧) برقم (٣٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٩٧) من هذا البحث.

(٣) لسان العرب (٣/٢٧١)، مادة: (عبد).

(٤) تفسير ابن كثير (١/٢٥)، ط دار التراث.

فمن خلال هذين النقلين لتعريف العبادة يتبين لنا أن العبادة تقوم على
ركنين هما: كمال المحبة مع كمال الذل والخضوع.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عن أهمية هذه الأركان وضرورة
توفرها في العبادة: «العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله،
فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من
هذين الأمرين أو أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا
يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»^(١).

ويعرّف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العبادة بأنها اسم جامع لكل ما
يحببه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة^(٢)، ويدخل هذا
التعريف في المعنى الثاني للعبادة وهو المتعبد به^(٣).

شروط قبول العبادة:

اعلم أن أي عبادة لا يقبلها الله تعالى حتى تستوفي شرطين ذكرهما أهل
العلم باستقراء نصوص الكتاب والسنة وهما:

١ - الإخلاص لله ﷻ.

٢ - المتابعة للرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجماع الدين أصلاً: أن لا نعبد
إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وذلك تحقيق الشهادتين - شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً
رسول الله - ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو
رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره»^(٤).

(١) الحق الواضح المبين، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) العبودية (ص ٣٨).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٤ - ١٥).

(٤) العبودية (ص ١٧).

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة:

العبادة هي ذات القرية أو فعلها، وأما توحيد فصرفها لله وحده لا شريك له^(١).

ومما تقدم حول مسألة العبادة ومن خلال النصوص التي سنوردها عن صوفية حضرموت يتضح عدم معرفة صوفية حضرموت لمعنى العبادة التي خلقوا لأجلها ولم يعرفوا سوى توحيد الربوبية الذي عرفه مشركو قريش ولم يدخلهم في الإسلام حتى يقروا بعبادة الله تعالى ويعبدوه جلّ وعلا وحده، ويعلنوا البراءة مما عداه من الآلهة الباطلة، بل إن كبار صوفية حضرموت انحرفوا كذلك في توحيد الربوبية - كما تقدم -.

* المطلب الأول *

انحراف صوفية حضرموت في تعريف التوحيد وحكمه

انحرافهم في تعريف التوحيد:

تعريفهم للتوحيد:

عرف أهل العلم هذا التوحيد بأنه: إفراد الله بالعبادة، وقيل هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان^(٢).

وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله بتعريف جامع ذكر فيه حد هذا التعريف، وتفسيره وأركانه، فقال: «فأما حده وتفسيره وأركانه فهو: أن يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى.

فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفرد بالعبادة كلها؛ الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج،

(١) رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص ١٦٦).

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، للشيخ حافظ حكيم (ص ٤٠).

والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقول بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره الله.

ولا يقصد غرضاً من الأغراض غير رضا ربه، وطلب ثوابه، متابِعاً في ذلك رسول الله ﷺ.

فعقيدته ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه وآدابه، والاقتداء بنبيه ﷺ في هديه وسمته وكل أحواله^(١).

وقد شرح الشيخ محمد خليل هراس^(٢) أركان توحيد الألوهية التي ذكرها الإمام ابن القيم في نونيته وهي قوله:

فلواحد كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والإيمان
فقال: «إذا كان الإخلاص هو توحيد المراد بالعبادة وهو الله ﷻ بحيث لا يبقى في القلب مراد آخر يزاحمه، فالصدق هو توحيد الإرادة وهو بذل الجهد في طلب المراد والتفاني في خدمته سبحانه بلا كسل ولا فتور، وتوحيد الطريق وهو المتابعة للسنة القويمة بلا تزيد ولا ابتداء.

وهذا معنى قول المصنف (فلواحد كن واحداً في واحد) أي فلواحد

(١) الحق الواضح المبين (ص ١١٢ - ١١٣)؛ والفتاوى السعدية (ص ٩ - ١٠).

(٢) هو العلامة المحقق محمد خليل هراس، ولد بطنطا في مصر سنة ١٩١٦م، وتخرج من الأزهر في الأربعينات، وحاز على الشهادة العالية (الدكتوراة) في التوحيد والمنطق، وعين أستاذاً بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ثم أعير إلى المملكة العربية السعودية، ودرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم أعير مرة أخرى ليرأس شعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا بالجامعة المذكورة. عاد إلى مصر وشغل منصب نائب رئيس جماعة أنصار السنة ثم صار الرئيس العام لها. من آثاره: كتاب ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح القصيدة النونية لابن القيم وغيرها. توفي سنة ١٩٧٥م وقد بلغ الستين. انظر: مقدمة الشيخ علوي السقاف لشرح العقيدة الواسطية لهراس (ص ٤١ - ٤٢)، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الهجرة، الرياض.

وهو الله ﷻ، وهذا هو توحيد المراد، «كن واحداً» في عزيمتك وصدقك وإرادتك وهذا هو توحيد الإرادة، في واحد وهو: متابعة الرسول الذي هو طريق الحق والإيمان. فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص من كمال سعادته إلا بقدر نقصه من واحد منها^(١).

وقد اضطربت صوفية حضرموت في تعريف هذا التوحيد، فعرفه بعضهم بقوله. «فالتوحيد أفراد الوجهة، والإخلاص لتصفيته، فهو كهو، وهو هي، فافهم الإشارة»^(٢).

ويقول أحمد بن عبد القادر باعشن في تعريف التوحيد: «وحقيقة التوحيد: تمييز الحق عن مخلوقاته وارتفاعه عن أرضه وسماواته، واشتماله على جميع كائناته لعزة كنهه أسمائه وصفاته، وقدمها كقدم ذاته فهذا معنى توحيدة وتفريده»^(٣)، ومما يدل عدم معرفة القوم للتوحيد الذي بعثت به الرسل وأنزلت لأجله الكتب ما جاء في (تاريخ الشعراء الحضرميين): عند ذكر خطبة لطاهر بن حسين بن طاهر العلوي^(٤) (ت ١٢٤١هـ): حيث جاء فيها: «أما بعد: فاعلموا أيها الناس أن الأصل والأساس هو معرفة المعبود قبل العبادة، وذلك حقيقة معنى الشهادة فمن شهد الله بالقدم والوجود وأنه الخالق الرازق لكل موجود وأنه بديء منه واليه يعود وأنه منعوت بنعوت الجلال والجمال منزّه عن كل نقص أو ما ليس بكمال مباين لكل ما يسنح في خيال، وشهد أنه أرسل

(١) شرح القصيدة التونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس (١/١٣٤)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(٢) الفوز والبشرى، لشيخ العيدروس (ص ٦٦ - ٦٧).

(٣) البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزّه المريد من كلام العارف بالله أبي مدين، لأحمد بن عبد القادر باعشن (ص ١٦)، طبع بمصر، سنة ١٣٠٠هـ.

(٤) هو طاهر بن حسين بن طاهر العلوي ولد بتريم سنة ١١٨٤هـ، وهو من الشخصيات السياسية بحضرموت، وقد سعى للحكم وبابيه الناس وعمره ٣٦ عاماً. ولكن لم يتم له ما أراد، فاتجه للتدريس والتصوف. توفي في المسيلة سنة ١٢٤١هـ. انظر: التعليقات على شمس الظهيرة (٢/٥٨٧ - ٥٨٩).

سيدنا محمداً ﷺ بدين الإسلام إلى كافة الأنام فقد اتصف بخالص التوحيد وانتظم في الموحدين من العبيد^(١).

وهذا تعريف قاصر على توحيد الربوبية فقط، أما توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا معرفة ولا اهتمام للقوم به.

وجاء في كتاب (إتحاف النبيل): عند شرح حديث جبريل المشهور: «قال: أن تؤمن بالله» فسره بمتعلقاته؛ لأن لفظه معلوم لهم كما في الإسلام، أي بأن تصدق بأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له وأنه قديم منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها^(٢).

ويقول علوي بن طاهر الحداد في تعريفه للتوحيد: «أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو مقرر في كتب التوحيد»^(٣).

ففي هذين النصين يتبين لنا موافقة صوفية حضرموت للمتكلمين^(٤) في تعريفهم التوحيد، فقولهم: أن الله واحد في ذاته، فتعريفهم للواحد هو شيء لا يتصوره ولا يعقله الناس، فإنهم لا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه^(٥).

بل يمكن أن يكون الأمر عليهم لا لهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إذا قال القائل: دلالة القرآن على نقيض مطلوبهم أظهر، كان قد قال الحق، فإن القرآن نزل بلغة العرب، وهم لا يعرفون الواحد في الأعيان إلا ما كان متصفاً بالصفات، مبايناً لغيره مشاراً إليه وما لم يكن مشاراً إليه أصلاً ولا مبايناً لغيره، ولا مداخلاً له فالعرب لا تسميه واحداً ولا أحداً بل ولا تعرفه فيكون الاسم الواحد والأحد دل على نقيض مطلوبهم منه لا على مطلوبهم»^(٦).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (٣/١١٧) باختصار.

(٢) إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل (ص ٤٦).

(٣) عقود الألماس (١/٤٩).

(٤) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص ٩٠).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/١١٤ - ١١٦).

(٦) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/١١٤ - ١١٦).

ومن المعلوم أن هناك فرقاً في تعريف المتصوفة للتوحيد وتعريف المتكلمين.

وبما أن صوفية حضرموت قد جمعت بين التصوف والأشعرية، فإن الكلام عنهم يتضح بأنهم قد سلكوا في جانب العبادة مذهب المتصوفة فلم يعرفوا توحيد الألوهية الذي أرسلت به الرسل وأنزلت لأجله الكتب، لذا وقع بعضهم في الشرك الأكبر؛ من صرف العبادات لغير الله تعالى؛ لأنهم يرون أن من اعتقد أن الله الخالق الرازق فهو موحد وإن وقع في الشرك الكبير - كما سيأتي من نصوصهم - مع أن القرآن من أوله إلى آخره يدعو لهذا التوحيد.

وكان غاية المتصوفة الوصول إلى الفناء والترقي في المقامات دون التعويل على معرفة العبادة التي خلقوا لها، بل أدى بغلاتهم إلى القول بوحدة الوجود إذ هي الغاية التي يسعى إليها المريد.

كما إن التوحيد عندهم أي المتصوفة توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

والكلام على صوفية حضرموت من جهة كونهم تبعوا المتكلمين فإن لهم في التوحيد طرقاً أخرى، حيث رأوا أن أول واجب على المكلف هو النظر كما سيأتي، وتقدم سلوكهم مذهب الجهمية والمعتزلة - سلف الأشاعرة - في تأويل الصفات، وعند المقارنة بين أقسام التوحيد عند أهل السنة وعند هؤلاء نجد أن توحيد الربوبية عند أهل السنة يقابله توحيد الأفعال عند المتكلمين؛ لأن المعنى المراد منها واحد وهو أفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية من الخلق والرزق والتدبير، ويزيد أهل السنة، والانفراد بالملك والسيادة المطلقة، وهذه الزيادة في المعنى يدخلها أهل الكلام في الصفات ولا ينكرونها.

وتوحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة يقابله توحيد الذات والصفات عند أهل الكلام مع ما فيه من إجمال^(١) ومخالفات سيأتي ذكرها - إن شاء الله تعالى -.

(١) انظر: منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، لخالد عبد اللطيف (١/ ١٧ - ١٨).

وأما توحيد الألوهية فإننا لا نجد ما يقابله عند أهل الكلام، فهم يفسرون الإله بمعنى الرب، وعلى هذا فإنهم يفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الأفعال^(١).

ومما يدل على عدم معرفتهم لتوحيد الألوهية أيضاً ما قاله علي بن أبي بكر السكران: (فصل: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)؛ أي: ليعرفون^(٣)).

وهذا التفسير الخاطيء يلزم منه لوازم فاسدة منها: أن الشيطان والكفار والمشركون يعبدون الله لأنهم يعرفونه ﷻ، والحق أن هذه المعرفة لم تنفعهم، بل معنى الآية كما جاء في تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) [الذاريات: ٥٦]؛ أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي لهم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً وكرهاً... وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي: للعبادة^(٥).

ووقع من وقع منهم في الشرك بصرف أنواع من العبادات لغير الله تعالى لعدم معرفة توحيد الألوهية لذا يقال لهم: لو أنكم عرفتم الإسلام كما عرفه عباد الأصنام من العرب لامتنعتم من قول لا إله إلا الله، أو لقلتموها وامتنعتم من أن تتوجه قلوبكم بعبوديتها للموتى، وعرفتم أنها مانعة قاطعة أن يكون في قلوبكم لمخلوق حي أو ميت نصيب وشركة في الخوف والرجاء والمحبة، وأن تعتقدوا فيه أنه يقربكم إلى الله، أو يشفع لكم عنده، لكنكم تقولونها وتعملون خلاف معناها^(٦).

وكابر القوم فقالوا: إن كفار قريش لم يعرفوا توحيد الربوبية، وقالوا:

(١) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص ١٢٣).

(٢) معارج الهداية، لعلي بن أبي بكر السكران (ص ٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٤/ ٢٥٠)، دار الفحاء، دمشق، ط ١، ١٤١٣ هـ.

(٤) انظر: الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة «رد على مصطفى محمود»، لعبد الكريم بن صالح الحميد (ص ٦٤).

«معنى قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ» [الزمر: ٢٣]. أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام بصريح الآية، بل ذكر القرآن أنهم كفار في آخر الآية، فكيف يستدل بهذه الآية على أنهم موحدون توحيد الربوبية وغير موحدين توحيد ألوهية، ففي كلامهم تناقض حيث يقولون (موحد مشرك). وأما معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ يُلْكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

أن كفار قریش عند المناقشة والمحااجة يقولون الله الخالق وهم غير مؤمنين، ولقد ذكر القرآن ذلك بقوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، والإفك أشد من الكذب. «انظر تفسير القرطبي» (١) (٢).

واستدلوا لعدم معرفة المشركين لتوحيد الربوبية بأنه: «لو كان الكفار والمشركون يعترفون بأن الله هو الخالق لما جاء خطابهم في القرآن بقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (١٠) [الغاشية: ١٧ - ٢٠]، ولما نزل في العاص بن وائل قول الله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُنْعِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (١١) [يس: ٧٨]. ولما قالوا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبَلِّغُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].. بل جاء القرآن يحكي لنا عن فرعون أنه ينكر الربوبية والألوهية وهما في الحقيقة مترادفتان فقال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾. [القصص: ٣٨] وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

- (١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/٣٢٢). ويظهر كذب هذا الصوفي الذي نسب للقرطبي ما لم يقله، فقد قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها ما نصه: (أي فإذا اعترفتم بأن الله خالق هذه الأشياء، فكيف تشككون في الرزق، فمن يبيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد، ولهذا وصله بقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ «فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي). هذا كلام الإمام القرطبي بنصه، فانظر الفرق بينه وبين كلام هذا الرجل، لتعرف أن القوم يوهمون الناس أنهم على حق، وأن لهم علماء قالوا بقولهم، وعند التحقيق، يتبين أنهم ليسوا على شيء.
- (٢) انتبه دينك في خطر، لعلوي اليميني (ص ٤ - ٥).

والميت عندما يوضع في قبره يسأل: من ربك؟ فلو كان موحد توحيد ربوبية فلماذا يسأل» (١).

ويجيب عن قولهم هذا بأن يقال: إن كلمة الرب والإله إذا افترقتا اجتمعتا، وإذا اجتمعتا افترقتا، ولهذا يأتي الرب بمعنى المعبود المتأله في اللغة واستعمال الشرع (٢) أما عند الاجتماع في اللفظ فإن كل كلمة تعود إلى معناها الخاص بها فيفترقان في المعنى (٣).

ورد الشيخ محمد بشير السهسواني رحمته الله (٤) على كلامهم أيضاً فقال: «ولا أظنك شاكاً في أن مفهوم الرب ومفهوم الإله متغايران، وإن كان مصداقهما في نفس الأمر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحداً، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الرب ولا يعتقد توحيد الإله، ألا ترى أن مصداق الرازق ومالك السمع والأبصار، والمحبي والمميت... إلخ ومصداق الإله واحد؟»

ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما، ومشركون في الألوهية والعبادة» (٥). وقال رحمته الله بعد أن قرر أن لفظ توحيد الربوبية ولفظ توحيد الألوهية كلاهما مركبان إضافيان، والمضاف في كليهما كلي، وهما معنيان مصدران متنوعان من الرب والإله وهما كليان: «وإذا تقرر هذا فنقول: يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجد في توحيد الألوهية، كمن يعتقد أن الرب واحد ولا يعتقد أن الإله

- (١) المصدر السابق (ص ٥). وانظر: مصباح الأنام (ص ١٧).
- (٢) الصحاح، للجوهري (١/١٣٠)، مادة: (رب)؛ لسان العرب (١/٤٠٠) مادة: (رب)، ط دار صادر.
- (٣) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص ٤٨٢).
- (٤) هو الشيخ المحدث الفقيه محمد بن بشير بن محمد الفاروقي، ولد بسهسوان بالهند سنة ١٢٥٤هـ. من مؤلفاته: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، والقول المحكم، والقول المنصور وغيرها. توفي بدلهي سنة ١٣٢٣هـ. انظر ترجمته: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٧/١٣٥٢ - ١٣٥٣)؛ ومقدمة كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد رشيد رضا (ص ١٤ - ٢٣).
- (٥) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لمحمد بشير السهسواني (ص ٤٤٦ - ٤٤٧).

واحد بل يعبد آلهة كثيرة، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد توحيد الربوبية كمن يعتقد أن المستحق للعبادة واحد ولا يعتقد وحدانية الرب، بل يقول إن الأرباب كثيرة متفرقة، ويمكن أن يجتمعا في مادة واحدة كمن يعتقد أن الرب والإله واحد، فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية.

نعم توحيد الربوبية من حيث إن الرب مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الألوهية من حيث أن لا إله مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير لكن هاتين الحثيتين زائدتان على نفس مفهومي التوحيدين ثابتتان بالبرهان العقلي والنقلي^(١).

وأما استدلالهم بقوله تعالى عن المشركين ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. بأنهم ينكرون الخالق فيجيب على ذلك من وجهين:

الأول: إذا كان المراد بإنكار الخالق إنكار وجوده، فهذا باطل لأن العرب كانت تحلف بالله تعالى، وتذمر له وتحج وتعظم بيته الحرام، فإذا كانوا ينكرون وجود الله تعالى، فإلى من يحجون وبيت من يعظمون، وإن كان مقصودهم إنكار وحدانية الخالق في الخلق فالآية لا تدل على ذلك؛ لأن فيها إنكارا عاما وليس فيها نسبة الخلق إلى الله تعالى مع غيره. وهؤلاء تناقضوا فتارة يذكرون أن المشركين ينكرون وجود الله، وتارة يقولون أنهم يشبثون وجوده ويشركون في ربوبيته، وهذا المشهور عنهم^(٢).

وقد وضع أبو الشاء الألوسي رحمه الله معنى الآية بقوله: «وإسنادهم الإهلاك إلى الدهر إنكار منهم لملك الموت، وقبضه الأرواح بأمر الله ﷻ وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً إليه؛ لجهلهم أنها مقدرة من عند الله، وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر وهؤلاء معترفون بوجود الله فهم غير الدهرية

فإنهم [أي الدهرية] مع إسنادهم الحوادث إلى الدهر لا يقولون بوجود الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير^(١).

الثاني: أن يقال: هذا اعتقاد بعض الجاهلية، وليسو كلهم، بل هم قلة، والأكثر معترف بوجود الله وربوبيته^(٢).

والحق الذي لا مرية فيه وأطبق عليه كل العلماء وهو صريح في القرآن أن مشركي العرب في زمن الرسول ﷺ كانوا يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم، فهم مقرون بتوحيد الرب بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتسخير ونحو ذلك من أفعال الرب، فلم يكونوا يعتقدون مشاركة أحد في ذلك وهو الذي يسمى «توحيد الربوبية»، فهم مقرون بهذا التوحيد ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والمشركون ليسوا مقرين بتوحيد الله بأفعالههم: كالدعاء والاستغاثة والرجاء والخوف والمحبة والنذر والذبح ونحو ذلك، مما سماه العلماء توحيد الألوهية أي توحيد العبادة، وقد نوع الله جلّ وعلا في كتابه الدلائل في إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وإشراكهم في الألوهية، بما إذا قرأه المسلم زاد تبصراً في حالهم، وفقهاً في عقيدته^(٣).

تعريف العبادة عند صوفية حضرموت:

سلك صوفية حضرموت طريق سلفها من المتصوفة، الذين لم يعرفوا توحيد العبادة، وجعلوا غايتهم معرفة الرب تعالى وأنه الخالق الرازق المدبر... إلخ ولم يلتفتوا إلى ما يناقض التوحيد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم، وهم يعبدون غيره. وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدا يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها

(١) روح المعاني، للألوسي (١٥٣/٢٥)، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) الملل والنحل (٥٨٢/٢ - ٥٨٣). انظر: هذه مفاهيمنا (ص ١٠٧ - ١٠٨).

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيطان (ص ٤٤٨ - ٤٤٩).

(٢) انظر: الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم، لعبد الله القصيمي (ص ٢٩ وما بعدها).

ومعرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة وأهل النار. فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها، ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية، التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله؛ كان من جنس إبليس وأهل النار.

وإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة كان من أشر أهل الكفر والإلحاد.

ولهذا كان عنوان التوحيد: لا إله إلا الله، بخلاف من يقر بربوبية ولا يعبد، أو يعبد معه إلهاً آخر^(١).

ومن نصوص مشايخ صوفية حضرموت في بيان معنى العبادة ما جاء في كتاب النيات لعللي السكران: «قال بعضهم ﷺ: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل، ويعنون بالعبودية صفات العبد من الرضا، بمقدور الله والأدب مع الله وترك السخط على الله تعالى والتسليم لجميع أحكام الله تعالى فلا يتبرم ولا يتضجر ولا ينازع القدر»^(٢).

وقد عرف صوفية حضرموت العبادة بقولهم: «ذكر العلماء المحققون أن العبادة شرعاً: الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها، كاستقلال النفع والضرر، وأما مع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً ولو كان ذلك سجوداً فضلاً عن دونه»^(٣).

واستدل القوم في تعريفهم العبادة بأمر الله تعالى للملائكة بأن يسجدوا لآدم فسجدوا له، وحكي أن نبي الله يعقوب وامرأته وأولاده أنهم سجدوا ليوסף، قال تعالى: ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]. وكذا بسجود معاذ بن جبل ﷺ للنبي ﷺ عندما صنع مثل ما يصنع أساقفة الشام بعظماهم^(٤)، وهو السجود لهم، وبعد أن ساق زين العابدين العلوي الحضرمي أدلتهم قال: «فلو

(١) العبودية (ص ٢٨ - ٣٠) باختصار. تحقيق علي الحلبي. ط ٢ الأصاله.

(٢) كتاب النيات، لعللي بن أبي بكر السكران (ص ٩٣).

(٣) الأجوبة الغالية (ص ٤٢ - ٤٣). (٤) المصدر السابق (ص ٤٢ - ٤٣).

أن مجرد السجود لغير الله عبادة مطلقاً لما كان ذلك سائغاً في دين من الأديان؛ لأنه حينئذ كفر، وما هو كفر لا يختلف باختلاف الشرائع ولا يأمر الله به في حين من الأحيان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. فعلم أن السجود وغيره من أنواع الخضوع لا يكون عبادة شرعاً إلا باعتقاد ما تقدم، كسجود المشركين لآلهتهم ودعائهم إياها حيث اعتقدوا ذلك؛ أي أنهم كفروا بذلك لا اعتقادهم فيما سجدوا له الاستقلال بالنفع والضرر ونفوذ المشيئة لا محالة مع الله تعالى، وقد كانوا يعتبرون أن الله هو الرب الأكبر ولمعبوداتهم ربوبية دون ربوبيته ولمقتضى ما لهم من الربوبية وجب لهم نفوذ المشيئة من الله تعالى، وأن شفاعتهم مقبولة لا ترد وليست متوقفة على إذنه تعالى، يدل على ذلك قوله تعالى منكر ما اعتقدوه: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: ٢٠]. وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣]. وغير ذلك من الآيات^(١).

ومما يدل على فساد تعريفهم للعبادة قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى﴾ [الحج: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَيْعَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]. وغيرها من الآيات التي تبين أن العبادة هي غاية الخضوع والذل مع الخوف وغاية المحبة والتعظيم لا تكون إلا لله تعالى، فمن صرف منها شيئاً لغير الله تعالى فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فلما كان الدعاء عبادة بين تعالى أن من صرفه لغير الله تعالى فهو كافر بنص الآية، ولو كان مقراً للربوبية كما يزعم. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وبهذا يتضح جهل صوفية حضرموت بتعريف العبادة وسبب ذلك جعلهم توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية لا غيره، وترد تعريفهم هذا وتبطله النصوص الشرعية، فمن ذلك ما

(١) الأجوبة الغالية (ص ٤٢ - ٤٣).

ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار والدرهم، والقטיפه، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»^(١).

فهذا الحديث يدل على أن الإنسان يمكن أن يعبد الدرهم والدينار ويكون له عبداً مع جزمنا أن من يحصل منه ذلك لا يعتقد الربوبية للدرهم والدينار.

ويرد تعريفهم أيضاً ما ثبت في الصحيح، أن أبا رجاء العطاردي^(٢) قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا به...»^(٣).

ولا يتصور أنهم يعبدون الحجارة لاعتقادهم أنها تخلق وترزق ونحو ذلك من صفات الربوبية، فدلالة النصوص ظاهرة في بطلان تعريفهم للعبودية^(٤).

ومما يدل على بطلان تعريفهم للعبادة مخالفته للغة حيث لم يرد في لغة العرب تقييد العبادة وتخصيصها بمن يعتقد فيه الربوبية، والأصل بقاء اللفظ على مدلوله اللغوي حتى يثبت تغييره في الشرع ولا مغير له، فثبت بطلان حصر القوم للعبادة في الربوبية بل ورد ما يخالفه^(٥).

ويجاء عن استدلالهم في تعريفهم للعبادة بما يلي:

أما استدلالهم بقصة سجود أبوي يوسف وإخوته، فهذا السجود كما قال أهل العلم ليس مشروعاً لنا، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد، حتى قال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (ص ٥٥٥) برقم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو عمران بن ملحان، ويقال: ابن تيم، أبو رجاء العطاردي، مشهور بكنته، مخضرم، ثقة، معمر، مات سنة ١٠٥هـ، وله مائة وعشرون سنة. انظر: التقريب (ص ٧٥٢) تحقيق: أبي الأشبال.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب وفد أبي حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال (ص ٨٢٧) برقم (٤٣٧٦).

(٤) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص ٤٨٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ٤٩١ - ٤٩٢).

النبي ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»^{(١)(٢)}.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقد كان هذا سائغاً عند الأمم الماضية؛ ولكنه نسخ في ملتنا قال معاذ: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك فقال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها». ورجحه الرازي وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها، كما قال تعالى: ﴿أَفِرَّ الصَّلَاةَ يُدْلِكِ الشَّمْسُ﴾ وفي هذا التنظير نظر، والأظهر أن القول الأول أولى^(٣).

انحرافهم في حكم التوحيد: (أول واجب على المكلف):

تمهيد:

مسألة أول واجب على المكلف مبنية على مسألة: هل معرفة الله فطرية أم نظرية؟، وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله على ذلك وبين قول أهل السنة والجماعة فقال: «والكتاب والسنة دل على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم وبمقتضاها يجب حصوله فيها إذا لم يحصل ما يعوقها فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط بل على انتفاء مانع ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لموجب الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء»^(٤)، كما

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٣٥) من هذا البحث.

(٢) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٤٦)، ط الغريب، تحقيق عبد الرحمن عجال.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (ص ٢٦٨) =

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ مَبِينٍ إِلَيْهِ وَأَنْقَرُهُ وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم: ٣٠-٣٢]. فأخبر أن المشركين مفترقون^(١).

ولما قال أهل السنة والجماعة بفطرية المعرفة صاروا إلى أن أول واجب على المكلف هو إفراد الله تعالى بالعبادة، ولما أنكر أهل الكلام فطرية المعرفة جعلوا أول واجب على المكلف المعرفة أو النظر الموصل إليها وتبعهم على ذلك صوفية حضرموت لعدم معرفتهم بالتوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب.

والشهادتان هما أول واجب على الإنسان عند أهل السنة والجماعة، وهما متضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبودية، ودلت الأدلة الكثيرة على ذلك منها حديث ابن عباس رضي الله عنه في الصحيحين قال: (أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» الحديث^(٢).

وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ»^(٣).

وفي رواية للبخاري: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله»^(٤).

وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ

= برقم (١٣٨٥) واللفظ له؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (ص ١٠٦٦) برقم (٢٦٥٨).

(١) دره المعارض (٤٥٤/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا (ص ٢٩١) برقم (١٤٩٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص ٤٢) برقم (١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص ٤٢) برقم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ص ١٤٠٥) برقم (٧٣٧٢).

قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»^(١).

من خلال هذه الأحاديث يتبين أن دعوة الرسل وأتباع الرسل هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وتكون هذه الدعوة قبل كل واجب، فإن نطق بها العبد والتزمها وما دلت عليه من معنى أمر ببقية الواجبات.

كلام صوفية حضرموت في مسألة أول واجب على المكلف:

وقد أخطأت صوفية حضرموت تبعاً للمتكلمين في معرفة أول واجب على المكلف، يقول عبد الله بن حسين بلنقيه^(٢) في بيانه أول واجب على الإنسان: «أول واجب على الإنسان فيجب أولاً شرعاً: النظر لمعرفة الله تعالى الواجبة لذاتها، ثم لغيرها الواجب بوجوبها، وقال جمع من المحققين: أول واجب القصد إلى ذلك النظر فمعرفة الله أول واجب ذاتي»^(٣).

ويقول زين العابدين العلوي في أجوبته:

«س: ما هو أول واجب على الإنسان؟

ج: أول واجب على المكلف معرفة الله الذي أوجده من العدم إلى الوجود»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب «إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَغَلَّوْا سَبِيلَهُمْ» (ص ٢٨) برقم (٢٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ص ٤٣) برقم (٢٢).

(٢) هو عبد الله بن حسين بلنقيه، ولد بتريم سنة ١١٩٨هـ، وقرأ على شيوخها، ثم رحل إلى زيد فأخذ عن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وغيره من مؤلفاته: تسهيل سلسلة الوصلة إلى سادات أهل القبلة، والدرة المفيدة (أرجوزة في التوحيد)؛ والمقصد النفيس شرح عقيدة الرئيس، وكفاية الراغب شرح هداية الطالب وغيرها. توفي سنة ١٢٦٦هـ. انظر: تاريخ الشعراء الحضرميين (١٨٩/٣)؛ وعقد البواقيت (١٣٠/١، ١٥٠).

(٣) كتاب المقصد النفيس (ق ٣).

(٤) الأجوبة الغالية (ص ٣)، دار الفقيه للنشر والتوزيع.

وقد انتقد أبو محمد بن حزم قول المتكلمين بإيجاب النظر فقال: «ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة أنه لا يشك أحد ممن يدري شيئاً من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمانية^(١) والدهرية^(٢) في أنه ﷺ مذ بُعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الأرض من يقاتله ممن عند، ويستحل سفك دمائهم وسبى نسائهم وأولادهم، وأخذ أموالهم متقرباً إلى الله تعالى بذلك، وأخذ الجزية وأصغاره، ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الإسلام، وفيهم المرأة البدوية والراعي والراعية والغلام الصحراوي والوحشي والزنجي والمسيبي والزنجية المجلوبة والرومي والرومية والأعثر^(٣) الجاهل والضعيف في فهمه فما منهم أحد ولا من غيرهم قال له ﷺ: «أني لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه.

قال أبو محمد: لسنا نقول أنه لم يبلغنا أنه ﷺ قال ذلك لأحد بل نقطع نحن وجميع أهل الأرض قطعاً كقطعنا على ما شهدناه أنه ﷺ لم يقل قط هذا لأحد، ولا ردّ إسلام أحد حتى يستدل، ثم جرى على هذه الطريقة جميع

(١) المانية أو المانوية: نسبة لزعيمهم ماني بن فاتك الحكيم، الذي جعل دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح ﷺ، ولا يقول بنبوة موسى ﷺ، ولهم اعتقادات أخرى كالقولين بالأصلين النور والظلمة وأنهما غير متناهين إلا من الجهة التي لاقى منها الآخر، وأما من جهاته الخمس فغير متناه، وأنهما جرمان لهما في امتزاجهما أشياء شبيهة بالخرافات. انظر: الفصل في الملل والنحل (٣٧/١)؛ والملل والنحل (٢٤٤/١ - ٢٤٩).

(٢) الدهرية: نسبة إلى الدهر فهم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها فقالوا فيما قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ إِلَهِنَا وَنَا بَلْ كُنَّا كَالَّذِينَ نَزَّلْنَا مِنَّا إِلَهِم مِّنْ غَيْرِ إِنْ كُنَّا إِلَّا بَطُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢٤]. وهؤلاء فرقان: فرقة قالت: إن الله - سبحانه - لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها، والفرقة الأخرى قالت: إن الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل... إلخ ضلالهم - تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً - انظر: إغاثة اللهفان (٣٦٧/٢) تحقيق: محمد عفيفي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، مكتبة الخاني، الرياض، والموسوعة الفلسفية، لعبد المنعم الحفني (ص ١٨٣)، الطبعة الأولى، دار زيدون، ومكتبة مدبولي.

(٣) الأعثر: الغثاء والغثر. سفلة الناس، الواحد أغثر، مثل أحمر وأسود... ويقال للأحمق الجاهل: أغثر. لسان العرب (٧/٥).

الصحابة ﷺ أولهم عن آخرهم ولا يختلف أحد في هذا الأمر، ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا، ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون ﷺ يغفل أن يبين للناس ما لا يصح لأحد الإسلام إلا به، ثم يتفق على إغفال ذلك أو تعتمد عدم ذكره جميع أهل الإسلام وبيئته لهم هؤلاء الأشقياء، ومن ظن أنه وقع من الدين على ما لا يقع عليه رسول الله ﷺ فهو كافر بلا خلاف، فصح أن هذه المقالة خلاف للإجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله ﷺ وجميع أهل الإسلام قاطبة^(١).

وقد اعترف كبار علماء المتكلمين بفطرية المعرفة وأن أول واجب على المكلف معرفة التوحيد ونفي الشرك يقول الشهرستاني^(٢): «فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم، عالم قدير: ﴿وَلَمَّا سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك إنهم يلوذون إليه في حال الضراء. ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» الحديث. ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]. ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]. إلى أن قال: والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويل الشيطان فإنهم

(١) الفصل في الملل والنحل (٣٥/٤) ط مكتبة الخانجي، القاهرة. والإجماع منعقد على أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين ولم يدعم إلى النظر والاستدلال. انظر: رسالة الانتصار لأهل الحديث، لأبي المظفر السمعاني، ضمن صون المنطق (ص ١٧٢).

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، أشعري العقيدة، ولد سنة ٤٧٦ هـ. ومن تصانيفه: نهاية الإقدام في علم الكلام، ومصارعة الفلاسفة، والملل والنحل. توفي سنة ٥٤٨ هـ. انظر في ترجمته: السير (٢٨٦/٢٠)؛ ولسان الميزان (٢٦٣/٥) ط ١٣٩٢ هـ، حيدر آباد؛ وطبقات السبكي (١٢٨/٦)، ط ١٣٨٣ هـ - ١٣٩٥ هـ، مطبعة عيسى البابي؛ وشذرات الذهب (١٤٩/٤) ٢، ط ١٣٩٩ هـ، دار المسيرة.

الباقون على أصل الفطرة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سبا: ٢١] . وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ① ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ② [الأعلى: ٩ - ١٠] . ③

وكذلك خَطَأً سماحةُ الشيخ عبد العزيز بن باز من يقول إن أول واجب على المكلف هو المعرفة أو النظر فقال ﷺ: «والصواب ما ذكره المحققون من أهل العلم: أن أول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله علماً وعملاً، وهو أول شيء دعا إليه الرسل، وسيدهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ أول شيء دعا إليه أن قال لقومه: قولوا لا إله إلا الله تعلموا» ④. ولما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ⑤. ولأن التوحيد شرط لصحة جميع العبادات، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] ⑥.

ومعرفة الله تعالى أمر فطر الله العباد عليها، لذا عرفه المشركون وغيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار أن المعرفة تارة تحصل بالضرورة، وتارة بالنظر كما اعترف بذلك غير واحد من أئمة المتكلمين، وهذه الآية أيضاً تدل على أنه ليس النظر أول واجب بل أول ما أوجب الله على نبيه ﷺ ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]. لم يقل: انظر واستدل حتى تعرف الخالق، وكذلك هو أول ما بلغ هذه السورة، فكان

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص ١٢٣ - ١٢٦) مصورة عن طبعة ليدن.

(٢) كذا في الأصل. ولعله: تفلحوا. والحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٧/٢) برقم (٢٠٣) ت: فهد الفهيد، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠/١٤)؛ وابن خزيمة في صحيحه (١/٨٢) برقم (١٥٩)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ١٣٩٠هـ؛ والحاكم في المستدرک (١/٦١) برقم ٣٩، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ؛ والبيهقي في سننه (٧٦/١) ت: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط ١٤١٤هـ؛ وابن حبان في صحيحه (٥١٨/١٤) برقم (٦٥٦٢)، وصححه الشيخ الألباني ﷺ في رسالته (دفاع عن الحديث النبوي): (ص ٢٠).

(٣) الحديث متفق عليه وقد تقدم (ص ٣٢) من هذا البحث.

(٤) فتح الباري (ص ٩٧)، حاشية رقم (١) ط مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ.

المبلغون مخاطبين بهذه الآية قبل كل شيء ولم يؤمروا فيها بالنظر والاستدلال، وقد ذهب كثير من أهل الكلام إلى أن اعتراف النفس بالخالق وإثباتها له لا يحصل إلا بالنظر ①.

✽ المطلب الثاني ✽

انحرافهم في تفسير كلمة التوحيد وحكمها

انحرافهم في تفسير كلمة التوحيد:

يعرف القوم كلمة التوحيد بتعريف مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، حيث يقول محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس باعلوي: «اعلم أن القاعدة العظمى التي هي ركن الإسلام ودعامة الإيمان هي: كلمة لا إله إلا الله، إلا أنك أيها الأخ السالك ينبغي لك أن تكون بمعناها متحلياً وبحقيقتها متصفاً؛ لأن هذه كلمة عظيمة ولها التأثير العظيم إذا تُنِبَ لسرها؛ لأن لها حالتي عموم وخصوص، فحظ أهل العموم منها توحيد الرب تعالى عن المشاركة في ربوبيته. وأما أهل الخصوص العارفون بأسرار الأشياء فإنهم يجعلون لا إله إلا الله نصب أعينهم في أمورهم جملة فكراً وذكرأ، ويعملون على معناها وحقيقتها؛ لأن العبد إذا وفق لفهم هذه الكلمة العظيمة حصل على توحيد خاص، وصارت له هذه الكلمة جنة يتقي بها المخاوف والمكاره؛ لأن الإيمان إذا خالط بشاشة القلب لم يبق للعبد تطلع في سرائه وضرائه إلا إلى ربه تعالى، فيصح له منها مقام التوكل لأنه إذا اتضح له العلم بأن أمور هذا العالم منوطة بإذن الله تعالى وإمضائه؛ ألجأته الضرورة إلى التفويض إليه والتسليم لأمره تعالى، فيستريح العبد إذ ذاك من اضطراب الآراء وترديد الخواطر وتفويض أموره إليه ﷺ» ②.

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٨/١٦). وانظر: كلام شيخ الإسلام في أول واجب على المكلف. المصدر السابق (٤٥٦/٢٠).

(٢) إيضاح أسرار علوم المقربين (ص ٣٤).

فهذا غاية معرفتهم لمعنى كلمة التوحيد، وهو توحيد الربوبية، وتقسيمهم الناس في معرفة هذه الكلمة إلى أهل عموم وأهل خصوص، وسبب ذلك عدم معرفة القوم معنى العبادة التي دلت عليها النصوص إذ معناها عندهم: الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها؛ كاستقلال النفع والضرر، وأما مع انتفاء هذا الاعتقاد فلا يكون المأتي به عبادة أصلاً ولو كان ذلك سجوداً فضلاً عما دونه^(١).

انحرافهم في حكمها: (منزلة النطق بها من الإيمان عندهم):

انحرفت صوفية حضرموت في معرفة المنزلة العظيمة لكلمة التوحيد، ومنزلة النطق بها في الإسلام، وقد كثرت نصوصهم في ذلك منها ما جاء في كتاب «إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل»، لطاهر بن حسين العلوي ما يدل على أن الاكتفاء بالشهادتين والتصديق بهما ولو ترك قائلها الأعمال أن ذلك لا يخل بلا إله إلا الله حيث قال في كلام له: «أن يوجد النطق والتصديق ويقع الإخلال ببعض الأعمال أو كلها، فهذا ناج من الخلود في النار، إن شاء الله عذبه بتقصيره، وإن شاء غفر له»^(٢).

وعن منزلة النطق بلا إله إلا الله في الإيمان عند القوم: «فالقول المرجوح فيه أنه شطر منه أي جزء منه وهو كلام محققين؛ كالإمام الأعظم أبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة...»^(٣).

يؤخذ من قولهم هذا: أن النطق بلا إله إلا الله ليس بركن في التوحيد والإيمان، مع أن معتقد أهل السنة والجماعة قول وعمل واعتقاد؛ أي أن النطق ركن فيه ومن الإيمان لا ينفصل عنه، وهذا هو الصحيح لا كما يقول الأشاعرة أن هذا قول مرجوح.

والقوم مرجئة في باب الإيمان ومسائله لذا قد بين سالم باحطاب معتقد

(٢) إتحاف النبيل (ص ٨).

(١) الأجوبة الغالية (ص ٤٢).

(٣) الدر الثمين (ص ٢٣).

الصوفية في مسألة الإيمان وأن المعتمد عندهم مذهب الأشاعرة في هذه المسألة أن الإيمان هو التصديق فقط وأن النطق شرط لإجراء الأحكام الدنيوية^(١)....

وهذا الكلام باطل لما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(٢).

وبين أهل العلم أن الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل؛ أي قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، يقول الإمام ابن القيم رحمته الله: «وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح... فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدى، ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى، فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقاً فليس هو التصديق المستلزم للإيمان، فعليك مراجعة هذا الأصل ومراعاته»^(٣).

وعرفوا الإيمان بأنه التصديق فقط مما أوقعهم في لوازم فاسدة سيأتي بيانها - إن شاء الله تعالى -.

(١) المصدر السابق (ص ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ص ١٢٥٦) برقم (٦٥٧٠)؛ وأخرجه بلفظ قريب من هذا الحديث في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (ص ٤٥) برقم (٩٩).

(٣) الصلاة وحكم تاركها، للإمام ابن القيم (ص ٧٠ - ٧١) ط دار ابن حزم. وانظر: الفوائد (ص ١٠٧).

جاء في الدر الثمين: ما معنى الإيمان؟

ج: معناه مطلق التصديق سواء كان بما جاء به النبي ﷺ أو بغيره، وشرعاً التصديق بالقلب بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه^(١).

وبناء على تعريفهم للإيمان بأنه التصديق فقد جعلوا تارك النطق بالشهادتين للقادر آثم فقط طالما أنه ليس معانداً ولا مستكبراً: «وعليه فمن صدق بقلبه ما لم يقر بلسانه مع اتساع الوقت له لا لعذر منعه منه، ولا لإباء وعناد بل اتفق له ذلك، وكان بحيث لو طلب منه النطق بالشهادتين لم يمتنع منه عناداً واستكباراً فهو مؤمن عند الله ناج من الخلود في النار، غير مؤمن في الأحكام الدنيوية فعلم منه أن وجوب النطق بالشهادتين عليه حينئذ وجوب فقهي يوجب تركه الإثم لا الكفر»^(٢).

وجاء في كتاب نيل المرام عن حكم من ترك النطق بالشهادتين وهو قادر عليها: «هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية لمن قدر على النطق، أما في الحكم الأخروي فهو مؤمن وامتناعه عن النطق بالشهادتين مع القدرة والعلم بالوجوب، كامتناعه عن الصلاة فهو غير مخلص في النار وقال القائلون: (القول) ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب بل إنشاء عقد آخر والتزام والأول أظهر، وهذا معنى اختلاف علماء التوحيد هل النطق بالشهادتين شرط أو شرط للإيمان؟ والله أعلم»^(٣). وقد أجاب الحافظ ولي الدين العراقي^(٤) على من سأل عن حكم التلطف بالشهادتين مع القدرة فقال ﷺ: «من لم يتلفظ بكلمتي الشهادة مع القدرة على ذلك من غير عذر فهو كافر، وإن اعتقدهما بقلبه»^(٥).

(١) الدر الثمين (ص ٢٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢).

(٣) نيل المرام (ص ٦١).

(٤) هو ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي، أبو زرة، الحافظ المشهور. ولد سنة ٧٦٢ هـ. له تصانيف كثيرة منها الأجوبة المرضية. توفي سنة ٨٢٦ هـ. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١/ ٣٣٦ - ٣٤٤)؛ والبدر الطالع (١/ ٧٣).

(٥) الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية، للحافظ أبي زرة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين =

المطلب الثالث

موقف صوفية حضرموت مما يناقض لا إله إلا الله

لعدم معرفة الصوفية في حضرموت لمعنى لا إله إلا الله وما يناقضها أدى بهم ذلك للوقوع في ما يناقض لا إله إلا الله من الشرك والكفر، وتهوينهم لنواقض التوحيد وجعلها من المسائل الثانوية لا الرئيسة.

يقول أحمد باعشن في تعريفه للشرك: «الشرك هو الكفر بالله والحجود كشرك النصراني واليهود»^(١).

ويعرفون الكفر بأنه: «إنكار وجود الله وعدم التصديق بما جاء به النبي ﷺ»^(٢).

وعرفوا المرتد بقولهم: «هو الذي يكفر بعد الإيمان بأن ينكر معلوماً من الدين بالضرورة أو يأتي بشيء يتناقض مع الدين كالسجود لصنم وقد سبق شرح ذلك مفصلاً»^(٣)^(٤).

وهذا التعريف بناء على تعريفهم للإيمان وأنه التصديق الذي في القلب فيكون الكفر كذلك في القلب ولا دخل لقول الكفر أو فعله فإن هذا ليس كفرة عندهم حتى يعتقد الكفر، وأكد هذا زين العابدين العلوي بأنه لا يجوز تكفير من قال لا إله إلا الله وإن فعل الشرك مستنداً بنهي ﷺ أن يقول المسلم لأخيه المسلم يا كافر. فقال: «فإذا كان هذا في تكفير مسلم واحد، فما بال من يتجاسر على تكفير جمهور المسلمين ويحكم عليهم بالشرك بمجرد ما صدر

= العراقي ت ٨٢٦ هـ (ص ٥٣)، دراسة وتحقيق: محمد تامر، الناشر: مكتب التوعية الإسلامية، الجيزة، مصر، ط ١، ١٤١١ هـ.

(١) البيان والمزيد (ص ٢٥).

(٢) الدواء الشافي (ص ١١٤).

(٣) ويسمون هذا بشرك الاعتقاد وهو أن يعتقد أن الله شريكاً في ملكه أو في خلقه، ومن هذا الشرك شرك الألوهية ويسمى شرك الخضوع والتذلل والذي لا يكون إلا لله وهو يشمل جميع أنواع العبادة من سجود وركوع وغير ذلك وهو الشرك الشائع قبل الإسلام لجميع المشركين. انظر: المصدر السابق (ص ١٠٨).

(٤) المصدر السابق (ص ١٢٠).

منهم من التوسل والتبرك بآثار الصالحين مع تحقق إيمانهم وامتلاء قلوبهم بتوحيد الله رب العالمين^(١).

وزعم عدم حصول الشرك في هذه الأمة حيث قال: «ويكفي في الرد من يزعم ذلك ويسلك في هذا المذهب الذي فيه المهالك، قول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه: «إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»^(٢) روى مسلم والترمذي، فقد شهد ﷺ في هذا الحديث بأن المصلين من هذه الأمة لا يعبدون غير الله أبداً، ولا يشركون مع الله إلهاً آخر»^(٣).

واستدلال الصوفية بهذا الحديث الصحيح ليس في محله، بل هو استدلال باطل، لا يوجد لهم سلف من علماء أهل السنة والجماعة فهموا هذا الفهم السقيم، وقد أُلّف العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين^(٤) (ت ١٢٨٢هـ) رسالة في الرد على بعض شبه المخالفين أسماها (دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث) ومنها حديث «إن الشيطان آيس أن يعبد المصلون» الحديث، فبيّن أن الشرك وقع في جزيرة العرب عند مشاهد وقبور كثيرة؛ يمتناً وحجازاً، وهذا أمر معلوم بالتواتر عند من شاهد ذلك، فقد ارتد أكثر العرب بعد وفاة النبي ﷺ فكثير منهم رجع إلى الكفر

(١) الأجوبة الغالية (ص ٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه (ص ١١٣) برقم (٢٨١٢)؛ والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التباغض (ص ٣٢٦) برقم (١٩٣٧).

(٣) الأجوبة الغالية (ص ٤١).

(٤) هو العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين النجدي، عالم نجد ومفتيها في زمنه. ولد في روضة سدير بنجد سنة ١١٩٤هـ، تولى القضاء في كثير من المناطق، ولقب بمفتي الديار النجدية. له عدة مؤلفات في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها والرد على المخالفين منها: الانتصار لحزب الله الموحدين، والرد على قصيدة البردة، وتأسيس والتقديس في كشف تليسات داود بن جرجيس وغيرها. توفي سنة ١٢٨٢هـ. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر (١/٤٦٥) ط ١٤٠٣هـ، دار الملك عبد العزيز - الرياض؛ وعلماء نجد خلال ستة قرون، للباسم (٥٦٧/٢) الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، مكة.

وعباداة الأوثان، ومنهم من صدق من ادعى النبوة كمسيلمة وغيره، ومن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبده لا تختص عبادته بنوع من الشرك لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]؛ أي: لا تطيعوه فعبادته طاعته^(١). فلا تكون ثم دلالة في الحديث على استحالة وجود الشرك في أرض جزيرة العرب، فمن استدلل بهذا الحديث على استحالة وجود الشرك في أرض العرب يقال له: بين لنا الشرك الذي حرّمه الله وأخبر أنه لا يغفره، فإن فسره بالشرك في توحيد الربوبية، فنصوص القرآن تبطل قوله؛ لأنه سبحانه أخبر عن المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما في قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

وإن فسّر الشرك ببعض أنواع العبادة دون بعض، فهو مكابر ويخاف على مثله من أن يكون من الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، مع أنه ليس في الحديث حجة لهم ولا شبهة، وإنما معنى الحديث: إنه يشس أن يجتمع كلهم على الكفر.

وقد بيّن أهل العلم أن المراد أنه يشس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر، وقال ابن عباس رضي الله عنهما. يعني يشسوا أن تراجعوا دينهم، وكذا قال عطاء والسدي ومقاتل - قال - وعلى هذا يرد الحديث الصحيح. «إن الشيطان يشس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب». اهـ. فأشار إلى أن معنى الحديث موافق لمعنى الآية وأن معنى الحديث أنه يشس أن يرجع المسلمون عن دينهم إلى الكفر. قال غير واحد من المفسرين. أن المشركين كانوا يطعمون في عودة المسلمين فلما قوي الإسلام وانتشر يشسوا من رجوعهم عن الإسلام إلى الكفر، وهذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الإسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه، وعلى هذا فلا يدل الحديث. أن الشيطان يشس من وجود الشرك في جزيرة العرب أبد الأبد، وأيضاً في الحديث نسبة اليأس إلى

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/٢٣) تعليق: محمود شاكر، دار أحياء التراث العربي، ط ١٤٢١هـ، بيروت.

الشیطان مبنياً للفاعل لم يقل أيس بالبناء للمفعول، ولو قدر أنه يش من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فإنما ذلك ظن وتخمين لا عن علم؛ لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]. فإنه يطلعه على من يشاء من الغيب^(١).

كما أن القوم لا اهتمام لهم بمعرفة الشرك وخطره على المسلمين، يقول أبو بكر بن علي المشهور: «التوحيد قائم بدعوة المصطفى صلى الله عليه وآله سلم منذ عصر بزوجه وظهوره، حيث لا يجدد التوحيد ولا يدعو إلى نقض شرك إلا نبي، والعلماء المجددون يخدمون ملة الإسلام، ويحيون ما اندثر من الحاجة للاجتهاد في المسائل المستجدة، ولا يكفرون ولا يبدعون ولا يسحبون بساط الإسلام عن أهله، ويعذرون الجاهل ويعلمونه، ويحملون زلة العالم على محامل حسنة وينصحونه وهذا هو الفرق في مفهومنا بين دعاة الإسلام وبين دعاة الإعلام»^(٢).

هكذا يزعم المشهور أن التوحيد لا يجده إلا نبي وذهب يتكلم - كعادته - بكلام لا طائل تحته، ثم قرر أن المسلم لا يخرج من الإسلام وإن فعل الشرك الأكبر، وهذا من التهوين لأمر التوحيد، وعدم التحذير مما يناقضه، وإلا فمن المعلوم لكل مسلم أن المسلم قد يكفر بكلمة يقولها أو بفعل يفعله أو بغير ذلك من الأمور التي بينها أهل العلم في مصنفاتهم، كما أن الفقهاء - ومنهم علماء الشافعية التي تنتسب صوفية حضرموت إليهم - يعتقدون باباً في حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه بفعل ناقض من نواقض الإسلام. ولم يعرف القوم أنواع الكفر التي تخرج فاعلها من الملة، فقد عدد أحمد بن أبي بكر بن سميط^(٣) أنواع الكفر بقوله: «أنواعه والعياذ بالله ستة:

- (١) انظر: دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث لعبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (ص ٣٤ - ٣٩).
- (٢) الأطروحة لأبي بكر بن علي المشهور (ص ٤٣).
- (٣) هو أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سميط العلوي، من صوفية حضرموت، ولد سنة

الأول: شرك استقلال وهو: إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس. وشرك تبعض كشرك نصارى نجران الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة... النوع الثالث من أنواع الكفر: شرك تقرب وهو: عبادة غير الله لتقرب إلى الله كشرك متقدمي الجاهلية قالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

النوع الرابع: شرك تقليد وهو عبادة غير الله للفتى، كشرك الجاهلية قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. النوع الخامس: شرك الأسباب كشرك الفلاسفة والطبائعين^(١) ومن تبعهم على ذلك.

النوع السادس: شرك الأغراض وهو: العمل لغير الله تعالى، فحكم الأربعة الأولى الكفر بالإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بالإجماع وحكم الخامس التفصيل، فمن قال في الأسباب العادية تؤثر بطباعها كالنار في الإحراق والماء في الري والطعم والشبع والضرب في المضروب فهو كافر. ومن اعتقد أنها تؤثر بقوة أودعها الله تعالى فهو فاسق مبتدع^(٢) كما حرر ذلك في عقائد السنوسي^(٣) رحمته الله^(٤).

١٢٧٧ هـ. من مؤلفاته: منهل الورد من فيض الإمداد «شرح أبيات عبد الله الحداد»، وتحفة اللبيب شرح لامية الحبيب، والكوكب الزاهر شرح نسيم حاجر. انظر: مقدمة كتابه الإيهام؛ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٣٦٩).

(١) الطبائعون: نسبة إلى الطباع وهي فرقة يعبدون الطابع الأربع الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة؛ لأنها - بزعمهم - أصل الوجود؛ إذ العالم مركب منها. انظر: الموسوعة الصوفية، للحنفي (ص ٢٧٨). وانظر: الملل والنحل (٢/ ٢٠١ - ٢٢٨)، ط ١٣٨٧ هـ، تحقيق: كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر الرد على هذا الكلام في مباحث القدر (ص ٦٥٨ وما بعدها) من هذا البحث.

(٣) صاحب العقائد السنوسية هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، من علماء تلمسان، ولد سنة ٨٣٢ هـ. له مؤلفات كثيرة منها: شرح صحيح البخاري، وعقيدة أهل التوحيد، وأم البراهين وغيرها. توفي سنة ٨٩٥ هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٥٤)، ط ١٩٨٦ هـ.

(٤) منهل الورد لأحمد بن أبي بكر بن سميط (ص ١٢٥ - ١٢٦) الطبعة المصرية، ١٣٩٣ هـ.

وتقسيمهم هذا للكفر تقسيم قاصر؛ لأن الكفر الأكبر يكون بأمر عديدة فيكون بجحود الأمر المعلوم من الدين بالضرورة، ويكون بفعل الكفر ويقول الكفر وبالترك والإعراض عن دين الله ﷻ^(١). كما عرف القوم الشرك والمشركين فقالوا: (المشركون: جمع مشرك وهم من اعتقد أن مع الله إلهاً آخر. والشرك إسناد الأمر المختص بواحد إلى من ليس معه آخر)^(٢).

وأما حكم العمل عند القوم وحكم تركه فقد أخرجوه من مسمى الإيمان تبعاً لتعريفهم للإيمان ولم يجعلوه جزء من الإيمان، جاء في كتاب الدر الثمين:

«س: ما حكم الشرع في العمل الصالح هل هو شرط كمال الإيمان أم شطر منه، أم لا ولا؟»

ج: المختار عند أهل السنة^(٣) أنه شرط كمال، ومن لم يأت به فهو مؤمن إلا أنه فوت على نفسه الكمال وهذا إن لم يكن ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه^(٤).

ويقول محمد بن سالم بن حفيظ^(٥): «ومن جمع القول والعقد دون

(١) انظر: أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (ص ٧).

(٢) نيل المرام (ص ٦٤).

(٣) يقصد بهم الأشاعرة، ونسبة أهل السنة للأشاعرة نسبة غير صحيحة، فالأشاعرة فرقة جانب الصواب فلا تنطبق هذه النسبة عليها؛ لأن منهجهم مخالف لمذهب أهل الحديث والسنة من الصحابة والتابعين، وقد مر معنا موقف الأشاعرة من مسائل الصفات والإيمان وغيرهما، وستأتي بعض مخالفاتهم في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٤) الدر الثمين (ص ٢٩).

(٥) هو محمد بن سالم بن حفيظ، ولد بقرية مشطة - من ضواحي تريم - عام ١٣٣٢ هـ، درس على يد عبد الله بن عمر الشاطري. رحل إلى الحرمين وأفريقيا والهند وباكستان. له عدة مؤلفات منها: دروس التوحيد، وتكملة زبدة الحديث في فقه الموارث، والفوائد الثمينة لقارئ المختصر والسفينة - في الفقه - وغيرها. فُقد سنة ١٣٩٢ هـ بعد أن دبرت مؤامرة خطف له من النظام الحاكم آنذاك. انظر: قبسات النور (ص ١٣٨ - ١٤٤)؛ وهداية الأخيار (ص ١٩٢ - ١٩٣).

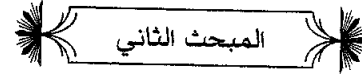
العمل فهو مؤمن يدخل النار إن لم يعف الله عنه، ولا يخلد فيها، هذا هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة^(١).

وجاء في كتاب (الإشارة الصوفية للأطوار الإنسانية والطهارة السبعية السبعية) لأحمد بن زين الحبشي: فويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، والكفر هو الإعراض عن الآخرة بالإقبال على الحياة الدنيا بالكلية فتفسد أمزجتهم عن قبول الحق فعلى قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً...^(٢).

هذا هو مبلغ علم القوم في معرفة ما يناقض كلمة التوحيد؛ لذا تجدهم قد أكثروا في مؤلفاتهم من تقرير الشرك، وإعطاء أوليائهم صفات الرب تعالى وبالتالي صرفوا العبادات لهم من دون الله تعالى من دعاء وخوف ورجاء واستغاثة ونذر وغيرها، ومع ذلك يدعون أن قلوبهم مليئة بتعظيم الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ وأنه لا يجوز إطلاق الشرك على من هذا حاله! فسيحان من طبع على قلوبهم حتى وصلوا لهذه الغاية من الضلال.

(١) نيل المرام (ص ٥٩).

(٢) الإشارة الصوفية للأطوار الإنسانية والطهارة السبعية السبعية لأحمد بن زين الحبشي (ص ٥).



قولهم في الدعاء والشفاعة

تمهيد: تعريف الدعاء لغة واصطلاحاً

الدعاء لغة: قال ابن فارس: دعو الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاءً^(١)..

ومن معاني الدعاء الطلب والسؤال، قال الحافظ ابن العربي المالكي: الدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب^(٢).

وأما معناه اصطلاحاً فهو: استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية^(٣).

والدعاء قسمان. دعاء ثناء وذكر، ودعاء مسألة، وكلاهما عبادة لا تصرف إلا الله تعالى.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «فتارة يكون الدعاء بالسؤال من الله ﷻ والابتهاال إليه، كقول الداعي. اللهم اغفر لي اللهم ارحمني، وتارة يكون بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره، وما يجب من عبده أن يفعله، وهذا هو حقيقة الإيمان^(٤)». وقال

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٢/٢٧٩).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٨١٥) تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

(٣) شأن الدعاء للخطابي (ص٤).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن رجب (١/١٨)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ.

الطبيبي^(١) رحمه الله: «إذ الدعاء هو. إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له»^(٢).

ودعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه^(٣).

المطلب الأول

انحراف صوفية حضرموت في الدعاء

معنى الدعاء عندهم:

بناء على عدم معرفة القوم لمعنى العبادة، وما هو توحيد العبادة، فإنهم ضلّوا في مفهوم الدعاء أحد أنواع العبادة التي يجب أن تصرف لله تعالى.

يقول زين العابدين العلوي في كلام له منتقداً أهل التوحيد في إنكار صرف العبادة لغير الله تعالى وأنه شرك: «اعلم أن شبهة هؤلاء الفرقة^(٤) التي قد توصلوا بها إلى تكفير المسلمين قولهم: (كل عبادة لغير الله شرك) هذا وإن كان صحيحاً معلوماً لدى الخاص والعام، لكنهم قد ضلّوا وأضلّوا حيث يبنون على هذه القاعدة أموراً فاسدة ودعاوى كاذبة؛ كزعمهم كل نداء لميت أو غائب ونذر وذبح لنبي أو ولي وطواف وتمسح بقبر فهو عبادة لغير الله ومن يفعل شيئاً من ذلك فهو كافر مشرك بالله.

(١) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطبيبي، عالم مشارك في علوم مختلفة. من تصانيفه: الكاشف عن حقائق السنن النبوية، وفتوح الغيب عن قناع الريب في التفسير. توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/٦٣٩).

(٢) الفتح (١١/٩٨)، دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/١٠).

(٤) ويقصد بهم أهل السنّة والجماعة، وتسميتهم بفرقة بقصد ذمهم هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً، فأهل السنّة مقتفون أثر النبي ﷺ ظاهراً وباطناً لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى قيام الساعة، ومن منهج هذه الطائفة المباركة أن الحكم بتكفير الشخص لا يكون إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع، فمتى توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع فلا يترددون في تكفيره، فإن من كفر وجب تكفيره لا يتجاوز القرآن والحديث.

وهذا جهل منهم وخطأ صريح مخالف لما عليه أهل الحق والمذهب الصحيح، وذلك لعدم تفتنهم إلى ما اعتبره الشرع في معنى العبادة وحقيقتها، أعني الإتيان بأقصى غاية الخضوع مع اعتقاد ربوبية المخضوع له أو شيء من خصائصها مع الاستقلال بالنفع والضرر...»^(١).

وجاء في أجوبته أيضاً: «ما حكم نداء غير الله؟

ج: يجوز نداؤه سواء كان حياً أو ميتاً ليتوجه إلى الله في شأنه وذلك باتفاق العلماء والأئمة الأعلام، ولم يقل أحد بكراهته فضلاً عن الشرك والحرام... إلى أن قال: قال العلماء رحمهم الله: النداء لا يكون عبادة إلا إذا اعتقد المنادي أن المدعو مستقل بالنفع والضرر، أو نافذ المشيئة مع الله لا محالة، فهذا شرك لا اعتقاده فيه خصيصة من خصائص الربوبية، وأما إذا لم يعتقد ذلك فليس بعبادة قطعاً... فلو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت لاستواءهما في عدم التأثير بدون تقدير الله، وهذا لا يقوله أحد من المسلمين. ونقل ابن القيم رحمته الله في الكلم الطيب أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كان شعارهم في قتال أهل الردة يوم اليمامة (وا محمداه).

وكان ذلك بعد وفاته رحمته الله في خلافة الصديق رحمته الله وثبت أن ابن عباس وابن عمر رحمتهما الله قالوا: (إذا خدرت رجل أحدكم فليناد: يا محمد)^(٢). ذكره ابن القيم في الكلم الطيب^(٣)، وروي أن عبد الله بن عمر رحمتهما الله خدرت رجله فقبل

(١) الأجوبة الغالية (ص ٤٤).

(٢) أخرجه ابن السني (١٦٦)؛ وقال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف». والحديث له علتان أحدهما: جهالة أحد رواه واسمه الهيثم بن حنش قاله الخطيب في الكفاية في علم الرواية (ص ٨٨)؛ وفيه: عن عنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس، وكان قد اختلط، وهذا الحديث من تخليطه. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤) وابن السني (١٦٨) وفيه أيضاً تدليس واختلاط أبي إسحاق السبيعي. انظر: الكلم الطيب بتحقيق العلامة الألباني رحمته الله (ص ١٢٠).

(٣) الوابل الصيب (ص ٢٠٤) وليس في الأثرين عن ابن عمر وابن عباس بلفظ «فليناد». وهذا يدل على عدم الأمانة العلمية في النقل، وكل ذلك من أجل نصر معتقد القوم الباطل ولو كان ذلك بالافتراء على أصحاب رسول الله ﷺ.

له اذكر أحب الناس إليك يزيل عنك فصاح. يا محمداه^(١)، ذكره القاضي عياض في الشفاء^(٢).

واستدلال المؤلف بهذين الأثرين الضعيفين من حيث الرواية، يجاب عنه من حيث الدراية: أن غاية ما ذكر أن فيه ذكراً للمحسوب وليس فيه دعاء ولا طلب حاجة ولا أن يكون واسطة لإزالة خدر الرجل، وإلا لكان لازماً أن من ذكر محبوبه فقد استغاث به وتوسل به في إزالة شدته وهذا من أبطل الباطل، فما قوله إذا ذكر الكافر حبيب فزال خدر رجله أيكون قد استغاث به وقبل الله استغاثته؟.

وهذا الدواء التجريبي للخدر كان معروفاً عند الجاهليين قبل الإسلام جرب فنفع، وليس فيه إلا ذكر المحبوب، وقالوا إن ذكره للمحسوب يجعل الحرارة الغريزية تتحرك في بدنه فيجزى الدم في عروقه فتتحرك أعصاب الدم، فيذهب الخدر^(٣).

فمن أشعار الجاهليين في ذلك:

صبّ محب إذا رجله خدرت نادي كبيشة حتى يذهب الخدر
وقال والآخر:

وأنت لعيني قرة حين نلتقي وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي^(٤)

وقد جاءت رواية أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسنده إلى عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل. اذكر أحب الناس إليك؟ فقال: محمد^(٥).

ففي هذه الرواية عدة أمور منها:

١ - قول ابن عمر محمد بدون حرف النداء وهذا كان عند العرب أن

(١) أخرجه ابن السني (١٦٥) قال الشيخ الألباني رحمته الله: «موضوع». وعلة الحديث: غياث بن إبراهيم: كذاب خبيث. ولفظه في تذكره محمداً مجرد من حرف النداء. وانظر: هذه مفاهيمنا، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص ٤٥).

(٢) الأجوبة الغالية (ص ٦٨). (٣) هذه مفاهيمنا (ص ٤٦).

(٤) بلوغ الأرب (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٥) الأدب المفرد، للإمام البخاري: برقم (٩٦٤).

يتذكر الحبيب ليكون أكثر استحضاراً في ذكر الخادر رجله، فتنتطق، وعدل ابن عمر عن الاستعمال الشائع إلى غيره لما في الشائع من المحذور.

٢ - تذكر ابن عمر للنبي ﷺ وأنه أحب الناس إليه حق، وقد دلّ على ذلك النصوص الكثيرة، بل أن محبته ﷺ يجب أن تكون أحب للعبد من نفسه التي بين جنبيه فضلاً عما دونها.

٣ - أن هذا الأثر من طريق سفيان وهو من الحفاظ الأثبات، فنقله خبر أبي إسحاق بهذا اللفظ يدلّ على أنه المحفوظ، وسواء غلط مردود^(١).

الدعاء كما هو معلوم من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ولكن صوفية حضرموت صرفت هذه العبادة العظيمة لغير الله تعالى من المخلوقين، وأرادت تغيير الحقائق، وذلك بتسمية بعض عباداتها الشركية بغير اسمها لتروج على الناس، وعند النظر فيها يتبين أنها تدخل تحت نوع من أنواع العبادة التي هي حق خالص لله تعالى.

ومن تلك العبادات النداء وهو من جنس الدعاء وأنواعه وليس قسماً للدعاء^(٢).

وتشبيه دعاء المسألة بالنداء بين الناس في الدنيا غير صحيح؛ لأن دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ليس نداء عادياً بل معه من الذل والخضوع والرغبة في تحقيق مطلوبه ممن دعاه والخوف من عدم حصول مطلوبه شيء كثير، فلا يصح تشبيهه بالنداء العادي بين الناس، فإذا ثبت من دعاء المسألة ما يكون من العبادة فإن الشرك يقع فيه إذا صُرف لغير الله^(٣).

وبناء على ضلالهم في معرفة العبادة ومساثلها فقد حصروا الشرك في الربوبية فقط، واشترطوا لتكفير من يقع في الشرك في الألوهية مصاحبة اعتقاد الشرك في الربوبية؛ وإلا فإنه لا يسمى شركاً عند القوم، فكل من جعل بينه

(١) هذه مفاهيمنا (ص ٤٥).

(٢) تحفة الطالب والجلس في كشف شبه داود بن جرجيس، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن

حسن آل الشيخ (ص ١٠٩).

(٣) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص ٥٢٦ - ٥٢٧).

وبين الله واسطة لا يعتقد التأثير فيهم ليس بمشرك عندهم، يقولون هذا مع أن الله تعالى أخبر في كتابه أن هذا من أعمال المشركين.

قال تعالى مخبراً عن المشركين أنهم قالوا عن عبادتهم للأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. فسامهم الله كذبة كفرية، مع قوله أنهم ما يفعلون تلك العبادة إلا لتقربهم إلى الله زلفى، ولا يعتقدون فيها التأثير، فما الفرق بين قول المشركين هذا وبين قول القوم؟!.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي عند تفسير هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: يتولونهم بعبادتهم معتردين عن أنفسهم وقائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾؛ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده. وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً^(١).

النصوص الدالة على صرف صوفية حضرموت الدعاء لغير الله تعالى: وبناء على اعتقادهم بأن الدعاء ليس عبادة إلا إذا اقترن به الشرك بالربوبية، فقد صرفوا هذه العبادة العظيمة لأوليائهم لاعتقادهم أنهم يجيبون من دعاهم.

جاء في ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم: نظم عبد الله بن علوي الحداد عند وصفه للولي قوله:

جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي^(٢)

ويؤكد هذا المعنى تلميذه أحمد بن زين الحبشي شارحاً لبعض أبيات شيخه الحداد في إنزال أقطابهم منزلة الرب جلّ وعلا، ومن ذلك اعتقادهم إجابة الأموات لدعاء الداعين: «ثم قال ﷺ:

هذا وكم غيرهم من سادة ممن تصوف في الزمان الغابر

(١) تيسير الكريم الرحمن: (ص ٦٦٤).

(٢) ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم (ص ١٢٧).

يعني بمثل هذه الأوصاف الجليلة كثير من أكابر السادات الماضين في الزمن الماضي من أهل التصوف والتصرف، ممن أقامه الله تعالى في مقام القرب منه والأنس به سبحانه وخصه واصطفاه بمعرفته والاستغراق بذكره، وأورثه جمعية الأحباب، وعلم الكتاب، وجميل الأخلاق، وحسن الآداب ممن إذا دعي أجاب لقربه من ربِّ الأرباب»^(١).

كما غلا القوم في القبور وصرفوا لها خالص الدعاء وروّجوا لها الفضائل ليقعوا غيرهم من الجهال في حبال الشراك بالله تعالى: «قال: بعضهم رأيت حلل الحرير عند قبر الفقيه محمد بن علي وكثيراً ما يرى الأخيار نزول الرحمة عند قبره على زواره واستجابة الدعاء عند ضريحه الشريف مشهور، فكم من مريض ببركته قد برئ، وسقيم قد شفي، ولا يزوره زائره بصدق إلا ويرجع بنجح مطلوبه ويعود بفوز مرغوبه»^(٢).

ويرى القوم استجابة الدعاء عند قبور أوليائهم فقد جاء في كتاب المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي عند ذكر ترتيب زيارة المقبورين في مقبرة الفريط: «ثم الشيخ أحمد بايحيى وأباه وعمه فالدعاء عند قبورهم مجرب سيما بولد فإنه مستجاب»^(٣).

وجاء في كتاب نيل المرام عند ذكر وفاة عبد الله بن علوي الحداد: «وكان في آخر موته يقول. يا محمد يا أحمد»^(٤).

هذه بعض النصوص الدالة على انحراف القوم في مسألة الدعاء، ذكرنا بعضها للاستشهاد وبيان جهل القوم بتوحيد الألوهية وأنواعه التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

(١) الروض الناظر، لأحمد بن زين الحبشي (ص ١٥).

(٢) العقد النبوي (١/٢٨٤).

(٣) المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي، لأحمد بن زين الحبشي (ص ٤٥) مخطوط.

(٤) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام (ص ٧).

قول صوفية حضرموت في الاستغاثه:

تمهيد:

تعريف الاستغاثه لغة واصطلاحاً:

الاستغاثه لغة هي. طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكاك والشدائد^(١).

والمعنى اللغوي للاستغاثه هو نفس المعنى الاصطلاحي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الاستغاثه طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون»^(٢).

اقسام الاستغاثه:

والاستغاثه قسمان. استغاثه مثبتة وهي الاستغاثه بالمخلوق الحي القادر. كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. [القصص: ١٥].

والقسم الثاني: الاستغاثه المنفية. وهي نوعان أحدهما: الاستغاثه بالميت مطلقاً في كل شيء، والثاني: الاستغاثه بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق^(٣).

العلاقة بين الاستغاثه والدعاء:

الدعاء أعم من الاستغاثه؛ لأن الاستغاثه دعاء بإزالة الشدة فقط، والدعاء عام لكونه لجلب منفعة، أو لدفع مضرة^(٤).

منزلة الاستغاثه في التوحيد:

الاستغاثه من أنواع العبادة وهي دعاء خاص (طلب)، والطلب نوع من

(١) تاج العروس: للزبيدي (٥/٢١٤)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١٤١٤هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١/١٠٣).

(٣) الرد على البكري (ص ٢٤٦) وبهامشه الرد على الأخنائي دار أطلس، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٦١).

أنواع الدعاء كما مر، والعبادة بجميع أنواعها لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ولعدم معرفة صوفية حضرموت توحيد الألوهية وما اندرج تحت هذا التوحيد من أنواع العبادة التي هي حق الله تعالى على العباد، أدى بهم ذلك إلى صرفها لغير الله تعالى، وامتلات كتبهم بذلك من منظوم ومثثور.

والاستغاثة بالله عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً عدم جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ: «ولو كان يجوز السؤال والاستغاثة به في كل ما يسأل الله ويستغاث به فيه كما قال هؤلاء المفترون إنه تجوز الاستغاثة به وبغيره من الصالحين في كل ما يستغاث الله فيه لم يحرم من مسألته إلا ما يحرم من مسألة الله تعالى، والعبد يجوز أن يسأل الله الرزق والعافية والنصر على الأعداء والهداية والنبي ﷺ لا يجوز أن يسأله أحد كل ما يقدر عليه فضلاً عن أن يسأله ما لا يقدر عليه، لما في ذلك من الأذى والعدوان عليه وهو أحق بالتعزيز والتوقير من غيره فإذا كان يحرم أذى غيره بذلك فأذاه أولى بالتحريم بل أذاه كفر وأذى المؤمنين ذنب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٨].. (١)

وضابط الاستغاثة الشركية هو أن يستغيث المخلوق بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة، وكل من صرف هذه العبادة لغير الله تعالى سواء لنبي أو ملك أو صنم أو غير ذلك فإنه مشرك كافر، يقول العلامة عبد الرحمن بن حسن (٢) في رده على داود بن

(١) الرد على البكري (١/٤٠٩).

(٢) هو العلامة المحقق عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، تعلم بنجد ثم بمصر عندما رحلوا إليها بعد سقوط الدرعية، ثم عاد إلى نجد وتولى القضاء في الرياض. من مؤلفاته: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقرعة عيون الموحدين. توفي في الرياض سنة ١٢٨٥هـ. انظر: عنوان المجد (١/٥٦)؛ والأعلام (٣/٣٠٤)، ط ٦؛ وعلماء نجد خلال ستة قرون (١/٥٦)، ط ١، ١٣٩٨هـ، مكتبة النهضة.

جرجيس (١): «وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ٢١﴾ أَمْ تُؤْتَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٢٢﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١]. وليس هذه في الأصنام كما يزعمه من لم يتدبر؛ لأن (الذين) لا يعبر به إلا عن العقلاء، ولأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يحلها الموت، ولأنها لا تبعث يوم القيامة بعث الإنسان ليجزى بما كسبت يده، ولا يعقل منها شعور بهذا البعث حتى ينفيه الله عنها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٢٢﴾ فهذه الآية فيمن يموت ويبعث، كما لا يخفى على من تدبرها، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٢٢﴾، وهذا إنما يستعمل فيمن يعقل كما لا يخفى على من له معرفة باللغة العربية، فالحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة» (٢). وقد جاءت الأدلة الصريحة التي تبين أن الاستغاثة من جنس الدعاء، وأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى؛ لأن من صرف أي عبادة لغير الله تعالى يعتبر مشركاً؛ بل يجب لله تعالى وحده كالدعاء بأنواعه الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِن ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ١٢٤﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤].

وقوله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن تَعَمُّقٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ٥٢﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤]. وقال

(١) هو داود بن سليمان البغدادي النقشبندی الخالدي الشافعي، ابن جرجيس، ولد ببغداد سنة ١٢٣١هـ، ورحل إلى عدة بلدان، وأقام بمكة عشر سنوات، وصنف كتباً ضد الدعوة السلفية في نجد منها: أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، وصلح الإخوان، وغير ذلك. وقد كثرت الردود عليه من علماء نجد وبينوا ضلاله وجهله بالحق وأهله. توفي سنة ١٢٩٩هـ. انظر ترجمته: هداية العارفين (٥/٣٩٣)؛ والأعلام (٢/٣٣٢)؛ ومعجم المؤلفين (١/٦٩٨).

(٢) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتليس على قلب داود بن جرجيس، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ) (ص ٨٠ - ٨١).

تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٦) وَإِنْ يَسْتَسْكِ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُدْعَى بِغَيْرِهِ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ [يونس: ١٠٦ - ١٠٧].

وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَسْكِ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْتَسْكِ بِغَيْرِ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) [الأنعام: ١٧].

وقوله: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٢٨) [الزمر: ٣٨].

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢٩) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٣٠) [الجن: ٢١ - ٢٢].

وقوله: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٣١) [سبا: ٢٢].

وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (٣٢) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (٣٣) [فاطر: ١٣ - ١٤].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمِنْهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مَثَلُ بَلٍ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٣٤) [فاطر: ٤٠].

وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣٥) [الشورى: ٣١].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَضُرُّونَ﴾ (٣٦) [الأعراف: ١٩٧].

وقوله: ﴿أَمِنْ يُحِبُّ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْعُرُونَ﴾ (٣٧) [النمل: ٦٢].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) [الأعراف: ١٩٤].

مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّطُنَا مَرِيدًا﴾ (٣٩) [النساء: ١١٧].

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٤٠) [الرعد: ١٦].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (٤١) [الاحقاف: ٥].

وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (٤٢) [الأنفال: ٩]. ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فلقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (٤٢) [الأنفال: ٩]. فأمد الله بالملائكة» (١).

وفي رواية: «فما زال يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه» (٢).

يقول الإمام النووي رحمته الله عند شرحه لهذا الحديث: «يهتف معناه يصيح ويستغيث بالله بالدعاء» (٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (ص ٧٣١) برقم (١٧٦٣).

(٢) مسند أبي عوانة (٢٢٠/٤) وأصله في مسلم وقد تقدم الحديث.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (٣٠٦/١٢) تحقيق: خليل مأمون شيجا.

وقال تعالى مبيناً استغاثة المشركين بالله جلّ وعلا عند الشدة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُم مِّنْهُم مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: «ثم ألزم الله تعالى المشركين بإخلاصهم لله، في حال الشدة عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه، وخوفهم الهلاك؛ يتركون إذا أُنذروهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له. فلما زالت عنهم الشدة، ونجّاهم من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة ولا أزال عنهم مشقة.

فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر؛ ليكونوا مؤمنين حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه»^(١).

ففي هذه النصوص بيان لأهمية الاستغاثة بالله تعالى إذ هي عبادة عظيمة عرفها المشركون فكانوا لا يستغيثون في الشدائد إلا بالله تعالى، ولا يشركون إلا في الرخاء.

ولتخبط صوفية حضرموت في توحيد الألوهية وجهلهم به، جعلهم لا يعرفون خطورة صرف العبادة لغير الله تعالى ومنها الاستغاثة، وكذلك لم يفرقوا بين المعاني الشرعية، فلم يفرقوا بين التوسل والاستغاثة كما سيأتي في كلامهم، فيجدر بنا أن نوضح الفرق بين التوسل والاستغاثة لتتضح هذه المعاني ويتميز بعضها عن بعض.

الفرق بين التوسل والاستغاثة:

هناك عدة فروق بين التوسل غير المشروع وبين الاستغاثة بغير الله تعالى، فلا يجوز أن ننزل أحكام التوسل غير المشروع على الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكذلك العكس، ومن الفروق بينهما^(٢):

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص ٧٤٧) ط ابن الجوزي.

(٢) انظر: كتاب الاستغاثة في الرد على البكري (ص ٢٥٦)، تحقيق: عبد الله السهلي، والكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، لمحمد فقيه (ص ٢٦٠).

التوسل هو سؤال الله تعالى بالنبي ﷺ أو الولي، أما الاستغاثة فهي طلب الغوث من المستغاث به لا من غيره، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْهُم مِّنْ شَيْعُونِهِمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ عَدُوِّهِمْ﴾ [القصص: ١٥].

وأيضاً فإن مادة التوسل لا تتعدى إلا بالحرف كقولك: توسلت بفلان إلى فلان، ومثله تشفعت به وتوجهت به، وتصير الباء على هذا بمعنى السببية. وأما مادة الاستغاثة فإنها تتعدى بنفسها بالحرف وكلاهما واحد فنقول: استغاثه واستغاث به، وكلا المعنيين طلب الغوث من المستغاث به.

ولم يقل أحد قط أستغيث برسولك عندك، ولا هذا عند أحد، لا العرب ولا غيرهم، وهو ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة وليس كذلك، فإنه يقال: استغاثه واستغاث به، كما يقال: استعانه واستعان به، فالمستغاث هو المسؤول، وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب إلى المسؤول.

مسألة: انحراف صوفية حضرموت في مسألة الاستغاثة:

أخرج صوفية حضرموت الشرك العملي من حقيقة الشرك، حيث لم يعتبروا الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركاً، إلا إذا تضمن اعتقاد ربوبية من صُرفت له.

وكما تقدم في مبحث قولهم في معنى لا إله إلا الله من أن منشأ ربط الشرك عند القوم لا يكون إلا باعتقاد الربوبية لغير الله؛ لأن حقيقة التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، لذا اعتبروا من وقع في الشرك العملي الأكبر، والذي يخرج من الملة على هذا الأساس مسلماً، طالما وهو لا يعتقد التأثير لأحد غير الله فيهم ويرى المؤثر والفاعل حقيقة هو الله جلّ وعلا.

ونتيجة لحصر القوم الشرك في الربوبية فقط أصبح من الطبيعي عندهم أن تكون الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والملائكة جائزة بل اعتبروها من المحبة والإكرام.

ومن الأسباب التي أوقعت صوفية حضرموت في الاستغاثة الشركية هو اعتقاد تصرف أوليائهم أمواتاً وأحياء في الكون، لذا هرعوا إليهم في قضاء الحاجات، وتفريج الكربات؛ لاعتقادهم أن الاستغاثة بهم إنما هي استمجادهم في الإعانة في أمر من الأمور؛ لأن الله أعطاهم تصرفاً وجعل لهم تأييداً منه. لذا قال علي بن أبي بكر السكران:

ألا يا أولي التصريف يا منقذي إذا ترادف عند الموت كربى وشدتى
ودكدت الأحوال حولي وقوتي ولم يك إلا عفو ربى وثيقتي
فمدوا رجائي منكم بمعونة وأنس ولطف عند يأسى وغيبتي^(١)
يقول علوي الحداد منتقداً دعوة التوحيد لأنها بزعمه أثرت على العوام
حتى جعلتهم يعتقدون أن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك:
«وينبغي اليوم في هذا الوقت من الحوادث التي حدثت في الثلم في الدين
باعتقاد العامة قول البدعي^(٢) أن الاستغاثة شرك، فالعالم والمقتدى به ينبغي أن
يظهر الاستغاثة ليقتدى به»^(٣).

هكذا بلغت الجرأة بالحداد بتسويغ الشرك، بل ويعتبر ذلك - بزعمه -
توحيداً، وسبب ذلك عدم معرفتهم التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت
لأجله الكتب؛ فلا يعرفون إلا توحيد الربوبية فقط، وزعموا أن من عرف
توحيد الربوبية عندهم فلا يضره الشرك في الألوهية، ويؤكد ذلك دعوة علوي
الحداد العلماء أن يشركوا بالله ليردوا الناس إلى الدين بزعمه!

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله أسباب انحراف من ضل في توحيد
الألوهية بأنواعها ومنها الاستغاثة بغير الله وصرفها للأنبياء والأولياء والصالحين،
وأن أعظم هذه الأسباب الغلو وكذا الاعتماد على ما لا يصح من الأحاديث في
تجويز الأمور الشركية فقال: «إذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام، أو السنة في هذه الأزمان
قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة حتى يدعي السنة من ليس من أهلها، بل قد
مرق منها وذلك بأسباب منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال:
﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ

(١) ديوان علي بن أبي بكر السكران (ق ٣٥).

(٢) ويقصد بالبدعي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، وهكذا يلزم الحداد الإمام
محمد بن عبد الوهاب بهذا اللقب في رسالته التي سودها بالكذب والافتراء على الحق
وأهله، وينطبق على الحداد المثل القائل: «رمتي بدائها وانسلت».

(٣) كتاب مصباح الأنام (ص ٦٠).

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ [النساء: ١٧١] وقال تعالى:
﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١٧٢﴾﴾ [المائدة: ١٧٢].
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في
الدين»^(١) وهو حديث صحيح، ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى
في كتابه العزيز ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب عليه باتفاق أهل
المعرفة يسمعونها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه^(٢).

وبيّن الإمام ابن القيم رحمته الله خطورة الاستغاثة بغير الله وأنها شرك أكبر
يجب الحذر منه: «ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم
والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا
يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فضلاً عما استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله
أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم؛
فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً
لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن
وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك،
والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي إذا
زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة»^(٣) فعكس

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/٢١٥، ٣٤٧)؛ والنسائي كتاب مناسك الحج، باب قدر حصى
الرمي (٣٢٣) برقم (٣٠٥٧)؛ وابن ماجه: كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي برقم
(٣٠٢٩). وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٣/٢٧٨) برقم (١٢٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٨٣).

(٣) يشير إلى ما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا:
«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا
ولكم العافية». أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة
والتحجيل في الوضوء (ص ١٢٧) برقم (٢٤٩) وأخرج نحوه تحت رقم (٩٧٤).

المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعادة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم، والله خليله إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿وَأَجْتَنِي وَيَنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيدة الله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله والتجاء إلى الله واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله متبعاً لأمره مطلباً لمرضاته^(١).

وبهذا يعلم أن: «الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة والقبور على قضاء حوائجهم، وتيسير أمورهم وشفاء أمراضهم، ونماء أموالهم وهلاك أعدائهم عن صراط التوحيد ناكبون، وعن الاهتداء بآيات المثاني معرضون؛ لأن الاستعانة بما وراء الأسباب الممنوحة للبشر إنما تكون لخالفهم، وهو على كل شيء قدير كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء، وعلى غلبة العدو بما وراء العدد والعدة، فإذا توجه بها إلى غير الله كان نوعاً من أنواع العبادة الوثنية»^(٢).

وكذا صرفت صوفية حضرموت الاستغاثة بالمخلوقين من الأنبياء وغيرهم لاعتقاد حياتهم في قبورهم كما كانوا في الدنيا، بل وجعلوا لهم تصرفات لا

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٦).

(٢) فتوى عن حكم الاستغاثة بغير الله، للشيخ: محمد بن عمر العماري (ت ١٣٩١هـ) (ص ٢٧ - ٢٨)، علق عليه: فائز بن سالم بن سعيدان، دار الشوكاني، ط ٢، ١٤١٩هـ.

تكون إلا لله العظيم جلّ في علاه، حيث حشد علوي الحداد في كتابه مصباح الأنام نقولات عن بعض من يعظمهم من متأخري علماء المذهب الشافعي، وأكثر القوم من تلك النقول^(١) لتجوير الاستغاثة الشريكة، فقد استشهد الحداد بكلام لمحمد الرملي الشافعي^(٢) وهو قوله: «كرامات الأولياء مشاهدة لا يمكن إنكارها، والذي نعتقه وندين الله تعالى به ثبوتها في حياتهم وبعد مماتهم ولا تنقطع بموتهم... كما وردت الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم؛ لأن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يأكلون ويشربون ويحجون بل وينكحون كما وردت بذلك الأخبار، وتكون الاستغاثة بمعجزة منهم، والشهداء أحياء عند ربهم شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار يعني بذلك عالم المحسوس لهم في الحياة وبعد الممات، فافهم وأما الأولياء فهي كرامة منهم؛ فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله بسببهم، والدليل على جوازه ووقوعها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال»^(٣).

وقال زين العابدين العلوي في أجوبته: (الأنبياء وكذا الشهداء أحياء في قبورهم حياة برزخية يطلعون على ما شاء الله في أحوال هذا العالم، وقد نص القرآن على حياة الشهداء في برازخهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

واستدل زين العابدين لقوله بأنه: «قد جاء في الأحاديث الصحيحة ما يقتضي بقاءهم، وأن الأرض لا تأكل أجسادهم، فروى مسلم عن أنس رضي الله عنه

(١) انظر: مصباح الظلام (ص ٦ - ٢٧).

(٢) هو محمد بن أحمد بن حمزة الرملي الشافعي، المنوفي المصري، فقيه، مشارك في بعض العلوم. ولد بالقاهرة سنة ٩١٩هـ. ولي إفتاء الشافعية. من تصانيفه: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي، وغاية البيان في شرح زبدة الكلام في الفقه الشافعي، وشرح العقود في النحو وغيرها. توفي سنة ١٠٠٤هـ. انظر: معجم المؤلفين (١/٦١).

(٣) مصباح الأنام (ص ٢٦).

أن النبي ﷺ قال: «أتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً على قبره في الكتيب الأحمر»^(١)، وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم مرفوعاً: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا من الصلاة علي فإن صلاتكم معروضة علي»، فقالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرميت - أي بليت -؟ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(٢) وورد أيضاً أنهم يصلون وتجري لهم أعمال البر كحياتهم، فروى البيهقي وأبو يعلى مرفوعاً: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»^(٣)»^(٤).

ويقول أيضاً: «ولا شك أن حياة الأنبياء ﷺ وكُمُل ورثتهم من الأصفياء أتم، وأكمل من حياة الشهداء لكونهم أعلى مرتبة منهم بدليل قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾» [النساء: ٦٩]»^(٥).

ويجيب على استغاثتهم الشريكية بحجة حياة الأنبياء في قبورهم بما يلي:
إن سبب وقوع هذه الشبهة عند المخالفين من المتكلمين ومن سلك سبيلهم، ما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «وهذا القول في النبوة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضائل موسى ﷺ (ص ٩٦٧) برقم (٢٣٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (ص ١٣٠) برقم (١٠٤٧)؛ والنسائي في سننه: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على رسول الله يوم الجمعة (ص ١٦٢) برقم (١٣٧٤)؛ وابن ماجه في سننه: كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة (ص ١٢٢) برقم (١٠٨٥). وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في تخريجهِ للمشكاة (٤٢٩/١) برقم (١٣٦١).

(٣) رواه البيهقي حياة الأنبياء (ص ٧٤) موقوفاً على أنس رضي الله عنه، إسناده ضعيف فيه مؤمل بن إسماعيل القرشي، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب: (ص ٩٨٧): «صدوق سيء الحفظ»، ويرويه عن عبيد الله بن أبي حميد الهذلي، الذي قال فيه الحافظ في التقریب (ص ٦٣٧): «متروك الحديث»، وروا أبو يعلى في مسنده (١٤٧/٦) برقم (٣٤٢٥) والحديث صححه الشيخ الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (١٨٧/٢ - ١٨٩) برقم (٦٢١).

(٤) الأجوبة الغالية (ص ٧٠ - ٧١). وانظر: مصباح الظلام، للحداد (ص ٢٦).

(٥) الأجوبة الغالية (ص ٧٠).

بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة، وصفات الحي مشروطة بها، فإذا زالت بالموت تبعث صفاته فزالت بزوالها، ونجا متأخروهم من هذا الإلزام وفروا إلى القول بحياة الأنبياء ﷺ في قبورهم، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت»^(١).

وقد أجاب الإمام ابن القيم رحمه الله عن هذه الشبهة بكلام متين حيث قال: «وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة والنار لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فناءه دائماً من جميع الوجوه، بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأن آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت ردَّ الله عليه روحه فيرد عليه السلام، وهي في الملاء الأعلى وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضوع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض؛ بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين وترد إلى القبر فتد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك، وروح رسول الله في الرفيق الأعلى دائماً ويردها الله سبحانه إلى القبر فتد السلام على من سلم عليه، وتسمع كلامه وقد رأى رسول الله موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة والسابعة فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء»^(٢).

وقد ذكر الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليميني^(٣) في منظومته

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/١١١). (٢) الروح (١/١٠١).

(٣) هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي رحمه الله، ولد بقرية من قرى إب، إحدى مدن اليمن، ونشأ بها ثم سافر أسفراً كثيرة، ووصل خلالها إلى كابل، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكريم، وفقه الشافعية وغيرهما من العلوم، ثم ارتحل إلى الهند، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عُمان، وتزوج من «صور»، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، وحج من هناك مرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى =

«هداية المريد» بعض الآيات في الرد على شبهة القوم فقال ﷺ:

والشهادة وأنبياء الله فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا لكونهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع فذاك كذاب مريد مبتدع
قد كذب القرآن والرسولا وخالف المعقول والمنقول
ومن نفى حياتهم في البرزخ فذاك من أهل العناد يا أخي^(١)

ويجاب عن قولهم بأن يقال: إن كلامهم هذا مبني على أصل المتكلمين، من أن العرض لا يبقى زمانين^(٢)، فلما أصلوا هذا الأصل الفاسد وقعوا في الحيرة والاضطراب، وهو أن النبوة والرسالة من صفات الحي، وصفات الحي أعراض، فهل يكون النبي ﷺ نبياً ورسولاً بعد موته؟ ففراراً من هذا المحذور ابتدعوا بدعة أخرى وهي أن الرسول ﷺ حي في قبره حياة دنيوية، فلا يلزم زوال نبوته ورسالته^(٣).

ومن المعلوم أن الميت إذا مات وفارقت روحه جسده، وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهيناً في الثرى جسداً بلا روح، أنه لا ينفع الحي ولا يجيب دعوته إذا دعاه، ولا يسمعه ولا يغيثه إذا استغاث به، وإذا كانت أرواح الأنبياء الذين هم أكمل الناس، وكذلك الأولياء والصالحون في أعلى عليين لم يرد الشرع بهذا؛ بل ورد بخلافه فقررت النصوص الشرعية أن الموتى على

= لحج، ثم عدن حيث استقر في الشيخ عثمان بعدن إماماً لمسجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد «زُكُوا».

وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة، وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ وكانت بينه وبين مشايخ صوفية عدن مصادمات وخصام بسبب ذلك. انظر في ترجمته: مقدمة كتابه «هداية المريد» (ص ٣ - ٥).

(١) هداية المريد إلى سبيل التوحيد، للشيخ: أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني (ص ١٨).

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال أصلهم هذا في در التعارض (٥١/٨).

(٣) انظر: توضيح المقاصد (١٥٠/٢ - ١٥٢)؛ وتوضيح الكافية (ص ١٠٣ - ١٠٥) للسعدي؛ وشرح التوبة، لهراس (٥/٢ - ٧).

اختلاف طبقاتهم لا يصلهم من أعمال أنفسهم إلا ما قدموه، ويصلهم من أعمال الأحياء ما ينفعهم مما وردت النصوص به من الدعاء والصدقة ونحوها^(١). أما أن الأرواح التي فوق السماوات السبع في أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الأرض، فتنفعهم وتتصرف فيهم، هذا محال قطعاً وضلال مبين، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، فكل من دعي من دون الله كالأموات والغائبين والأنبياء والصالحين فمن دونهم، فهو غافل عن داعيه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [٥] وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦]، فكيف يسوغ للمخلوق أن يستغيث بميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، فضلاً عن نفعه لغيره؟ ولو سلمنا أن الميت يعلم ما يفعله الحي ويطلبه، فإنه لم يرد في الشرع مشروعية ذلك.

ونقل هنا كلام بعض المفسرين ليعلم المراد من الآيات الواردة في حياة الشهداء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال الإمام ابن جرير الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [١٦٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَكَسْتَشِيرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

يعني تعالى ذكره ولا تحسبن: ولا تظنن، كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحاق: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: ولا تظنن، وقوله: ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﴿أَمْوَاتًا﴾ يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أَمْوَاتًا لا يحسون شيئاً، ولا يلتذون ولا يتنعمون فإنهم أحياء

(١) لما أخرجه في مسلم في صحيحه: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» وقد تقدم تخريجه (ص ٣٥٨) من هذا البحث.

عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي»^(١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار»^(٢).

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].. «وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد، ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل وبالوحي»^(٣).

وقال الحافظ ابن الجوزي في تفسيره: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد مات فلان ببدر مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ورفع الأموات باضممار مكنى من أسمائهم أي لا تقولوا هم أموات ذكر نحوه الفراء^(٤)، فان قيل: فنحن نراهم موتى فما وجه النهي فالجواب أن المعنى لا تقولوا هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات ولا تنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء بل هم أحياء أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح ذكره ابن الأنباري^(٥)، فان قيل: أليس

(١) تفسير الطبري (١٧٠/٤).

(٢) تفسير البيضاوي (٤٢٩/١). وانظر عن حياة الشهداء: كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (٤٢٨/١ - ٤٣٨) تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم.

(٣) هو العلامة اللغوي النحوي الأديب الفقيه يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الدليمي الأسدي مولاهم، الكوفي نزيل بغداد، ولد في الكوفة سنة ١٤٤هـ. وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. انظر: إنباء الرواة (٧/٤ - ٢٣)؛ والسير (١١٨/١٠ - ١٢١).

(٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري النحوي اللغوي، ولد سنة ٢٧٢هـ. قال فيه تلميذه أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاث مئة ألف بيت شاهد في القرآن. صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث. توفي سنة ٣٢٨هـ ببغداد. انظر: السير (٢٧٤/١٥ - ٢٧٨).

جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء؟ فالجواب: أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومأكلاها وغيرهم منع بما دون ذلك...»^(١).

أما حديث حياة الأنبياء في قبورهم وهو ما رواه أبو يعلى والبيهقي عن أنس أنه رحمته الله قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»^(٢) فقد أجاب ابن القيم في نونيته عن هذا الحديث بأنه غير صحيح، ولكن على تقدير صحته فلا شك أنه لا يراد به الحياة الدنيا، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها، وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية إلى تلك الحياة البرزخية^(٣).

وحياة الشهداء في قبورهم قد دلت عليها النصوص - كما تقدم -، فإذا أحطت علماً بذلك تبين لك أن ما ذهب إليه أهل التخريف من أن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون اعتقاد فاسد ياباه كل ذي عقل سليم، فضلاً عما تحلى بالعلم والعقيدة الصحيحة.

والخلاصة أن حياة الأنبياء والشهداء حياة غيبية برزخية لا يعلم كنهها إلا الله تعالى. ولكل دار حكم، فلو خرجوا إلى الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية. فإذا جاز سؤال النبي رحمته الله الدعاء في حياته فلا يجوز ذلك بعد وفاته^(٤).

وقوله: «إن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ويحجون» هذا مما علم بالضرورة من دين الإسلام أنه كذب لا أصل له، ولم يقله أحد من أهل العلم الذين هم القدوة وبهم الأسوة، بل هو من أمحل المحال، وأضل الضلال^(٥).

(١) زاد المسير (١٦١/١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٠٠) من هذا البحث.

(٣) شرح القصيدة التونية (١٧٢/٢).

(٤) انظر: تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي الشافعي (ص ٨٤)، عني بطبعه ونشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر، الطبعة العاشرة.

(٥) انظر: الأسنة الحداد (ص ١٧٦ - ١٧٧).

واستدلّاهم بقصة الإسراء والمعراج حيث رأى النبي ﷺ موسى ﷺ لأجل تجويزهم للاستغاثة بالأموات يجاب عنهم: «وأما احتجاجهم برؤيته ﷺ موسى ﷺ يصلي في قبره ففيه نظر، وذلك أن الإمام الدارقطني أعله بأنه روي موقوفاً على أنس، ولذلك أعرض عنه البخاري فلم يروه في صحيحه، وأما مسلم فرواه موقوفاً وتفرد به عن البخاري، وعلى تقدير رفعه فليس مختصاً بموسى ﷺ فقد روى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه...» فيقول له: اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس، وقد دنت للغروب فيقول له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وما تشهد به عليه، فيقول: دعوني حتى أصلي فيقولون إنك ستصلي أخبرنا عما نسألك عنه^(١).

وصلاة موسى ﷺ في قبره ليست أداء وتكليفاً بل هي من النعيم الذي يتلذذ به أصحاب الجنة فإن المؤمن في الجنة يتنعم بكل ما يشتهي فإذا انتهى التلذذ بالصلاة حصل له ذلك. وكذا قد ورد أن ثابت البناني^(٢) رآه قد دعا الله أن يرزقه الصلاة في قبره^(٣) وعن جبير قال: «أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ومعني حميد الطويل فلما سويتنا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره وكان يقول في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها فما كان الله ليرد دعاءه^(٤)؛ أي أن صلاة موسى ﷺ في قبره ليلة المعراج قد روي فيها الحديث.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٨٠/٧ - إحصان -) برقم (١١١٣)؛ والحاكم في المستدرک (٣٧٩/١، ٣٨٠، ٣٨١)؛ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١/٣) ورواه الطبراني في الأوسط، وقال: إسناده حسن.

(٢) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني مولاهم البصري الإمام القدوة ولد في خلافة معاوية، حدث عن جماعة من الصحابة، وكان من أئمة العلم والعمل ومن الثقات المأمومين، صحيح الحديث. توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل ١٢٧هـ. انظر: السير (٢٢٠/٥) ط ٩؛ وتهذيب التهذيب (٣٢٧/١) ط ٢، ١٤١٣هـ، دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٢٤٠/٢) برقم (٣٥٦٧٧).

(٤) شرح القصيدة النونية (٢٦٨/٢).

وكذلك يقال: أن رؤيته ﷺ موسى ﷺ ليلة المعراج في السماء يرويه أصحاب الصحاح جميعهم وهو مقطوع بصحته ولذلك ظن معارضاً لصلاته في قبره، ولكن أجيب عنه كما قال ابن القيم: بأنه أسري به ﷺ ليراه هناك ورآه أيضاً في الضريح، وهذا ليس بتناقض لأن ذلك ممكن، أي أن رؤيته في السماء وفي القبر ممكنة والله أعلم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد صح عنه ﷺ أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة أو السابعة؛ فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من يسلم عليه، وهي في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان»^(١) وهذا جمع حسن والله أعلم^(٢).

وقولهم: إن الشهداء أحياء في قبورهم حياة برزخية يطلعون على ما شاء الله في أحوال هذا العالم... إلخ: هذا خلاف ما ورد في الشرع، فقد ثبت في صحيح مسلم ما يبين أن الشهداء يتمنون العودة إلى الدنيا ليقاتلوا في سبيل الله تعالى ليقتلوا مرة أخرى لما يروا من عظيم المنزلة عند الله تعالى للشهيد، فعن مسروق قال: سألنا عبد الله هو ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك [رسول الله ﷺ]، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»^(٣).

(١) الروح (٤٥/١).

(٢) انظر: شرح القصيدة النونية (١٧٠/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمامة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (ص ٧٨٥) برقم (١٨٨٧).

وحاولت صوفية حضرموت التخريج لكلامها، يقول علوي الحداد: «ومنها على تسليم أن ذلك شرك فهو من الشرك الأصغر، كقول القائل: ضربي اللبن، وذلك لا يقتضي الكفر لأنه لم يعتقد في اللبن ما يعتقد في جناب الحق تبارك وتعالى من الألوهية وكذلك هؤلاء مهما عظموا الأنبياء والأولياء فإنهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى من الخلق الحقيقي التام العام إنما يعتقدون الواجهة لهم عند الله في أمر جزئي وينسبونه لهم مجازاً ويعتقدون أن الأصل والفعل لله ﷻ»^(١).

ويجاب فيقال: إن إقرار علوي الحداد بأن هذا شرك، هذا كافٍ في الإقرار بفساده، وإن كان أصغراً، وإلا فمن ذا الذي يقول بأن الشرك الأصغر طاعة وقرية مما تتعلق القلوب به، وفي كلامه أيضاً مغالطة ومجازفة لا تخفى، فإسناد الغوث إلى الأموات والغائبين واعتبار ذلك مجازاً، وأنه لا فرق بين الحي والميت هذا من التخييل؛ لأن الله تعالى لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الإغاثة المطلقة، وأما الإغاثة بالأسباب العادية وما يقدر عليه البشر فهذا ليس الكلام فيه، فالأموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفافات: ٩٦]. خلق في الحي اختياراً ومشية يثاب عليها وبها يكلف، والميت ليس له قدرة الحي، ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته، وتطوى صحيفته ولا يسأل ولا يستفتى ولا غير ذلك مما يقدر عليه الحي، والناس يفرقون بين الحي والميت ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. واستغاثة الميت ليست سبباً كاستغاثة المخلوق فيما يقدر عليه، ولم يجعل هذا سبباً إلا عبادة الأصنام الذين هم أضل خلق الله، يجعلون الأموات سبباً ووسيلة، ولا يوجد في شرع الله ولا فيما جاءت به رسله أن الميت يدعو لمن دعاه، والكرامة ليست من فعله، بل هي فعل الله، والمُكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشيء من الشدائد، بل هذا فعل المشركين كما حكى الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما قول الحداد بإسناد الغوث إلى الله تعالى إسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد وإلى الأنبياء والصالحين إسناد مجازي باعتبار السبب والكسب فبديهي البطلان، بيان ذلك من وجوه:

الأول: لو كان مناط الإسناد المجازي اعتبار السبب كما زعم الحداد لزم أن لا يكون الإنسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا برأ ولا فاجراً ولا مصلياً ولا مزكياً، ولا صائماً ولا حاجاً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاتلاً ولا كاذباً فيبطل الجزاء والحساب وتلغو الشرائع والجنة والنار، وهذا لا يقوله أحد من المسلمين.

والثاني: أن دعوى كون الأنبياء والصالحين سبباً للغوث وكاسباً له محتاج إلى إقامة الدليل ودونه لا تسمع، وبهذا تدحض شبه هذا الصوفي، وتزهق وتنادي على صاحبها بالجهل والسفه، ويتبين مما تقدم الفرق بين الحي والميت، وأن الميت لا يقدر على شيء مما يقدر عليه الحي من الأسباب العادية، فإن الأسباب العادية التي يقدر عليها الحي وفي وسعه فهي وإن حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة، والعبد يفعل حقيقة يأكل حقيقة ويشرب حقيقة، والله خلق العبد وما يعمل، وهذا معروف من عقائد أهل السنة، وأراد الحداد بأقواله تجويز الشرك بهذه الحجة الداحضة، وأن فعلهم الشرك من الدعاء والاستغاثة بالأنبياء والأولياء وغيرهم لأنهم أسباب ووسائل حيث أعطاهم الله هذه المنزلة إكراماً لهم، فهذا ليس بشرك، وهذا كفعل المشركين الأولين سواء بسواء فليعتبر الحداد أن شرك الأولين ليس بشرك لأن الأصنام إنما جعلت أسباباً ووسائل عادية لإجابة الله لدعائهم عن طريق هذه الأصنام، وليحمل العبادة التي حكاها الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ بأنها مجازية لا حقيقية، وإلا فما وجه الفرق؟^(١).

(١) انظر: الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد، للشيخ العلامة سليمان بن سحمان النجدي (ت ١٣٤٩هـ) (ص ٧٥ - ٧٦) ط ٢، ١٣٧٦هـ، مطابع الرياض.

وجاء في كتاب الأجوبة الغالية: «س: فهل يجوز طلب الإغاثة من غير الله؟

ج: نعم، يجوز طلبها من غيره تعالى باعتبار أن المخلوق - المستغاث به - سبب وواسطة، فإن الإغاثة وإن كانت هي من الله ﷻ على الحقيقة فلا ينافي أن الله تعالى جعل لذلك أسباباً ووسائط أعدها له»^(١).

ويجاب عن هذا الكلام: أن هذا الكلام هو نفس كلام مشركي قريش، الذين جعلوا أصنامهم وسائط، ولم يعتقدوا أنها تخلق وترزق كما قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكرب، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين»^(٢).

فحجتهم هي الوسطة الشيطانية التي أضلهم بها إبليس، مما جعلهم يعطون الميت صفة الرب الحي الذي لا يموت، يقول الشيخ صنع الله الحلبي^(٣): «وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتُ﴾ [النمل: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١]. وفي الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»^(٤). فجميع ذلك، وما هو نحوه دليل على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة محفوظة عن زيادة أو نقصان، قال جل ذكره: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ وَمَا أَزْكُرَكَ مَا عَلَيَّوْنَ

(١) الأجوبة الغالية (ص ٦٥). (٢) مجموع الفتاوى (١/١٢٤).

(٣) هو الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، واعظ، فقيه، محدث، أديب. من مؤلفاته: أرجوزة في الحديث، وسيف الله على من كذب على أولياء الله، وأكسير التقي في شرح الملتقى. توفي سنة ١١٢٠ هـ. انظر ترجمته: هداية العارفين (١/٤٢٨)؛ ومعجم المؤلفين (١/٨٤٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٣٥٨) من هذا البحث.

﴿كِتَابٌ مَرْفُوعٌ﴾ ٢١ ﴿يَشْهَدُ الْقُرُونُ﴾ ٢٢ [المطففين: ١٨ - ٢١]. والكفار كتابهم في سجين، فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير أو شر، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في حق غيره؟!^(١).

ويلجأ بعضهم كبراً وعناداً من أجل ترويج باطلهم إلى الكذب على من خالفهم، فقد ذكر علوي الحداد فرية على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ وهو أن رجلاً أتى إلى الشيخ في بلدته الدرعية وقال له: «لِمَ جعلت من نادى ولياً في قبره مشركاً، قل: مجنون. كأنه نادى جداراً لا ينفعه، فإن المشرك الذي يجعل لله نداً وهذا إنما نادى من لا ينفعه في عقيدتك، وفي اعتقاد المنادي أنه نافع له، وقد جاء «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه»^{(٢)(٣)}.

وهذا يدل على إفلاس قائله وقلة بضاعته في العلم، لا سيما علم التوحيد الذي هو أعزها وأشرفها، حيث يعتمد صوفية حضرموت لترويج باطلهم على الغث والسمين، ولو كان كذباً، كما في هذه الحكاية الهزيلة من علوي الحداد، ومع ذلك فقد ردَّ على هذه الحكاية، وما قصده من إيرادها، وهو تجويز الاستغاثة الشركية العلامة سليمان بن سحمان^(٤) ﷺ حيث قال:

(١) سيف الله على من كذب على أولياء الله، للشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي (ص ٣٢ - ٣٣). تحقيق: علي رضا بن عبد الله، دار الوطن - الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

(٢) موضوع. قاله الشيخ علي قاري في موضوعاته: (ص ٦٦). وقال ابن القيم: هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار. وقال ابن حجر العسقلاني: لا أصل له. انظر: السلسلة الضعيفة: (١/٦٤٧) برقم (٤٥٠).

(٣) مصباح الأنام (ص ٥٩).

(٤) هو العلامة سليمان بن مصلح بن حمدان سحمان الخثعمي النجدي، ولد بقرية الشفا من أعمال أبها سنة ١٢٦٦ هـ، ونشأ بها في كنف والده الشيخ سحمان، ثم حفظ القرآن وعلمه مبادئ العلوم، وفي سنة ١٢٨٠ هـ رحل مع أسرته إلى الرياض، وكانت زاهية بالعلماء فطلب الشيخ سليمان العلم على كبار علمائها: كالشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم لازم الشيخ عبد اللطيف، وبلغ مبلغاً كبيراً في العلم، وجرّد قلمه للرد على المناوئين لدعوة التوحيد نظماً ونثراً، فقد منحه الله تعالى قوة في الحجة والبيان وصلابة في الحق لا تلين، فكتب الردود الكثيرة وأنشأ القصائد في الثناء على دعوة التوحيد وأهلها، والرد على من خالف الحق، =

«أولاً: هذه الحكاية لا أصل لها، بل هي من التزيورات المصنوعات الموضوعات على الشيخ إن هذا قيل له حاشا وكلا، والشيخ أجل قدراً وأعظم خطراً من أن يخاطب بهذه المجونات، وعلى تقدير ثبوت هذه الحكاية وحاشا وكلا، يقال: من نادى ولياً في قبره فهو مشرك لأنه لا ينفع ولا يضر، ومن نادى جداراً أو حجراً أو شجراً كان المنادي أو غير ذلك، فناداه في كشف كربة، أو إزالة شدة، أو قضاء حاجة سواء اعتقد فيه أنه ينفعه ويضره أو لم يعتقد فهو كافر مشرك، وكفره أعظم من كفر من اعتقد في ولي أو نبي، وقد كفر الله من اعتقد في الأشجار كالعزى، وفي الأحجار كمناة واللات، وعلى هذا فليسوا بكفار عند هذا الملحد، فسبحان من طبع على قلوب أعدائه إلى أن بلغوا إلى هذه الغاية، وأما قوله: وقد جاء «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه» فهذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ ووضعه سلف هؤلاء الغلاة من عباد القبور المعظمين لها، فهم على آثارهم يهرعون وفي مهامه^(١) الغي يعمهون^(٢)»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فقول القائل: إن الاستغاثة به بعد

= واستمر في الدعوة إلى التوحيد والرد على أهل الباطل حتى توفاه الله تعالى في مدينة الرياض سنة ١٣٤٩هـ. وقد ترك مصنفات كثيرة أغلبها في الردود منها: الصواعق المرسلة الشهابية على شبه الداحضة الشامية، والأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد، وتبيرة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين، وإرشاد الطالب إلى أهم المطالب، وغيرها كثير، بالإضافة إلى قصائده التي جمع كثير منها في كتاب: عقود الجواهر المنضدة الحسان. انظر في ترجمته الكتب التالية: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص ٢٠٠)؛ وروضة الناظرين، لمحمد بن عثمان القاضي (١/١٢٦)؛ والدرر السنية لابن قاسم (١٢/٨٧)؛ وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، للباسم (٢/٣٩٩ - ٤١٢) ط ٢، ١٤١٩هـ.

(١) جمع مهملة وهي المغارة البعيدة، والبلد المقفر. انظر: القاموس المحيط (ص ١٢٥٣) مادة: (مه).

(٢) العمه: محرقة: التردد في الضلال، والتحير في مُنازعة أو طريق، أو أن لا يعرف الحجة. القاموس المحيط (ص ١٢٥٠) مادة: (العمه).

(٣) الأسنة الحداد (ص ٢٥٢ - ٢٥٣).

موته ثابتة ثبوتها في حياته لزم من ذلك أن نطلب منه هذه الأشياء المذكورة وغيرها بعد موته، ووجب أن يفعلها بعد موته، فيخرج في الغزوات، ويقيم الحدود، ويعود المريض فاعلاً ذلك ببدنه بعد مماته كما كان يفعل ذلك في حياته، فهل يقول هذا إنسان أو يحتاج رد هذا إلى برهان؟، ولكن علينا بعد موته من الإيمان به وطاعته ما علينا في حياته أن نصدق خبره، ونطيع أمره، ونشهد له أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فليس عليه بعد موته أن يأمرنا ولا ينهانا، ولا يعلمنا ولا يهدينا، وليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجب ولا مستحب كما ليس ذلك على غيره من الناس بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل ما كان يؤمر بها في حال الحياة من واجب ومستحب وإغاثة الأمة من جملة ما كان يفعله من الواجبات والمستحبات باقياً لهم قد أدى وأبان ونصح ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة، ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثة ولا نصراً ولا إعانة ولا استسقوا بقبره، ولا استنصروا به كما كانوا يفعلون ذلك في حياته، ولا فعل ذلك أحد من أهل العلم والإيمان^(١).

وقال أيضاً: «سؤال الميت والغائب؛ نبياً كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال، ويشدد البأس بهم ويظنون الظنون ومع هذا لم

(١) الرد على البكري (١/٢٠٠ - ٢٠١).

يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين، ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلاً، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء ولا الصلاة عندها، وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعوا لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف^(١).

ومن أقوال صوفية حضرموت في تجويز الاستغاثة الشركية «الجهاد والصوفية»: «ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة بأن المستغيث بالأنبياء والأولياء كافر، أو مشرك، بل نقل عن السلف - أعني بهم الصحابة ومن بعدهم - جواز ذلك، فمن هنا يعلم بعد النقل للأدلة على جواز الاستغاثة بالأنبياء ونحوهم؛ بأن من رمى بالكفر والضلال كل من قال بجواز الاستغاثة فإنه قد رمى سلف الأمة من الصحابة والتابعين بالكفر والضلال، وإليك الأدلة التي توضح ذلك. فليعلم المؤمن أن الاستغاثة بالنبي أو غيره هي استغاثة به على ما أقدره الله عليه ولا شبهة في هذا فإنه قد قال ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا يا عباد الله أحبسوا يا عباد الله أحبسوا. ثلاثاً فإن الله حاضراً سيحبسه»^(٢).

فهذا دليل صريح على جواز الاستغاثة، إذ إن رسول الله ﷺ ينصح من ضاق به الحال إذا انفلتت دابته وهو أحوج ما يكون إليها بأن يستغيث بمن لا يرى ولا يعلم أن يمسك له دابته، فهل هذا المستغاث به هو الذي أمسك بقدرته أم بإقدار الله تعالى له؟ وذكر قصصاً لبعضهم في العمل بهذا الذكر فاستجيب له ثم قال: فدلَّ هذا الحديث على جواز الاستغاثة وأن هناك من

(١) الرد على البكري (١/٤٤٨ - ٤٤٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/٢٦٧) واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده (٩/١٧٧) برقم (٥٢٦٩)؛ وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٥٠٨)؛ وفي الإسناد معروف بن حسان، قال فيه ابن عدي في الكامل: (٦/٢٣٢٦)؛ (منكر الحديث)؛ وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/٣٢٣) عن أبيه: (مجهول) وقال العلامة الألباني: (ضعيف، أعله الهيثمي والحافظ ابن حجر وقال حديث غريب، وفي السند انقطاع بين عبد الله ابن بريدة وابن مسعود، نقله ابن علان في شرح الأذكار (٥/١٥٠) (وسنده ضعيف... إلخ). انظر: السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني ١٠٨/٢ - ١٠٩ برقم (٦٥٥).

أقدره الله على الإنقاذ من المهالك والشدائد بكيفيات عدة منها التحكم في المستغيث، وتوجيهه حتى يصل مأمنه^(١).

ويجاب عن هذا الكلام بأن يقال: أما قوله: «ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة بأن المستغيث بالأنبياء والأولياء كافر أو مشرك... إلخ كلامه» فهذا يدل على عدم اطلاعه على الحق في هذه المسألة، وعدم اطلاعه على كتب أئمة الإسلام وعلمائه قديماً وحديثاً، ولعدم معرفته بالعبادة وتسويغه صرفها لغير الله تعالى جعله يقول ما قال، وقد بيَّنا أهمية هذا التوحيد فيما سبق، فعرض كلام هذا الصوفي يكفي في بيان عدم صحته وقوله في دين الله بلا علم، والله المستعان.

وأما الحديث الذي استدل به فلا يصح من حيث الرواية، أما من حيث الدراية: على فرض صحة الحديث - مع أنه لم يصح كما تقدم - فإن النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يدعوا وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ردها، بل نقطع بأنه أمره أن ينادي من يسمعه وله قدرة على ذلك، وهذا يدل إن صح على أن الله تعالى جنوداً يسمعون ويقدرُونَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وقد ورد حديث عن ابن عباس مرفوعاً: «إن الله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر؛ فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني»^(٢). فهذا فيه أنه ينادي حاضراً يسمع، فكيف يستدل به على جواز الاستغاثة بأهل القبور والغائبين.

فاستدلال القوم بهذا الحديث على الاستغاثة بالأموات، يلزمهم أن

(١) الجهاد والصوفية، لمحمد اليميني (ص ٣٩).

(٢) رواه البزار، وقال الحافظ ابن حجر كما في شرح الأذكار لابن علان (٥/١٥١): (هذا حديث حسن الإسناد غريب جداً، قال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه. اهـ. ورجح العلامة الألباني وقفه. انظر: السلسلة الضعيفة (٢/١١١). والأثر له حكم الرفع؛ لأنه إخبار عن علم غيبي لا مجال للرأي فيه والله تعالى أعلم بالصواب). انظر تعليق الشيخ عبد السلام بن برجس على كتاب: دحض شبهات على التوحيد للعلامة عبد الله أبا بطين (ص ٤٤) حاشية رقم (٦).

يقولوا: إن دعاء الأموات ونحوهم، إما مستحب وإما مباح؛ لأن لفظ الحديث «فليناد» وهذا أمر أقل أحواله الاستحباب أو الإباحة. ومن ادعى أن الاستغاثة بالأموات والغائبين مستحب أو مباح فقد مرق من الإسلام. كما أن استدلالهم بهذا الحديث - إن صح - على دعاء الأموات والغائبين ينافي النصوص الصريحة في تحريم دعاء الأموات والغائبين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِيُكَ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُؤْتِيُكَ اللَّيْلَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٢] إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُكَفِّرُونَ بَشَرِكُمْ وَلَا يُبْنِيَنَّكُمْ مِثْلَ حَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [الأحاف: ٥].

وقال: ﴿لَمْ دَعُوهُ لَخَوْفُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبُيْطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَلَفَّ فَإِنَّهُ وَهُوَ بِلَيْلِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].
فهذه الآيات وأضعافها نص في تضليل هؤلاء المخالفين الذين يدعون من لا يسمع دعاءهم، ولا يقدر على نفعهم ولا ضرهم.

ويتبين لنا ترك القوم لنصوص القرآن الواضحة ورد ما دلت عليه من المعاني وذلك بالتمسك بما لا يصح كهذا الحديث «يا عباد الله احبسوا» مع أنه لو صح لا معارضة فيه لما دل عليه القرآن ولا شبهة معارضة^(١).

وكذا استدلال القوم لتقرير الاستغاثة الشريكية بأدلة هي عليهم لا لهم ومنها قولهم: «وفي صحيح البخاري أيضاً ما ذكره الصادق المصدوق الذي لا ينطق

(١) انظر: دحض شبهات على التوحيد لبنا بطين (ت ١٢٨٢هـ) (ص ٤٤ - ٤٥). والنبذة الشريفة النفسية في الرد على القبوريين، للعلامة حمد بن ناصر آل معمر (ص ٧٨ - ٨٠). والرد على شبهات المستعنيين بغير الله، للعلامة: أحمد بن إبراهيم بن عيسى (٨٢، ٨٥).

عن الهوى في معرض حديثه عن السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام: «أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت: أغث إن كان عندك غوث»^(١). وعليه فمن استغاث بالأنبياء في حديث الشفاعة ومعهم السيدة هاجر زوجة خليل الله وأم إسماعيل من المشركين، وإلى مثل هذه النتائج تؤدي المقدمات الفاسدة^(٢).

ويجاب: إن الكلام مع الصوفية عن حكم الاستغاثة في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، أو سؤال ما لا يعطيه إلا الله، ولا يمنعه إلا الله، وأما ما عدا ذلك مما يجري من التعاون والتعااضد بين الناس، واستغاثة بعضهم ببعض، في الأمور العادية، هذا لا يمنع منه، بل نقول به، وليس الكلام فيه. وإنما كلامنا في الاستغاثة بالأموات والغائبين، وأن ذلك شرك أكبر مخرج من الملة كما دل عليه الكتاب والسنة.

واستدلالهم بقصة هاجر فيه الاستغاثة بحاضر محسوس سمعت صوته، وليس ما طلبته مما اختص طلبه بالله تعالى، فإنها طلبت من المصوت ما يسد جوعتها ويروي غلتها، كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء إذا مر عليه أحد وأحس به: أغثني بما عندك من ماء وطعام، وأعطني بما تفضل الله عليك من الأنعام. أفيقال لهذا إنه طلب ما لا يقدر عليه إلا الله، والتجأ في شدته إلى من سواه؟ انظر كيف لعب الشيطان بعقول هؤلاء حتى أوردتهم المهالك^(٣). فثبت أن استدلالهم بهذا الحديث ليس هذا موضعه، فلا يلتفت إليه، كما أن الحديث لا يدل على جواز الاستغاثة بالملائكة مطلقاً؛ لأن هاجر لم تستغث بالملك ابتداء إلا بعد حضوره وسماعها صوته، ثم إن قول هاجر: أغث إن كان عندك خير أو غوث إن جعل قولها حجة في الشرع فإنما يدل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يَرْؤُونَ﴾ (ص ٦٤٥) برقم (٣٣٦٥). وفيه: (أغث إن كان عندك خير).

(٢) الجهاد والصوفية (ص ٤١ - ٤٢).

(٣) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، للعلامة سليمان بن سحمان (ص ٥٧١ - ٥٧٣) بتصرف يسير.

على الجواز وإن لم يجعل حجة في الشرع - وهو الصواب - فإنها ليست نية فلا يدل على جوازه^(١).

واستدل القوم للاستغاثة الشريكية بفعل مشايخهم الذين يعظمونهم وجعلوا أفعالهم الشريكية حجة للوقوع في الشرك، فقد جاء في كتاب (تاج الأعراس في مناقب صالح بن عبد الله العطاس): «وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور وعالمها وإمامها المشهور شيخ الإسلام ببلد الحرام السيد أحمد زيني دحلان قال: إنه حصل عليّ حال بمكة وكربتُ كرباً شديداً فاستغثت بالحبيب صالح بن عبد الله العطاس^(٢) صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات؛ فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب، وانشرت انشراحاً كاملاً ببركته»^(٣).

ويستطرد علوي الحداد بذكر الأدلة في جواز الاستغاثة الشريكية، وهي ما بين واهية أو صحيحة لكنها لا تدل على مراده، وأكثر من نقل أقوال الصوفية المتقدمين ظناً منه أنه بهذا العمل قد حقق مراده وما شعر أنه قد سود كتابه بتدوين هذه المخالفات وأبان عن جهله بدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم وهو نوح عليه السلام إلى خاتمهم نبينا محمد ﷺ، بل وتكثيره النقل عمن هم على طريق الضلالة، وإن أوتوا علوماً لكنهم لم يؤتوا فهوماً تدلهم إلى الخير وترشدهم إليه، وقد أظهرهم الحداد في كتابه وأبان ضلالهم في مسألة الاستغاثة حيث قال: «وقد ثبت في حزب الإمام الكبير شعيب أبي مدين وغيره من الأكابر كالشيخ عبد القادر الجيلاني التوسل بالسور والأنبياء والصحابة

(١) انظر: الرد على البكري (١/٢٨٣).

(٢) هو صالح بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محسن العطاس، من كبار العلويين في القرن الثالث عشر، وقد كتبت في سيرته ومناقبه الكتب الكثيرة، أوسعها تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس لعلني بن حسين العطاس، يقع في مجلدين كبيرين. توفي سنة ١٢٧٩هـ. انظر في ترجمته: تاج الأعراس. وانظر: إدام القوت (ص ٢٧٦) ط المنهاج.

(٣) تاج الأعراس (١/١٠٤).

والأولياء والاستغاثة بهم؛ خصوصاً أهل بدر نظماً ونثراً، ألفوا في الاستغاثة بهم نبذاً صالحة... فالعجب من النجدي كيف ساغ له أن ينكر على الأكابر، بل يسميهم مشركين لما استغاثوا بالأموات وتوجهوا بهم مستشفعين بهم باريهم، مع تضافر النصوص المتقدمة على جواز التوسل والاستغاثة ومع ذلك أنكر الأحاديث وخرق الإجماع وأظهر الابتداء^(١).

وهكذا ينكرون على أهل الحق، ويدعون الإجماع لشركهم كذباً وزوراً، ولعله يريد إجماع القبورين من أمثاله، فهؤلاء لا يعتد بإجماعهم.

الشواهد الدالة على ممارسة صوفية حضرموت الاستغاثة الشريكية:

أنزلت صوفية حضرموت حوائجها بالخلق حتى عند الشدائد؛ من دعاء واستغاثة وغيرها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وهذا الصنيع أشد من شرك الأولين الذين لا يشركون بالله تعالى إلا عند الرخاء، وأما عند الشدائد فكانوا يخلصون الدعاء واللجوء له سبحانه لعلمهم بعظمته، وأنه لا يكشف الضر إلا هو، كما قال ﷺ: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» [العنكبوت: ٦٥].

وهذه النتيجة التي وصل لها القوم سببها الغلو في أوليائهم وصالحهم، لما يسمعون عنهم من الكرامات المزعومة والحكايات الخرافية: من تصرف الولي ومنزلته، وهذا مبثوث في أغلب كتبهم، مما أدى إلى صرف العبادة لهؤلاء الموتى، كما سيتضح من إيراد بعض نصوص القوم في هذه المسألة العظيمة.

جاء في كتاب غاية القصد والمراد عند ذكر قصيدة شريكية للحداد: «قال: هذه القصيدة يمدح بها [يعني الحداد] الشيخ عبد القادر الجيلاني عليه السلام: يا هاجري كم ذا تكون مهاجري إلخ، ويستغث به فيها... إلى أن قال: والقصيدة التي أولها: بنفسي أفدي خير من وطئ الثرى، يمدح ويستغث فيها

(١) مصباح الأنام (ص ٦٢).

بالنبي ﷺ سنة سبع عشر ومائة وألف. يقال: إن سبب إنشائها نزول بلاء عام طام، أهلك البلاد والعباد، بحضرموت^(١).

وجاء في كتاب المشرع الروي: «ثلاثة لا تزال خيل حمايتهم مسرجة ملجمة ونظم بعضهم فقال:

إذا خفت أمراً أو توقعت شدة فنوّه بعلي الفتى وابنه علي
كذا عمر المحضار تحظى بغارة بها تنجو من كل الشدائد يا ولي^(٢)

وفسر محمد بن علي خرد العلوي ذلك بقوله: «خيول همهم لمن تعلق بهم واعتقدتهم مسرجة ملجمة محدقة، ونيران سوء الظن بهم والاعتراض عليهم وعدم التأدب لهم محرقة، وهم لمن اعترض عليهم ولم يحتفل بهم سموم مهلكة»^(٣).

هذا كما أسلفنا أشد من شرك الأولين، فقد دعا شاعرهم إلى اللجوء للموتى عند الشدائد، ونسي الإله العظيم تعالى وتقدس، الذي بيده النفع والضّر، مجيب المضطر، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، ونذكر بعض نصوص صوفية حضرموت التي دونوها في كتبهم، وأضلوا بها الناس، ليعلم أن عدم معرفتهم بتوحيد العبادة أدى بهم إلى هذه النتيجة، بل أن فقهاءهم لم يلقوا بالاً للتوحيد، وكانوا يحاربون من ينكر عليهم أعمالهم الشركية، فقد أنكر علوي الحداد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ دعوته للتوحيد وإنكاره الاستغاثة بالأموات لأنها شرك بالله تعالى حيث قال: «ومن هفوات النجدي إنكار التوسل والاستغاثة والمناداة بأسمائهم أي الأموات والتبرك بالأخيار حتى النبي ﷺ»^(٤).

وقد مضى الرد على هذا القول وأن الاستغاثة عبادة، وصرفها لغير الله تعالى شرك.

(١) غاية القصد والمراد: ٣٢/٢.

(٢) شرح العينية (ص ٧٤١)؛ والمشرع الروي ٢/٢١٢.

(٣) المصدر السابق.

ويقول علوي الحداد: «وقال الإمام الملاذ المفزع عبد الله بن علي صاحب الوهط^(١):

أيا صاحبي أوصيك إن كنت راغباً في الخير أقرب ثم اسمع وصيتي
إذا ما اعتلاك الهم والكرب والأذى توسل بمن سميتهم في وسيلتي
هم الفضلاء الأخيار آل محمد يغاث بهم عند الأمور المهيلتي
ألا فاستمع ما قلته لك إنني نصحتك فاقبل يا أخي نصيحتي»^(٢)

ويقول أحمد بن زين الحبشي في وصف قطبهم عمر المحضار: «المحضار يسرع إن دعي»^(٣).

وقال في عبد الله بن محمد بلفقيه مولى الشبيكة: «مولى الشبيكة سل به وتضرع...»^(٤).

ويقول قطبهم عبد الله الحداد في آل البيت بعد ذكره لبعضهم معدداً أوصافهم:

قوم يغاث بهم إذا حل البلا ولدى المساغب كالغيوث الهمع^(٥)
وجاء في وصف ديوان قطبهم عبد الله الحداد ومستشهداً بقصائده المليئة بالاستغاثات الشركية: «وانظر في ديوانه العظيم في استغاثته بالنبي مثل: بنفسي أفدي خير من وطىء الثرى، وقوله في الفقيه المقدم:

يا سيدي يا جمال الدين يا سندي أدرك صريخاً أخا غمٍّ وأحزانٍ
يدعوك بك الله في تفريج كربته وما عناء دعاء الخائف الجانٍ
فقم به وأغشه وارحم جانبه مما يحاذر في سر وإعلانٍ
أنت الغياث لنا في كل نائبة بعد الإله وطه^(٦) خير عدنانٍ

(١) هو عبد الله بن علي بن عمر بن حسن صاحب الوهط، ولد بترميم، ودرس على شيوخها، توطن قرية وهط اليمينية، ونشر التصوف هناك وكان له مريدون. كانت وفاته سنة ١٠٣٩ هـ. انظر: شرح العينية (ص ٢٤٠).

(٢) مصباح الأنام (ص ٥٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٥٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٥٧).

(٥) ديوان الحداد (ص ٢٥٦).

(٦) طه وكذلك مثلها يس ليست من أسماء النبي ﷺ وإنما هي أحرف مقطعة تأتي في بداية بعض =

فغارة يا شريف الجد عاجلة تحل عقدة هذا الخطب في الآن
لا زلت يا ابن رسول الله منتجعاً للراغبين وملجأ كل لهفان^(١)
وقال في قصيدته في العيدروس عبد الله بن أبي بكر:
هيا يا عيدروس هيا بغوث غارة منكم تحل عقالي^(٢)
وقال في قصيدة أخرى يمدح بها الشيخ محيي الدين الشيخ عبد القادر
الجيلاني:

يا شيخ محيي الدين يا أستاذنا وملاذنا أدرك بغوث حاضري^(٣) (٤)
ويقول عبد الله بن جعفر مدهر باعلوي^(٥):

إذا ما حرت من حر الحروب لباغي نفسك المخطي المصيب
ونابتك النوائب واستطالت مخاطبة بأهوال الخطوب
وجاد لك الزمان بحادثات وجلا الأمر بالأمر الكتيب
وأضحى الأمر في نكر نكير وأمسى القلب في مس اللغوب
وأغرب بالغرائب كل وقت وجاء إليك بالعجب العجيب
توسل واستغث بالغوث قل يا عفيف الدين حداد القلوب^(٦)

ولم يفرّق القوم بين التوسل وغيره من أنواع العبادات، يقول علوي
الحداد: «وإذا جاز التوسل بالأعمال كما في حديث الغار^(٧) وهي مخلوقة

= السور. ذكر ذلك الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - في دروسه في المسجد النبوي
مرارا حين سُئل عن ذلك.

(١) ديوان الحداد (ص ٣٢٧). (٢) المصدر السابق (ص ٢٧٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٢٠). (٤) مصباح الأنام (ص ٥٩).

(٥) هو عبد الله بن جعفر مدهر: ولد بالشحر من حضرموت، ورحل إلى الهند ودخل مدينة دلهي
فمكث بها نحو عشرين سنة، ثم رجع إلى مكة وبها توفي سنة ١١٦٠هـ، من مؤلفاته: نظم
العقائد البنوفرية، والحقيقة المحمدية في كمالات سيدنا محمد وأسراره الإلهية، وكشف
أسرار علوم المقربين. انظر: عجائب الآثار للجبرتي (١/١٦٣)؛ ونشر العرف (٢/٨٧)؛
وتاريخ الشعراء الحضرميين (١١٠/٢).

(٦) مصباح الأنام (ص ٥٩).

(٧) الحديث في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

فالسؤال به ﷺ أي حياً أو ميتاً أولى ولا فرق بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة
أو التشفع أو التوجه في الحاجة أي وبغيره^(١).

يقول علوي الحداد منكرأ على من أنكر على هؤلاء المتصوفة استغاثتهم
بالأنبياء والأولياء، حيث نقل إنكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب على مخالقاتهم:
«ويصرح في مقاعده وخطبه بكفر المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء... وأن
لا قطب تدور عليه الدوائر، ولا أوتاد ولا أبدال، وأنه لا يستغاث بهم»^(٢).

وكما مرّ في خلط القوم بين معنى التوسل والاستغاثة فقد يسمون
الاستغاثة بالتوسل، وقد مضى بيان الفرق بين التوسل والاستغاثة.

يقول علوي الحداد في قصيدة له:

مباهلة تنبي عن عظم فضله وأهل الكسا ذخري إذا الحال يشتد^(٣)

وقال عبد الله بن أحمد الهدار^(٤): «ومنها ما حصل للمؤلف محمد سراج
الدين باجمال رحمته الله وهو كثير لا يسع هذا المختصر وضعه، من ذلك: إني لما
سافرت إلى الهند في عاشوراء سنة ٩٩٣هـ ثلاث وتسعين وتسعمائة حصل على
المركب في الموضع المعروف نحو القاري شدة عظيمة، وظلمة ومطر كثير، قد
انقطعت آلات المركب واشتد ضجيج أهله، وعلى^(٥) بكائهم، وخاطري ساكن
لم يتحرك، ولم يقع فيه شيء مما الناس فيه؛ إلا أنني رحمتهم لكثرة صراخهم
والتجأهم^(٦) إليّ يطلبون الدعاء مني، وأنا أدعو بمشاخي فهتفت بسيدي الشيخ
أبي بكر بن سالم - نفعا الله به وبسره - داخل المركب وإني أسمع صوته وبينني
وبينه كالقناع المسدل وهو يفيض شيئاً كالماء، فنهضت لأقوم إليه وإذا بأهل

(١) مصباح الأنام (ص ٦٣). (٢) المصدر السابق (ص ٦٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٨٧).

(٤) هو عبد الله بن أحمد الهدار بن أبي بكر بن سالم، ولد بمدينة عينات سنة ١٣٣٤هـ. من
آثاره: ديوان شعر، وكتاب الجواهر في مناقب أبي بكر بن سالم تاج الأكابر، ووسيلة الصب
الودود إلى الإله المعبود بسر زيارة نبي الله هود. توفي بعينات سنة ١٣٩٦هـ. انظر: قيسات
النور (٢٠٠ - ٢٠١).

(٥) كذا في الأصل. والصواب علا. (٦) كذا في الأصل. والصواب والتجائهم.

المركب يتباشرون بالسلامة، ويحمدون الله تعالى»^(١).

ففي هذا النص بيان ما عليه القوم من الانحراف واعتقادهم حضور الميت عند من استغاث به لينقذه، وهذا من تلبس الشيطان وإضلاله إياهم حيث يتمثل لهم في صورة الميت، ليزيد من تعلقهم بغير الله تعالى، حيث قال إبليس فيما ذكر الله عنه: ﴿قَالَ فِعْرَكَ لَا أَعُوذُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣]. وإلا فإنه معلوم لكل مسلم أن النفع والضرر بيد الله جلّ وعلا، لا ينجي عند الشدائد إلا الله تعالى.

وقال علي بن حسين العطار في ذكر مناقب صالح بن عبد الله العطار:
«ومما أكرم الله به صاحب المناقب، وخصه به في سنيات المراتب، وكاد يفرد
به دون أقرانه أهل زمانه من أهل المظاهر والمناصب، أنه يحضر عند من
ناداه، وتوسل إلى الله بصدق نية وصفاء طوية»^(٢).

ومن استغاثات علي بن حسن العطاس - أحد أوليائهم الكبار - ما جاء في شعره:

يا ربّ بالسادة الأخيار تدركننا
وكن مغيثاً لعبد صار حيراناً
إلى أن قال:

يا ربنا كن لنا عون بحرمتهم ونق منا كدورات وأدراناً^(٣)
وجاء في قصيدة لمحمد بن علي بن علوي خرد باعلوي يمدح فيها محمد
صاحب مرباط بن علي بن علوي وفيها دعوة للاستغاثة بغير الله:
ولذ بالولي كنز العلوم إذا دهى مريب وبالأولاد في جرب زنبيل^(٤)

(١) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر (٢/٢٢٦). ولا يزال كثير منهم إلى يومنا هذا يهتفون بمشايعهم في الشدة، كما في قصة الشيخ محمد باشميل رحمته الله مع جماعة الحضارمة حين اضطراب السفينة في وسط البحر، فسمع أكثرهم يهتفون بسعيد بن عيسى العمودي، فبين لهم أن ذلك شرك فجعلوا ينزوه بأنه وهابي يكره الأولياء؟! انظر: مقدمة كتاب «كيف نفهم التوحيد»، للشيخ محمد باشميل رحمته الله.

(٢) تاج الأعراس (١/٩٤). (٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (٢/١٦٢).

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (١٦٢/٢).

(٤) غرر البهاء الضوي (ص ١٣٢).

هكذا يدعو هذا الصوفي الناس للالتجاء بأوليائهم في مقبرة زنبيل، أين هو من الله العظيم الذي بيده النفع والضرر، بل ويجب كل من دعاه؟!

وقال أبو بكر بن علي المشهور: «من جليل ما وجدته من آثار الجد علوي عليه السلام تلك الأبيات التي كتبها توسلاً في حال كرب من كربوه:

بمحمد ومحمد ومحمد
خطب ألمّ بقطرنا الميمون هل
من غيركم يرجى وأنتم ذو الحجا
إلى أن قال:

كشف الخطوب المفجعات المشكلة
من همة تجلو أليم القلقلة
ما عذرکم ولکم عظیم المنزلة

الجذب أضنا بل أمض ربوعنا
من للأرامل والشيوخ وصبية
بخت من الأصوات إذ تدعو فمن
تلك الأعزة في السباب مهمة
في المهد يرجى حلّ تلك المعضلة
هل من سواكم من يجيب الحيلة^(١)

ويذكر أبو بكر المشهور قصيدة لجده علوي المشهور يستغث فيها بشيخه وإمامه عمر المحضار وهذه الأبيات:

سيدي يا عمر المحضار نظرة سريعة
تصلح الدين والدنيا وحالي جميعه
ماطر الحق مرسل من مزونه ربيعه
عم الأرض نفعه والجبال الرفيعة

إلى أن قال:

بالتوسل رجانا في الأمور الشنيعة
بالفقيه المقدم والموجه تبيعه
ذلك السقاف والسكران نعم الذريعة
والمسمى عمر للجار غوثه ربيعه
الملاذ الشفيح الكهن^(٢) منها القطيعة

(١) لوامع النور (١/١١٧).

(٢) كذا في الأصل. ولم يتضح لي معناها.

هو حاضر إذا نادى المعنى سميعة

بحر أو بر يدركننا بغارة سريعة^(١)

ومما يدل على تعلقهم بالموتى عند الملمات والضائقات ما ذكره أبو بكر المشهور عند ترجمة جده علوي المشهور وعند ذكر ما حلّ به في بعض السنين من ضيق الأحوال وتعسر المعيشة عليه، وشكوى زوجته، وجوع الأولاد حيث قال: «خرجوا [من المسجد] فوجدوا البيت مغلق ولم يفتح لهم أحد فأمر الجد علوي ولده أبا بكر أن يصعد على النخلة حتى يحاذي الريم أي السطح ثم ينزل إلى البيت ويفتح ففعل... ثم أمره الجد علوي بالتوجه إلى التربة والدخول إلى الشيخ عمر المحضار وأن يقول له: أبوي يقول لك: إننا الليلة بلا عشاء ويرجع، ففعل ثم رجع إلى البيت... حتى مرت فترة من الوقت وإذا بالطارق، فنظر الجد أبو بكر وإذا هو بدوي ومعه قافلة»^(٢).

وجاء في كتاب المشرح الروي عند ذكر كرامات ومناقب محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم: «وله كرامات خارقة للعادات منها: أنه كان جالساً عند بعض أصحابه فقام مسرعاً وثوبه يتقاطر ماء، فسأله عن قيامه فقال: انخرق مركب بعض أصحابي فاستغاث بي فحشوت الخرق بثوبي حتى أصلحوا ما انخرق فيه على ما كان عليه»^(٣).

وجاء في شرح أحمد بن أبي بكر بن سميث أبيات لعبد الله الحداد يدعو فيها للاستغاثة بأبي علوي عند الشدائد حيث قال:

«لذ بهم في كل نائبة وادع ذا العرش بهم وسل
أي تحصن بهم والتجئ إليهم مستغيثاً بهم في كل نائبة من
النائب...»^(٤).

وجاء في ترجمة محمد بن أحمد بن أبي الحب التريمي^(٥)، أنه كتب

(١) لوامع النور (١/١٣٥ - ١٣٦). (٢) المصدر السابق (١/٤٥).

(٣) المشرح الروي (١/١٨٦).

(٤) تحفة اللبيب شرح لامية الحبيب لأحمد بن أبي بكر بن سميث (ص ١٦٢).

(٥) هو محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي الحب التريمي، ولد بمدينة تريم سنة ٥٤٥هـ. له قصائد

رسالة لعلي بن محمد بن أحمد بن جديد العلوي بمكة يعزبه في أخيه عبد الله: «ولقد كان نعم الغوث عند نزول النوائب المهمة، والمدخر لمخشي العواقب المدلهمة، والمملات الملمة»^(١).

وجاء في ذكر مناقب وكرامات عبد الرحمن السقاف (ت ٨١٩هـ): «وكان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بخرأ وبرأ، وكان يرى بعد وفاته»^(٢).

ومما يوضح اعتقاد كثير منهم بأن بعض الأولياء لا تخفى عليه حاجات المحتاجين، وأنه يقضيها لهم دون الحاجة إلى تنبيهه بالاستغاثة ما جاء عن الحداد في قصيدة له يمدح فيها الشيخ الجيلاني ويستغيث به فيها «فقيل له: لم عدلتم بالشيخ الجيلاني عن الفقيه المقدم محمد بن علي، وأكابر من في مقبرة تريم؟ فقال: إن الأمر نازل عندهم فما يحتاجون إلى التنبيه»^(٣).

وجاء في كتاب الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، عند ذكر حج صاحب المناقب وحصول سيول عظيمة وقعت بعده، وحيث كانت أمه امرأة عجوزاً لا تستطيع الفرار من السيل فصعدت نخلة «وقالت حين صعدت النخلة ورأت الأمر العظيم: يا سعد تعني ابنها تستغيث به ﷺ وهو بمكة كما تقدم فما تغير عليها حال، بقدرة الكبير المتعال فأصبحت سالمة ببركة الولي حميد الفعّال سديد المقال»^(٤).

وجاء في كتاب (تذكير الناس) قصة وقعت لأحمد بن حسن العطاس عام ١٣٢٥هـ ومال المركب إلى جانب فخاف الناس، ثم أنه زال الخوف فقليل

= ورسائل مثورة. كانت وفاته بتريم سنة ٦١١هـ. انظر ترجمته: تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٥٩ - ٦٣).

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/٦٣).

(٢) شرح العينية: لأحمد بن زين الحبشي (ص ١٨٨).

(٣) مقدمة ديوان الحداد (ص ٤٠).

(٤) الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي الحضرمي التريمي، لعلي بن أبي بكر السكران (ص ١٢٥).

للعطاس: «ببركتكم سلم الله؛ فقال: ما هذا إلا ببركة أهل تريم، وأنا هتفتنا بالسادة العلويين فحضروا كلهم»^(١).

وشكى كثير منهم حاله للأموات واستغاث بهم، فقد ذكروا أن شخصاً يدعى عبد القادر بن محمد الحبشي حين أتى من بلدته المسماة الغرفة إلى تريم ليستكي للأموات سوء الأحوال، يقول أبو بكر الحبشي عنه: «رحل إلى تريم للتوسل والاستنجاد بالسلف الصالح، مجرداً قصده ونيته لذلك، فربط الدابة تحت المقبرة، ودخل إلى حضرة سيدنا الفقيه المقدم والسلف مجتمعين للبحث فيما جاء بصدده»^(٢).

والاستمداد بالأموات شرك أكبر يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: «إن الاستمداد بالأموات والغائبين هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الاستمداد عبادة، والعبادة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله»^(٣).

المطلب الثاني

قولهم في الشفاعة

تمهيد:

تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً:

الشفاعة لغة: قال ابن فارس: الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيتين، والشفع خلاف الوتر^(٤). وجاء في لسان العرب: شفع لي يشفع شفاعة وتشفع: طلب، ومعنى استشفعه طلب منه الشفاعة، أي قال له كن لي شافعاً.

والشفاعة كلام الشافع للملك في حاجة يسألها لغيره، والشافع الطالب

(١) تذكير الناس (ص ١٤٨).

(٢) الدرر السنية (١٥٢/٩) ط ٢، ١٣٥٨ هـ.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠١/٣) ط ٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق: عبد السلام هارون.

لغيره فيشفع به إلى المطلوب. يقال: تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، واسم الطالب شافع، والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء^(١).

واصطلاحاً: عرّف العلماء الشفاعة بتعاريف كثيرة، تقتصر على تعريف واحد منها لعله من أجمعها: الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة^(٢).

وهذا التعريف يشمل الشفاعة في أمور الدنيا والآخرة، ويتضمن هذا التعريف كذلك طلب الشفاعة بدرء المفاسد والشفاعة بطلب جلب المصالح^(٣).

أقسام الشفاعة:

والشفاعة قسمان:

شفاعة مثبته: هي الشفاعة الصادرة عن إذنه تعالى لمن وحده ورضيه^(٤).
وشفاعة منفية: هي التي نفاها القرآن، وهي التي يطلبها المشركون من غير الله^(٥).

شروط الشفاعة:

وللشفاعة ثلاثة شروط دلت عليها النصوص، ولا بد من توفرها في الشافع والمشفوع له يوم القيامة فإن تخلف أحدها لم تصح الشفاعة، وقد سمي الإمام ابن القيم رحمته الله هذه الشروط أصولاً حيث قال: «فهذه ثلاثة أصول لا شفاعة إلا بإذن، ولا يأذن إلا من رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله»^(٦).

(١) لسان العرب لابن منظور (١٨٤/٨) بتصرف، دار صادر، بيروت.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمته الله (ص ١٢٨)، مؤسسة الرسالة سوريا، ط ١، ١٤٠٣ هـ.

(٣) انظر: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها: للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع (ص ١٥).

(٤) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٣٦٩/١)، دار الحديث، القاهرة.

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع ابن قاسم النجدي (١٥٨/٢).

(٦) مدارج السالكين، لابن القيم (٣٤١/١) تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٩٧٢ م. باختصار.

فمن كلام الإمام ابن القيم يتبين لنا أن شروط الشفاعة ثلاثة هي:

١ - إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

٢ - رضاه تعالى عن المشفوع له.

٣ - لا يرضى الله تعالى إلا عن أهل التوحيد.

ونذكر نصاً واحداً لكل شرط من هذه الشروط:

فالشرط الأول للشفاعة دلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

إِذْنِي﴾ [يونس: ٣].

والشرط الثاني: دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾

[الأنبياء: ٢٨].

وأما الشرط الثالث فيدلّ عليه الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(١).

والشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة فلها أنواع كما مر ذكرها، فوجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص، ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة، والوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٢). وإذا كان بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه أن يشفع فيه نبيه ﷺ هو المطلوب^(٣).

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٧٣) من هذا البحث.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (ص ١١٢) برقم (١٩٩).

(٣) انظر: الأسنة الحداد (ص ٢٧).

ولا بد من توفر هذه الشروط جميعاً وإلا لم تنفع الشافع والمشفوع له يوم القيامة، ولعدم معرفة صوفية حضرموت بهذه الشروط التي دلّ عليها الكتاب والسنة فإنهم وقعوا في الشفاعة المنفية، ولم يفرقوا بينها وبين الشفاعة المثبتة بل أنهم أثبتوا الشفاعة لمن أرادوا قبل وقتها كما سيأتي.

النصوص الدالة على انحراف صوفية حضرموت في الشفاعة:

سلكت صوفية حضرموت طريق المخالفين في مسألة الشفاعة بناء على اعتقادهم أنهم ما دعوا أولياءهم وصالحهم واستغاثوا بهم في دفع الكربات وإزالة الشدة، وطلبوا منهم قضاء الحاجات إلا لاعتقادهم أنهم يشفعون لهم عند الله ويقربونهم إليه، كمشركي قريش سواء بسواء، وقد سؤل الشيطان لصوفية حضرموت وأوقعهم في الشرك، فلجأ القوم إلى البحث عن الشبه والحجج المزعومة لتبرير أعمالهم الشركية، ومن تلك الأعذار الواهية قولهم: نحن معتقدون أن الله هو الفاعل حقيقة وإنما نتقرب إلى الأموات لطلب الجاه والشفاعة ونحو ذلك من الأعذار الواهية، التي سيأتي الرد عليها - إن شاء الله تعالى -.

ولم يعرف القوم الحق في هذا الباب لعدم فهمهم للأدلة الشرعية وأن استشفاع العبد في الدنيا إنما هو فعل السبب لحصول شفاعته ﷺ له يوم القيامة؛ وذلك باتباع ما جاء به ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً، وإنما سألت له الوسيلة مع تحققها تنوياً بقدره ورفعاً لذكره، ويعود ثواب ذلك إلينا، فهذا هو الدعاء المأثور وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي نهى عنه^(١).

وكذا يقال أن حقيقة الشفاعة كلها لله، فلا تُسأل في هذه الدار إلا من الله ﷻ، وأن يشفع فيه نبيه ﷺ، فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق في جلب الخير، أو دفع الشر، ولا يجعل لهم من حق الله تعالى شيء؛ لأنه حقه تعالى وتقدس من غير جنس

(١) انظر: الأسنة الحداد (ص ٢٩ - ٣٠).

حقهم، فإن حقه عبادته بأنواعها بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وحق أنبيائه ﷺ الإيمان بهم وبما جاءوا به وموالاتهم وتوقيرهم، واتباع النور الذي أنزل معهم ومحبتهم، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبت الله في كتابه أنها لا تكون إلا بعد إذنه لمن رضي عنه من أهل التوحيد^(١).

وكذا فإن كبارهم لم يعرفوا الشفاعة التي أثبتها القرآن بشروطها، مما جعلهم يقعون في الشفاعة المنفية، فقالوا: «الشفاعة التي نفاها القرآن وأبطلها هي الشفاعة الشركية التي يعتقدونها المشركون لألهتهم، وهي ما كان بغير إذن الله تعالى ورضاه؛ فإنهم يرون أن شفاعتهم مقبولة لا ترد وليست متوقفة على إذن الله تعالى^(٢)».

يتضح من هذا النص أن كبارهم قد حصروا الشفاعة المنفية في أفعال المشركين مع آلهتهم فجوزوا طلبها من النبي ﷺ ومن الأموات، بل واعتقدوها قبل وقتها، ولم يلتفتوا لشروطها.

ويجاب عن قولهم: الشفاعة التي نفاها القرآن وأبطلها هي الشفاعة الشركية التي يعتقدونها المشركون لألهتهم... إلخ أن يقال: أولاً: صرح العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٣) مع ملاحظته وعدم القصور عليه^(٤).

ثانياً: إن المشركين السالفين، والكافرين الغابرين، منهم من كان يعبد الأنبياء كعيسى، وعزير، ومنهم من كان يعبد الصالحين، كود وسواع ويعقوب ونسر، فكفروهم الله جميعاً، وأخبر عن كفرهم، وكلمة (دون الله) في مثل قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. تشمل كل معبود غير الله، ولو كان نبياً أو ملكاً، وقد رأيت أن الله كفر اليهود والنصارى بطاعتهم للأحبار

(٢) الأجوبة الغالية (ص ٤٥).

(١) الأسنة الحداد (ص ٢٦).

(٣) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) (٢٣٣/١) تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، نشر جامعة الإمام

محمد بن سعود - الرياض، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

(٤) الأسنة الحداد (ص ٢٨ - ٢٩) باختصار.

والرهبان في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، فضلاً عن السجود لغير الله والنذر له والطواف به^(١).

ويقال لهؤلاء أيضاً: إن المتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى بالإقبال إليه، والاتكال عليه، والقيام بحق العبودية له سبحانه، فإذا مات موحداً سيشفع الله تعالى فيه نبيه ﷺ، بخلاف من أهمل ذلك وارتكب ضده من الإقبال إلى غير الله، والتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله والالتجاء إلى ذلك الغير، مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها طالبتها من النبي ﷺ أو غيره راغباً إليه فيها، تاركاً ما هو المطلوب المتعين على المخلوق لأجله، فإن هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم، ولا نشأت فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد، فصار شقياً بالإرادة الكونية والعاقبة الغوية، فقد حسم الله تعالى مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه إلا له وحده لا ملك ولا نبي ولا غيرهما؛ لأن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب؛ لتأثيره فيه بشفاعته، ولا سيما إن كانت من غير إذنه فجعل يفعل ما طلب منه، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه، لذا قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٤٤]، وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعليقها بالإذن والرضا عن المشفوع، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥].

يقول علوي الحداد مستدلاً لشفاعتهم الشركية ومنكراً على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنكاره صرف الدعاء لغير الله تعالى: «فأما قوله إنه دعاء فكذب وبهتان، وإنما هو نداء والنداء غير الدعاء الذي هو العبادة^(٢)».

(١) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ٧٣).

(٢) تقدم الرد على هذه الشبهة في مطلب: قولهم في الدعاء (ص ٤٨٢) وما بعدها من هذا البحث.

وورد في الصحيح: أن الخلائق يوم القيامة يفزعون إلى الأنبياء والرسل طالبين منهم الشفاعة^(١) منادين لكل نبي باسمه^(٢).

ويجاب عن كلام الحداد: أن هذا النداء ليس نداء عبادة، بل هذا نداء لحي حاضر قادر على الدعاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالتوسل إليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها وبدعاء أحياء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الإقسام عليه بمخلوقاته، ومن هذا الباب استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة، فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره...»^(٣).

ويقول علوي الحداد: «وفي سنن أبي داود وغيره أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله فإننا نستشفع بك إلى الله... إلخ»^(٤).

الجواب: لفظ الحديث عند أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: قال أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال يا رسول الله: جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سماواته لهكذا وقال بأصابه مثل القبة عليه، وإنه ليثبط به أطيظ الرحل بالراكب»^(٥).

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة الذي أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب «ذُرِّيَّةٌ مِّنْ كُلِّ بَلَدٍ يَكُونُ لَكَ عَبْدًا شَكُورًا» (ص ٩٠٦ - ٩٠٧) برقم (٤٧١٢)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٠٩ - ١١٠) برقم (١٩٤).

(٢) مصباح الأنام (ص ١٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤١٥).

(٤) مصباح الأنام (ص ٣٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنّة، باب في الجهمية (ص ٥١٥) برقم (٤٧٢٦)؛ =

هذا الحديث ضعيف، فلا حجة فيه للصوفية، وعلى تقدير صحته فلا حجة فيه لمبطل؛ لأن الاستشفاع بالرسول ﷺ المراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به ﷺ، بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، أما الميت فيشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره أو في أي مكان وهذا الذي يشرع في حقه، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل دلّ الكتاب والسنّة على النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (٢١) «إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (٢٢) [فاطر: ١٣ - ١٤]. فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر من فعله كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٢٣) [الأحقاف: ٦]. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر^(١).

وادعى مشايخهم أن لأوليائهم الشفاعة، بل وجعلوها لهم قبل وقتها، ولجهلهم بشروط الشفاعة التي مرّ ذكرها جعلوا الشفاعة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، جاء في كتاب الجوهر الشفاف في الحكاية ٤٩٢ عند ذكر مناقب علي بن عبد الله بن إبراهيم باحرمي (ت ٨٠٠هـ): «وقيل أنه يوم توفي شفع في أهل قرنه»^(٢).

وتقول بعضهم على الله تعالى، وادعوا أنه سبحانه جعل لأوليائهم الشفاعة لثلاث الأمة، وجعلوهم في مصاف الرسل ﷺ، قال قائلهم في قصيدته المشهورة «بقصعة العسل» مادحاً سعيد بن عيسى العمودي:

سعيد يوم الغمة يشفع لثلاث الأمة

= والدارمي في سننه (ص ٢٤)؛ وابن أبي عاصم في السنّة (١/ ٢٥٢) برقم (٤٧٢٦). والحديث قال فيه الذهبي في كتابه العلو (ص ٣٩): (هذا حديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير، وعجائب. فالله أعلم أقال ذلك النبي ﷺ هذا أم لا؟). والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف سنن أبي داود (ص ٤٧٠) برقم (١٠١٧)؛ وفي ظلال الجنة في تخريج السنّة (ص ٢٥٢ - ٢٥٣) برقم (٥٧٥).

(١) انظر: الأسنة الحداد (٢٣٩ - ٢٤٠). (٢) الجوهر الشفاف (٣/ ٧٥).

يخرج به من ظلمة إلى ضياء نور الله
إلى أن قال:

شَفَّعه ربه في الناس يوم المخاوف والبأس
في يوم ما يظهر راس إلا أن يكن رُسل الله^(١)

وقال شيخ بن عبد الله العيدروس: «وروي عن الشيخ إبراهيم ابن
الشيخ عبد الرحمن رحمه الله ونفع به، قال: قال لي الشيخ الجليل والقُدوة
الشهير أبو بكر بن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، ونفع بهم: أشهد عني أن
والدي أعطي على الأولياء من الشفاعة مثل ما أعطي منها محمد صلى الله عليه وسلم على
الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين؛ فإنه أخرج من النار كل من دخلها من
أهل تريم ذلك كشفاً منه...»^(٢). وهذا النص فيه رفع منزلة أوليائهم في
الشفاعة وجعلها في منزلة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا رفع منزلة أوليائهم على بقية أولياء
الصوفية وغيرهم، ودعوى التصرف في أمور الآخرة، حيث - يزعمون - أن
أولياءهم يخرجون من النار جميع أهل تريم مؤمنهم وكافرهم، الموحد منهم
والمشرك، هكذا بلغ بهم الغلو والانحراف عن دين الله جلّ وعلا، ولا حول
ولا قوة إلا بالله.

وكذا جعلوا شفاعة أوليائهم يوم القيامة لمحبيهم، وهذه دعوة منهم لمحبة
أوليائهم على ما عندهم من الانحراف، وترويج هذه الفضيلة عند الناس للتعليق
بهم، لينالوا هذه الشفاعة المزعومة، فقد جاء في مناقب محمد بن أحمد
المعروف بمقدم تربة قسم أن جمل الليل قال: «لما مات محمد بن أحمد ارتفع
عن تربته العذاب وأنه يشفع لجميع أهل محبته...»^(٣).

ومن انحرافاتهم دعوى أن شفاعة مشايخهم تتعدى للقبائل الحضرمية،
جاء في كتاب شرح العينية: «وقال الشيخ الجليل الفقيه محمد أبي بكر عباد:

(٢) العقد النبوي (١/٣٦٥).

(١) قصعة العسل (ص ٦٩).

(٣) المشرح الروي (١/١٧٤).

الذي يغلب على الظن أن الشيخ محمد بن علي يشفع حتى في نهد^(١)»^(٢).
قال عبد الله باسودان في كلام له في شرح الواسطة الشريكية التي
اعتمدتها صوفية حضرموت: «كما قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد صاحب
الراتب - قدس الله روحه - أن الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته
أقوى من اعتناؤه بهم في حياته؛ لأنه مشغول بالتكليف وبعد موته طرح عنه
الأعباء وتجرد. انتهى.

وذلك: لأن الله تعالى متولٍ أمر الولي في الدنيا والآخرة، بل قد يتوجه
بعض من له حاجة إلى الولي من نحو شفاعة في جلب نفع أو دفع مكروه وضرر
من كل الأغراض الدنيوية والأخروية، فيعلم الله المتوجه إليه، ويأذن له في
إيصال مطلوبه إليه، فيكون الله سبحانه هو الفاعل لذلك والولي واسطة
وآلة»^(٣).

وجاء في قصيدة لأبي بكر بن سالم العلوي يقول فيها:

أنا المجتبي بين أهلي وشَفَّعت في عاصيها^(٤)
وادعى القوم الشفاعة لأنفسهم؛ بل وحددوا مساكن المشفوع لهم، يقول
أحمد بن زين الحبشي: «وكان سيدنا الفقيه رحمه الله يقول: أنا لأهل بلدي
كالغيث، وكان يقول: عليّ من القارة»^(٥) إلى قبر هود عليه السلام يعني في
الشفاعة»^(٦).

(١) وهي القبائل الوافدة من اليمن أو من عمان إلى حضرموت وكانت تنطوي هذه القبائل في
القديم تحت لواء خيثة، ومناطق نهد القديمة تقع غربي حضرموت. انظر: المختصر في
تاريخ حضرموت العام لمحمد بن عبد القادر بامطرف (ص ١٠٢ - ١٠٤).

(٢) شرح العينية (ص ١٥٨). (٣) ذخيرة المعاد، لباسودان (ص ٤٧).

(٤) مجموع مبارك يحتوي على المولد الشريف للديعي وقصائد في مدحه رحمه الله: (ص ٩٢).

(٥) القارة: بلدة بحضرموت بإزاء النقعة شمال غيل باوزير إلى جهة الشرق في غربي الحزم.
انظر: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت لابن عبيد الله السقاف (ص ٦٨).

(٦) قبر مزعوم بحضرموت يقع شرق مدينة تريم، وستأتي مناقشة القوم في ادعائهم وجود القبر
المزعوم. وانظر عن قبر هود: إدام القوت (ص ٥٧٨ - ٥٨٥).

(٧) شرح العينية (ص ١٦١).

وقد بلغ ببعضهم الجراءة أن زعم أن الله أعطاه الشفاعة لجميع الناس في عصره، مؤمنهم وكافرهم فضلاً عن أقاربهم ومحبيهم، وذلك قبل وقت الشفاعة، وهم في الدنيا بل يزعم أن الله ينزله ويكلّمه - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - جاء في «تذكير الناس» عند ذكر عبد الله بن حسين بن طاهر وذكر خلوته المعدة للعبادة: «وكانت له خلوة يعين له فيها مجلساً خاصاً ويحذر أهله وغيرهم من الدخول عليه بغير إذن، فجاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ففتح الخلوة عليه فوجده مالي^(١) الخلوة فرجع، ثم بعد خروجه أخبره بما رآه منه وسأله عن حالته تلك، فعاتبه وقال: كيف وأنا حذرتكم من الدخول عليّ؟ فقال له: قد وقعنا فيها وأخبرني بما جرى لك. فقال: كنت في تلك الساعة في حضرة الله تعالى ونازلني وقال لي: يا عبد الله لك عليّ ما شئت. فقلت: يا ربّ أسألك أن تشفعني في أهل بيتي فقال: شفعتك فيهم فقلت: يا ربّ لي أصحاب وأحباب متعلقون بي، أسألك أن تشفعني فيهم. فقال: شفعتك فيهم. فقلت له: ومن يحضر مجالسي من أهل البلد ونواحيتها فقال: قد شفعتك فيهم، فقلت له: وأهل حضرموت ومن سمع بي واعتقد فيّ فقال: قد شفعتك فيهم فقلت: يا ربّ، ولم لا تشفعني في أهل عصري كلهم؟ فقال: قد شفعتك فيهم»^(٢).

وجاء في ذكر خصائص الفقيه المقدم: «وكان من خصائص الفقيه القطب المشهور الفقيه محمد بن علي المذكور أنه شهد له جماعة من العارفين الكبار... منهم الشيخ عبد الله بن محمد باعبداد والشيخ سعيد بن عمر بالحاف^(٣) أنهم بعد موته ما صلوا على جنازة ميت إلا وهو يصلي عليه معهم، فإذا كان في بلاديهما وأماكنها وهما في البلاد البعيدة، فما ظنك ببلاد شيخنا

(١) أي أنه ملء الخلوة. (٢) تذكير الناس (ص ٢١٧).

(٣) هو سعيد بن عمر بلحاف، من أعيان صوفية حضرموت تخرج بالفقيه المقدم، لم يترجم له المؤرخون رغم قدمه في التصوف، يوجد له بعض الأشعار موجودة بمدينة شبام. وتلمذ عليه عبد الله باعلوي حفيد الفقيه المقدم. ومن الذين شرحوا شعره عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت ٨٦٥هـ). انظر: المشرح الروي (٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧)؛ وإدام القوت (ص ٦٧ مع الهامش).

وما قرب منها كيف لا يحضر موتاهم ويعتني بهم!، ولعله ما يحضر الموتى إلا لرحمته لهم وشفقته عليهم فإذا رآهم في شدة أو غم رق لهم ورحمهم فيشفع لهم، فلا شك أنه ممن يصلي على نفسه بنفسه»^(١).

وجاء عند ذكر وفاة سالم بن فضل: «ويروى أنه يشفع كل يوم في سبعين معذباً»^(٢).

وجاء عند ذكر كرامات محمد بن علي الفقيه المقدم: «وروي عن السيد الجليل العارف محمد بن حسن المعلم عليه السلام ونفع به قال: شهدت أن الشيخ محمد بن علي - رضي الله عنه ونفع به - أوقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته وخوطف بهذا الخطاب ثلاث مرات: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، فلم يرد الشيخ جواباً والملائكة محيطة به، وإذا بالنداء من قبل الحق عليه السلام يقول للملائكة: اذهبوا به حيث شاء فإنه محبوب، فقال الشيخ - رضي الله عنه ونفع به -: اذهبوا بي إلى النار، فذهبوا به إليها فلما وصلها رمى بنفسه فيها، فجعل يسير فيها ذاهباً ومقبلاً ويخرج كل من رآه من أهل تريم، حتى أخرجهم الجميع إلا اثنين أو ثلاثة كلما أخرجهم عادوا إليها فبقي يشفع لهم...»^(٣).

وجاء في كتاب (إثبات نسب السادة العلويين الحسينيين والأشراف): «كان الشيخ محمد بن أبي بكر باعبداد يقول: إن الصديق يشفع لأهل تريم خاصة»^(٤).

وجاء في كتاب إدام القوت: «ومن خط سيدي عبد الرحمن بن علي بن الأستاذ الحداد أن المتعلق بالشيخ أحسن من الحاضر عنده لغلبة رؤية البشرية على الحاضر، وقد قال الشيخ أبو بكر بن سالم: لو سألت الله أو قال لو

(١) العقد النبوي ١/ ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) تعليق الناشر على البرقة المشيقة (ص ١١٤)، قام بطبعه ونشره علي بن عبد الرحمن بن سهل جمل الليل باعلوي.

(٣) العقد النبوي (١/ ٣٤٢).

(٤) إثبات نسب السادة العلويين الحسينيين والأشراف، لعمر بن سالم العطاس (ص ٢٤).

تشفعت في أحد من الكفار ولعيالي وأخدامي لرجوت الإجابة لأولئك الكفار؛ لأن المخامرة تذهب الإحترام. اهـ مختصراً^(١).

وهكذا يصل بهم الحال إلى رجاء قبول الشفاعة حتى للكفار، وهي شفاعاة منفية، لا يأذن الله بها ولا يرضاها، وكل هذه التخبطات والانحرافات في هذه المسألة تعود إلى عدم معرفة التوحيد، وعدم دراسة العقيدة الصحيحة، إنما هو الاعتماد على القصص والخرافات والغلو في الأولياء والصالحين وهذه أهم الأسس التي قام عليها دين الصوفية.

المبحث الثالث

قولهم في التوسل

• رتبته مطالب:

تمهيد

التوسل لغة: قال ابن فارس: «الوسيلة الرغبة والطلب يقال: وسل إذا رغب والواصل الراغب إلى الله^(١)».

يقال: وسل فلان يسأل إلى الله بالعمل وسلاً: رغب وتقرب. ووسل فلان إلى الله، ووسلت إليه، وتوسل وسيلة توسيلاً؛ أي: عمل عملاً تقرب به إليه. وأنا متوسل إليه بكذا، وواصل، ووسلت إليه، وتوسلت إلى الله بالعمل: تقربت^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: «الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوسيلة لتضمنها لمعنى الرغبة قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة، والواصل: الراغب إلى الله تعالى^(٣)».

واصطلاحاً: التوسل والوسيلة بالمعنى العام: «هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله^(٤)».

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/١١٠).

(٢) انظر: القاموس المحيط (ص ١٠٦٨)؛ ولسان العرب (٧٢٤/١١)؛ والنهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٥/٥)؛ والمعجم الوسيط (١٠٣٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ (ص ٥٢٣ - ٥٢٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١/٢٤٧).